ليون تولستوي

الأعمال الأدبية الكاملة

١٤

الأعمال المسرحيّة الكاملة

الجزء الأول

ترجمة

صيّاح الجهيم

الاشراف الفني : زهـــير الحـمو

الأعمال المسرحية الكاملة

الجزء الأول

كل ما كتب بخط اسود فقد ورد في النص الروسي
باللغة الفرنسية

ليون تولستوي

الأعمال الأدبية الكاملة

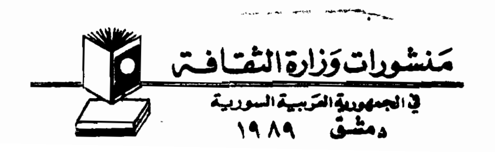
١٤

الأعمال المسرحية الكاملة

الجزء الأول

ترجمة:

صياح الجهيم



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٨٩

العنوان الأصلي للكتاب :

LÉON TOLSTOÏ

Théâtre complet

Préface et notes
d'Alexandre V. Soloviev

الأعمال المسرحية الكاملة = THEATRE COMPLET / تأليف : ليون تولستوي ؛ ترجمة صياح الجهيم . - ط. ١ . - دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٨٩ . - ٢ ج. (٨٤٣ ص.) ؛ ٢٥ سم . - (الأعمال الأدبية الكاملة ؛ ١٤) .

١ - ٨٩١٫٧٢ ت و ل أ ٢ - العنوان ٣ - تولستوي
٤ - الجهيم ٥ - السلسلة

مكتبة الأسد .

الايداع القانوني : ع - ١٩٨٩/٢/١٣٧



مقدمة

نُقدّم هنا عشرةَ أعمال مسرحية لليون تولستوي ، تُجْمَعُ لأول مرّةٍ في مجلّدٍ واحد لتكوّن الأعمالَ المسرحية الكاملة للكاتب الكبير . ولا يَجْهلُ أحدٌ أن أفضل ما في موهبة تولستوي إنما نجدُه في رواياته الكبرى وفي بعض قصصه . بيد أنّ مؤلّف آنا كارينين كان يُبدي اهتماماً شديداً بالمسرح ، فقد قرأ عدداً كبيراً من الأعمال المسرحية القديمة والمعاصرة ، ولم يكن يكْره أن يُجرّب أحياناً موهبته في هذا الميدان . إلا أن من المؤكّد ، مع ذلك، أن الأعمالَ التي أنْتجها شديدةُ التباين ، وأن مُعظمها تَنْقصُه النبْرةُ ، النكهةُ . ونحن نجد بينها مسرحياتٍ تهذيبية ، وملهاةً كُتِبَتْ على عجلٍ : « العَدَميّ » — — ويسرّنا أن نقدّم لها ترجمةً فرنسيةً لم تُنْشَرْ من قبل — وأيضاً بعض المسرحيات التي لا تَخْلو من عمقٍ ، والتي يُعاودُ فيها تولستوي ، على كل حال ، نقدَه للمجتمع الراقي بلهجةٍ لاذعة . وأخيراً فان هذه المسرحيات تَعْكسُ ، بدرجات شتّى ، بعضَ اللحظات من حياة تولستوي ، تَعْكسُ اهواءَه ، وعذاباته ، ووساوسَهُ ، وبكلمة واحدة : كلَّ ما كان يَبْتعثُ فيه البحثَ العنيدَ عن الحقيقة والحب .

العَدَميّ ١٨٦٣ أول محاولة مسرحية لتولستوي . وهي عملٌ كُتِبَ على عجلٍ ، كما قلنا ؛ هي هزليّةٌ قصيرةٌ كتبها تولستوي في « إياسنايا بوليانا » ، أثناءَ السنة الأولى من حياته الزوجية ، السنة السعيدة جداً عنده . وفي هذه الهزليّة نرى نموذجاً جديداً يُمثّلُ — على نحوٍ شديد السطحيّة — نموذجاً ظهر منذ أمدٍ قريبٍ في الحياة الروسية : العَدَميّ .

ولْنتذكّرْ أن هذه الكلمة قد أرْسلها ايفان تورغنيف سنة ١٨٦١ في روايته الشهيرة المسمّاة : الأب والابن . وفيها يبدو التباينُ بين جيل قديمٍ من الملاّكين المتجمّدين في تقاليدهم وفي ضَرْبٍ من المثالية المجرّدة ، وبين الجيل الجديد الذي ينْحاز إلى التيّار المادي والذي يَنْسف البنى القائمة باسم العقل والاستقلال الأخلاقي . ويتجلّى تورغنيف موضوعياً : فهو يصوّر مزايا الجيلين المتنازعين ونقائصهما . بيد أنه صرّحَ في إحدى رسائله : « إن الرواية بأسرها مُسدَّدةٌ إلى الطبقة النبيلة باعتبارها الطبقة القائدة للمجتمع ، وأن العَدَمي «بازاروف» شريفٌ ، فاضلٌ وديموقراطيٌ حتى مخّ العظم . وإذن فان تعاطفه كان يتّجه إلى الجيل الصاعد . أما تولستوي ، وهو أصغرُ من تورغنيف بعشر سنوات ، فهو يتّخذ مواقفَ مختلفةً كل الاختلاف . لقد غمرتْه السعادة الزوجية ، وسحرتْه جدّةُ الحياة العائلية ، فلم يُبدِ تعاطفاً زائداً إزاء العَدَميّين ؛ بل إن أفكارهم عن تحرير المرأة لقيتْ منه نفوراً . لقد تذكّر الطلاّبَ الكثيرين الذين صادفهمَ والذين علّموا في المدارس التي أنشأها في الريف عام ١٨٦٠ ، فلم يرَ ، على العموم ، سوى الجانب السلبي من عدميّتهم الذي يَسْتهزىء به قليلاً .

لكنْ يجب ألاّ ننسى أن « العدميَّ » لم تُؤلَّفْ إلا من أجل الفُرْجَةِ العائلية . فالموضوعُ الخفيفُ الهزليّ تافه كليّاً : لقد تزوّج أحدُ ملاّكي الأراضي ، وهو ابن أربعين عاماً ، امرأةً كان يحبّها ويغار عليها . وزاره ابنُ أخيه بصحبة مربّيه العدمي الذي يُشيد بتحرّر المرأة والذي يبدو ساخراً من التقاليد والعادات ! لكنه في أعماقه طيّبُ الخلق ، وهو ينْساق مع شبيبة المنزل التي تُعدّ مفاجأةً سارة بمناسبة عيد ميلاد سيمون ، الملاّك . وإذْ رأى هذا الأخير أن زوجته تُبادل الطالب الأحاديث السرّية والغمزات ، شكّ بأنها مالت للشاب : بل لقد أصابه غضبٌ واضحٌ وأنزلَ عصاه ! لكن كل شيء ينتهي أحسنَ نهاية . . . فالزوجةُ المخلصةُ تُنْشد ، ساعةَ الاحتفال ، أبياتاً من الشعر تقول : إنه لاهمّ لها سوى سعادة الذي تحبه ! إن هذه الملهاةَ الصغيرة بما فيها من بلاهة ساحرة ، مُثِّلتْ بين أفراد الأسرة ، وأعجبتْ المشاهدين كثيراً . وقد لعبتْ زوجةُ تولستوي دورَ الزوج الشديد التأثر ، ومثّلتْ أختُها دورَ ماري ، الزوجة ؛ ولعبتْ أختُ تولستوي دورَ العجوز فيونا أندريفنا التي لم يَفُتْها أن ترتجلَ مقاطعَ كاملةً أثناءَ التمثيل .

لم يُولِ تولستوي هذه المسرحية أيّةَ أهميّة ، وظلّتْ في أدراجه حتى موته . وهي شاهدٌ على سعادته الزوجية — « السعادةُ العائلية تَستغرقني كليّاً » — وحدّة غيرته ، أحيانا ، على زوجته .

أسرة موبوءة : في آخر السنة نفسها ، اشتغل تولستوي بعملٍ
١٨٦٣ أعظم أهميّةً . وتَشْهد بانكبابه عليه إحدى عشرة مسودة ومخطوطتان كاملتان . لقد أراد أن يُندّدَ

عن طريق السخرية ، « بتحوير المرأة وبمَنْ يُدْعَوْن عَدَميّين » (رسالة إلى أخته) ، وهو يعلّق أهميةً كبيرة على ما كَتَبَ . فما يكاد هذا العمل ينتهي في كانون الثاني سنة ١٨٦٤ حتّى يمضي إلى موسكو ليقدّمه « للمسرح الدرامي». وهو يُقرؤه أولاً في حلقة أدبية ثم يقرؤه على الكاتب المسرحي الشهير ا — ن — اوستروفسكي . وإذْ لم يشأْ اوستروفسكي أن يُثبّط همّةَ تولستوي المُبتدىء في الفن المسرحي ، فقد نبّهه فقط إلى أن مسرحيته تَحتوي على القليل من العمل المسرحي ، وأنها ستزدادُ جَوْدةً إذا ما نُقّحت . لكن اوستروفسكي يكتب إلى نيكراسوف ، في ٧ آذار ١٨٦٤ : « جَرَّني تولستوي إلى منزله ليقرأ عليّ ملهاته الجديدة . وهي ملهاة متدنيّة جداً حتّى إن أذنيّ تأذّتا حقاً » . إن السخرية من الجيل الجديد كانت تبدو بغيضةً على الكتّاب التقدميّين آنذاك ؛ وهذا ما فعله بالضبط تولستوي الذي كان محافظاً تماماً في هذه المرحلة من حياته . والذي تعاطف بوضوح مع الجيل القديم ، على الرغم من الأخطاء التي يَعْرفها جيداً . وبهذه الروح صوّر ملاّكاً عجوزاً ، بريبيشيف بَلْبله إلغاءُ القنانة ، ملاّكاً غضوباً ومستحقّاً للقب الذي أُطْلِقَ عليه « المضطهد الصفّاع » ، لكنه مستقيم الطبع ، وفي غاية الطيب . وهو يحاول أن يتكيّف مع ظروف العمل الحر الجديدة ، ويبدو كريماً مع الفلاحين ، ويُثني على مَنْ حوله ، ويَبْذل وسعه لكي يَفْهم الجيلَ الجديد ولكي ينصفه . فمَنْ هم ممثّلو الموجة الجديدة ؟ هناك أولاً نموذج الطالب العدمي الذي يُفسِّر كلَّ شيء بالعلوم الطبيعية ، بفلسفةٍ آليّة ، والذي يريد أن « يُطوّر » الفتيات ، أن يحرّرهن ، بتخليصهنّ من السلطة العائلية . لكنه هو نفسه ليس سوى وصولي

سوقيّ : فهو شره إلى المال ، يطمع في الفتاة الغنيّة ، ويُعلن أنها بحاجة « إلى دليلٍ شاب ونزيه » . ولما استبعده طالبُ زواج آخر أكثر جدّيةً اتّجه إلى كاترين وغازلها غزلاً خشناً ، واقترح عليها شكلاً من الحياة الجديدة في « مشاعيّة » ، مع شيء من التفكير في الإرث الصغير الذي ستتصرّف به . وكانت كاترين المسكينة هذه كالببغاء ، تردّد الشعارات التقدميّة . لكنها كانت تلتهبُ ، في أعماقها ، رغبةً في الزواج . لقد أُغرِمَتْ بفينيروفسكي الذي ازدراها ، فاتّجهت إلى العَدَميّ . أما فينيروفسكي فيبدو كشخصيّة لها وجهان : فهو من جهة رائدٌ للتقدّم يُلقي المحاضرات ، ويكتب المقالات ، بل إنه يُنشىء مدرسةً ، ولا يخلو من بعض النزاهة – لقد رفض الرشوة – لكنه من جهة أخرى يخطب وارثةً غنيّةً ، وهو ما سيُتيح له أن يَتْرك خدمته . وبقربه يعمل الحاكم بالصلح بيلكيشوف الذي يَسْتمتع بعقاب الملاّكين المستبدين والموظفين السيئين والذي يُساعد فينيروفسكي في مناوراته من أجل هدف واحد وهو أن « يقمع أهل الفتاة » .

إن هذه اللوحة التي تتحوّل إلى لوحة كاريكاتورية ، كاشفةٌ عن آراء تولستوي في هذه الفترة . لقد كان راسخ الجذور في حياته : حياة الإقطاعي الريفي ، في الحياة العائلية ، وكان يكره أنصار الفكرة القائلة إن الأسرة هي العقبةُ الوحيدة في وجه تطوّر الفرد . ولقد ظلّ طوال حياته ، على كلِ حال ، عدواً لتحرير المرأة ، ولوصولها إلى التعليم العالي وإلى الثقافة . وتذكّرنا أختُ زوجته ، تاتيانا كوزفسكي ، في مذكراتها أن تولستوي كان يستحسن ، في أواخر القرن ، عبارة غليوم الثاني التي تقول : إن المرأةُ يجب أن تقتصر على الكنيسة والمطبخ والأولاد . وكان يقول : « لقد عدّد غليوم أهم ما في حياة المرأة » .

ألحّ صاحب إياسنايا بوليانا كثيراً لكي تُدْرَجَ مسرحيته في قائمة « المسرح الدرامي » . لكن الإدارة أجابته جواباً مراوغاً . وأُرجىء الأمرُ إلى الخريف . وفهمَ تولستوي ، من توسّط اوستروفسكي ، أن ملهاته لم تكدْ تَلْقى استحساناً . فعاد إلى بيته ووضعها جانباً ولم يسعَ بعد ذلك إلى طبعها . وأكبَّ على « الحرب والسلم » ، حتى إذا انتهى من رسم لوحته العريضة نحو ١٨٧٠ ، خطر له أن يؤلّف مسرحية عن عهد بطرس الأكبر ، ثم أهملَ هذا المشروعَ ولم يعد إلى المسرح إلا بعد ذلك بكثير ، وذلك ليقدّم أعمالاً في متناول الشعب ، وفَرَضَتْ نفسها عليه فكرةُ المسرح الشعبي .

المُقطِّر الأول : في الثمانينات استحوذتْ على تولستوي تلك

١٨٨٦ الأزْمةُ الدينيةُ والأخلاقية المعروفة . فانصرف عن الفن ، ولم يعدْ يَهْدف إلا إلى التعليم ، إلى تثقيف الشعب ، وفي الحكايات التي يؤلّفها ، يتجسّدُ الشر الذي يصارعُ الخير ، في الشيطان أو في العفاريت التي نجدها في المعتقدات الشعبية . وقد كتب ، في مطلع ١٨٨٦ ، قصةً قصيرة عنوانها ، « كيف استحقّ العفريتُ رغيفَه » . وفي شهر شباط من السنة نفسها قدَّمَ اقتباساً مسرحياً لها خصصه للمسارح الشعبية : هو « المقطِّر الأول » التي نُشرت مُستقلةً في شهر أيار في مطبوعات «الوسيط». لقد نسج مسرحيته هذه ، بصورة مقبولة ، على منوال القصة الأصلية .

يدور موضوع المسرحيّة على الشيطان الذي أراد أن يُغوي فلاحاً عادياً ليستوليَ على روحه . لكن الفلاحين الاتقياء الذين يتضرّعون إلى الله دائماً قلّما يذهبون إلى الجحيم . وخلال مشهدٍ ممتع ، تُعدَّدُ

الشياطينُ أمام إبليس فتوحاتِها : إن جمهوراً من الإقطاعيين والتجار والموظفين والنساء يَقَعون في الخطيئة المميتة . الشيطان المكلّف بالفلاحين هو وحده الذي لم يَنْجح في مهمته . حينئذ يشتغل الشيطان عاملاً عند الفلاح ، ويُنتج له غلة وفيرةً ، ويَنْصحه بأن يصنع من فائض الغلّة « ماء الحياة » ، « الشراب اللذيذ » الذي لا يَلْبَثُ أن يثير المشاجرات ، ويحوّل البشر إلى حيوانات متوحّشة أو إلى خنازير . والعبرةُ الأخلاقيةُ التي أرادها تولستوي بسيطة : إن الكحول اختراع شيطاني ، والفلاحون الذين يُفرطون فيه يقعون حتماً في قبضة الشيطان . ومن المعلوم أن شيخَ إياسنايا بوليانا قد أقلع شخصياً عن الخمر والتبغ .

إن اللغة التي يستخدمها تولستوي في هذه المسرحية ، تُمثّل مسبقاً ، بغناها ونكهتها ، لغةَ سلطان الظلمات .

وليس يَخْلو من الفائدة أن نُذكرّ مع ستراخوف أنّ تولستوي كان يَقْصدُ النزلَ التي يتوقّف فيها الحجّاج الذاهبون إلى كييف : « كانت لغتُهم هي التي تسترعي اهتمامه ، فضلاً عن عاطفتهم الدينية . لقد أخذَ يَسْتشعر جمال اللغة الشعبية ، وكان يقعُ في كل يوم على كلمات جديدة وتراكيب جديدة . وكان في كل يوم يزدادُ عنفاً في حَمْلته على اللغة الأدبية التي كان يتّهمها بأنها غيرُ روسية ، وإنما هي « اسبانية » . وأضاف ستراخوف: « كل ذلك سيُعطي نتائج ثمينة ، وأنا واثق من ذلك » . هذه النتائج ، من جُملتها ، المسرحيات والقصص التي كتبها بدءاً من ١٨٨٦ .

قلنا إن المسرحية نُشرت في أيار ١٨٨٦ ، في « الوسيط » . ومنذ شهر تموز من السنة نفسها . مُثِّلتْ بنجاح كبير على مسرح شعبي ،

في حيّ من أحياء بطرسبرج وعلى مسارح أخرى . لكن الرقابة . في نيسان ١٨٨٨ ، منعتْ عُروضَها العامة بسبب الهجمات المسرفة الحدّة التي تحتوي عليها ضد الموظفين والإقطاعيين ولم تُمثَّل منذ ذلك الحين إلا على أيدي الهواة . ومن الجدير بالملاحظة — وهو شيء جدّ غريب — أنها لم تُعَد طباعتُها في الطبعات السوفيتية ما عدا طبعة ١٩٢٦ ، المسماة طبعة اليوبيل . وهي ليست في متناول الجمهور الأعظم .

الإقطاعي الذي افتقر : هذه المسرحية تلتْ مباشرةً المقطّر **١٨٨٦** الأول . وتجري أحداثُها في الأزمنة الغابرة عندما كان الناس يعتقدون بالمعجزات .

وفيها يندّد بمزاعم النسب ويُزْري بعجرفة النبلاء . والموضوع بسيط : إقطاعي بواوني فظ وممتلىء بالغطرسة ، معادٍ لتعاليم الإنجيل ، يجد من الطبيعي تماماً أن يعيش في الرخاء وأن يملك ما لا يقلّ عن مئات القرى .

وبينما كان يطارد ، ذات يوم ، أيلاً ليصطاده ، خلَعَ ثيابه ليَعْبر مجرى ماء ، فلم يعرفه الفلاحون ، وجلده قطّاع الطرق ، ولم يُصدّق الرعاةُ ما يقول . . وعدّه الناسُ غشاشاً ولا سيّما أن إقطاعياً آخر يشبهه شبهاً تاماً قد اغتصب مكانَه في القصر . وهو يبذل وسعه ليعمل بين الفلاحين ، لكنه لا يُحسِن مَسْك المذراة . ولا يلبث أن يخالط المتسوّلين الهائمين على وجوههم ، ويتذلّل ، ويثوب عن حياته الماضية : حينئذ تغفر له السماء . ويعود إلى قصره ، لكنه سيُظهر منذ الآن رعايةً أكبر للفقراء . . .

هذه العبرة الأخلاقية المبسّطة كاشفةٌ عن تولستوي الجديد ، عن عذاباته ، ووساوسه ، وجهوده ليُقلع عن حياة الإقطاعي ، ليَعْتنق

الحياةَ الهائمة ، الفقر الإنجيلي ، لكي لا يعيش كما كان يعيش من قبل .

سلطان الظلمات : كتب تولستوي هذا العمل التهذيبيّ الثالث ، **١٨٨٦** الموجّه للشعب هو أيضاً ، في تشرين ١٨٨٦ ، دفعةً واحدة ، في أسبوعين ، بعد أن زاره ، وهو مريضٌ ، صديقٌ له – آ . آ . ستاخوفتش – وكان قارئاً ممتازاً ، فعرّفه ببعض مسرحيات اوستروفسكي . أما موضوعُ المسرحيّة فقد زوّده به حدثٌ واقعي : قضيّة جنائية رواها له صديقٌ آخر هو دافيدوف رئيس محكمة تولا . لقد قتل أحدُ الفلاحين ، ويُدْعى كولوسكوف ، وليدَه الذي جاءَه من ابنة زوجته هيلين ، وعمرها ستة عشر عاماً ،ودفنه في فناء بيته . وفي يوم زواج هيلين ، اعترف بجريمته أمام جميع المدعوين ، وحاول في الوقت نفسه أن يقتل ابنته الشرعيّة التي تبلغ السادسة ، « شفقةً عليها » ، على حدّ تعبيره ، ولكي لا يتركها وحدها . وأثارت القضية ضجّةً كبيرة في وقتها ، كما أثارت مشاعر تولستوي إلى حد كبير حتى إنه زار كولوسكوف مرتين في سجنه . بيد أنه أدْخل على المسرحية تعديلاً ملطّفاً للواقعة الأصلية : فقد ألغى محاولة قتل الطفلة ، واستبدل بها التسميم البطيء للزوج . على أن ذلك لا يمنع أن تكون الشخصيّات الرئيسية مُستْلهمةً من ذلك الحدث الحقيقي » . كما قال في إحدى رسائله .

وينبغي أن نعترف بأن لهذه الشخصيات بروزاً أخّاذاً : الشاب نيكيتا الذي يُغوي ثلاث نساء الواحدة بعد الأخرى ؛ الشهوانية آنيسيا ؛ الوقحة ماتريونا التي تدفع ابنها ذاته إلى الجريمة ؛ العجوز آكيم اللجلاج ،

ذو النفس النقية الذي يجعل الغلبة ، في تيه الجرائم المظلم ، لروح المغفرة . أما نيكيتا ، فليس كائنا شريراً بطبيعته . وإنما هو عالقٌ في خطيئة الجسد . وهو يَغْرقُ في الجريمة دون قَصْدٍ . وعلى كل حال فان أمّه والتي يحبّها تدفعانه إلى ذلك . ويحس المجرمُ هنا ، كما في الجريمة والعقاب ، بحاجة لا تُقْهر إلى الاعتراف العام . إنه يريد أن يكفّر عن خطيئته . فهذا الندم والحاجة إلى التكفير التي ترافقه يكوّنان العقاب الحقيقي ، لا العقوبات الاجتماعية . التجدّدُ لا القصاص ، هذه هي فكرة تولستوي .

هذه الدراما الكالحة حقاً ، والمرعبة أحياناً ، لم تَرْضَ عنها الرقابةُ التي وجدتْ فيها « وقاحةً في التعبير لا تُطيقُها أعصابُ المسرح » (هكذا) . وفي ٢٧ كانون الثاني ١٨٨٧ قرأ حاجبُ الأمبراطور ستاخوفتش — الذي ذكرناه آنفاً — هذه المسرحية ، في مخطوطتها ، على الامبراطور الإسكندر الثالث وعلى كبار الدوقات المجتمعين في القصر . وكان الانطباع الذي أحدثته عميقاً . وقد هتفَ القيصر في النهاية : « هذه مسرحية رائعة » وأعطي ، في الحال ، الأمرُ بتمثيلها على المسرح الامبراطوري في بطرسبرح ، وعملت الإدارة المستحيل لإخراجها . ولم يَحْسب أحدٌ حساباً لمكائد المشؤوم الطالع بوبييدونوتسيف الذي عرَف كيف يقنع الأمبراطور بالطابع اللا أخلاقي الشديد لهذا العمل . فقد ألْقى في خلَده أن الاتجاه المشؤوم لهذا العمل لن يؤدّي إلا إلى زيادة تأثير أفكار تولستوي المشؤومة في المجتمع الروسي . كانت الأدوار قد حُفِظَتْ والثيابُ قد جُهّزتْ عندما تلقّتْ المسارحُ الامبراطورية ، في ٢٤ آذار ، أمراً بشَطْب سلطان الظلمات من برنامجها. وكانت المسارحُ الخاصة هدَفاً للخطر نفسه . وعبر الاسكندر الثالث

في إحدى رسائله ، عن رأي مناقض تماما للرأي الذي أبداه عند قراءتها . صرّح : « إن المسرحية مسرفةٌ في واقعيتها وموضوعُها مرعبٌ . ومن المهم أن يوضع حدٌ للفضيحة التي أثارها ليون تولستوي . فهو لا يعدو أن يكون عدَميّاً ومُلحداً . بل قد يكون من المرغوب فيه خطر بيع مسرحياته » . ومن السهل أن نتبيّن ، تحت هذا الكلام ، فكرةَ وكيل المجمع المقدّس ، ومع ذلك فان نَشْر « سلطان الظلمات » سُمِح به في المجلد الثاني عشر من أعمال تولستوي الكاملة ، لكنْ لم يُسْمَحْ للمؤلف بنشر المسرحية في كتاب منفصل . ومع ذلك فلا ريب أن النجاح الذي لقيته عند ظهورها كان هائلا : بيعَ مئتان وخمسون ألف نسخة في ثلاثة أيام .

تُرْجمت المسرحيةُ فوراً إلى الفرنسية في ١٨٨٧ ، وفي ١٨٨٨ ، ومثّلها أنطوان في ١٠ شباط ١٨٨٨ على خشبة المسرح الحر ، مسرح مونبارناس إذ ذاك ، بنجاح كبير أيضاً . والجدير بالملاحظة أن العَرْضَ سَبَقَه جدلٌ حامٍ بين مختلف الكتّاب الفرنسيين . فبعضُهم مثل الكسندر دوماس الابن ، وفيكتوريان ساردو ، وأميل اوجييه اعتبروا هذه الدراما ، مثل الاسكندر الثالث ، دراما من وحي الواقعية المفرطة ، وأنها ، بهذه الصفة ، لا تصلح إلا للقراءة . وبعضهم الآخر — ومنهم زولا والفيكونت دي فوغي — انحازوا إلى تولستوي وسندَوا أنطوان في مشروعه . وكانوا على حقٍّ في ذلك .

لم يُسْمح بتمثيل سلطان الظلمات في روسيا إلا في سنة ١٨٩٥ ، بعد موت الاسكندر الثالث . وكان تولستوي ، على كل حال ، أول المدهوشين من نجاح عمله ، ولم يكن يتوقّع ، كما باح لصديقه بول

بيريوكوف ، بمثل هذا الترحيب من جانب الجمهور . وكان يعتقد أن هذا العمل لا يصلح إلا للعروض الشعبية ، ويضيف مازحاً : « لو كنتُ أعلم أنها ستُعجب الناسَ إلى هذا الحد لكلّفتُ نفسي أن أكتبها كتابةً أفضل » . وفي الحقيقة ، إن لغة تولستوي في هذه الدراما ممتازة ، إنها لغة شعبيةٌ حقيقية ، ومناسبةٌ للمقام ، قد أَحْسَنَ الكاتبُ استخدامَها ، وهي ملأى بالعبارات اللذيذةِ النكهة التي لا تكاد تُتَرجَم أو التي لا تُتَرجم على الإطلاق . ولبعض المشاهد قوةٌ حقيقيّةٌ قد تُذكّرُ بقوّة الملك لير . لكن شكسبير لم يصلْ ، بطبيعة الحال ، إلى ما كان يحلُمُ به : أن يَخْلع شكسبير عن عرشه . . .

ثمار الحضارة : ١٨٨٩

كلّنا يذكر رواج استحضار الأرواح في آخر القرن الماضي . (ألم يَبْقَ كونان دويل حتى موته مقتنعاً باستحضار الأرواح ؟) وقد بلغَ هذا الرواجُ طبقاتِ المجتمع الراقي في مدن روسيا الكبرى حيث لم يكن يدور الكلام إلا على الوسطاء . وقد حضر تولستوي بعض جلسات استحضار الأرواح وتسلّى بها كثيراً . ولم يكن يرى في ذلك سوى التغرير ، ولهو الناس السذج الذين قرفوا من كل شيء . وبدأ كتابة مسرحيته في ١٨٨٦ ، لكنه تركها جانباً فلم يستأنفها إلا في سنة ١٨٨٩ بناءً على طلب ابنته البكر تاتانيا ، التي خطر لها إخراج عرض مسرحي يقوم به الهواةُ في إياسنايا بوليانا . وأثناء التجارب المسرحية أجرى بعضَ التنقيحات على النص . وعندما مُثّلتْ المسرحية في ٣٠ كانون الأول ١٨٨٩ نالت نجاحاً عظيماً ، وبعد سنتين نُشرت ، وانتقلت إلى قوائم المسارح القومية والأجنبية ، لأنها تُرجِمتْ إلى عدة لغات .

هذا العمل الذي تدفقّتْ به قريحةُ تولستوي من أفضل أعماله المسرحية . والنقد فيه لاذع : نقد العلاقات الشاذة بين الفلاحين وكبار الملاّك العقاريين ، نقد التباين بين فقدان الشعور ، والتفاهة لدى الأغنياء النبلاء وبين الحياة البائسة ، المُهانة ، المنسيّة التي يعيشها الفلاحون الفقراء.مَنْ هم أبطال الصراع ؟ ملاك كبيرٌ–يملكُثمانين ألف هكتار– لا يهتمّ إلا باستحضار الأرواح في حين أن امرأته لا تفكّر بغير زينتها ويَسْتحوذ عليها خوفٌ واحد هو خوفُها من الجراثيم.وابنهما وله هوى واحد: الكلاب السلوقية؛وابنتهما،وهي ليست سيئةفي أعماقها،لكنْ عَصَفَتْ بها أعاصير التفاهةالتي تكتنفُها؛والبارون كوكوالذي لا يُعْنَى بغير الألغاز؛ والمدعوّبيتر يشتييف الذي يستفيض بنكات بعضُها أبلهُ من بعض؛والأستاذُ، أخيراً،وهومولع باستحضار الأرواح أيضاً،وهويُلقي خطباً علميةً كاذبة لا نهاية لها . . . وفي مواجهة هذا « العالم » ، هناك عالم الخدم المضطرّين ، لكي يكسبوا قوتَهم ، إلى أن يخدموا هؤلاء الطفيليين وأن يكابدوا منهم ضروبَ الإذلال . ولا يُخفي تولستوي العطفَ الذي يحمله لهم : من تانيا النشيطة الخفيفة الشاطرة إلى ذلك الطاهي العجوز السكّير . ونحن نرى في المسرحية فلاحين بذلوا غاية جهدهم ليجمعوا أربعة آلاف روبل ليشتروا من الإقطاعي قليلاً من الأرض. (يستدينون من مصرف الفلاّحين) وهم لا يَلْقَون ، بالطبع ، سوى عدم الفهم من المعلم ، بل إنهم يتعرّضون للطرد من زوجة الملاّك التي تخافهم كما تخاف الطاعون : ذلك لأنهم حَمَلَةُ الجراثيم! إن المرارة التي يحسّون بها كبيرةٌ : فهم يَشْكون أنهم لا يملكون من الأرض ما يكفي « لإطلاق دجاجة فيها » – وقد لقي هذا التعبير نجاحاً . ومع ذلك فهم يَبْدون ، من تحت هذا الخجل كائنات خيّرة للغاية ، تتحلّى بكرامة أخلاقية عظيمة ، كائنات

هي بالاختصار ، أعلى من الكائنات التي تُسيء معاملتها وتستخفّ بها ، من كل النواحي .

بطرس العشّار : هذه المسرحية التي استوحاها تولستوي من **١٨٩٤** الكتاب المقدّس والتي خصّصَها للجمهور الشعبي ، لا تخلو من الأهمية . فهي توسّع موضوع موشّحة نيكراسوف الشهيرة ، لكن الأحداث تجري في سورية ، في القرن الثالث ، في عهد الحماسة المسيحية الكبيرة . وهي تروي قصة تحوّل تاجر غنيّ عذّبه تبكيتُ الضمير . إن بطرس ، العظيم الثراء ، أبى ، خلال ثلاثين عاماً ، أن يعطي أحداً كسرةَ خبز . مرةً واحدة رمى بكسرة خبز لحاجٍ مسكين ، — وبشيءٍ من الغضب والحنق — . وإذا بالمرض يَصْرعه : حينئذ فكّر في الموت وبالكلمة القائلة : « إن الأغنياء لا يمكن أن يدخلوا ملكوت السموات » . ثم تخيّل يومَ الحساب وأدرك أن عملاً واحداً خيّراً قد يوازنُ سنين من الآثام . فاعتنق العقيدة المسيحية ونَذَرَ أن يوزع أمواله على الفقراء . لكن أسرته تعارضُه : فينفصل عن زوجته ويقرّر أن يتصرّف بشخصه لأن ذويه يرفضون مشاطرة الفقراء أموالهم ، ويأمر خادمه أن يبيعه كعبدٍ وأن يعطي الفقراء الثمن الذي يأتيه . وهذا ما جرى فعلاً في مصر . وبعد ثماني سنوات ، تعرّف إليه طبيبٌ آتٍ من سورية . لكن بطرس يتوارى . إنه لا يريد أن يكرّمه أحد .

كيف لا نتبيّن هنا عذابَ تولستوي الأساسي : وسواسه لتوزيع أملاكه ، نزاعَه مع أسرته ، عجزَه الشديد عن التضحية بذاته ، عن عطاء كل شيء، عن الهرب من عبادة الجماهير لكي لا تبجّله أبداً .

الجثة الحية : هذه الدراما المؤلّفة من اثنتي عشرة لوحة ،
١٩٠٠– ١٩٠٤ والتي هي ، بلا شك، أكثر مسرحيات تولستوي
شهرةً ، استوحاها تولستوي، مثلها مثل سلطان
الظلمات، من واقعة حقيقة داخلة في الوقائع
القضائية . ففي سنة ١٨٩٧ عَرَضَ عليه صديقه القانوني دافيدوف
حالة الزوجين هيمر : فقد الزوجُ عمله وتمرَّغ في قاع المدينة بعد أن
أمعن في السكر على إثر صدامه الفاجع مع امرأته . لقد هجر امرأته ،
وتظاهر بالانتحار بناءً على طلبها ، واستطاعت أن تتزوّج مرةً ثانية .
ثم انكشفت الخدعةُ مصادفةً ذات يوم ، وأُحيلَ الزوجان إلى القضاء .
أكبّ تولستوي على العمل في كانون الثاني ١٩٠٠ واشتغل بمسرحيته
حتى تشرين الثاني . وفي عام ١٩٠٤ أدخل عليها بعض اللمسات لكنه
لم يُسلمها للنشر : ذلك ان هيمر الابن زاره بالفعل ورجاه ألا يُذيع
الفاجعة بنَشْره لمسرحيته . على أن القضية لم تنته نهايةً بالغة السوء :
ذلك أن الزوجين بُرِّئا وحُكما بعقوبة كنسية فقط . وكان أمراً مُحرجاً
إثارةُ المسألة من جديد .

لم تُنْشَر المسرحيةُ إذن إلا بعد موت تولستوي . ولقيت رأساً
نجاحاً عظيماً . ومُثّلت لأول مرة في أيلول ١٩١١ في مسرح ستانيسلافسكي
الفنّي في موسكو . وتجلّى فوزُ « موسكفين » الباهر في دور بروتاسوف .
وقد مُثّلتْ المسرحية في الأشهر التسعة وحدها من السنة التالية تسعة
آلاف مرة على أكثر من مئتي مسرح روسي . ولم يكن استقبالُها أقل
توفيقاً على مسارح أوروبا الغربية .

ويُلاحَظ أن شخصية بروتاسوف ، بالرغم من إدمانها السكْر ،
تَحْظى بعطف المؤلِّف : ذلك أنه رفض مصالحة النظام القائم ، وتخلّى

عن الحياة البرجوازية ، ونزل إلى الفقر ، وأراد أن يكون مغموراً ، وذلك هو مثل تولستوي الأعلى الذي لا يُنال .

النور يَسْطع في الظلام : ١٩٠٠ – ١٩٠٢ كُتبتْ هذه المسرحية من ١٩٠٠ إلى ١٩٠٢ ولم تتمَّ بسبب طابعها الشخصي ، من غير شك . فالفصل الخامس غائب . ولم ير النصُّ النور إلا في سنة ١٩٢٦ ، استناداً إلى نسخة عنه مرسلة من موسكو . فهل مُثِّلتْ هذه المسرحية ؟ هذا مع أنها أكثر أعمال المؤلف تأثيراً وعمقاً ، إن لم نقلْ أكثرها نجاحاً . ففيها يصوّر تولستوي نفسه على المكشوف : إن نيكولا سارنتسيف ، بطل المسرحية الرئيسي هو تولستوي نفسه . وهو ، مثل تولستوي ، رجلٌ دبّت إليه الشيخوخة ، مشغوف بالإنجيل ، ولا سيما بالموعظة على الجبل ، مُنْكرٌ لشعائر الكنيسة وحتّى للعقيدة . وهو لا يهتمّ كثيراً باولاده الذين يعيشون حياةً أقربَ إلى الحياة الاجتماعية المنحلّة . وهو يجد نصيراً لأفكاره في شخص كاهن شاب يُعطيه « رينان » لكي يقرأه ، وفي شخص خطيب ابنته البكر ، على الخصوص : الأمير الغني بوريس تشير يمشانوف الذي يعتنق ، كمعلّمه ، الفوضويّةَ مثلاً أعلى ، ويعتنق الفكرةَ القائلة بأن الخدمة العسكرية ظلمٌ لأنها تناقض التعليم : « لا تَقْتُلْ » . إن بوريس يرفض أن يؤدي القسم العسكري ويغدو شهيد استنكاف الضمير . وسيتذكّر الناس ، بهذه المناسبة ، الحادثة الغريبة التي حدثت لابن تولستوي الثالث سنة ١٨٩٢ ؛ لقد تطوّع ابن الكاتب في كتيبة من رماة الحرس ، وأراد أن يرفض أداء القسم الرسمي ، حفاظاً على مثله الأعلى . لكن القائد – الحليم – دعا ، تحاشياً للفضيحة ، مجلسَ الأطباء الذي أقرّ

بأن ابن تولستوي « غير لائق للخدمة العسكرية بسبب وضعه الصحي » . وعاد الابن إلى ایاسنايا بوليانا يغمره الخجلُ ، كما روى هو نفسه في مذكّراته . إن الكارثة الممكنة تحولت إلى مهزلة . لكن الأمر لم يكن كذلك دائماً مع سائر أتْباع تولستوي : فمعظم المستنكفين ضميرياً كابدوا عقوبات صارمة في روسيا ، مثل « الناصريين » في النمسا وهنغارياً الذين حدّث تولستوي عنهم الطبيبُ السلافي دوشان ، ماكوفيتسكي .

لقد نَقَلَ تولستوي بقوّةٍ ، في مسرحيته ، الجدل الوجداني لدى الشاب بوريس ، وهو الوحيد الذي ظل أميناً لفكر سارنتسيف الكاهن الشاب الذي نُفي إلى سولوفكي . تنكّر لتعاليم معلّمه وعاد إلى طاعة الكنيسة الرسمية . ولم تَفْهمْ زوجةُ سارنتسيف ، بوريس ؛ أما البنتُ المتقلّبة فقد عثرت بسرعة على عاشق جديد ، وأما الأولادُ الآخرون فهم لا يفكّرون إلا في الموسيقا وفي الحفلات الراقصة . وظلّ الرجلُ العجوز وحده يجترّ أفكاره المريرة ، ويدور في القلق ، قائلاً في نفسه أبداً : « يجب أن نتخلّص من هذا الترف المفسد » . لكنه لا يَقْوى على ذلك . ومن السهل التعرّف من خلال ذلك على مماطلات تولستوي نفسه . وفي الخطوط العريضة للفصل الأخير — وهو لم يُكتَبْ إذن — تأتي أم بوريس لتَقْتل برصاصة مسدس هذا الذي أغرق تلميذه في الشقاء . ويموتُ سارنتسيف في حالة من السكينة النفسية ، ذلك أنه وجد أتباعاً جدداً : الدكهوبور . . .

كلُّ الفضائل تأتي منها : وهذه المسرحية من آخر أعمال

١٩١٠ تولستوي ، إذ أنها كُتبتْ قبل موته بقليل .

وهي أيضاً مسرحية تهذيبية تعالج مساوىء

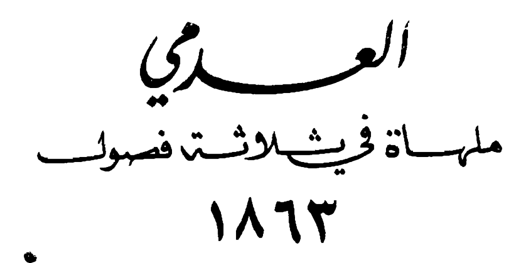
الكحول وتُعيدنا إلى « المقطّر الأول » . لكننا لا نجد هنا ابليس والشياطين : فاللهجةُ واقعية . إنها لوحةٌ تقلّد الواقع بكثير من الدقّة ، وخلفيّتُها هي حياة الفلاحين التي يَعْرفها المؤلف جيداً . ونحن نرى فيها أسرةً فقيرةً تَنْتظرُ فيها النساء – الأمُ والزوجةُ والبنتُ – بكثير من القلق عودةَ ربّ الأسرة . (لقد ذهب إلى المدينة ليبيع العلف) . وهو ، على العموم ، يسكر برفقة إينياس ، رفيقه الغبيّ . هل سيَحْمل معه قليلاً من المال أم سيُنفق كل شيء في السُكْر ؟ وفي هذه الأثناء ، يأتي جابي القرية بعابر سبيل لإيوائه ليلة واحدة . ويُستَضاف ثم لا يَلْبثُ أن يدور الحديثُ على مساوىء الكحول . فيُؤكّد الضيفُ أن لجميع الكوارث سبباً واحداً : ماء الحياة . ويَرْوي كيف أن الشرابَ أفسد حياته . لقد كان ميكانيكياً ، وكان ، لبعض الوقت ، عضواً في حزب ثوري ، وعرف السجنَ . وهو الآن يبحث عن عمل . عند ذلك ، يصل ميشيل واينياس ، وهما يترنّحان . لقد ذَهبَ مالُهما ، ولم يَحْملا معهما سوى شيء من السكر والشاي . ويشربون . فيروي عابرُ السبيل أيضاً أنه عرف السجن على إثر حادثة سطوٍ ، وهو شيء كان معهوداً إذ ذاك في روسيا . وفي اليوم التالي ، يلاحَظُ غيابُ السكر والشاي مع غياب عابر السبيل . ويوقَفُ هذا ويُقْتاد إلى المنزل الذي استضافه ، فيَغْفر له الزوجان ،بل ويُهديانه السكر والشاي . فيطلب المسكينُ المغفرةَ ، ويبكي معترفاً بحقارته . لقد حوّلتْهُ الخمرةُ إلى شقيّ ليس غير .

يُلاحَظُ إلى أي حد كان تولستوي متحيّزاً عندما قدّم عابر السبيل على أنه ثوري . والواقع أنه ليس سوى حكّاءٍ ، كذّاب ، غشّاش . (والسطو أفاده هو ولم يفد الحزب) . وهو ، بالاختصار

« ابن الدعارة » الذي تقاذفته أمواجُ القدر ، ودمّرته الكحولُ ، وهو يكوّن مع النزاهة الفلاّحيّة تبايناً جاداً — وسهلاً . وهذه الطريقة الكاريكوتارية في تصوير الشخصية الثورية تُذكّر بأشباح العدميين الباهتة المختُلَقَة برمّتها . إن نبيّ لا مقاومة الشر ، ورسول المحبّة والغفران لم يكن يتعاطف مع الثوريين إلا بمقدار ما يكونون شهداء لقضيتهم . لكنّ مالم يتوصّل إلى فهمه هو العنف : « في هذه الثورة ، أؤدي ، بكامل رضايَ ، مهامّ محامي الشعب المكوّن من مئة مليون فلاح . وأنا أبتهجُ بكل مايمكن أن يُسْهم في سعادته . . . لكني أنظرُ برعبٍ إلى العُنْفِ والقَتْلِ مِنْ أية جهةٍ جاءا » .

الكسندر . ف . سولوفييف

* * *


العدمي
ملهاة في ثلاثة فصول
١٨٦٣



الشخصيات

غلافير فيدوروفنا : سيدة عجوز .

فيونا(١) اندريفنا : متطفّلة(٢) على المنزل .

سيمون ايفانيتش : ابن غلافير وملاّك عمرُه أربعون عاماً .

ماري دميتريفنا : زوجته .

ليوبا : أختها .

ناتالي بافلوفنا : صديقة ليوبا .

نيكولنكا : تلميذ ثانوي ، ابن أخ سيمون ايفانيتش .

كريزانت(٣) فاسيليفتش : طالب ، عدمي ، مربّي نيكولنكا .

تجري الأحداث في أملاك سيمون ايفانيتش

---

(١) فيونا : شكل روسي لاسم يوناني نادر جداً هو : شيونيا .

(٢) « متطفلة » : كان الكثير من البيوتات النبيلة في هذا الزمن تؤوي « المتطفلين » الذين يعيشون فيها على حساب النبيل ؛ وكانوا في الغالب من الأقارب البعيدين والفقراء .

(٣) كريزانت : اسم يوناني مستعمل فقط بين رجال الكهنوت الروسي ؛ وفيه إشارة إلى أصل الطالب .

الفصل الأول

المشهد – ١ –

« غلافير فيدوروفنا ، فيونا اندريفنا ، سيمون ايفانيتش ، حول فنجان شاي » .

غلافير فيدوروفنا : دعوتَ الناسَ ، يا سيمون ، لكنني لا أفهم : ليتهم كانوا ، على الأقل ، في مستوى لائق . الله أعلم من أين يجيئون ! لقد دخلوا أمس غرفة المهملات ، وفتّشوا كل شيء فيها ، وقلبوه رأساً على عقب . ما أسخف طريقةَ التسلية هذه ! آه ! من هذا الجيل الجديد . . .

فيونا اندريفنا : ألافضل ألا تَدْعو أحداً ، في مثل هذه الأيام ، يا صديقي . أتعلم أن حوذياً لدى آل جيفوتوفسكي دخل المنزلَ من النافذة .

سيمون ايفانيتش : مالنا وللحوذي . فللشباب ملء الحقّ في أن يَلْهوا . أليس كذلك ؟ لكنْ ، أين ذَهبَ ضيوفُنا ؟

غلافير فيدوروفنا : يا عزيزي ، أنت توافقهم على لهوهم ، لكنك لا ترى أنهم فقدوا كل احترام لمن يَكْبرُهم سناً . فاليوم هو عيدُ ميلادك ، ولم يأتِ أحدٌ منهم بعدُ لتهنئتك .

فيونا اندريفنا : هذا هو الوضع الجديد . فهناك الآن هؤلاء الجهنميون(١) وينبغي تقديم الطعام والشراب لهم .

سيمون ايفانيتش : أهمّ بهذه الكثرة ؟ لكن ، لم تزعجين نفسك ، يا أمي ؟ كان لا بدّ لي من دعوة ابن أخي لقضاء العطلة ، ومعه هذا الطالب الذي يرافقه والذي هو مربّيه . . .

غلافير فيدوروفنا : لكننا لا نستطيع دائماً أن . . .

فيونا اندريفنا : يا إلهي !

سيمون ايفانيتش : ثم إن أخت زوجتي قد تركتها المدرسة الداخلية(٢) تخرج ، وهي مع صديقة لها ، فتاة فاتنة . . .

فيونا اندريفنا : طيّب ! أنا أقول : إن هؤلاء « الصديقات » ، سيذقنك من العذاب .

سيمون ايفانيتش : كيف؟

غلافير فيدوروفنا : لا شيء .

فيونا اندريفنا : أتريد شيئاً من السكر ، يا صديقي ؟

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم وماري دميتريفنا التي تقف على عتبة الباب » .

سيمون ايفانيتش : آه ! ها هي ذي !

---

(١) الجهنميون : فيونا تحرف كلمة « عدمي » وتشتقها من « جهنمي » عن طريق الخلط بينهما.

(٢) تركتها المدرسة الداخلية : كانت الفتيات قديماً تستبقين ، أثناء العطلة المدرسية ، في المدرسة الداخلية .

ماري دميتريفنا ، **على الباب** : إيّاكم أن تنسوا شيئاً . (تقترب من زوجها وتقبّله) . صباح الخير ، يا عزيزي ، أتمنّى لكَ عيداً سعيداً . صباح الخير ، يا ماما ، أهنّئك بعيد ميلاد ابنك . احتراماتي ، يا فيونا اندريفنا .

غلافير فيدوروفنا : يبدو لي ، يا عزيزتي ، أن هذا اليوم يومٌ سعيد بالنسبة إلى الجميع .

ماري دميتريفنا : أعلم ذلك ولن أنساه .

(تعانق زوجها)

سيمون ايفانيتش : أتعلم إلى أين ذهبت ليوبا والجماعة ؟

ماري دميتريفنا : رأيتُهم . . . لا لم أرهم .

غلافير فيدوروفنا : كلُّ شيء كان مختلفاً ، في زماني . فعندما كان زوجي يحتفل بعيد ميلاده ، كنتُ أنهضُ مبكرّةً ـ أذكر ذلك ـ وكنت أُشرفُ على كل شيء في المنزل ، فأُعدّ المفاجآت ، وأصْنع باقات الزهور . وكان كلُّ واحد يُلقي شيئاً من الشعر الخفيف ، بل إن أختي عَزَفتْ ، ذات مرة ، قطعة موسيقية على البيان القيثاري . . .

فيونا اندريفنا : هل تذكرين ، يا صديقتي ، أنه قد مُثِّلتْ ملهاةُ تُدعى : « الحبل » ؟

غلافير فيدوروفنا : أيّ حبل ؟

فيونا اندريفنا : قلتُ : إن هذا هو عنوان الملهاة .

غلافير فيدوروفنا : وعندما كان زوجي العزيز يدخل ، كانت التهاني

تنطلق إليه من كل مكان . كان ذلك مؤثراً ، أؤكّد لكم .
لا نستطيعُ أن نقول أن الأشياء هي نفسها هنا .

فيونا اندريفنا : لا يمكنني أن أتذكّر ذلك دون أن أبكي . لقد كانت تلك الأعياد أعياداً حقيقية ، لا كما هي اليوم . . . وعندما أرى ، لدى الشباب ، مثلَ هذا النقص في الحب ، فاني لا أستطيع أن أمتنع عن البكاء .
(تذرف دمعةً)

ماري دميتريفنا : أحقاً كان الأمر كذلك ، يا أمي العزيزة ، في زمانك؟ وهل هو اليوم أقلّ حسناً ؟

غلافير فيدوروفنا : أقلّ حسناً بكثير .

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم . تصل ليوبا وناتالي وكريزانت وهم يركضون»

ليوبا : صباح الخير ، يا غلافير فيدوروفنا أقدّم لك تهانيّ . تمنيّاتي لك ، يا سيمون .

ناتالي : متغنّجة ، ومنحنية انحناءة الاحترام : **صباح الخير ، يا سيدتي ، اهنئكِ ، وأنتَ أيضاً ، يا سيدي ، اهنئكَ .**

ليوبا : بمرح : لمَ تبكين ، يا فيونا اندريفنا ؟

كريزانت : لماري ، بهدوء : وجدتُ . . .

ماري دميتريفنا : بصوت خافت : ممتاز .

سيمون إيفانيتش : عمّ تتحدّثان .

كريزانت ، لسيمون ايفانيتش : بما أن العادة تقضي بأن يقدّم الناسُ تمنيّاتهم ، فأنا أقدّم لك تمنياتي ، يا سيّدي .

سيمون إيفانيتش ، لماري : ألم تتعرّفي بعدُ على كريزانت فاسيلييفتش ؟

ماري دميتريفنا ،مرتبكةً : يَعْنِي ، بلى . . . لا لم نتلاقَ . صباح الخير .

كريزانت ، محيّياً : بلى ، تلاقينا قبل الآن . (لفيونا) ولمَ تبكين ، يا فيونا اندريفنا ؟ ألم يسُرِنا التقدمُ أن الدموع ليست سوى وظيفة من وظائف العضوية .

فيونا اندريفنا : اذهبْ عنا أنتَ « وعزو تّيك»(١) . أنا أيضاً أستطيع أن أبتكر منها الشتائم . رأيتُ كثيرين غيرك ، يا صغيري ...

غلافير فيدورفنا : أنا سعيدةٌ ، يا أصدقائي ، أنكم جئتم لزيارة ابني . أخشى فقط ألا تستمتعوا جيداً معنا ، نحن السيدات المسنّات . تغيّر الزمن كثيراً . **وأنتِ ، يا عزيزتي ، هل أنهيتِ دراستك ؟**

ناتالي : لا ، يا سيدتي ، لم أُنهها بعد .

ليوبا ، تشدّها من ثوبها : لا داعي لأن تقولي ذلك . فسوف يكتشفونه بسهولة .

ماري دميتّريفنا : الجو شديدُ الحرارة هنا . (مقتربة من الشبّان) عسى ألا يتبيّن شيئاً .

(صمت)

---

(١) عزوتيك : فيونا تحرف كلمة عضوية لا عنقادها أنها شتيمة .

غلافير فيدوروفنا : ما أسْرعَ ما ارتبطتْ امرأتكَ بصداقة مع هؤلاء الشبّان .

سيمون ايفانيتش : كيف ؟

فيونا اندريفنا : إنها شديدةُ الاحتفاء بالضيوف ، امرأتك .

المشهد — ٤ -

« الأشخاص أنفسهم ، نيكولنكا »

نيكولنكا : **يدخل وهو يركض** : تهانيّ ، يا غلافير فيدوروفنا ، وتهانيّ لكَ أيضاً ، يا عمّي .

(يُحيّي فيونا تحيّةً مضكة ، ثم يلتفت إلى الفتيان . يتهامسون جميعاً ويهربون) .

سيمون ايفانيتش ، منادياً : ماشا ! ماشا !

المشهد ٥

« **غلافير فيدوروفنا** ، **فيونا اندريفنا** ، **سيمون ايفانيتش** »

غلافير فيدوروفنا : نعم ، يا عزيزي ، الشبيبةُ لها اليوم وجهةُ نظرها في الأشياء . لا أقول أن فرق السن كبيرٌ . بينك وبينهم ، لكنْ كان بامكانهم مع ذلك أن يُظهروا لنا قدراً أكبر من الاحترام . كل ذلك محزنٌ ، محزنٌ جداً .

فيونا اندريفنا : كأنهم انطلقوا ليشهدوا حريقاً .

سيمون ايفانيتش ، مُغْضباً : هلاّ سكتِّ !

(فيونا تنهض ، من الخوف)

غلافير فيدوروفنا : لا ترفعْ صوتك إلى هذا الحدّ ، يا صاحبي ! ألأنّ زوجتك ذهبتْ مع هذا الطالب ، بدلاً من أن تبقى مع زوجها ، تريد أن تتحامل عليها ؟ لأنك تغار من هذا المتطرّف .

سيمون ايفانيتش ، ناهضاً : ماذا تقولين ، **يا ماما** ؟ أنا أغار ؟ أنا أنزل إلى هذا المستوى ؟ اللفظةُ وحدها تثير اشمئزازي . (يضرب الطاولة بقبضته) . واسمحي لي أن أقول لك : إنك إذا شئتِ أن تُفْسدي ما بيني وبين امرأتي . . .

غلافير فيدوروفنا : بالله عليك ، يابني ، لا تُلقِ باللوم عليّ . أنت تدعو إلى منزلك أيّاً كان من الناس . وتكون الغلطة بعد ذلك غلطتي . هيّا ، يا فيونا ، أرى أننا لا مكان لنا هنا .

فيونا اندريفنا : من المؤكدّ أننا لا مكان لنا هنا ، يا صديقتي .

المشهد — ٦ —

« سيمون ايفانيتش ، وحده »

أغار أم لا أغار ! هُراءٌ كلُّ ذلك ! وإنْ كانت غريبةً ، غاية الغرابة ، تلك الغمزاتُ والتهامساتُ . ثم إنها ذهبتْ معهم . وكل هؤلاء الفتيات اللواتي يُفَرْفِرْن حول هذا الشاب الهزيل كريزانت ! تلك قدوة سيئة . الفتيات يُفَرْفِرْن وهي تفعل مثلهن . لا ، لستُ أفهم ، في الحقيقة ، هذه الابتسامات الغامضة ، وتلك الغمزات . إن هذا ليُغيظ ، في النهاية . بل وأكثر ، إنه يُقْلق ، يُقلق كثيراً . . . آه ! النساء ، النساء .

ستار

الفصل الثاني

المشهد – ١ –

« ماري دميتريفنا ، ليوبا ، ناتالي ، نيكولنكا ، **يفحصون** ورقة شفّافة . ملوّنة ، فوضى في الغرفة : أوراق ، غراء النشاء ، ملابس ... »

ماري دميتريفنا : لقد رتّب كريزانت كل شيء أحسن ترتيب . اللهُ هو الذي أرسله إلينا !

ناتالي ، ضاحكة : لو تعلمين ، يا ماري ، إلى أيّ حد يضايقني . تصوّري أنه يحاول أن يغازلني ، وهو يحدّثني طوال الوقت عن « الحبّ المعقول » . يا للفظاعة !

ليوبا : هذا غير صحيح ، يا ماشا . فناتالي مسرورة جداً . وهي التي تتغنّج أمامه .

ناتالي : أنا ؟ ياللغباء ! لا ، يا ماري ، هي التي تتغنّج . حتى إنها حدّثتْهُ عن تحرير المرأة .

ليوبا : بل أنتِ .

ناتالي ، مغتاظة : بالغتِ كثيراً ! أكرّر أن غيري هو الذي يفعل ذلك .

ليوبا : بل أنتِ .

ناتالي ، باللهجة نفسها : عفواً ، قلت لكِ كلاّ .

ليوبا : بل أنتِ .

ماري دميتريفنا : كفى نقاشاً . آن وقتُ العمل . لم ينته الحرف « س » بعد .

ليوبا : ماشا ، لستُ أحسنُ ذلك . لا بدّ من دعوة كريزانت ، على الفور .

ماري دميتريفنا : اذهبْ وَأْتِ به ، يا نيكولا .

(يذهب نيكولنكا راكضاً)

المشهد – ٢ –

« نفس الأشخاص ، ما عدا نيكولنكا » .

ناتالي ، تقترب من ماري بحيوية : إنه يَخْلع سترته أثناء العمل . اسمحي لهُ بأن يخلعها ، وانظري إلى قميصه .

المشهد – ٣ –

نفس الأشخاص ، كريزانت مع نيكولنكا

ماري دميتريفنا : هل الشِعْرُ جاهزٌ ؟

ليوبا : ادهنْ الورقَ الشفّاف بالسناج . لا أُريد أن أوسّخ يديّ

ناتالي : وأين الفوانيس ؟

كريزانت ، على عتبة الباب : هذه هي مساواة النساء ! الله وحده هو الكليّ الوجود ، أما أنا فلا أستطيع أن أكون موجوداً في

كل مكان . لقد قلتُ لك ذلك يا ناتالي بافلوفنا : في الحقيقة ، ما تزال النساء بعيدات عن تصوّر الحب المعقول .

ليوبا : ليس الموضوعُ موضوعَ الحب الآن ، ادهنْ بالسناج الورقَ الشفّاف .

ماري دميتريفنا : ألا تُريدُ أن تخلع سترتك ؟

ناتالي : ألْصق الفوانيسَ .

كريزانت : حسناً ! بما أنكِ تسمحين بذلك . . .

(يخلع سترته)

ماري دميتريفنا هيّا ، اعملْ . نيكولنكا ، قفْ عند المدخل ، وإذا اقترب أحدٌ فنبّهْنا .

نيكولنكا : اطمئني ، لن أدع مخلوقاً يقترب .

(يخرج)

المشهد — ٤ —

« الأشخاصُ أنفسُهم ما عدا نيكولنكا ، الانظارُ شاخصة إلى قميص كريزانت » .

ناتالي : هو ليلكي .

ماري دميتريفنا : هو وسخ .

ليوبا : هو موشّى بأزهار زرقاء .

كريزانت : ماذا تَقُلْنَ .

ليوبا : لا شيء . كنت أقول إن الأزهار الزرقاء تنسجم مع الفوانيس .

كريزانت : هل بإمكانكنّ مساعدتي ، يا سيداتي ؟

ناتالي : بالتأكيد ، سأبدأ بالإلصاق أنا أيضاً .

(تُلصقُ نجمةً على قميص الطالب) .

ماري دميتريفنا : ماذا تفعلين ؟

ليوبا : من أينَ جئتَ ؟

نيكولنكا : ضاعَ كل شيء .

كريزانت : أيها الخادمُ الخائن ، لقد أمرتُكَ أن تحرس كَرْمي فنمتَ(١) !

(يضايقون نيكولنكا)

ليوبا : سأدغدغُه حتى الموت .

ناتالي : سألطّخهُ بالسناج .

نيكولنكا ، **متخبّطاً** : دَعُوني ، دعوني !

المشهد – ٥ –

« الأشخاص أنفسهم وفيونا اندريفنا » .

فيونا اندريفنا ، **مرتعبةً** : يا إلهي ، خنقوا الفتى . أسرعْ ، تعالوا جميعاً .

كريزانت : سيدتي ، مع أن صحبتاك تسرّ قلوبنا ، إلا أننا مضطرون إلى الاستغناء عنها الآن .

---

(١) كريزانت : يتكلم بأسلوب التوراة مازحاً .

فيونا اندريفنا : أفّ !

ليوبا : اخرجي من هنا .

(تَصْفق الباب)

فيونا اندريفنا : تُري فستانَها الذي تمزّق عند الباب ، وبلهجة شاكية : هذا من حرير راشيل . والمؤلم أن وليّةَ نعمتي هي التي أهدتني إياه . . .

ماري دميتريفنا : أغْربي أنتِ وولية نعمتك !

فيونا اندريفنا : وقد عادت إلى الظهور عند البابِ : ياللفظاعة تنكّر الطالبُ في ثياب الشيطان . ثِقوا أنني سأَروي كل شيء .

(تخرج)

ماري دميتريفنا : ، امضِ يا نيكولنكا ! قُمْ بالرَصْدِ ، مرة أخرى . ولْنَعُدْ نحن إلى العمل .

كريزانت : ماذا قالت ؟ الطالب تنكّر في ثياب الشيطان ؟ دَعْنا نرَ . (ينظر في المرآة وينتزعُ النجمة ، مغتاظاً) ليس في هذا شطارةٌ ذكية ولا دعابةٌ مسلّية . أشكركِ . إني اتعرّف عقليّتكِ ، في هذه الفعلة ، يا ناتالي بافلوفنا .

(يرتدي سترته)

ليوبا : ليست ناتالي هي التي فعلتْ ذلك . النجمةُ التصقتْ من ذاتها .

ناتالي وماري معاً : مِنْ ذاتها .

كريزانت : عقلية رجعية .

ماري دميتريفنا : مهلاً ، يا كريزانت ، ألست تفهم المزاح ؟ ويجب أن أنصرف أنا حتّى يشرعوا بالبحث عنّي .

نيكولنكا ، راكضاً : ها هي ذي تعود .

(يركضون جميعاً ليقفوا حول الطاولة وهم يصيحون : يا إلهي) !

ماري دميتريفنا : أسرعوا ، ارفعوا كل شيء واخفوه .

ليوبا : أنا سألوّنه .

(تدهن قبّة قميص الطالب) .

ماري دميتريفنا : أين الأشعار ؟

كريزانت : امنحيني لحظةً أستنزل فيها الإلهام ، يا ماري دميتريفنا .

(يُمرُّ يدهُ على جبهته فيلطّخ وجهه بالسناج)

ناتالي وليوبا : الإلهامَ الإلهامَ ، المزيدَ من الإلهام !

كريزانت : الذي يستمرّ في تلطيخ وجهه دون أن يَلْحظَ شيئاً : فَلْيكنْ !

(يقف جانبياً ويتّخذ وضعاً متصنّعاً)

لكي أوجّه إليكم تهانيَّ . . . لا ليس هذا حسناً .

نيكولنكا ، مسرعاً : ها هو ذا ، ها هو ذا !

ماري دميتريفنا : مَنْ تَعْني ؟

نيكولنكا : الطاهي نيقولا !

ماري دميتريفنا : لا قيمة للطاهي ، لكن إذا مرّ أحدٌ من الأسرة ....

كريزانت : العفو ، يا سيداتي ، العفو . لقد لطّختِني وألْصقْتِ بي الملصقات هازئةً ، مرتين ، يا ناتالي . وفي هذه الأثناء ، لم تتمّ القصيدةُ بعد .

ماريا دميتريفنا: بالنسبة إلى الإلهام ، إن كان يلزمُك شيءٌ منه فنحن في خدمتك ، سنتابع الإلصاق .

كريزانت ، وكأنه يخاطب شخصاً : لكي أُوجِّه تهانيَّ . . . لا ليس هذا حسناً .

لكي أقدّم مباركاتي . . . (بعد تفكير) .

في الواقع ، سأُنشد قصيدة لغيري ، قصيدةً جاهزة .

ها هي ذي ، يا ماري دميتريفنا ، اصغي :

« مع أن التهاني لم تعد موضعا للتقدير ،

إلا أنني لا همَّ لي سوى سعادتك ،

أنا اللابس ثيابَ نعمتك المزدانة بالزهور

أنا ذو الفكر المحافظ . . . . »

اسمحي لي أيضاً . . .

ماري دميتريفنا : ممتاز . نحن الثلاث سنرتدي ثياب نعمته ، وسنحملُ إليه اسمه المنقوش .

وسأنشد الأشعار . أشكرك أعظم الشكر ، يا كريزانت .

(تشدّ على يده . تُفْتَحُ النافذة ويُطلّ منها رأس سيمون ايفانيتش) .

ماري دميتريفنا : مرتعبة بينما أخفت الفتاتان الفوانيس الورقيّة: سيمون أياكَ أن تَدْخل !

سيمون ايفانيتش : ناظراً إلى امرأته بغضب شديد : آه ! أنتم هنا . يُسعدني أن أراكم جميعاً فرحين إلى هذا الحد . . جيد جداً ، جيد جداً . سأنصرف .

ناتالي : يا إلهي ، لقد رأى كل شيء .

ليوبا : إنه لم يرَ شيئاً .

ماري دميتريفنا : وأين ذهب هذا اللعين نيكولينكا ؟ « ليوباً » ، اذهبي وأحضريه .

« تذهب ليوبا راكضةً وتصطدم بنيكولنكا »

نيكولنكا ، **راكضاً** : ها هو ذا يأتي بذاته .

المشهد — ٦ —

« ماري دميتريفنا ، سيمون ايفانيتش ، كريزانت ، غلافير فيدوروفنا »

غلافير فيدوروفنا : شيءٌ لطيفٌ حقاً . سيمون ، يا بني المسكين ! وأنت التي لم تَرْحمي شَيْبتي . وكل ذلك من أجل مَنْ ؟ من أجل هذا الغبيّ ؟

ماري دميتريفنا : فيما بعد ، سأقصّ عليكِ كلّ شيء ، يا ماما . هيّا ، يا كريزانت ، تعال .

(تقوده)

المشهد — ٧ —

« غلافير فيدوروفنا ثم فيونا اندريفنا » .

غلافير فيدوروفنا ، وحدها : بلا حياء ولا ضمير ، أخذتْ معها تابعَها المطيعَ وانصرفتْ . حسناً ! لن أتحمّله بعد الآن .

فيونا اندريفنا ، **راكضةً** : يا وليّة نعمتي . . .

ستار

* * *

الفصل الثالث

المشهد – ١ -

« غلافير فيدوروفنا وفيونا اندريفنا تلعبان بورق اللعب لعبة الصبر »

فيونا اندريفنا : إنها تسمع صخباً غريباً ، فتنظر ، وترى تحت ايقوناتها دوائر ، ثم دوائر . . .

غلافير فيدوروفنا : لكن أيّة دوائر ؟

فيونا اندريفنا : الربُّ الرحيم هو الذي أرسل إليها النبوءة ... فتذهبُ إلى الناساك، وتدخل حجرته، فتجد خنزيراً جالساً . . . لقد هزىء الشيطان منها . . . فيُغْمىَ عليها . ولحسن الحظّ أن راهبا مبتدئاً دخل ورشّها بالماء ، وقال لها : الأمر تافهٌ . فهذا أحدُ الأبرار الذين قد يظهرون في أول صورة تَعرْض لهم .

غلافير فيدوروفنا : تعطيها ورق اللعب : اخلطي .

فيونا اندريفنا : بكل سرور ، يا صديقتي . حينئذ نصحها الناساكُ بنصيحة : « اذهبي إلى سولوفكي » .

غلافير فيدورفنا : وأين هذه ؟

فيونا اندريفنا : إلى سولوفكي ، يا صديقتي . وذهبتْ إليها . مشتْ ومشتْ ، وكان هو دائماً في عينيها . . .

غلافير فيدوروفنا : لكن ، مَنْ الذي كان في عينيها ؟

فيونا اندريفنا : وتحسّ بتورّم هنا ، على عرقوبها . ماذا تفعل ؟ توقّفتْ عند عجوز فقال لها الناسكُ الأبُ « امفياوش » : « إياكِ أن تنامي على الجنب الأيمن ، لأنه جالسٌ هناك . . .

غلافير فيدوروفنا : ما أسوأ قصّتكِ ، يافيونا . ومَنْ الجالس ؟

فيونا اندريفنا : قلتُ لكِ : إنه الشيطان ، يا صديقتي . يقول الأب « أمفيلوش » : إننا نستطيع أن نعثر في الكتاب المقدّس ، حول ولادة كل إنسان . . .

غلافير فيدوروفنا : كفى ، لأن لي هموماً أخرى . أين سيمون ؟ ياللمسكين . التفكير وحده . بسيمون يؤلمني . لكن هاهو ذا آتٍ . لنخرجْ .

« تخرجان »

المشهد — ٢ —

« سيمون ايفانيتش وحده ، ثم ناتالي »

سيمون ايفانيتش ، متجهّم الوجه : لا يُمكنني أن أقبل بذلك . لقد دَعَتْني أمي لتقول لي . بجدّ ما بعده جدٌّ : إنها رأت بنفسها زوجتي في حديث مشبوه مع هذا الشخص . وما تقوله ، وما تفكّر فيه . . . رهيبٌ . إلا إذا كان ذلك كله هراءً . لكنْ ما العملُ لكي لا نعطي الآخرين مجالاً

للتفكير في هذا الأمر أو ذاك ؟ يجبُ أن أقرّر . ليس بوسعي أن أدَعَ الأشياء تستمرّ على هذا النحو . سأذهب إليها وسأطالبها بحسابٍ عن سلوكها ، سأقول لها : ماشا ، يا صغيرتي ماشا ، أنتِ تعلمين جيداً إلى أي حدٍّ أحببتكِ ». وهذا الشخص . . . حسناً ! هذا الشخص (يتناول هراوة) ، أقسم لكِ انه سيذوق طعمها على جسمه !

المشهد – ٣ –

ناتالي ، التي دخلت : ما بكَ ، يا سيمون ؟ إنك تبدو حزيناً .

سيمون ايفانيتش : أنا ؟ ما بي شيءٌ .

ناتالي : ولمَ هذه الأداةُ المرعبة ؟

سيمون ايفانيتش : لا أبتغي منها شيئاً : لكنني أسألك ، يا ناتالي : إذا كنتِ قد أحببتِ إنسانا طوال حياتك ، وإذا كان هذا الإنسان لم يتورّعْ عن إهانتك وإيذائك في النقطة الحسّاسة ، فماذا كنتِ ستفْعلين ؟

ناتالي : لا أدري . فلم أجدْ نفسي في هذا الوضع قطّ .

سيمون ايفانيتش ، يتناول الهراوة : أنا أدري بما ينبغي عليّ فعلُه . (يهدّد) . لا . لا شيء ! وداعاً . (تخرج ناتالي) . آه ! كلّا ! . . . أين ماشا ؟ سأذهب لأراها وسأعثر على الحلّ . إذْ لا بدّ من العثور على الحل .

ماري دميتريفنا ، من خلف الباب : سيمون ، أهذا أنتَ ؟ أرجوك أن تخرج للحظةٍ واحدة .

سيمون ايفانيتش : إنها لا تكلّف نفسها حتى الكتمان . هذا لا يُصدَّق .

كريزانت ، يدخل ويرفع الشموع ، وينقل المنبر والطاولات : نرجوك أن تتفضّل بالخروج للحظة واحدة يا سيدي .

سيمون ايفانيتش ، ممسكاً بالهراوة : ستَرى !

كريزانت : لا وقتَ لديّ ؛ فيما بعد .

« ينصرف حاملاً الشموع »

المشهد — ٤ —

ليوبا ، راكضةً نحو الباب : غلافير فيدوروفنا ، تعالي بسرعة ! تعالي وانظري إلى العجائب التي صنعناها ! تعالي .

(تخرج راكضةً)

المشهد — ٥ —

« غلافير فيدوروفنا ، فيونا اندريفنا ، سيمون ايفانيتش ، ثم الجميع » .

غلافير فيدوروفنا: ما هذا ؟ يوم القيامة ؟

فيونا اندريفنا : صلّي في هذه الظلمة ، على الأقل ، يا صديقتي .

سيمون ايفانيتش : لا ، لن أحتمل ذلك : إما أن أكون أنا أو . . . لكنهم مسعورون . لستُ أفهم شيئاً من ذلك .

المشهد — ٦ —

« الجميع بثياب العيد ومعهم الورق الشفّاف المزيّن » .

ماري دميتريفنا تنشد : « مع أن التهاني لم تعد موضعاً للتقدير ، إلا أنني
لا همّ لي سوى سعادتك ، أنا اللابس ثياب نعمتك ،
أنا ذو الفكر المحافظ » .

سيمون ايفانيتش : لستُ سوى أبله . أنا الذي كان يظنّ أن . . .

ماري دميتريفنا : وماذا كنتَ تظنّ ؟

سيمون ايفانيتش : لن أقوله لكِ .

ماري دميتريفنا : جيّد جداً !

غلافير فيدوروفنا : رائع . هذا لطيف تماماً . قبّلوني ، يا أولادي .

فيونا اندريفنا : آه ! هذا العدميّ ، أسَرَ قلبي . . .

كريزانت : حسناً ! لنعقد الصلحُ بيننا الآن ، يا فيونا اندريفنا البهيّة ، أتريدين ؟

(فيونا اندريفنا ، وغلافير فيدوروفنا ، وسيمون ايفانيتش يبكون)

— ستار —

* * *

أسرة موبوءة

ملهاة في خمسة فصول

١٨٦٣

الشخصيات

ايفان ميخايلوفتش بريبيشيف : ملاّك ريفي ، **٥٥** عاماً .

ماري فاسيلييفنا : زوجتُه ، **٤٨** عاماً .

ليوبوف ايفانوفنا : ابنتهما ، **١٨** عاماً .

كاترين ماتفيفنا دودكينا : ابنة أخ ايفان ، آنسة ، **٢٦** عاماً .

بطرس ايفانوفيتش : ابنهما ، **١٥** عاماً .

ماري ايسابيفنا: نيانا(١) قديمة وخادمة ، وهي الآن قيّمة على المنزل وصديقة له ، **٤٥** عاماً .

الكسي بافلوفيتش تفيردينسكوي: شاب من أسرة كهنوتية ، شغالّه آل بريبيشيف أستاذاً ، **٢٢** عاماً .

آناتول دميتريفتش فينيروفسكي : موظف في دائرة رسوم الإنتاج(٢) ؛ **٣٥** عاماً .

---

(١) نيانا : مربية أطفال .

(٢) كانت هذا الدائرة تهتم بالرسوم غير المباشرة : على التبغ ١٨٣٨، وعلى السكر ١٨٤٨ ، وعلى المشروبات بخاصة ١٨٦١ .

سيرج بيتروفيتش بيكليشوف : رفيق فينيروفسكي في الجامعة .

نيكولاييف : قريب بريبيشيف ، مارشال النبلاء .

مدير أعمال :

كبير القرية :

خادم :

فلاحون :

« ملكية آل بريبيشيف . الوقت صباح . غرفة استقبال في بيت ريفي . أمام الأريكة طاولةٌ مستديرة يُقدَّم عليها الشاي والقهوة » .

* * *

الفصل الأول

« المربية تسرد جورباً ، تنهض وتصبّ الشاي . ماري فاسيايبفنا ، جالسة إلى الطاولة ، تتناول الفطور » .

المربّية : أعطيني فنجانَك ، سأصبُّ لكِ . ماذا تفعلين . أنت لا تشربين ، كأنك تتسلّيْن .

(تأخذ فنجانها) .

ماري فاسيليفنا ، مغتاظة : انتظري ، يا نيانا ، فأنا لم أنْتهِ بعد . لماذا تَصْرخين عليّ كأنكِ تصرخين على ولد ؟ هيّا ، صبّي الآن .

(تمدّ فنجانها) .

المربّية : أنا أنتظر ، أنتظرُ ، أنتظر ، أنتظرُ . مَضتْ الساعةُ العاشرة ، ونصفُ البيت لم يُفْطر بعد . فاذا ما انتهيتِ جاء السيدُ العجوز ، ثم الطالبُ مع بيتروشا .

ماري فاسيليفنا : أيّ طالب ؟ يُقالُ : طالِب .

المربية : لست أحبه ، فهو ليس رجلا منظماً ، وأنا ادعوه : طالبُ . لأنه رجل خفيف .

ماري فاسيلييفنا : وأنا أعطفُ عليه ، يا نيانا .

المربية : هناك ما يدعو إلى ذلك ، في الحقيقة ! فمنذ شهرٍ حلّ فيه البيتَ ، هل قال لأحدٍ كلمةً لطيفةً ؟ إنه لا يَفْتأ يَمزَحُ . (تقلّده) . وأظن أنه سخر من الجميع ، بصحبة ابنة الأخ . والبناتُ لا يعرفْن كيف يتجنّبنه . هو غير أنيق ومع ذلك فهو يلاحق البنات . وقد نصحتُ دونياشا أن تضربه على وجهه ، إن ضايقها ، حتى يأتي إلى المائدة وأثر اللطمة على وجهه ، وحتى يسأله الحاضرون حينئذٍ : من أين لكَ هذا ؟ ثمّ هل نحن مكلّفون بالباسه ، أو ماذا ؟ ما هذا ؟ كلٌ بياض السرير من عندنا .

ماري فاسيلييفنا : آه ! نيانا ، ما هذه الأفكار ! تصوّري أنه وحده ، وأنه شابٌ وفقير . وأنا مندهشةٌ حقا أن يكون نحيلاً إلى هذا الحدّ .

المربّية : سيسمَنُ حقاً ! سيأتي مع بيتروشا للفطور ، ثم تأتي كاترين ما تفيفنا ، كنزنا ، مع كتابها . . . وسيُخْدَمون — وأخيراً ، والحمدُ لله ، ما ان تُخْلى المائدة حتى نسمع مرة أخرى : « نيانا : قهوة ! » ، « الفطور ! » ، ويأتي ذو الساقين النحيلتين .

ماري فاسيليفنا : ما هذه الأسماء المستعارة التي تأتين بها ، نيانا ! من هو ذو الساقين النحيلتين ؟

المربية : لكنه آناتول دميتريفتش ، خطيب ليوبوتشكا . . .

ماري فاسيلييفنا : يا لحماقة هذا الكلام ! وكيف يكون خطيبها ؟ هذا الشاب يتردّد على بيتنا لا غير .

المربية : تظنين أنْ ليس في الأرض من هو أغبى من ماري المربّية ، فمنذ ثلاثين سنة وأنا أعيش مع السادة ، وقد آنَ لي أن أُحسن فَهْمَ الأشياء . أمن أجل قهوتاكِ يقطع كل يوم سبعة عشر فرسخاً ليأتي من المدينة ؟ لا ، يا صديقتي . لا ريبَ أنه حَسَبَ مهْرَ ليوبوتشكا ؛ من أجل هذا يأتي .

ماري فاسيلييفنا : أهذا هو حُكمُكِ . قبل كل شيء : إنهما غير مخطوبين ، ومن ناحية أخرى ، إنه أحدُ الناس الذين لا يُغرُيهم المالُ .

المربية : سواء أكنت غبيةً أم لا ، فاني أرى كلَّ شيء ، اليوم لا يتزوج أحدٌ امرأةً ، يا صديقتي ، بلا مال ، مهما تكن تلك المرأةُ جميلةً . أما الخطيب فليس فيه ما يجذب ؛ وهو تافهٌ جداً بعمله في الخمور . سألتُ الناس عنه ، فلم يَمْدحوه . هو أولاً شحيحٌ ، ثم إنه متبّجح .

ماري فاسيلييفنا : ما هذه الكلمة ؟ كيف قلتِ ؟

المربية : متبجح . ومعنى هذا عندنا أنه يظن نفسَه أجملَ الناس وأذكاهم ، وأن الآخرين ، في رأيه ، حمقى بجنبه .

ماري فاسيلييفنا : غير صحيح ، على الإطلاق . هو عالم وكاتب . لكن ماذا بوسعك أن تفهمي ؟

المربية : أنا أشفق فقط على ليوبوتشكا ، لقد فتَلَ لها رأسَها تماماً .

ماري فاسيليفنا : لعله يُغازل كاتنكا ولا يغازل ليوبوتشكا . أرأيتِ كم تُخطئين .

المربية : أتحسبينني إذنْ حمقاء ؟ كأني سأصدّقُكِ . وهناك ما يُغري بتصديقك ! كاترين ما نفيفنا صالحة للتسلية . وعندما كانت مربّية في بطرسبورغ كانت تذهبُ إلى بيته ، أمّا أن يتزوجها فهو يعلم مَنْ التي سيكون لها مهرٌ ، ومَنْ التي لن يكون لها .

ماري فاسيليفنا : كاتنكا كانت تصادفُه في بطرسبرج . أنتِ تَرَيْنَ السوء حيثما تطلّعتِ .

المربية : الأمر كذلك ، يا صديقتي ، تبدأ الفتاة بالعمل مربّيةً ، ثم تنتهي بأن تعجز عن تربية نفسها . هذا حق . وهذه هي حال كاترين ماتفيفنا .

ماري فاسيليفنا ، **مبتسمةً** : كفى حماقات .

المربية : إني أرى ، على كل حال ، أن كل شيء تغيّر في المنزل .

ماري فاسيليفنا : إذن ، أنا أيضاً تغيّرتُ ؟ يا لهذا الغباء !

المربية : أنتِ ، تغيركِ ليس شيئاً ، هو كرم نفسٍ منكِ . فقط . أمّا السيدُ فأمره لا يُفهم . . . (تَسكتُ ، وتهزّ رأسها : وتباعد ما بين ذراعيها) . ما الذي أمكنَ أن يقع له ؟ لم يَعد الرجل نفسه . وأنا أتذكّر : هل كان يمرّ يومٌ قديماً دون أن يُجلَد فيه ساشكا الخادمُ وهو يُلبسه ؟ هل من كبير قريةٍ لم يُجلَدْ ؟ . . .

ماري فاسيليفنا : أنتِ تقولين أشياء غريبة . . . أنتِ ترين إذن أن تلك الحالة كانت حسنة ؟ لم تكن حسنةً على الإطلاق .

المربية : لا أمدح ولا أذمّ . كنتم السادةَ ، ولا يمكن التصرف بطريقة أخرى . وما يدهشني هو أن يستطيع إنسانٌ في الخمسين تغييرَ طبعه . . . عندما صدرَ قانون القيصر . . . كما تعلمين ، في الأسبوع الأول من الصَوْم الكبير .

ماري فاسيليفنا : نعم ، البيان(١) ؛ ما أسخفكِ !

المربية مغتاظةً : طبعاً ، قانون طَرْد الخدم الأقنان من أجل خدماتهم ، كيف لا تعرفينه ! على كل حال ، دَعينا منه . ماذا كنت أريد أن أقول ؟ منذ ذلك الوقت طرأ التغيّر . وخاصة منذ أن أخذ أناتول دميتريفتش يتردّدُ على المنزل . سمعتُه يتكلم مؤخّراً — هو مُقْرِف ! يجب أن تعذريني ، فأنا أقول لك الحقيقة دائماً . في الخمسين ، لا يمكن للإنسان أن يُغيّر طبعه : ولم يتوصل السيدُ إلا إلى فقدان وقاره . لقد فعل ذلك لينال إعجابَ الناس ، وظلّ طبعُه كما هو . وماذا فعل ، في ذلك المساء ، أمام أناتول دميتريفيتش ؟ أخذ يُرشِدُ مَنْ ؟ الفلاح سيريل . « أنتم — لسيريل يقول أنتم — أنتم إذا شئتم أن تأتوا فتعالوا حينئذٍ » . استمعتُ إليه : ما هذا ؟ كأنه كان يكلّم أميراً . إن هذا لمُقْرِف .

---

(١) نعم ، البيان : بيان ١٩ شباط ١٨٦١ الذي يعلن إلغاء القنانة لم يعلن عنه إلا في أول اذار ، في الأسبوع الأول من الصوم الكبير .

المشهد — ٢ —

« المرأتان ، كاترين ماتفيفنا » .

المربّية : انظري كيف رتّبتْ نفسها ، الحلوةُ .

كاترين ماتفيفنا ، بالنظارة ، قصيرة الشعر ، ترتدي فستاناً قصيراً ، وتحت ذراعها مجلةٌ ، تجلس إلى الطاولة دون أن تحيّي ، وتتكيء على مرفقها ، تخرج سيجارة وتبدأ بالقراءة . وتخاطب المربية بلطفٍ خاص : اسمحي لي أن أطلبَ منك شاياً ، يا ماري ايسايفنا .

(تقدّم لها المربية فنجانا من الشاي) .

المربية : على الفور ، يا آنسة ، على الفور . (بينها وبين نفسها) . هذا جدير بأن يُدهش جميع الناس . لا تقول حتى صباح الخير لزوجة عمّها . كل هذا من جرّاء ذكائها الزائد .

ماري فاسيليفنا : تحدّثنا عن آنا تول ميتريفتش . نيانا تزعم انه يُغازل ليوبوتشكا ، وانا قلتُ انه يُغازلكِ انتِ ، يا كاتنكا . **ما اعتقادُكِ** . لقد دَعَتْهُ خطيبها .

كاترين ماتفيفنا ، ترفع عينيها عن الكتاب ، وتقول بقسوة ، مُكمّلةً كلماتها بالإشارة : إن فينيروفسكي ، بسبب تطوّره وبسبب مفاهيمه بعيدٌ جداً عن تفاهة حياتنا حتى ليَصْعب الحكمُ عليه .

ماري فاسيليفنا : اتظنّين أنه لن يستمرّ حتى الزواج ؟

كاترين ماتفيفنا : عفواً . هذا السيدُ لن يتزوّج إلا عندما يجد امرأة تفهم تماماً مقاصده ، وتكون حرةً في حياتها وفي فكرها .

ماري فاسيليفنا : لا أسألُ عن هذا ، لكن قولي لي : في أيّ منكما يجد هذه المرأة : أنتِ أم ليوبوتشكا ؟ كنتُ أتحدّث عن ذلك قبل هنيهة مع نيانا — هي حمقاء وقد ضحكتْ كثيراً ...

كاترين ماتفيفنا : ماري ايسايفنا أكبر سناً منكِ وهي تخاطبك بضمير الجمع ، بينما تخاطبينها أنتِ بضمير المفرد ، وتسمّينها « حمقاء » . وأنا أعتبر هذا « إهانة » للكرامة والحرية الإنسانيتين . وأرى من الضروري أن أعبرّ لك عن رأيي . وأنا أعلم أن لك الحق في أن تكون لك قناعاتُكِ الخاصة ، لكن ذلك يثير اشمئزازي وسخطي .

المربية ، **ساخرةً** : شكراً جزيلاً على دفاعك عني . (مخاطبةً ماري فاسيليفنا) . ولا سيما أنك قادرة على سلخ الناس وهم أحياء . أنتِ مجرمةٌ معروفةٌ . . .

ماري فاسيليفنا : كلا ، يا كاتنكا ، **أنا أمزح** ، ماذا ، أنا أحبّها كثيراً . قولي لي بالأحرى ، ما رأيك . . . فيمنْ يبحث عنها ؟ فيكِ أم في ليوبوتشكا ؟ **أودّ لو أعرف رأيكِ**

كاترين ماتفيفنا : رأيي ؟ (ترد شعرها إلى الوراء وتُشعل سيجارةً) . رأيي أنه لا يجوز له أن يبحث عنها فيّ بحسب تعبيرك المجازي . فأنا أعيش كما تعيش المرأةُ الحرةُ ، وأعامله ، كما أعامل جميع المخلوقات ، دون تمييز للجنس أو الطبقة . وأجده رجلاً ذكياً وعصرياً ، وهو يُدخل ، بشكل

طبيعي جداً ، في علاقاته معي ، شيئاً من التقدير والمودّة ، شيئاً يصح أن نقول عنه ...وبكلمة واحدة ،إن بيننا علاقات حسنة وبسيطة قائمة على التقدير المتبادل ،وهو يجدُ الراحةَ بقربي بعد تفاهة الطغمة الأرستقراطية التي تؤلّف المجتمع النسائي في حكومتنا ، وهو المجتمع الذي يُضطَرّ إلى الاختلاط به . لكن لماذا تعتقدين ، أنه يبحث عن شيء ما في ليوبوف ايفانوفنا ، بحسب تعبيرك المجازي ؟ هذا ما لم أستطع أن أتبيّنه . فليوبوف امرأة لم تتطوّر تطوّراً كافياً ، بل إنها بنتٌ صغيرةٌ لم تتطوّر على الإطلاق ، وشخصيةٌ مثل فينيروفسكي لا يمكن أن يكون بينه وبينها شيءٌ مشترك . أنا ندّله بينما ليوبا ولد .

ماري فاسيليفنا: أنتِ تَرَيْن جيدا ، يانيانا ، كيف تَحْكم كاتنكا على الأمور .

المربية : ايه ! قولي لنا ، يا كاترين ماتفيفنا ، فنحن غبيّتان ، اشرحي لنا ، هل سيستمرّ إذن في التردّد على المنزل ؟

كاترين ماتفيفنا : ولمَ يَنْقطع عن المجيء ؟

المربية : لأن الناس الذين مثله يجب أن يُرَبّوا ، من أجل هذه الأشياء . كذلك كان يُفْعَلُ قديماً . إذا كنتَ تتردّد على منزلٍ فيه آنستان صالحتان للزواج فيجب أن تقول أيّهما تَبْغي ؛ وإلا فهناك نوادٍ تستطيع أن تتردّد عليها وأن تذهب إليها كلما أردت .

كاترين ماتفيفنا : لا يمكنكِ فهمي ، يا ماري إيسابيفنا — قلتُ لكِ إنه يأتي إليّ ، لأن كلاً منا يَختْبر الآخر ، فاذا وجَدْنا ...

المربية : لن يختبر شيئاً ، يا كاترين ماتفيفنا ، بحسب رأيي الأحمق . إن ليوبوف ايفانوفنا آنسةٌ شابةٌ وحلوةٌ ولها مهرٌ من خمس مئة نفس(١) . بينما أنتِ أكبر سناً ، والثلاثون نفساً التي تملكينها لا تغري . . . أما الطالبُ ، فنعم .

كاترين ماتفيفنا ، بحرارة: اسمحي لي ، اسمحي لي ، الطالب أصغر وأقلّ تطوّراً من أن يصلح لي : اسمحي لي : إن امرأةً أخرى غيري يمكن أن تشعر بالإهانة ، لكني أنا فوق ذلك . وليوبوف ايفانوفنا مع تطلّباتها الصبيانية من الحياة ليست في مستواه ، وهو يعلم ذلك ، وقد عبّر لي عن رأيه أكثر من مرة ، ثم إنك تنظرين إلى الأمر من وجهة نظرٍ خاطئة . لن تفهميني ، لكني سأوضح لك رأيي مع ذلك ، وبأبسط صورة ممكنة . الناس الذين من طينتنا لا يرتضون إلا وسائل العيش التي تُكتَسبُ بالعمل الشخصي والشريف ؛وصدّقيني أن الناس الذين من طينتنا يرون في جميع هذه الملكيات الريفية رابطاً ظاهراً يربطهم بأشكال الحياة البالية . ولا يهمّ فينيروفسكي أن أملك مليوناً أوْلا أملك شيئاً إذا كانت مفاهيمنُا واحدةً . فاذا كانت واحدةً استطعنا بشجاعةٍ أن نبدأ النضال .

(١) خمس مئة نفس : أي مكلية يبلغ عدد أقنانها خمس مئة . ومع أن القنانة ألغيت إلا أن المربية ما زالت تستخدم مقياس التقدير القديم .

المربّية : ومع ذلك ، فلن يطلبكِ أنت للزواج ، وإنما سيطلب ليوبوف إيفانوفنا . وستكون المفاهيمُ واحدةً تماماً إنْ كان هناك خمسُ مئة نفس ، أما إن لم يكن هناك غيرُ ثلاثين ، فهي ليست واحدةً على الإطلاق .

كاترين ماتفيفنا ، مُهتاجةً: اسمحي لي ، اسمحي لي . حسنٌ جداً . تقولين إنني أملك ثلاثين نفسا . اسمحي لي أن أقول لك : لا أحد يملك أنفساً اليوم ، وذلك بفضل الحضارة ، وأنا لا أملك شيئاً منها . تخلّيتُ عن حقوقي ، منذ بلوغي سن الرشد ، ولستُ أحملُ في نفسي علامةَ القنانة المخجلة .

المربية : وبالرغم من كل شيء فلن يأخذك ، بل سيَطْلبُ ليوبوتشكا لأنّ . . .

ماري فاسيليفنا : **مرتعبة** : كفى ، نيانا ، كم أنتِ كريهة ! تُخرجين أيّاً كان عن طوره .

كاترين ماتفيفنا : اسمحي لي ، اسمحي لي . حسنٌ جداً . إن ذلك كله يبدو لك صعباً ومشوشاً ، ففي رأسك أزواجٌ مُعَدّون سلفاً ، وسلطةُ الله ، وهلم جراً ، في حين أن حياةَ الناس الذين ارتفعوا فوق تلك الاحكام الاجتماعية المسبقة والواهية ، بسيطة جداً . إني أعبّر له عن أفكاري وأطلبُ منه ذلك الصدق الذي يوجد في أساس جميع دوافع الشخصية الشريفة .

المربية : يا كاترين ماتفيفنا ، يا صديقتي ، إنّ ليوبوف ايفانوفنا تملك خمس مئة نفس ، ولعله سيُغْرَم بها فوق ذلك كله .

كاترين ماتفيفنا ، مضطربة كليّاً : ولمَ يُغْرَم ببُنية تافهة وغير مثقّفة ، لأبي ؟

المربية : لمَ ؟ من أجل مَلِكِ بروسيا ، يا صديقتي .

كاترين ماتفيفنا ، مستدركةً ورادةً شعرها : لا ، ماذا أقول ؟ الحبُّ ، كما تَفْهمينه جاذبية جسدية ، وأنتِ أقل تطوّراً وأكثر حيوانيةً من أن تفهميني . إذا شئتِ ، أرجوك ، دَعيني .

(تتكيء بمرفقها وتقرأ) .

ماري فاسيلييفنا : اذهبي ، اذهبي ، يانيانا ؛ إن جاء أحدٌ فسوف أضيف الماءَ إلى الغلاّية بنفسي .

المربية ، منصرفةً : لقد شتمتِ الناس جميعاً . الناس كلهم حيوانات. أنا أخدم هنا منذ ثلاثين سنة ، ولم يسمّني أحدٌ بهذاالاسم .

كاترين ماتفيفنا ، رافعةً رأسها : اسمحي لي ، الحبُّ يشكّل دافعاً شريفاً فقط عندما يكون للطرفين حقوقٌ متساوية ، لكنكم لن تستطيعوا فهمَ ذلك . (صمت ، ترفع رأسها ثانيةً) . ماري فاسيلييفنا ، أنا لا أحترمُ هذه المرأة .

(تستأنف قراءتها) .

المشهد — ٣ —

« يدخل ايفان ميخايلوفتش » .

ايفان ميخايلوفتش : ما الأمرُ ، مَنْ الذي لا تحترمينه ؟

ماري فاسيليفنا : نيانا هي التي تقول الغباوات دائماً .

ايفان ميخايلوفتش : اوه ! هذه سم حقيقي ، لكنها امرأة طيّبة . (يجلس إلى الطاولة) . أعطني شاياً ، يا ماري فاسيلييفنا ... بقيتُ في الحقل منذ الساعة الخامسة ، أنهكتُ جوادين . . . لكنّ كل شيء سُوِّيَ . . . وما يزال الناسُ يقولون : إنه لا يمكن أن يفعل شيئاً مع العمال الأحرار . يمكننا أن نفعل كل شيء إذا ما اشتغلْنا بأنفسنا دون أن نراعي صحتنا. أمس بالذات كان نصفُ الحقول غير محروث ، ولم يكن العشب محصوداً ، ولم يكنْ عندي عاملٌ واحدٌ . وما ان وضعتُ يدي في العمل ، حتى أقنعتُ جميع رجالي القدماء ، فشغّلْتُ رجالاً أحراراً ووعدتهم بسطلٍ من الفودكا . انظري الآن كيف يتقدّم العمل . . . فاسيلي مدير ناجح للعمل ، منظم ، خدومٌ ، خدومٌ جداً . . .

كاترين ماتفيفنا : العملُ الحرّ لا يمكن أن يكون مُخْسراً ، وإلا لكان مناقضاً للقوانين الأساسية في الاقتصاد السياسي .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ولا . أودّ لو أَعهدُ بهذا العمل إلى آناتول دميتريفتش وأنتِ . . لسوف يختلفُ كلامكما .

ماري فاسيليفنا : **قلْ لي،يا عزيزي جان** ، لماذا تقول إذن : إن تحرير الفلاحين قد حسّنَ الأشياء ؟ أين التحسّنُ إذا كانوا قد ذهبوا جميعاً .

ايفان ميخايلوفتش : هيه ! لكن هؤلاء هم الخدم .

ماري فاسيليفنا : الخدم ، أعرف ذلك . لا خلاف في ذلك . لكن الفلاحين ، منذ البيان ، لم يزدْ عملُهم . فأين الجانبُ الحَسَنُ ؟ لم أفهمْ ذلك .

ايفان ميخايلوفتش : شرحتُ لكِ خمسين مرةً إن لم يكن مئة مرة ، أنهم يجب أن يشتغلوا ، بحسب هذا القانون ، بعض الأيام ، وألا يكون شغلُهم بدون توقّف . هذا هو الشيء الأساسي .

ماري فاسيليفنا : كان يُقال مع ذلك أنهم قد توقّفوا كليّاً عن العمل . وكان الناس يروون ، في الأيام الأخيرة ، أنهم أُرسلوا إلى العمل ، فأبوْا أن يذهبوا . لستُ أفهم ، يا بجان .

ايفان ميخايلوفتش : لو لم يعملوا لما كان عندنا ما نأكله . إنهم يشتغلون أقل من ذي قبل . وبالمقابل ، فكل شيء يتم وفق أشكال الشرعية لا التعسّف . على كل حال ، لا يمكنك أن تفهمي ذلك .

ماري فاسيليفنا : ما الحَسَنُ إن عملوا أقل ؟ وإذن فليس ذلك حسنةً . لكنْ لا تغضبْ ، إني لا أستطيع أن أفهم ، بالفعل .

ايفان ميخايلوفتش : لمَ أغضب ؟ لعل القدر هو الذي شاء ألاّ تفهمي شيئاً . (يشرب شايه ويغدو متفكّراً) . وليوبا ، أين هي ؟

ماري فاسيليفنا : ذهبتْ مبكّرة مع الصغيرات تبحث عن الفطور .

ايفان ميخايلوفيتش : وأناتول دميتريفتش لم يأتِ ولم يُرسلْ أحداً ؟

ماري فاسيليفنا : لا ، لم يأتِ بعد . . . كنت أريد أن أكلمك . قيل

لي ما جان : إنه ينوي أن يُصارح ليوبا بعَرْضِه ، إنه ينوي أن يطابها للزواج . . .

ايفان ميخايلوفيش : مَنْ قال لك ذلك ؟

ماري فاسيابيفنا : **يُقال هذا** ، نعم ، يقال هذا .

ايفان ميخايلوفتش : من الذي يقوله ؟ أنت تظلّين بين أربعة جدران ، فمن الذي يمكن أن يقول هذا . وما أهميّة هذا ؟

ماري فاسيليفنا : اعلمْ أنك لا تَحْسب حساباً لي . لكنْ يبدو أن هذا الرجلَ سيّء . وما هذه الوظيفة في إدارة الخمور ؟ ثم إنه متبّجح ، على الخصوص . أرجوك أن تفكّر في ذلك ، **جان** .

ايفان ميخايلوفتش : ما الذي لا يَدْخل في هذا الرأس ؟ من أين استطعت أن تأخذي مثل هذه الكلمات . لا ، يا صديقتي ، دَعْكِ من هذه الحماقات . ما هذه الكلمة : « متبجّح » ، وممّنْ نقلتِ هذه الكلمة الغبيّة ؟

ماري فاسيليفنا : كل الناس يقولونها .

ايفان ميخايلوفتش : ما الذي لا يَخْطرُ ببالها ؟ من الذي روى لكِ ذالك كله . هيه ! يا صديقتي ، ليس لنا أن نَحْكم على هذا الرجل . ولا أعرف أباً لم يعتبرْ مصاهرته شرفاً له . على كل حال إني أكره أن أخمّن الأزواج تخميناً وأن أقرّبَ بينهم . ومهما يكنْ ذالك الرجلُ ، فان الله أرادة ، وليس لنا أن نأخذ في الكلام عليه . انه رجلٌ مَرْموقٌ ، كاتب . ولا ريب أنه لن يتزوّج من أجل المال . هذا مؤكّد .

ماري فاسيلييفنا : لا يُجادل في ذلك أحدٌ . **ولي رأيي** .

ايفان ميخايلوفتش : حسناً ! اصغي : قبل كل شيء ، اناتول دميتريفتش رجلٌ عصري ، راقٍ ، ذو ذكاء وعلم خارقين ، وهو كاتب ، وشخصية ربما عرفتْها روسيا كلها . وهذا ، في عصرنا ، يا صديقتي ، أفضلُ من رتبة الجنرال . ثم إن عمله ممتاز وشريف ، في دائرة الرسوم الجديدة ، يرتّب قدره ألفا روبل . ولو أن هذا الرجل أراد ، لا نفتح أمامه كل شيء . أما غرابة أطواره فشيء آخر . . . إنه ليس رجلَ مجتمعٍ ، لكننا ، على الأقل ، نثق بأنه مجرّد من المنفعة . فمثل هذا الرجل لا يتزوج من أجل المال . وكل فتاة تكون سعيدة معه ، حتى لو لم تكن تملك شيئاً .

ماري فاسيليفنا : لكن يُقال إنه بخيل .

ايفان ميخايلوفتش : ها هي ذي تُعَبّأُ مرة أخرى . قلتُ لكِ انه الرجل الأكثر تجرّداً في الدنيا . هذا ثابت .

ماري فاسيلييفنا : لكنْ يُقال إنه قد حَسَبَ مهر ليوتشكا كله .

ايفان ميخايلوفتش : كاتنكا ، اشرحي لها إذن أن اناتول دميتريفتش ليس رجلاً من هذا النوع .

كاترين ماتفيفنا : ماري فاسيلييفنا وماري ايسايفنا لهما قناعاتهما الخاصة . يبدو لي غريباً فقط أن ننسبَ ، إلى الرجل مقاصدَ دنيئة ، دون أي أساس ، ودون أي سبب محتمل . فهذا

السيّد يبرهن بحياته كله أن هدفه الوحيد هو القضيّة العامة . وإذا نوى الزواج بامرأة ، فسيكون أول شرط يطرحه هو الاستقلال المعنوي والاستقلال المادي على حدّ سواء .

ايفان ميخايلوفتش يغدو متفكّراً ، وقفة : نعم ، فمع أنه من الصعب علينا ، نحن الشيوخ ، تغيير عاداتنا القديمة ، ومع أن في الشبابَ كثيراً من الهوى والخفّة ، إلا أنه من المستحيل ألا نُنْصف الجيل الجديد .

كاترين ماتفيفنا ، تاركةً الكتاب : مِنْ كلّ ما عبّرتَ عنه ، هذه هي القناعة الوحيدة التي أشاطرك إياها . إن التقدّم يحمل النور بشكلٍ لا يُقاوم ، إلى أحلك ، زوايا الحياة .

ايفان ميخايلوفتش بعد لحظة صمت : نعم ، إن عصر العمل الحر قد جاء ، قد جاء . نحن نتعب مع العمال ، لكن لا أهمية لذلك ، سيُسوَّى كلُ شيء . . . انتظري قليلا ، سوف أحدّد شروط الاسترجاع (١) وسأتخلّص من الفلاحين ، ولن تبقى سوى العلاقات الزراعية . وسيكون ذلك حسناً حقاً ، نعم .

ماري فاسيليفنا : وهل ستتحسن الأمورُ بعد الاسترجاع ، **يا جان** ؟ ليتها تتحسن .

---

(١) أحدد شروط الاسترجاع : عندما تلقى الفلاحون الأراضي الصالحة للزراعة سنه ١٨٦١ أجبروا – حتى عام ١٩٠٧ – على دفع قيمة الاسترجاع للإقطاعي (نحو روبل بالهكتار كل عام) .

ايفان ميخايلوفتش : تتحسّ أم لا تتحسّن ، لا بدّ من ذلك . انظري إلى كاتنكا وانلقتول دميتريفتش اللذين يعتبرانني محافظاً ورجعياً ؛ ومع ذلك فأنا أتعاطف مع كل شيء . إن الماضي يظهر حتماً في أفعالي ، لكنّي أتعاطف مع ذلك . انظري إلى جيلنا الشاب الطالع . ستتزوج ليوبوتشكا ذاك أو غيره ، لكنها لن تتزوج رجلاً قديماً وإنما ستتزوج رجلاً جديداً ، عصرياً ، وبيتروشا (١) يكبر وسط أفكار مختلفة عن أفكارنا . أيمكن أن أكون عدواً لولديّ . أين بيتيا ؟ لعله مع أستاذه ؟

ماري فاسيليفنا : ذهبا كلاهما إلى البحيرة يبحثان عن الأعشاب . ولم أفهم أيّها . أخشى أن يغرقا . أخشى حقاً .

ايفان ميخايلوفتش : عن أي الأعشاب يبحثان ؟

كاترين ماتفيفنا : قال الكسي بافلوفيتش إنهما يريدان أن يدرسا بنيةَ ألياف الطحالب .

ايفان ميخايلوفتش : تصوّري ، أيّ عصر ! أكنتُ أمامكُ فكرةٌ عن هذه الأشياء عندما كنتُ صبيّاً ؟ واليوم يدرس الغرّ العاومَ الطبيعية . . . الخ . لقد وُفّقْنا بهذا الطالب ، فهو خدومٌ . . . الفضل لأناتول دميتريفتش الذي دلّنا عليه . طالب خدوم ، جدّها د . . لطيـ . . خدوم .

---

(١) بيتروشا : بيتروشا وبيتيا تصغير بطرس ، بيير ، بيوتر ؛ وبيتروشا ، أو بيتيا : ابنه .

يا ساشكا(١) ! غليوني ! (مخاطباً كاترين ماتفيفنا) .
هذه عادة . حسناً ! الكسندر فاسيليتش(١) .
(يحمل ساشكا الغليون) .

ماري فاسيليفنا ، تغضب فجأةً : نعم ، كل الناس لطفاء عندك ما عدا زوجتك . ولماذا لا يحمل معه بياضاً ؟ لقد أعارتهُ نيانا كلَّ بياض الأسرّة المُعَدّ للزائرين . وإذا ما زارنا زائرٌ فليس عندنا ما نضعهُ له . ما هذا ؟ لقد جاءنا بما عليه فقط . ولا أريد أن أعطيه أغطيتي . أهذا اعتقادك ؟

ايفان ميخايلوفتش : ها قد عادت تهذي . كُفّي ، من فضلك . قولي لنيانا أن ترتّب كل شيء . أنا مسرور أن يكون هذا الرجل عندي لأنه جِدّيّ .

ماري فاسيليفنا : ماذا يهمّ إن كان جدّياً . ليست غلطتي إنْ كان لا يملك شيئاً ويطالب كل شيء . لقد أخذ يَهْوى شرب الحليب ، وقد اشتكت دونياشا . يجب أن تنتبه . ما هذا الأستاذ ، إن كان لا يملك بياضاً ؟

ايفان ميخايلوفتش : ها هي تنطلق من جديد . . . يجب أن تحمدي الله لأنه بعثَ إلينا مثل هذا الرجل ، وإذا كان فقيراً لا يملك بياضاً ، فيجب أن نُعطيه ذلك .

ماري فاسيليفنا : أنت تفهم دائماً عكسَ ما أقول عندما أكلمك . قلتُ إنك تعمل كل شيء بالمقلوب ، وأنا أعطف عليه

---

(١) ساشكا : تصغير أهلي لا لكسندر .. لقد وجدت ابنة الأخ أن هذه الطريقة في معاملة الخادم غير لائقة ، فما لبث بريبيشيف أن استخدم الاسم الرسمي : « الكسندر فاسيليتش».

أكثر منك . فمنذ أن أكل أول مرة على المائدة شفقتُ
عليه . وأمرت باعطائه قمصاناً لليل . ومهما أكنْ غبيّةً
فأنا أدرك أنه أول رجل في البيت ، باعتباره أستاذاً لابتنا .
لست آسفةً على شيء أخذَه . وأنا أقول لك فقط أن
ترتّب كل شيء بنظام . كم مرةٍ رجوتُ فيها النجار
أن يصلح رِجْلَ الطاولة مثلاً .

ايفان ميخايلوفتش : كفى ياصديقتي ، كفى ؛ بجاه المسيح .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم والطالب » .

الطالب ، يحيّي باقتضاب وهو داخل : شاياً ، من فضلك .

« يجلس قرب كاترين ماتفيفنا »

ماري فاسيلييفنا : ماذا تشتهي ، الكسي بافاوفتش ؟ شاياً أم قهوة ، مع الخبز الأبيض والزبدة ؛ على طابك .

(تقرّب كل شيء إليه) .

الطالب : لا يهم . الشاي ، مثلاً .

ايفان ميخايلوفتش : وبيتروشكا ، أين هو ؟

الطالب : سيأتي . إنه يغيّر بنطاله لقد تبلّل . قمنا بصيد السمك .

ايفان ميخايلوفتش : قالت لنا كاتنكا أنكم كنتم تنوون دراسة شيء في العلوم الطبيعية . . .

الطالب : كنا نَنْوي ذلك ، لكن بلا نتيجة ، لأننا لا نملك مجهراً .

ماري فاسيليفنا : كُلْ من الخبز الأبيض .

الطالب لكاترين ماتفيفنا : بأية قراءة تنشغلين لخير النفس ؟ (يأخذ كتابها) . آه ! علم وظائف الأعضاء . مقالة جيدة لكنها شديدة الإجمال . « لويس »(١) هو الذي يجب أن تقرئيه . وأيضاً تحوّل الخلية — نسيتُ اسمَ المؤلف — لا بأس بهذه المقالة .

ماري فاسيليفنا : أتُسمّي خلايا ؟ زِدْ من الزبدة ، فسوف نأتي بقطعةٍ أخرى . كاتنكا ، أتعرفين الخلايا ، أنتِ أيضاً ؟

كاترين ماتفيفنا : كل ما هو عضوي فهو موجود بفضل تطوّر أجزاء الخليّة لا غير .

الطالب : لمَ تقومين بشروحاتٍ لا فائدة منها ، لا بدّ على الأقل من المعارف الأولية لفهم هذه الأمور .

ايفان ميخايلوفتش : لقد قرأتُ كتباً عن الخلايا . قلْ لي فقط ، يا الكسي باڤلوفتش ، أيمكن أن نراها في الخبز ، مثلاً ؟

الطالب : لو لم نرها لما ذكرها أحد . نراها بالمجهر .

ايفان ميخايلوفتش : هل هو غالٍ ، المجهر ؟

الطالب : يمكنُ أن نَحْصل على مجهر رديء بثمن رخيص . مجهر أناتول دميتريفتش ثمنُه ثلاث مئة روبل ، ومجهر الجامعة خمسة عشر ألفاً .

---

(١) لويس : جورج هنري لويس (١٨٠٧ — ١٨٧٨) عالم وضعي انكليزي . مؤلف : « فيزيولوجيا الحياة العادية » ، ودراسات حول الحياة الحيوانية » . كان مشهوراً جداً ، في روسيا ، في هذه الحقبة .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، لا بد من شراء واحد .

(يجلس مع زوجته على حدة ، ويجلس الطالبُ مَع كاترين ماتفيفنا . ايفانْ ميخايلوفتش يدخّن بصمت) .

كاترين ماتفيفنا ، بصوت خافت : فاتَتْكَ حضورُ مشهد محنق ، مشهد مزارعين مستغلين حقيقيين .

الطالب : اوه ! هم بحاجة إلى أن يهزؤوا من أمثالهم . هذا كل ما يُتْقنونه . وأنا أعترف لك أنني ضجرتُ من البقاء هنا ، وأنني أنوي أن أسافر من أجل التقدّم لنَيْل إجازتي .

كاترين ماتفيفنا : قناعتي مختلفة. فأنا أرى أنه كلّما كان المجتمع الذي نعمل فيه فظّاً وَجبَ بذل طاقة أكبر . إذْ ما الذي يستطيع أن يغيّر هذه الشروط الفظيعة غير الأفكار والبذور التي نحملها إليها . إني أعي تأثيري في هذا الوسط ، وأنا أمارسُه على قَدْر قوواي . وأنت مدعوٌّ إلى رفع شخصية بطرس التي ما تزال غضّة . وهو نفسه يحمل أفكاراً إلى هذا الوسط الخانق.وأناتول دميتريفتش يرى الشيءَ نفسه .

الطالب : ليَغْربوا عني ! ينتهي المرءُ بالتاطّخ في هذا الوحل . ليَلْهُ المضطهدون الصفّاعون من جهتهم ، ونحن سنَلْهو من جهتنا . ولسنا نستطيع أن نحتجّ في كل لحظة ؛ نحس فقط أن سخطنا يتنامى . انظري إلى الفلاحين ؛ إنهم يحرثون منذ الساعة الرابعة صباحاً ، والناسُ هنا يشربون الشاي حتى الظهر . كيف يجوز أن نتعوّد ذلك ؟

كاترين ماتفيفنا : بالتأكيد ، لكن لا بدّ مع ذلك من التنازلات . انظرْ مثلاً إلى فينيروفسكي : فهو إذ يعيش من عمله في وسط متخلّف جداً ، لا يُقْدم على أي تنازل في الحقيقة ، ويحقّق أفكاره .

الطالب : ماذا ، فينيروفسكي ؟ لا يمكنني أن أحترم رجلاً يخدم . يا له من ليبيرالي في دائرة الرسوم !

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي . لن نصل ، في ذلك ، إلى وحدة في التفكير . ففينيروفسكي طبيعةٌ ممتازة . انظر إلى نشاطه : المدارس ، والمحاضرات العامة .

الطالب : حسناً ! أستطيع أن أفرض الصمت على شفتيّ .

كاترين ماتفيفنا : وأنا أجد من المسلّي أن أستعيد الحديث الذي جرى بيني وبين العجوزين منذ لحظة . ما أسوأ فهمَ هؤلاء الناس للناس الذين من طينتنا ! تصوّرْ أنه لا يأتي إلى هنا ، برأيهم إلا ليتزوج ليوبوف ايفانوفنا أو مهرها ؛ بحسب تفسيرهم .

الطالب : هيه ! هذا « السِنْيور » المحترم(١) يمكن أن يُقدِمَ على أي شيء مَقيت !

كاترين ماتفيفنا : تفيرديتسكوي ، لا تتكلّمْ هكذا ، وإلا اختلفْنا . فينيروفسكي سيتزوج ! وبِمَنْ ؟

الطالب : حسناً ! سأعبّر لك عن فكرتي : إن ليوبوف ايفانوفنا بنتٌ ليست سيئة على الإطلاق . وفيها إمكانات . وإذا

---

(١) هذا السنيور المحترم : الطالب يستخدم الكلمة الإيطالية مسبغاً عليها لوناً تحقيرياً .

مالقيها رجلٌ غضّ الإهاب ، نقيّ وقوي ، فسوف يجعل منها شخصيةً مرموقة.لكنْ لا بدّ لها من دليلٍ شاب ونزيه .

كاترين ماتفيفنا : لكنْ ، أيّ تطورّ ناقص !

الطالب : ستُكمّله فيما بعد .

كاترين ماتفيفنا ، **بعد تفكير** : نعم ، في الواقع ، أنا أشاطرك هذه القناعة . أنت بالضبط ذلك السيد الذي يستطيع أن يؤثّر في شخصيتها بنجاح .

الطالب : لو لم تكنْ في هذا الوسط الحقير لأمكن أن نجعل منها فتاةً رائعة .

المشهد — ٥ —

« بيترّوشا ، فتى في الخامسة عشرة ، يدخل في ثياب الطالب » .

ماري فاسيلييفنا : آه ! ها هو ذا بطرس ! ماذا تُريدُ شاياً أم قهوة ؟

بيتروشا : صباح الخير ، يا أمي . لا هذا ولا ذاك . شربتُ حليباً . اطلبي لي الفطور ، يا أمي . صباح الخير ، يا أبي .

ايفان ميخايلوفتش : مالَكَ ولهذا التصنع دائماً ؟ كُنْ أبسطَ ، مِنْ فضلك .

بيتروشا : أنت مخطىء حين تظنّني متصنعاً . صباح الخير ، يا أبي .

ايفان ميخايلوفتش : جُننْتَ . ما هذه الابتكارات الجديدة ؟ سلّمْ كما تسلّم عادةً . أتظنّ أن هذا هو التعلّم . اذهب والثُمْ يدَ أمك .

بيتروشا : لأيّة غاية ؟

ايفان ميخايلوفتش ، بقسوة : قلتُ لكَ الثم يدها .

بيتروشا : ما الدواعي ؟ وهل سيَحدُثُ شيءٌ إذا ألصقتُ أطرافَ شفتي على الجزء الخارجي من معصم أمي ؟

ايفان ميخايلوفتش : قلتُ لك الثمْ يدها .

بيتروشا : هذا مناقضٌ لآرائي .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا ؟

بيتروشا : تحدّثتُ عن ذلك مع الكنسي بافلوفيتش ورأيتُ بوضوح أن هذا ما هو إلا رأي مُسبق غبيّ .

ايفان ميخايلوفتش : انتبهْ ، يا صديقي !

بيتروشا : لكن هذا ليس شيئاً مهماً ، يا أبي ، وهو لا يُغيرّ رأيي فيك أو في أمي . وسواء ألثمْتُ أيديكما أم لم ألثمها ، فأنا أكنّ لكما كليكما كلّ ما تستحقّانه من الاحترام .

ايفان ميخايلوفتش : اصغِ إلي ، كل هذا حسنٌ ، هذه القناعاتُ الجديدةُ وغيرها ، لكن لا بدّ من الاعتدال ؛ والقاعدة الأولى منذ العصور الغابرة هي احترام من هم أكبر سناً منّا . إذهبْ والثمْ يدها . (ينهض) أتذهب ؟

الطالب : أظنّ أننا سنشهد فضيحةً عظيمة .

بيتروشا ، متخوّفاً : بالطبع ، تستطيع أن تجبرني . لكن علاقات الإنسان الحرّة . . .

ايفان ميخايلوفتش : أتذهب ؟ أتذهب ؟

بيتروشا ، يلثم يدها ، بصوت خافت : الكرامة الإنسانية . . .

ماري فاسيليفنا : يجب أن تُطيع ، يا بطرس . ماذا تريد أن نُحضّر لك ، عجّة بيض أو سجق معلاق ؟ سآمر لك بفطورك . نيانا ، فطور بطرس !

ايفان ميخايلوفتش : الكسي بافلوفتش ، مع أناة . . . اعذرني ، لكن . . . اسمح لي أن أقول لك : إنني طلبتُ منك أن تُعطي ابني دروساً لا أن تعلّمه كيف يعامل أبويه . إن لنا عادات ربما كانت مُستغربة وبالية . لكن أرجوك ألاّ تتدخّل فيها .

الطالب : هيه . . . هيه . . . حسناً !

ايفان ميخايلوفتش : هذا كل شيء ، لا تُعلّمه سوى الخلايا ، وأرجوك ألاّ تهتمّ بالطريقة التي يعاملنا بها ابننا ، وألاّ تُلقّنه شيئاً .

الطالب : يُدهشني أن أسمعك تبدي ملاحظاتك لي . ماذا تقصد ؟

ايفان ميخايلوفتش : أقصد أن ابني لا يتبغي له أن يُلقي عليّ هذه الحماقات ، هذا كل شيء .

الطالب : حسناً ! تستطيع حتى أن تجلده ، يا سيدي .

ايفان ميخايلوفتش : اصغ ، لا تُخرجني عن طوري .

الطالب متخوّفاً : أنا أفهمُ هذا جيداً ، لكنْ صدّقني ، ما كنتُ لأشغل هذا المكان . . . ومع ذلك فأنت ترغب في أن

أُطوّر ابنك . أنا ، أنا . . . لا أستطيع مع ذلك أن أخفي عنه قناعاتي .

كاترين ماتفيفنا : سيكون مستغرباً لو أهمل الكسي بافاوفتش استنتاجات العلم أو بدا كأنه يتجاهلها .

بيتروشا : ويمكن أيضاً أن تكون لي قناعاتي .

الطالب : ولا سيّما أن للحياة حقوقَها وأن الآراءَ المسبقة لا تَصْمُدُ أمام نَقْد العقل والعلم .

كاترين ماتفيفنا : وخاصةً أن المفاهيم المتخلّفة لا يمكن أن تستمرّ ، نظراً للخطوة الهائلة التي خطَتْها العلوم الطبيعية .

ايفان ميخايلوفتش : كفى، دعونا من هذا . أرجو ابني أن يتصرّف كما أريد ، لا أكثر . (بعد لحظة صمت ، مخاطباً الطالب) . ألم أجرحْكَ ، يا الكسي بافاوفتش ؟

الطالب : إنني أجلّ كرامتي عن أن أعتبرها جريحةً . حان وقتُ العمل . هيّا سرْ ، بريبيشيف الفتى .

بيتروشا : لا ، أنا جوعان .

(يدخل ساشكا ومعه صينية) .

الطالب : حسناً ! لِنبْقَ ، ولْنتغذّ .

(يقترب من الطعام) .

المشهد السادس

« ليوبوتشكا مشمّرةً فستانها ، وعلى رأسها قبّعة قش ، تدخل راكضة وخلفها بنتان ، تحمل سلة فطور » .

ليوبوتشكا : ماما العزيزة ، أتعلمين أني لم آتِ وحدي !

ماري فاسيليفنا : ومَنْ معكِ ؟

ايفان ميخايلوفتش : مع مَنْ إذن ؟

ليوبوتشكا : احزرا ! مع أناتول دميتريفتش . كنتُ ذاهبة مع البنات عندما وصل وتبعني . ما أجمل الفطورَ التي لقيناها ، في الوادي ، كما تعلمين ! فطور رائعة ، تحفة ! أناتول دميتريفتش لا يرى شيئاً ، ولم يعثر إلا على فطر سام . انظري إليها ، ما ألطفَها ! كاتنكا ، انظري ! ماشكا ، الفطور معك ، أعطيهم إياها . (تأخذ السلة وتسحب الفطور منها) . وهذه الفطور الطحابية ، انظر يا ساشكا ، ما أكثرها . وأنتَ قلتَ لي إنه لا توجد فطور في ممرّ البتولة ! هل رأيتَها ، يا بابا ؟

ايفان ميخايلوفتش : لكن أين أناتول دميتريفتش ؟

ليوبوتشكا : إنه يُنظّف ثيابه . توسخّ حين وقعَ على ركبتيه ، وهي بيضاء . بابا ، أيّ حديث كان بيني وبينه ، مُدهش ! على كل حال ، سأحكيه لك وحدك .

ايفان ميخايلوفتش : ما هو ؟ ما هو ؟

ليوتشكا : مهمٌ جداً . لكن لا يمكن على الإطلاق أن أقول ذلك الآن . الأمرُ يخصّني . . .

ايفان ميخايلوفتش : ومع ذلك ، فأنتِ لا تُحسنين صنعاً حين تذهبين إلى الغابة لتحدّثي شاباً . . . صحيح أنه . . . لكنْ مع ذلك . . .

ليوبوتشكا : يا لها من فكرة متخلّفة ! أليس كذلك ، يا كاتنكا ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! وأنتِ أيضاً ! تعالي إليّ واحكي لي هذا الحديث الخطير.

ليوبوتشكا : غير ممكن الآن . انتظرْ ، ستعرفه . لا ، لكن انظري إلى هذه الفطور اللطيفة ، ماما . (تنتصب وتصطنع الكبرياء ، مترلّدة الفطر) . مثل أستاذنا كارل كارليتش ؟ الضخم القصير . آه ! كم أحسُّ أنني فرحة اليوم ! ساشكا ، غداً سنذهب باكراً .

ماري فاسيليفنا : تريدين إذن شاياً أو قهوةً ، مع الخبز الأبيض ؟

ليوبوتشكا : ستُدهش كثيراً ، يا بابا ، من حديثنا ، وأنتِ أيضاً ، كاتيا ، وأنت . . . أنتم ، الكسي بافلوفتش . بيتروشكا ، أعطني . . . ماذا تأكل ؟

(تخطف منه شوكته وتضع اللقمةَ في فمها . بيتروشكا مستغرقٌ في فطوره) .

كاترين ماتفيفنا ، للطالب : وهذه ندٌّ لآناتولي دميتريفتش ؟ يالنقص تطوّرها !

الطالب : هذا لا يمنع أنها بمظهرها وهيئتها فتاةٌ ممتازة وليست سيئةً على الإطلاق .

ليوبوتشكا : ماما ، أأستطيع أن أعطيهما قطعةً ؟ (تشير إلى اليتيمين وتعطي كلا منهما قطعة خبز وسكراً) . تعالاَ ، غداً ، باكراً .

ماري فاسيليفنا تصبّ لها الشاي : كلي قشدةً .

ليوبوتشكا : لستُ جائعة ، أخذتُ من ماشكا فطيرةً ، المبيدة ، تحفة !
(تجلس إلى الطاولة وعلى الفور) . نسيتُ أن أقبلك ،
يا بابا . (تقبله) يا فطري الأبيض العزيز ! فيمَ كنتما
تتناقشان عندما دخلتُ ؟

ايفان ميخايلوفتش : هذا أخوك الذي اخترع أنه لا ينبغي أن يقبّل
أباه ، بل يقول فقط : صباح الخير ، يا أبي ، صباح الخير ،
يا أمي .

بيتروشا ، وهو يلوك : لم أخترعْ ذلك ، توصّلتُ إلى هذه القناعة .

ليوبوتشكا : ها — ها — ها ! يا لهذه الحماقات ! لا يفتؤون يخترعون
أشياء جديدة .

ايفان ميخايلوفتش : وأنتِ تتنزهين على البدعة الجديدة مع شاب .

ليوبوتشكا : صه ! لا تهاجمني . سأذهبَ عن عمد مع شاب .
الكسي بافلوفتش ، لنذهبْ غداً بحثاً عن الفطور .

الطالب : الواقع أن هذا ممكن التحقيق .

ليوبوتشكا : كلا ، لا أستطيع .

ماري فاسيليفنا : ربما أردتَ شيئاً من العجة ؟

الطالب : لا ، شكراً ، شبعتُ . حسناً ! وأنت ، يا بوريبيشيف الشاب ،
هل تغذّيتَ ؟ لنمشِ .

(يخرج الطالبُ وبيتروشا) .

المشهد — ٧ —

« الأشخاص أنفسهم ومدير الأعمال » .

ايفان ميخايلوفتش : هه . . . ما بك ؟

مدير الأعمال : بدأ الحصادُ في « كاميني » .

ايفان ميخايلوفيتش : كيف ذاك ؟ والأحرار ؟

مدير الأعمال : فلاحونا دفعوهم إلى ذلك ، حدثت شجار . وضُرِب ما تريون حتى أُدمي . وقد جاء ، وهو ينتظرُك في المكتب .

ليبوتشكا : نسيت أن أقول لك : إنه رهيب ، وكأنه أحد قُطاع الطارق . ماما ، لقد خفتُ كثيراً .

ايفان ميخايلوفتش : ولم هذا الشجار ؟

مدير الأعمال : وصل الحصادون وما كادوا يبدؤون حتى سارع إليهم ديومكين بالعصي الطويلة - وكان يحرث على مقربة — وقال لهم : « كيف تجرؤون على حصاد حقول سيّدنا ؟ وقد شذّبناها نحن . أنتم خبثاء لأنكم تخفضون من أجرتنا . أتحصد الفدان بروبل ! كان سيعطينا روبلين إذا دعت الحاجةُ . وإلا لرعينا كل شيء بخيولنا » . وأخذ يمسك بهم . وفي الوقت نفسه هُرِع الفلاحون من الحقول وضربوا الأحرار حتى أدْموهم .

ليوبوتشكا : رأسُه مدمّى إلى هنا . هو مرعب .

ايفان ميخايلوفتش : وأين كانت عيناك . فهذا يخصّك .وكبير القرية ؟

مدير الأعمال : سافر إلى رئيس المنطقة .

ايفان ميخايلوفتش : جيد ، جيد !

مدير الأعمال : هيه ! ماذا تريد أن نفعل ، يا ايفان ميخايلوفتش ؟ فمن المستحيل العمل مع هؤلاء الناس . في هذه الليلة ، سرقوا حبلين ، وأرادوا نهبَ عَجَلَتين مغلّفتين بالحديد ، ومن حسن الحظ أنني رأيتُ ذلك . كم مرةٍ قلتُ إنه يجب إغلاقُ كل شيء ، فلم أُطَعْ . ومع هذا فأنا المسؤول عن ذلك . أعتقد أنني لم أدخّر جهداً ولم أحرصْ على صحتي . فتفضّلْ واصرفْني من العمل .

ايفان ميخايلوفتش ماذا تقول ، يا صديقي ؟

مدير الأعمال : نعم ، تفضّلْ علي بذلك . إن شئتَ ، فلم أعدْ أطيق .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا تقول ؟ لعلك تمزح ؟ أيمكن ذلك ونحن في غمرة أعمالنا ؟

مدير الأعمال : الأمرُ لك ، ايفان ميخايلوفتش ، لكني أصبحتُ عاجزاً عن خدمتك . لقد اجتهدتُ غاية اجتهادي ، ولا يثمر الاجتهاد شيئاً مع هؤلاء الناس . اصرفْني من العمل .

ايفان ميخايلوفتش : اذهبْ بعد ذلك واشتغل بالزراعة ! (يذرع الغرفة ، منفعلاً ، ثم يقف أمام مدير الأعمال) . ما أنت إلا شخصٌ قذر . أتعتقد إذنْ أنه يمكن تعقيد كل شيء ، وتلويث كل شيء ، ثم الانصراف والأعمالُ في أشدّها ؟

مدير الأعمال : وما العمل ؟

ايفان ميخايلوفتش : اخرجْ من هنا ! لا أريد أن أوسّخ يدي .
ولولا ذلك . . . لا ، لكن هذا اصوصيةٌ .. الشيطان يعرف خفاياها !

« يمشي » .

ماري فاسيلييّنا : قلتُ لك أنهم سيتركوننا جميعاً الآن .

ليوبوتشكا : ينبغي لك أن تستخدم العمل الحرّ ، يا بابا ، يقول آناتول دميتّريفتش : إن هذا أفضل .

ايفان ميخايلوفتش : دعوني وشأني . هم يهذون دون أن يعلموا ما يقولون . اود أن أغطّي عيني وأهرب . كل شيء مهمل ، مختلٌ ؛ شاعتَ السرقةُ ولا أحَدَ يعمل . الصبيان يؤدبون أهلهم. لقد جُنَّ الناسُ جميعاً . يا له من تقدّم حاوٍ !

كاترين ماتفيفنا : ها هنا ، في رأيي ، أسبابٌ عميقة تكمن في تنظيم الحياة الشعبية .

ايفان ميخايلوفتش : دعوني وشأني بجاه المسيح . إذنْ ، هل ستبقى ؟ أرجوك أن تبقى . وافهمْ انني لا أستطيع ، في الوقت الحاضر ، أن أجد من يحلّ محلّك .

مدير الأعمال : مستحيل ، يا سيدي ، فان لي عملاً آخر .

ايفان ميخايلوفتش ، **غاضباً** : طيب ، تظن أنك ستتخلّص مني هكذا ؟ أيها اللص ! طيبٌ . والشرطة ؟

مدير الأعمال : لن تجرؤ ، لقد مضى ذلك الوقت .

ايفان ميخايلوفتش : آه ! لا أجرؤ؟

(يمسكه بقبّته) .

ماري فاسيلييفنا، واثبةً على قدميها : **جان ! ايفان ميخايلوفتش** ، ماذا تفعل ؟ ارحمني !

ايفان ميخايلوفتش : لا ، سأصفّي حسابَكَ على طريقتي . تعال ، يا نذل .

(يقوده إلى الباب) .

المشهد — ٨ —

« يدخل فينيروفسكي »

فينيروفسكي : ها أنذا ، جئتُ لأراكم . ارفعْ يدك !

ايفان ميخايلوفتش : لا ، هذا مستحيل . ما العمل ؟

فينيروفسكي : ماذا جرى عندكم ؟ أشياء يومية ؟ شَغْلة حلوة ! هيه ! هيه ! هيه !

ايفان ميخايلوفتش : أعيتْني الحيلُ . . . هذا رجلٌ غَمَرْتُه بإحساني ، وأعْتَقْتُه قبل البيان ، وأعطيتُه الأرض . وكان يدير أملاكي ، وها هو الآن ، وفجأة ، وبدون أدنى سبب . . .

فينيروفسكي : لا يريد أن يستمرّ في خدمته ؟ هيه ! هيه ! طبعاً ! هذا شيء معروف . وأنت تودّ أن تضربه ، وأن تنكّل به ، وأن تحرقه بنار بطيئة ، لكن هذا ممنوع . وما حياتُنا في ذلك ؟ هذا هو الجانب السيء من العمل الحر .

ايفان ميخايلوفتش : لكنْ ، لا ردّه الله ! اذهبْ وسلّمْ كبير القرية كلَّ شيء . سآتي بنفسي .

(مدير الأعمال ينصرف) .

فينيروفسكي : قسماً ، أنا معجبٌ باك ، يا ايفان ميخايلوفتش ، لأناك تتحكمّ بنفساك هذا التحكمّ . هذه قوة . نعم ، قوة . وما زالوا يدعوناك رجعياً ، هيه ! هيه !

ماري فاسيلييفنا : أتريد شاياً أو قهوة ، مع القشطة ، هذا هو الخبز الأبيض والزبدة .

فينيروفسكي : شكراً . على العموم ، كيف يسير العملُ الحر ؟ عندما وصلتُ إلى هنا ، رأيتُ أن العمل يتقدّم بسرعة . هيه ! هيه ! هل هو مُرْضٍ ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! دعْني من هذا الموضوع ! لابأس . . . لكنّ مثل هذه المتاعب . . . وأنتَ ، كيف حالُكَ ؟

فينيروفسكي : نحن ، لابأس ، نعمل بأناة . كل هذا الوحل الريفي يضايق ويخنق ، لكننا نناضل جهد المستطاع .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، نعم .

فينيروفسكي : نحن نتقدّم دائماً . وهكذا افتتحْنا أمس مدرسةً لأطفال الصنّاع . حصلنا على مكان وعلى كل شيء ؛ وجمعْنا ، بطريقةٍ ما ، شيئاً من المال من التجار ، لشراء الكتب ؛ وهي تسير سيراً حسناً . تعال وزرْها ذات يوم أنت وليوبوف ايفانوفنا . هي مثيرة للاهتمام .

ايفان ميخايلوفتش : هذا نشاطٌ يَبْعث على الرضا . والمحاضرةُ الأخرى التي ستُلقيها ، متى موعدُها ؟

فينيروفسكي : لم يَبْقَ لي ، مع الأسف ، وقتٌ ، فعَملي يَستأثر بي دائماً . إن أصحاب معامل التقطير غشّاشون . . ومنذ يومين ، لقطتُ واحداً منهم . عرضَ عليّ ثلاثة آلاف روبل رشوةً . هيه ! هيه ! أناسٌ سخيفون لا يجوز أن نتجرحَ منهم . ما العمل ، كأنهم يتكلّمون لغةً أخرى . هيه ! هيه ! هيه ! . . . تعال إذنْ ذات يوم لزيارة المدرسة أنتَ وليوبوف إيفانوفنا . نعم ، الأمرُ هكذا : نعمل ، ونعمل ، ثم ننظر حولنا ونحسّ أن هذا الوسط يغدو مع ذلك أكثر نبلاً . يكرهونني — هيه ! هيه ! — لكن ماذا يهمّني من ذلك ؟ أحبُّ أن يكرهوني . هذه علامةُ قوة — هيه ! هيه ! أما أنا فلا أكره ، أنا أحتقر .

ايفان ميخايلوفتش : لكن ماذا حدثَ في ناديكم ؟

فينيروفسكي : لُقِطَ غشاشٌ : رئيسُ النادي الذي أراد أن يسرق المالَ من الصندوق ، لكنه فوجِىءَ وأُسقِطَ في يده . كل هؤلاء الناس نصّابون ، هيه ! هيه ! ومن البديهي حينئذٍ أن نبتهج حين نرى أن أفكار التقدم — ولو بعضاً منها — أخذتْ تَنْفذ إلى هذه الرؤوس القاسية مع الشعور بالشرف وبالعواطف الإنسانية . نعم ، مهما تقلْ ، فان شخصاً واحداً شريفاً فقط يستطيع أن يفعل كثيراً من الأشياء . وهكذا تراني أفكّر في نفسي — وليس لي أن أتصنّع التواضع ، هيه ! هيه !

ايفان ميخايلوفتش : على كل حال ، كيف نتّهم الناس إذا فكّرنا في التربية التي تربّوها ؟

فينيروفسكي : عندي شيءٌ شخصي أحبّ أن أقوله لكَ . (يأخذ ايفان ميخايلوفتش على حدة) . مهما عشْنا من أجل القضيّة العامة ، فنحن مُضطرّون إلى أن نفكرّ أحياناً في أنفسنا ، لأن الشعور بالأنانية موجودٌ في كل إنسان . ومع أن تلك الحالة قلما تصيبني ، فهي حالتي في هذه المرة . . . ولست أدري كيف أقولها لك . فقد فقدتُ حقّاً عادةَ التفكير في مصالحي الخاصة . (يبتسم) . هذا مضحكٌ حقاً .

ايفان ميخايلوفتش : وما بكَ ؟ لعلك بحاجة إلى المال ؟ أنا مستعدٌ دائماً ، بحسب قدراتي . . .

فينيروفسكي : لا . أعلم أنك لا تحبّني ،لكن ماالعمل ؟ إنما القوةُ فينا . ويجب أن يُحْسَبَ لنا ألفُ حساب .

ايفان ميخايلوفتش : لكنْ عمّ تتكلّم ؟ أظنّني حزرتُ . . . لكن هذا شيءٌ له . . .

فينيروفسكي : حسناً ! إن حزرتَ فأعطِني إذن ابنتَك ، أرجوك ، هذا أبسط ما يمكن . . .

ايفان ميخايلوفتش : **بلهجة ارتسامية** ، طلبُكَ ، يا أناتول دميتريفتش ، يسرّني . لقد كوّنتُ عنك أحسنَ فكرةٍ . وسماعكَ هذا يؤيّد رأيي . فأنت تتصرّف حقاً كما يتصرّف الرجل الشريف . وأنت لم تتردّدْ على بيتي دون أن يكون لك هدف . ولم تُسيءْ إلى سمعة فتاةٍ ؛ ثم إنك فعلتَ ما يفعلُه الرجلُ

النبيلُ حقاً ، فلم تَسْمحْ لنفسك بتكديرها وتَوَجّهتَ أولاً إلى أبيها . وهذه سمةٌ رفيعةٌ إلى حد كبير .

فينيروفسكي : هيه ! الأمر مختلفٌ قليلاً ، بحسب قناعتينا . هيه ! هيه ! فقد كلّمتُ بهذا الشأن ليوبوف ايفانوفنا التي ، هيه ! هيه ! وافقتْ .

ايفان ميخايلوفتش : هه . . . نعم . . . أنت تعلم ، طبعاً ، أنا أوافق على ذلك . . .

فينيروفسكي : أعتقدُ أن موافقة ماري فاسيلييفنا . . . هيه ! هيه ! ... طبعاً . هناك شيءٌ واحدٌ فقط . أنت تعلم أنني ، برأيكَ ، شخصٌ غريب الأطوار ، هيه ! هيه ! . . . وأنا أفضل أن أتجنب كل تلك التهاني ، والقيل والقال . إني لا أستسيغ ذلك . . . وأود لو أرى أقلّ ما يمكن من هؤلاء الناس الذين أحتقرهم . ولذلك فمن الأفضل ترك الأمر كله سراً في الوقت الراهن؛ كل هذه الأساليب غبيّة ، أليس كذلك ؟

ايفان ميخايلوفتش : طيّب ، طيب . فهمت . والآن ، يا صهري المُقبل . . .

فينيروفسكي : ايفان ميخايلوفتش ، أنا دائماً آناتول دميتريفتش ، وأنت ايفان ميخايلوفتش . ما معنى : صهر وحمو ؟ لا جدوى من ذلك ، ولستُ أستسيغه ، وهو ، على الخصوص ، شيء غبيّ .

ايفان ميخايلوفتش : بالتأكيد، لكن... حسناً! والآن أرى من الضروري أن أكلمكَ عن ثروة ليوبوتشكا لسنا أغنياء، لكن . . .

فينيروفسكي : يا له من إيضاح ! . . . مالي واثروتها ؟ ثروتُها ملكُها ؛ وإذا كان لها ثروةٌ فهذا شيء حسن . إن من يَفْهم الرجالَ ، ولو قليلاً ، ليس عليه إلا أن يرى نشاطي ويحكمُ عليّ تبعاً له . وسأقول لك ما يَلْزمني . لي هدف واحد . فلهذه الفتاة طبيعة صالحةٌ ، وفيها إمكاناتٌ . لستُ مُغْرماً بها . وأنا أجهل هذه الحماقات . فيها إمكانات لكنها هي لم تتطوّرْ إلا قليلا ، قليلاً جداً . وأنا أشتهي شيئاً واحداً : أن أرفعَ مستواها إلى مستوانا ، وحينئذٍ سأقول : لقد أتممتُ عملاً أيضاً ، لكني أودّ ألاّ يزعجني أحدٌ في ذلك . وأنا أنبّهك على ذلك . قد يبدو لكَ ذلك غريباً ، لكننا ناسٌ حديثون ، وما يبدو لك غريباً وصعباً سهلٌ علينا . فلا تكلّم إذنْ أحداً عن ذلك قبل مطلع آب ، وستتمّ القضية على أحسن ما يرام .

(يشدّ على يده ، فيشدّ ايفان ميخايلوفتش على يده أيضاً ، طويلاً وبقوة) .

ايفان ميخايلوفتش : فهمتُ كل شيء ، كل شيء . اسمحْ لي أن أقبلك .

فينيروفسكي : لا ، هذا لا ، إذا شئتَ لا أستسيغ ذلك . إلى اللقاء .

(ينصرف فينيروفسكي) .

ايفان ميخايلوفتش : إنه رجلٌ نبيلٌ ، حقاً . هذا هو العصر الجديد . غريب . لم أتعوّدْ ذلك بعد . لكن الحمد لله . الحمد لله !

ستار

الفصل الثاني

اللوحة الأولى

« يمثّل المسرح غرفة عَزَبٍ لا نظام فيها ، في شقة فينيروفسكي »

المشهد - ١ -

فينيروفسكي ، وحده ، وصورتُه بين يديه : أنا أتزوّج ! إنه لمن الغباء ، وإنه لشيء مخيفٌ أن يرتبط الرجل إلى الأبد بامرأة أفسدَها وسطُها ولم تتطوّرْ إلا قليلاً . إنه لمن المخيف أن يفتقد الرجلُ قوّته وصفاءه في الصدام المستمرّ مع التفاهة والوحل . . . إلا أن ذلك يسرّ النفس . هناكَ كثير من الأشياء تسرّ النفس . الحياة المؤمّنة ، ثم إنها هي نفسها كامرأة . . . ليست رديئةً على الإطلاق . أستطيع أن أترك خدمتي ، وأهتم بالعمل الأدبي . وهي ، على الخصوص ، تسرّ النظر . كل هذا بديع . امرأة بديعة . . . قبّلتْني بشيء من السرور . بل وبكثير من الاندفاع . وخُيِّل إليّ أيضاً أنني لم أكن أتوقّع ذلك . وبالفعل لم أكن أتوقّع ذلك . لمَ ذاك ؟ أيُّ خطأ غريب كنتُ أنمّيه بصدد نفسي !

كما أبداتُ فهمَ نفسي ! (ينظر إلى نفسه في المرآة) .
نعم ، وجهٌ جميل ، ومظهرٌ لافتٌ للنظر . بل وجميل ، جميل جداً . نعم هذا هو ما يُسمّى الرجل الوسيم ؛ الرجل الجذّاب وذو المظهر اللافت للنظر كم يخطىءُ الإنسان في فهم نفسه ! وبأي رُعبٍ مضحكٍ كنتُ أدنو منها ! كان هناك ما يدعو إلى الخوف ! هيه ! هيه ! هيه ! كنت أظن أن مظهري ليس فاتناً ، وكنت أسعى إلى أن أعزّي نفسي . كنت أقول في نفسي : إذا لم أكن جذّاباً كالآخرين ، فأنا ذكي ، ومَنْ أذكى مني ، فيما أعلم ؟ ومَنْ يفهم الأشياءَ بدقة ويسر وعمقَ كفهمي لها؟ وكنت أقول في نفسي : حسناً ! إني لستُ جميلاً ، ولا أستطيع أن أباريَ هؤلاء السادة الجميلين الذين أراهم يمرّون في عرباتهم الجميلة ؛ لكنّ لي ، بالمقابل ، عقلاً واسعاً ، واستقامة ، وطبعاً متحرراً ، قوياً وصافياً . . . كل هذا يعوّضني تعويضاً كبيراً . هكذا كنتُ أعزّي نفسي . لا أعرف كيف أجلس في الصالونات ولا كيف أتحدّث الفرنسية كالآخرين ، وكنتُ أحسد هؤلاء السادة الذين ألفوا الصالونات . وبالمقابل ، فأنا متعلّم أكثر من أي إنسان . . . لأنني لا أعرف ، في الواقع ، أحداً يملك معرفة شاملةً وعميقةً كمعرفتي . وهل هناك علم لا أشعر فيه بالقدرة على القيام بالاكتشافات ؟ فقه اللغة، التاريخ . . . والعلوم الطبيعية ؟ أعرف كل شيءٍ ، وملكاتي ؟ كنتُ أقول في نفسي إن القدر يقتسم قسمته فيعطي البعضَ مثلي الذكاءَ والموهبة

والمعرفة والقوة ؛ ويَهَبُ البعضَ الآخر مواهبَ تافهة : كالجمال ، والرشاقة ، واللطف ، فماذا رأيتُ في الواقع ، على حين غرّة ؟ رأيت أن الطبيعة لم تَقْسم قِسْمتَها ، وإنما جمعتْ ذلك كله في رجلٍ واحد . ذلك أني ، في بطرسبرج ، لم يتسن لي أن أجرّب قوتي مع النساء . . . من هذا النوع . وفي الوقت الحاضر ، انتهى الأمرُ ، في أفضل حلقات النبلاء وفي أتفهها ، حيث لا ينظرون إلا إلى المظهر الخارجي . لأن ليوبا لا يمكنها أن تفهم جوهر صفاتي . ففي هذه الحلقة تُشْغَف بي امرأتان . نعم ، تُشْغَفُ بي . (باعتداد) آه ! أأنا بشع وأخرق ! . كم يجهل المرءُ نفسه ! من المضحك تذكّرُ ذلك . (ينظر إلى نفسه في المرآة) . أي عمقٍ ، وأي هدوء ، وأي نفاذٍ في التعبير ! نعم ، كان صعباً عليهما مقاومةَ تأثيري . إني أفهم ما الكائن القوي . نحن نغضّ من قَدْر أنفسنا دائماً ، بخلاف الرعاع الذين يحسنون الظنّ بأنفسهم . بينما ليس ، في الواقع ، رجلٌ أوفر مواهبَ مني ، ويَبْخَسُ ، في الوقت نفسه ، قَدْر صفاته الخاصة نعم . . . هذا واضح .

المشهد الثاني

« **فينيروفسكي** ؛ يدخل بيكليشوف ، رفيقه في الجامعة وهو اليوم موظف في قضاء الصلح(١) » .

---

(١) قضاء الصلح : كتبت هذه الملهاة في سنة ١٨٦٣ ولم يدخل قضاء الصلح إلا في ٢٠ تشرين الثاني ١٨٦٤ . فهنا مفارقة تاريخية مردها إلى تنقيح لاحق .

بيكليشوف : آه ! يا أخي، لو ترى صيدنا الوفير اليوم ! ها ! ها ! أنا عائد من الجلسة .

فينيروفسكي : جديرٌ بالثناء أن تتفرّغ لأعمال هذا الوجود . وما الذي أرسله الله إليكم ؟

بيكليشوف: قَمَعْنا ثلاثةَ ملاّك زراعيين ، بينهم امرأة وموظف مرتشٍ كل هذا في جلسة واحدة . يمكن القول : إنها لعبةٌ ممتازة .

فينيروفسكي : هذا حسن . هذا نافع لهم،ويسرّني أن أسمعه ؛ وأنت تجد فيه متعةً ؟

بيكليشوف: متعةً لا توصف ، يا صديقي . كيف لا ، وحياتي كلها تقوم على ذلك . ذاك هوايَ واختصاصي . أنتم المثاليون لا تفعلون شيئا سوى المحاكمة العقلية ، بينما نحن العمليون نفعل . وهكذا ، أتعلم لمَ أشارك في زواجك ؟ لا لأني رفيقكَ وصديقك وأني أرى فيه سعادتك . أبداً ، لا . إني أرى فيه فقط هذا الحيوان اللبون بريبيشيف الذي ينوي خداعك والذي يجب قمعُه . وسأقمعه . كيف تسير أعمالكَ ، إذن ؟ وهل سنذهب إلى منزل آل بريبيشيف ؟ الإشهار الصريح اليوم.أنا مستعدٌ ومسلّحٌ من رأسي إلى قدمي.

فينيروفسكي : عمليّةٌ لا خير فيها . هيه ! هيه ! هيه ! . . . إنها الخطبة ، تلك العادة الحمقاء التي يجبَ تجنّبها قدْر الإمكان.

بيكليشوف: ليس هذا مهماً . . أين صرتَ فيما يخص المسألة المالية ؟ هل حصلتَ على إيضاح ؟

فينيروفسكي : لقد أوضحتُ فكرتي أمام والدها المحترم منذ البداية . إن ثروتها لها ، وليُعفني من حماقاته ، نعم . هيه ! هيه ! وابتهج والدُها كثيراً بمثل هذا المفهوم ، طبعاً ......

بيكليشوف: اوه ! يا للمثاليين ! أعطيته أنت نفسك سلاحاً . ، سيتصور ، بطبيعته الرخوة ، أنه لا يجب أن يعطي شيئاً لعروسك ، ومن الجنون أن تكلّف نفسك الإنفاق على امرأة دون أن تتلقى موارد جديدة . يبدو لي أنْ لا فائدة من البرهنة على ذلك .

فينيروفسكي : هذا صحيح . لكنني سأفعل ما هو ضروري حتى لا يتلاعبوا بي . ليس لي سوى هدف واحد : هو انتزاع هذه الفتاة من الشروط المبلّدة واللاأخلاقية التي تعيشُ فيها ؛ ومن البديهي أن هذه الفتاة لا ينبغي أن تفقد شيئاً لكونها اختارتني ، ولا ينبغي أن تُحرَم رفاهية حياتها ؛ وهي رفاهيةٌ بسيطة على كل حال . سأفعل ما هو ضروري لحماية مصالحها .

بيكليشوف : لكن ، لا تدعْ أحداً يغشّك . أنتم المثاليون ، هذا هو ما تمتازون به . ترسمون مخططات دون أن تناقشوها مسبقاً من الناحية العملية . ما التدابير التي ستتخذها إذن ؟

فينيروفسكي : في آخر لقاء ، بدأ بريبيشيف ، مرة أخرى ، أمام ابنته ، حديثَه عن المال ؛ فأجبتْ أني أجدُ من الأنسب معالجة هذا الموضوع على انفراد بدلاً من التباهي به أمام الناس .

بيكليشوف: لكن هذه هي النقطة بالضبط ، يا صديقي ، أنت متكلّف رقةَ الإحساس وهم سيخدعونك .

فينيروفسكي : هذا اليوم هو الذي حدّدتُه للمحادثات . وفي نيّتي أَنْ أُعلن له أنني أَرغبُ في توضيح علاقاتنا المالية . هذا ، ما أستطيع أن أضمنه لك .

بيكليشوف: سيَخْدعُونك ، صدّقْني . (يفكّر) . تذكّرْ شيئاً : بالنسبة إليهم ، بالنسبة إلى هؤلاء الناس ، يأتي الاحتفالُ قبل كل شيء . ومن هذا الجانب يجب أن نُمْسك بهم . تذكّر هذا الشيء : يجب ألا تذهب إلى الكنيسة قبل أن تكون بين يديك الصكوك الصريحة التي تمنحها ثروةً ما .

فينيروفسكي : أنت تطرح المسألة وكأنه ليس عندي سوى ثروتها . لا أستسيغ هذا . وأنت حتماً عملي أكثر مما يجب .

بيكليشوف: آه ! قلتُ لك إنك مثالي . لكنك تنسى مع من تتعامل . هؤلاء جميعاً أوغاد . لقد نهبوا الأقنان ، وشربوا دمَ الشعب ، طوال خمس مئة عام ، وتريد أن تَصْطنع المثاليةَ معهم . نعم : إن لك هدفاً شريفاً : هو إنقاذها . فلماذ إذن تتحيّر بالوسائل؟ هذه شيطنة صبيانية ، وليست جِدّاً .

فينيروفسكي : بالنسبة إلي ، أيها الأخ ، يأتي الهدفُ قبل كل شيء .

بيكليشوف: طيّب ، طيب ، مثالي ! أكرّر لك أني إنْ لم أمسكك بيدي فستَعْلق بين أيديهم وكأنك في شرك . على كل حال ، مِنْ هذه الناحية ، سنتمعهم ، فاحْك لي صفات هذه الفتاة .

فينيروفسكي : ماذا أقول لك . . . صبيّةٌ مظهرها رائقٌ جداً ، طيّبة ، ودودة ؛ هي طبيعةٌ لم تفسد تماماً . إمكاناتٌ حسنة جداً . في هذه الأيام الخمسة عشر الأخيرة أعطيتُها كتباً كثيرة تقرؤها وتحدّثتُ كثيراً معها . ولذلك أخذتْ ترى الأشياء في وجهها الحقيقي . مثلاً ، أحسّتْ بكل دناءةِ وسطها ، وتمنّتْ لو تتخلّص منه ، وأدركتْ تفاهةَ والديْها المحترميْن. طبيعة طيّبة جداً ومستقيمةٌ . وإذا ما انتشلْتُها من هذا العشّ الدنيء ، المليء بالخزْي ، وحملْتُها ، طبعاً ، على قطع صلاتها كلها بأهلها المحترمين ، فاني آملُ أن تتطوّر تطوّراً كاملاً . ستراها بعد قليل .

بيكليشوف : جيد . ومَنْ هذه البنت ، ابنة أخيه ؟

فينيروفسكي : ابنة أخيه وهي فتاة متحرّرة ، وطبيعةٌ متطوّرة وليست غبية ، لكن مظهرها غير جذاب كثيراً .

بيكليشوف : مهما يُقَلْ فان النساء لا يمكنُ أن يكنّ جميلات ومتطوّرات في آن واحد . فالبلهاوات الممتلئات هنّ أكثر حلاوةً .

فينيروفسكي : ديه ! هيه ! نعم ، طبعاً . إذن هذه الفتاة تضايقني كثيراً . كانت بيننا قديماً بعض العلاقات . كانت الكائن الوحيد المفكّر في العائلة ، فتقرّبتُ منها تلقائياً . والآن يبدو أنها تريد فرض طلباتها عليّ . أصبح ذلك سخيفاً ، وقد يُصبح أسوأ إذا علمتْ بزواجي .

بيكليشوف : هذا سيءٌ .

فينيروفسكي : لا ، يا سيرج بيتروفتش المحترم ، لا يمكن لأحد أن يُنحي علي باللائمة ؛ لقد تصرفْتُ كما يتصرف الرجلُ الشريف الذي يعترفُ بحرية المرأة . قلتُ لها إنني لا أريد ألاّ ألتزم بشيء ، وأنني لا أُسلم نفسي لهذه العلاقات إلا لبعض الوقت .

بيكليشوف : ها ! ها ! ها ! إني أرى بوضوح ما يكدّرك : أنت تتساءل إن كنتَ لم تُسيءْ التصرف معها . يا للمثالية ! فكّرْ مع مَنْ تتعامل . تذكّرْ ما يعتبرونه شراً وما يعتبرونه خيراً .جميع الأفكار الأخلاقية مشوّهةٌ في الوسط الذي يعيشون فيه . وإذا حسبنا حساباً لهؤلاء الناس خُدِعْنا أبداً . القاعدة الأولى هي أن نعلم ما غيرُ الشريف عندنا وما الشريف عندهم ، والعكس . وطبْقاً لهذا المبدأ ، فلْنفرضْ أنك لهوتَ معها — في مملكة العُميان العورُهم الملوك(١) — فما أهمية ذلك ؟

فينيروفسكي : صحيح ، لكن هذه الفتاة ملحاحٌ ، وهي تعتقد أن لها حقوقاً عليّ وتستطيع أن تؤذيني . أودّ تنحيتها .

بيكليشوف : هذا واضح . . ولن أقتصر على تَنْحية تأثيرها ، بل سأقيد هذين الشخصين تقييداً محكما بحيث يتعذّر الفصل بينهما — انتظرْ قليلاً .

---

(١) في مملكة العميان العورهم الملوك : تولستوي يستخدم هنا مثلا روسياً يقول حرفياً : « إذا غاب السمك عد السرطان سمكاً » .

المشهد الثالث

« الشخصان السابقان ؛ يدخل الحارس الذي يقوم بدور الخادم ، ثم كاترين ماتفيفنا وايفان ميخايلوفتش » .

الحارس : أناتول دميتريفتش ، هذه الآنسة تطلبك مرة أخرى ، ومعها سيّد .

فينيروفسكي : أيةُ آنسة ؟

الحارس : تلك التي كانت تأتي من قبل ، بشعرها القصير .

فينيروفسكي : هذا بريبيشيف مع ابنة أخيه . أدْخلْهما .

(يخرج الحارس)

بيكليشوف : ها إن الكرة تبحث عن اللاعب(٢) . سألاحقهما كليهما .

« يدخل ايفان ميخايلوفتش وكاترين ماتفيفنا » .

ايفان ميخايلوفتش : آه ! ذهبتُ أنا وكاتنكا لزيارة مدرستك . وخافت ليوبوتشكا من مصاحبتي ، بالرغم من رغبتها في ذلك ، لأنها بردتْ أمس . وجئنا لزيارتك ، في طريقنا . آه ! آناتول دميتريفتش ، أأعترف لك ، روْعةٌ هؤلاء الأطفال ! نعم ، هذا لطيفٌ حقاً ، لطيفٌ جداً .

فينيروفسكي : أحسنتَ صنعاً إذ جئتَ . سأقدّم لكَ بيكليشوف ، وهو رفيقٌ وسيّد ذكي وطيّب . كاترين ماتفيفنا ، أقدّمه لكِ أيضاً .

---

(٢) الكرة تبث عن اللاعب : المثل الروسي المستخدم هنا ، يقول : « الطريدة تبحث عن الصياد » .

كاترين ماتفيفنا لبيكليشوف ، وهي تشدّ يده بقوة عظيمة حتى كشر من الألم : أدهشني دائماً أن علاقات الرفقة بين الرجال ثابتة ، في حين أن هذا الحدث ، إن صحّ القول ، لا يحدثُ بين النساء — ألا يكمن السببُ في مستوى التعلم المتدني الذي تُمنَحه المرأة ؟ أليس هذا صحيحاً ؟

بيكليشوف : لا ريب أن الروابط تتوثّق بوحدة القناعات لا . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ! اعتقدُ أنك صديق حميم لأناتول دميتّريفتش لا لكونك رفيقه ، بل لكونك تشاركه مفاهيمه .

بيكليشوف : لا ريب أن لنا نفس المفاهيم . ذهبتما إلى المدرسة ؟

كاترين ماتفيفنا : نعم ، قلْ لي ، ما رأيك بفكرتي هذه : إني أتساءل إن كان تطوّر المنعكسات لدى الصغار ضاراً ؟ وافقْني على أن الموضوع هنا يدور على الطبائع الكاملة . . .

بيكليشوف : يعْني . . . أنني أجهل كيف تنظرين إلى هذه القضية . المنعكسات هي فقط علامة تطوّر .

(يتنحيّان وهما يتابعان حديثهما) .

ايفان ميخايلوفتش ـ لفينيروفسكي : منذ زمن طويل وأنا أنوى أن أزورُ هذه المدرسة ، فهي جديرة بالاهتمام ، وفي الوقت نفسه ، قلت في نفسي : يجب أن نتحدّث اليوم ، في شؤوننا ، بصدد ثروة ليوبوتشكا ، كما تذكر . إني أحملُ هذه (يُري محفظته) . ستكون أكثر ارتياحاً هنا .

لنتحدّثْ ، ثم سآخذك إلى البيت . نستطيع ان نعان النبأ لكاتنكا ، لأن الجميع سيعرفونه اليوم . لن تضايقنا ؛ على العكس ، ستُعطينا نصائحها ، لأنها امرأةٌ ذكية ، كاتنكا ، بالرغم من غراباتها .

فينيروفسكي : لا ، تفعل ذلك الآن ، هذا مزعج . . . فهناك هذا السيّد . . .

ايفان ميخايلوفتش : حسناً ! سنفعل ذلك فيما بعد . لكنني لن أتركك اليوم . يجب أن تعرف مع ذلك . . . (يقترب بيكليشوف وكاترين ماتفيفنا) . كم أنا ممتنٌّ لك ، لأنك أتَحْتَ لي زيارة هذه المدرسة . يا لروعة هؤلاء الصغار ! لا أكاد أصدّق ! ما أَمْرحَهمَ وما أَطْرفَهم ! وما أعظمَ التقدم الذي يحقّقونه ، وبما أنه . . . شيء . . . فيجب أن ننصفاك ، لأن هذه المدرسة منظمة تنظيماً عجيباً . شيء لطيف ، إنه لعمل حقيقي من أعمال الخير . . . لطيف ، لطيف جداً .

فينيروفسكي : نعم ، نحن نتابع عملنا شيئاً فشيئاً . ومع أنهم يضعون لنا العصيّ في العجلات ، إلا أننا سنحطّمها قليلا قليلاً .

ايفان ميخايلوفتش ، **لبيكليشوف** : أرى أنه تقدّم لشعبنا دون تعليم حقيقي ، قصدت التعاليم الأخلاقي .

بيكليشوف : كل واحد يفهم التعاليم على طريقته ، لكنه مفيد بالتأكيد .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمح لي ! أناتول دميترفتش ، لماذا لم

تطبّق فيها الطريقةَ الصوتية ؟ إنها أقربُ تناوُلاً وأكثر عقلانيةً ، أكثر عقلانيةً بكثير .

فينيروفسكي : هيه ! لا يُصْنَع كلُّ شيء عقلانياً . فضّلتُ طريقة زولوتوف المبسّطة(١) .

كاترين ماتفيفنا : أريد أيضاً أن أوضح رأيي بصراحة أمامك . لقد تحدّثتُ للتوّ مع بيكايشوف . أرى أن تنمية المنعكسات في الطبائع المتدنيّة المستوى أمرٌ لا عقلاني .

ايفان ميخايلوفتش : اعذروني ، سأمرّ على دار البلدية(٢) بسرعة ثم نذهب بعد ذلك ونتحدث .

فينيروفسكي ، **لكاترين ماتفيفنا** : سنناقش هذه المسألة . هيه ! هيه ! هيه ! (لإيفان ميخايلوفتش) . حسناً ! عُدْ . سيأتي بيكايشوف معنا وستُجلسُه في مركبتك ، على ما أظن ؟

ايفان ميخايلوفتش : سنجلسه فيها ، سنجلسه فيها (لبكايشوف) . أنا سعيد ، سعيد جداً . هذا يوم سارٌّ لنا ، وسيكون صديق أناتول دميتّريفتش ضيفاً عزيزاً في بيتي .

(يتحادثان بصوت منخفض)

كاترين ماتفيفنا ، **لفينيروفسكي** : إن بقيتُ هنا فسوف أُعنى بقسمٍ من التعليم في هذه المدرسة . وسأبرهن لك عمليّاً أنَّ المنعكسات ضارة .

---

(١) طريقة زولوتوف المبسطة : فاسيلي زولوتوف (١٨٠٤ - ١٨٩٢) مرب رفيع الشأن ، مؤلف كتب مدرسية .

(٢) دار البلدية : المكان الذي تتجمع فيه الدوائر المدينة في المقاطعة .

فينيروفسكي : حسناً ! هذا ممكن .

ايفان ميخايلوفتش ، وهو ينصرف : إلى اللقاء ، سأنتهي في خمس دقائق .

فينيروفسكي ، لايفان ميخايلوفتش : عُدْ إذن ، عُدْ . (لكاترين ماتفيفنا) . لماذا تهاجمين هكذا تطوير المنعكسات لدى الأطفال ؟ أعتقد أن ما هو خير لنا لا بد أن يكون خيراً للجميع .

كاترين ماتفيفنا ، لفينيروفسكي : لا ، اسمحْ لي ، اسمح لي ! هذه الزيارة للمدرسة بعثت فيّ عدداً من الأفكار ! هناك مسألةٌ تطرح ذاتها : ماذا تنوي أن تفعل بهذه الطبائع ؟ هل تعترف بتطور كل فرد باعتبار هذا التطور خيراً لا شك فيه ، أم أن تطور الوحدة دون مؤازرة المبادرة العامة يضرّ بهذه الوحدات من جراء شذوذ النظام القائم ؟

فينيروفسكي : أعتبر أن التطور خيرٌ دائماً ، مهما يكن الشكل الذي يتجلّى فيه ، لكن . . .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، على طريق التقدم .

فينيروفسكي : طبعاً . لكن يجب مع ذلك أن نأخذ بعين الاعتبار العقبات التي يَحمْلها الوسطُ المحيط .

كاترين ماتفيفنا : هذا صحيح ؛ مهما تقلْ فقد أجبتكَ من قبل وقلتُ إن الحدسَ يدلّني على أن هذا الوسط القاتل ، هذا الجو العفن الذي نتنفّسه هو فوق قواك .

فينيروفسكي ، ينوي أن يقول شيئاً لصديقه : أنت . . .

كاترين ماتفيفنا: لا ، اسمحْ لي ، اسمحْ لي ، دعْني أوضّح رأيي .
لقد حدّدت لنفسك هدفاً هو إدخال النور الي هذا الركود ،
لكن الوسط يضغط عليك ، ولا بد لك من مجالٍ أرحب .
(لبيكليشوف) . أليس هذا صحيحاً ؟

بيكليشوف ، لفينيروفسكي : أية بنت هذه ، يا صديقي ! أبْد رأيك إذن .

كاترين ماتفيفنا ، بعد تفكير : نعم ، إن هذه الزيارة ولّدت فيّ سلسلةً من الأفكار . وقد ازداد تقديري لك . (تشدّ على يد فينيروفسكي) . بيكليشوف ، عندي قضيةٌ شخصية أحب أن أعالجها مع فينيروفسكي ، أنا فوق الأحكام الاجتماعية المسبقة ، ولذلك أرجوك أن تخرج . أأنت فوق تلك الأحكام أيضاً ؟

بيكليشوف: طبعاً ، سأبقى في الغرفة المجاورة (لفينيروفسكي ، وهو خارج) . هذا أحسن ؛ نعم ، هي متطوّرة ، لكنها كريهة ، أستطيع أن أقول ذلك .

(يخرج)

المشهد — ٤ —

« كاترين ماتفيفنا تصمت ، فينيروفسكي يصمت أيضاً ، مرتاحاً » :

كاترين ماتفيفنا ، مرتبكةً : نعم ، هذا هو اليوم . . . وإن صحّ القول . . . نعم ، لقد تمّ التخمّرُ الداخلي . . . لكنكَ

طبيعةٌ شريفة . . . لقد أفلتتْ المرأةُ من الضغط الإجتماعي الذي كان يخنقها . . . وهي مساويةٌ للرجل وأنا . . . نعم ، جئتُ لأقول لك بشرف وبصراحة . . . لقد شعرتُ شعوراً عميقاً بذاتي . . . نعم ، أنا . . . لكنْ قلْ أنتَ شيئاً ! . . .

فينيروفسكي : أنا أصغي إليكِ . سيكون الحديثُ ممتعاً ، على ما يبدو .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، لكن أنْ أقول هكذا . . . نعم ، انتظرْ . . .

فينيروفسكي : سأنتظر . وعدتِ أن تنقلي إليّ عواطفك ، لكن شيئاً ما يعوقُك . أنتِ امرأةٌ حرّةٌ – تغلّبي على نفسك بنفسك . ومن أجل الوضوح في العلاقات ، نحن بحاجة إلى الوضوح في العبارات وفي الكلام . ووضوح العلاقات ، بالنسبة إلي ، أمرٌ مرغوبٌ فيه . سأعبّر عن نفسي بصراحة ، افعلي مثلي ، دون أن تُربكك تلك الآراءُ البالية عن علاقات الرجل بالمرأة . لا تتضايقي ، آدم القديم هو الذي يشوّشُك كما تقول العلومُ الروحانية الطيّبة الذكر . . . ماذا تقولين ؟ . . . .

كاترين ماتفيفنا ، بعزم : نعم ، صَدَقْتَ ، إنه آدم القديم . وأنا فوق ذلك . (تمدّ إليه يدها) . فينيروفسكي ! لقد سَبَرْتُ أغوار وجداني واقتنعتُ بأننا يجب أن نتّحد . نعم . . . أمّا الشكلُ الذي يجب أن يتمّ به هذا الاتحاد فهو ما أتركُ لك حريةَ البتّ فيه . هل نجدُ من الضروري ، من أجل

الجمهور وأهلي المحدودي التطوّر ، وكذلك من أجل أهالك ، أن يكون ذلك عن طريق حفلة الزواج – أنا موافقة سلفاً ، وأنا أتساهل هذا التساهل مهما يكن مضاداً لقناعاتي . لكني أرغبُ في شيء واحد . إن الوسط ، كما قلتُ لك يخنقني ويضغط عليك . فيجب أن نسافر ، ويجب أن نقيم في بطرسبرج ، حيث ستلقى قناعاتنا تعاطفاً أكبر ، وحيث سنبدأ حياةً جديدةً ، على أسس جديدة ، وبمبادىء جديدة . أما مسألة امتلاكي ، فهي محاولةٌ بيننا من قبل .

فينيروفسكي : هذا شريفٌ وواضح . أستطيع على الأقل أن أوضح رأيي بشكل حاسم مثلك ، وسأحاول أن أفعل ذلك .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي : لم أقل كلّ شيء . فالحياة التي تنتظرنا سيكون لها أهميتُها لا بالنسبة إلينا فقط ، بل بالنسبة إلى المجتمع كله أيضاً .

فينيروفسكي : اسمحي لي أيضاً أن أقول كلمتين .

كاترين ماتفيفنا : فينيروفسكي ، أنا أقدّركَ ، وأنتَ تعرفني . أنا امرأةٌ حرّةٌ مساويةٌ للرجل . وأنا فخورةٌ لأني أول مَنْ قال لكَ : أريد أن اتّحد بكَ ، وأنا أنتظر جواباً شريفاً ومترويّاً . كل هذا بسيطٌ جداً .

(ترد شعرها ، وتمشي منفعلةً) .

فينيروفسكي : هذا هو الدليل على أن النظر إلى الحياة ببساطة وشرف أكثر ملاءمةً وعقلانية . قلت : إذاً ترغبين في الاتّحاد بي ؟ هذا مفهوم جداً : سأعرفَ على الأقلّ بماذا أجيب .

واختيارُكِ وطريقتُك في التعبير عنه يدلاّن على درجة التطوّر العالية التي بَلغْتِها . ولا أعرفُ فتاةً أخرى يمكنها أن تتصرّف بهذه الطريقة الواعية . وأنا أجيبكِ بصراحة أن هذا الاتحاد لا يناسبني ؛ ولذلك لا أستطيع قبوله . أما علاقاتنا القديمة فان نفس الحسّ الأخلاقي بالحقيقة الذي تملكينه إلى حد كبير ينبغي أن يكون ضمانةً لي على كتمانك بهذا الصدد .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي . . . أنتَ ترفضني ؟

(تقف وتردّ شعرها) .

فينيروفسكي : كاترين ماتفيفنا ، ليس من رجل حديث لا يعتبر عَرْضكِ مكافأةً له على مشقّاته ، لكنني اخترتُ اختياراً آخر ، ولذلك . . .

كاترين ماتفيفنا : آه ! حسنٌ جداً . اسمحْ لي . أنا أقدّرك . . .

(تمشي ، منفعلة) .

المشهد – ٥ –

« كاترين ماتفيفنا ، فينيروفسكي ، ايفان ميخايلوفتش » .

كاترين ماتفيفنا : آه ! ايفان ميخايلوفتش ! لقد تحدثنا ، واتّضحَ الوضعُ . نعم ، أنا مسرورةٌ بهذا الوضوح . لقد وضّحْنا كلَّ شيء .

ايفان ميخايلوفتش : كان بينكما إذن شيءٌ ملتبسٌ .

فينيروفسكي : كانت مسائل مجرّدة ، على الأصح . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، لم تكنْ مجرّدة تماماً . . . على كل حال أنا مسرورةٌ . . . لنَتعُدْ . . .

ايفان ميخايلوفتش : لا ، عفواً . وعدتُ أناتول دميتريفتش أن أحدّثه اليوم في شؤوننا . جئتُ إلى هنا عمداً ، وحملتُ هذه الأوراقَ . . . الآن نستطيع أن نقول لك ذلك ، يا كاتنكا . هنّئينا ، أناتول دميترفتش وأنا . لقد كاشف ليوبا مكاشفةً نالت رضانا ، وسيتزوّجها في مطلع آب .

كاترين ماتفيفنا ، **لفينيروفسكي** : هناك ثلاثة أنواع من الحب : حبّ عشتار ، وحب « أفروديت » ، وحبّ المساواة . فينيروفسكي ، أنتَ لم ترتفعْ فوق حب عشتار كنتُ أظنّك أعلى . . . لكنني ما أزال أقدّرك كما كنتُ أقدّرك من قبل . ايفان ميخايلوفتش ، هل ستتحدّثان طويلاً ؟

ايفان ميخايلوفتش : ربع ساعة تقريباً ، انتظرينا .

كاترين ماتفيفنا : فينيروفسكي ، أعطني آخر عدد من « النجمة القطبيّة»(١) ، سأقرؤه .

فينيروفسكي ، **مادّاً المجلة** : ها هو ذا ؛ انصحاك بقراءة هذه المقالة . فهي دراسة حسنة . . . لعلك تقبلين بالانتقال إلى الغرفة المجاورة ، لئلا نحول بينلك وبين القراءة ؟

---

(١) النجمة القطبية : مجلة ثورية كان يحررها هرزن واوغاريف في لندن من ١٨٥٥ إلى ١٨٦٢ . وكانت توزع سراً في روسيا .

كاترين ماتفيفنا : لا .

فينيروفسكي : حقاً ، ترتاحين أكثر هنا .

كاترين ماتفيفنا : لا .

فينيروفسكي ، بينه وبين نفسه : أصبح الاستيضاح مستحيلاً مرة أخرى .

(تجلس كاترين ماتفيفنا إلى طاولة على حدة ، تتكىء بمرفقها ، وتشرع في القراءة ، ملقية أحياناً نظرة خاطفة على فينيروفسكي وهازةً رأسها وهي باديةُ الشك . يجلس ايفان ميخايلوفتش إلى الطاولة ويفتح محفظته ويرتّب الأوراق . يجلس فينيروفسكي قبالته) .

ايفان ميخايلوفتش : أيها العزيز وا لمحبوب أناتول دميتريفتش . . .

فينيروفسكي : ما الموضوع ؟ تكلّمْ .

ايفان ميخايلوفتش : كان من شهامتك أنك رفَضتَ الحديث الذي بدأتُه عن ثروة ابنتي ؛ ثقْ أنني أقدّر تقديراً عالياً هذه البادرة . لكنك توافقني على أنني أشعر بالسرور ، إن جاز لي أن أعبّر هكذا ، بصفتي أباً ، أن أعرض ما يتعلّق بادارة أملاك ابنتي لزوجها المقبل . . .

فينيروفسكي : حسناً ! أنا أصغي إليك . تكلّم .

ايفان ميخايلوفتش : أقول لك بصراحة أن غيرك قد يُرْمَى بالطمع ، لكن يبدو حقاً أنك تستطيع أن تكون مطمئناً بهذا الصدد ، يا أناتول دميتريفتش . فلن يقول أحدٌ بالتأكيد أنك تزوجتَ من أجل المال . . .

فينيروفسكي ، يلقي نظرةً على كاترين ماتفيفنا : لا شك أن هذا صحيح . لكن ذلك كله لا يوصلنا إلى القضيّة .

ايفان ميخايلوفتش ، يرتّب الأوراق ، ويأخذ منها ورقةً : إن ثروتي متواضعة ، وهي ستؤول إلى ابني . أما ثروة ليوبوتشكا فهي تأتيها من أمها . والأمُ ترغب في أن تحتفظ بجزء يسير منها ؛ أما الباقي فقد قررنا أن يكون ملكاً لك ، ملكاً كاملاً لك . . .

كاترين ماتفيفنا ، تنهض وتردّ شعرها : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ! أناتول دميتريفتش ، التقديرُ الذي كنتُ أكنّه لشخصك أخذ يتلاشى في أعماق وجداني . فمنذ خمسة عشر يوماً عبّرتَ عن قناعتك بأنك لا تقدّر ليوبوتشكا . وكان ذلك طبيعياً ، لا مفرّ منه .

ايفان ميخايلوفتش : كاتنكا ، لا تقاطعينا ، بمَ تَهْذرين ؟

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ! فينيروفسكي ، لقد عبّرتَ عن قناعتك بأنك لا تقدّرها كامرأة ، وأنت الآن ستتزوّجها ؟ وهذا غير منطقي .

فينيروفسكي : لا أفهم لأية غاية تقولين هذا ؟

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي . قلتُ إنك تصرّفْتَ تصرّفاً غير منطقي. لم أقلْ غير هذا . وأنت الآن تناقش مع ايفان ميخايلوفتش ، شؤون خطيبتكَ المالية — هكذا تُسمّى ، فيما أظنّ ؟ وأنا أرى في هذا الفعل مساومةً حقيرةً موضوعها المخلوق البشري ، ولذلك أرجوكما ألاّ تُهيناني والايُهين كلٌ

منكما الآخر ، وألاّ تُهينا الكرامةَ البشرية بمتابعتكما هذا الحديث . هذا كلُّ ما عندي .

ايفان ميخايلوفتش : اصغي ، كاتنكا ، أصبح ذلك مضجراً وأحمق ، هذا غريبٌ جداً . هذا كل ما أستطيعُ أن أقوله لك .

فينيروفسكي ، برفقٍ لإيفان ميخايلوفتش : بالفعل ، هذه المحادثة مضجرة ، وإذا شئتَ أن تبلّغني شيئاً فافعلْ ذلك بواسطة بيكليشوف ، ولا سيّما أنْ ليس عندي وقتٌ حقاً . سأُنبئه بذلك .

ايفان ميخايلوفتش : لنذهبْ إذن إلى بيتي ، أناتول دميتّريفتش . نادِهِ ولنذهبْ إلى هناك .

كاترين ماتفيفنا : لن أغتفر مثل هذه الخسّة .

ايفان ميخايلوفتش : في الواقع ، هذا مضجرٌ ، لنذهبْ .

فينيروفسكي : سأتبعك .

(ينصرف ايفان ميخايلوفتش وكاترين ماتفيفنا) .

المشهد — ٦ —

بيكليشوف ، خارجاً من الغرفة الأخرى : ما هذه البنت ، يا صاحبي ، يمكن القول عنها إنها وَرِشة . لا بد من تنحيتها جانباً . لا بد من ذلك حتما .

فينيروفسكي : لكن كيف ؟

بيكليشوف : أخشى شيئاً واحداً : أن يكون كل هذا المشهد خدعة ، وأن تكون الآنسة المندفعة دودكينا قد دُرِّبَتْ على يد المضطهِدِ « الصفّاع » .

فينيروفسكي : لا ، لقد تصرفَتْ هذه الآنسة ببساطة نفسها الغبيّة .

بيكليشوف : قلتُ لك : إنه ليس من خسة لا يُقدم عليها هؤلاء السادة . لكن الشيء الأساسي هو أن تكلفني الكلام على المهر مع الأب - قلْ له ذلك في الطريق - أما الآنسة فأنا أعلم أن الحاجة إلى الحب تَنْهشها . وينبغي أن نُطاقَ عليها شاباً . حينذاك فقط ستتركك وشأنك . لنذهبْ . سأقمعهما كليهما .

فينيروفسكي : زوجٌ عملي ، نعم . هيه ! هيه !

ستار

اللوحة الثانية

« يُمثّل المسرح الحديقة في أملاك بريبيشيف » .

المشهد — ١ —

« ماري فاسيلييفنا والمربّية » .

المربّية جرَى كل شيء كما قلتُ لكِ ، يا صديقتي ماري فاسيلييفنا ، كما قلتُ لكِ . إنه طالبُ زواج حقاً . عبثاً كرّرت التبصير بالورق ، كان هناك دائماً ملك الديناري وبطاقة الزواج . وكانت كل الأوراق مرتّبة تبعاً لذلك .

ماري فاسيلييفنا : نعم ، يا نيانا ، ليس من السهل على الأم أن تفترقَ عن ابنتها . عندما قال لي ايفان ميخايلوفتش ذلك هذا اليوم . أحسستُ هنا (تُري قذالَها) . بما يشبه الضربة . رأسي يؤلمني . . . جلتُ جولة ، لكنها لم تخفّف الألم . وأمامنا الجهاز والزواج ، وكم من الهموم مع ذلك .

المربّية : ليس لكِ أن تهتمي بذلك . كل شيء جاهز ، عندك كل شيء .

ماري فاسيلييفنا : هناك شيء واحد : الخطيبُ لا يحبّ أن يرى الناس . كيف العمل ؟ ومع ذلك فمن المستحيل ألا ندعو الأَهلَ . وهكذا فمن أجل عشاء اليوم بعثتُ أدعو سيميون بيتروفتش ، وماري وبيتروفنا ، والجميع .

المربية : لا يمكن غيرُ ذلك ، يا صديقتي . وكأنك تريدين أن تزوّجيها خلسةً . لم تبدأ العاداتُ بنا ولن تنتهي بنا . ليس الزواج مزحةً . وأهلكِ ليسوا أقل خيراً من أهله . ماله يرفع رأسه علينا ؟ أيَحسَبُ نفسه أميراً ؟ وهو مع ذلك ليس تلك الشخصية العظيمة جداً .

ماري فاسيليفنا : أنتِ تاومينه دائماً ، نيانا ، وليس ذلك حسناً . تذكّري أنه سيُصبحُ زوجَ ليوبوتشكا . ولم يبقَ سوى أسبوع وما أكبر شغفَها به ! حتى إني مندهشة من ذلك . هذه ليوبوتشكا ، هذه ليوبوتشكا ، وهي في ظرف سنة سيكون لها ليوبوتشكا صغيرة . وكيف تمَّ ذلك كله ؟ لا ، نيانا ، لا تغتابيه . إنه حقاً رجلٌ عظيم الأهمية — هكذا يراه الجميع — وهو يعرف كل شيء ، وقد سافر إلى كل مكان ، وهو كاتب . على كل حال : مَنْ الذي لم يُغْتَبْ ؟

المربية : أمام ليوبوتشكا — أمام ليوبوف ايفانوفنا — لن أقول ، ذلك ، يا صديقتي . لكن مَنْ الذي سيقول لك ذلك غيري ؟ هذه الكبرياء سيئةٌ ، وهي في غير محلّها . وكأنكم فقراء . ما باله يتصنّع التكبّر على أهلك ؟ ألأنه كان في الخارج ؟ لكنك لن تجدي اليوم ، يا صديقتي ، ملاّكاً فقيراً لم يذهب إلى الخارج . « كنتُ في الخارج ، تأمّلوني ! » لكن كل الناس يذهبون إلى الخارج . ليس الأمرُ كما كان في الزمن القديم . أو : « أنا كاتب ! » يا لها من تُحفة نادرة !

انظري إلى كاترين ماتفيفنا . لقد عرفناها منذ الصغر ، ألم تكن قليلة الفهم ، وبدون أية مهارة وأية مزايا ، ومع ذلك ، فقد نشرت شيئاً ما ، كما قالت لنا مؤخراً . لا تعجبي . الابن الثاني للشماس ، المطرود من المدرسة الدينية ، قد نشر هو أيضاً . لا يدهش أحدٌ لذلك اليوم . ثم إنه لا يملك ثروةً ولا أهلاً . يُقال إن أباه سكير ، وأن الابن لا يدعُه يدخل عليه .وتصرّفاته . . . ما هذا ؟ نراه يدخل : لا نُبلَ . إنه يريد أن يصطنع دائماً شيئاً على البدعة الجديدة ، شيئاً خاصاً . وليس عنده ، على الإجمال ، شيءٌ ؛ حتى عندما يقع له أن يمزح ، فان المزاح لا يناسبُه .

ماري فاسيليفنا : آه! نيانا ، لا تخوضي في هذا الموضوع ! ربما كان ذلك قدرنا . هذه هي الحقيقة بعينها . لن يغير الكلام شيئاً . هناك شيء واحد : أقبّل يديك وقدميك ، استمعي فقط إلى المربية ماري الشريرة الخبيثة ، اتبعي نصيحتي .

أطلبُ إليك ذلك ، بجاه الرب ، لا تعطيه شيئاً الآن ، لا مالاً ولا أملاكاً . أليس كل شيء لكِ ؟ لا أحد يمكنه أن يَمْنعك من ذلك . أَعْطي الجهازَ والفساتين والفرش والمجوهرات ، أعطي كلَّ شيء ومن أحسن نوع ، لكنْ انتظري قبل أن تعطي المال . فالرجل ، مع ذلك ، مجهول . انظري أولاً إلى ما سيَطْلعُ منه . سيكون لديك الوقتُ الكافي لتُعطيه . أنا أعلم جيداً ، أنك لن تحتفظي بشيء لنفسكِ .

ماري فاسيلييفنا: ما أحمقَ أحكاماكِ ، نيانا ! كيف يكون ذلك ممكناً ؟

المربية : اسمعي إلى الحمقاء مرةً واحدةً أيضاً . افعلي ذلك . أطلبُ إليك أن تفعلي بجاه الله . لن يكون من ذلك أي ضرر . ستعيشين معه شهرين أو ستة أشهر ، فاذا حافظ على احترامه لحماته ، وإذا كان سليم الطويّة معها ، حينذاك أعطيه

ماري فاسيلييفنا : آه ! ما أغباكِ !

المربية : أتظنّين من الأفضل أن يأخذ المال ، ولا يبدي لك احتراماً ، ويجعل ليوبوشكا بائسة ؟ ماذا أخذ يقول عنكم منذ الآن ؟ هو يراكم وكأنكم أدنى منه. استمعي إلى ماشا الحمقاء ، ولو مرةً واحدة في حياتك ، وإلا ذرفتِ الدموعَ غزاراً ، من الكأس إلى الشفتين(١) . . .

ماري فاسيلييفنا : ما أحمقكِ ، نيانا . سأكلّم ايفان ميخايلوفتش . سأكلّمه في ذلك حتماً ، ها هو ذا قد جاء .

المشهد – ٢ –

« ماري فاسيلييفنا ، المربية ؛ تدخل ليوبوتشكا ومعها الطالب » .

الطالب : قُمْنا لتوّنا بجولةٍ لا تَخْلو من المتعة .

ليوبوتشكا : ماما ، لمَ لمْ يأتوا ؟ ذهبتُ إلى لقائهم . فلم يأتِ أحدٌ . تبعني الكسي بافلوفتش ولم يكفّ عن الثرثرة .

---

(١) من الكأس إلى الشفتين : المثل الروسي المستخدم هنا هو : « الكوع قريب ، لكننا لا نستطيع أن نعضه » .

الطالب : تعاطَيْنا الضحك بمناسبة اللقاءات الريفيّة . واستمرّت أحادثِنُا بشيءٍ من المتعة .

ليوبوتشكا : مالكَ ولهذا التكلّف في كلامك ، شبعْنا تكلّفاً ، تكلّمْ ببساطة أكبر .

الطالب : اذا بدتْ لك طريقتي في التعبير غير مُستساغة ، فتعالي إلى الأرجوحة ، يا ليوبوف ايفانوفنا . وسوف أَشْرعُ في التأرجح .

ماري فاسيلييفنا : لعلك تريد أن تتناول فطورك ، يا الكسي بافلوفتش ؟

الطالب : يمكننا أن نتغدّى ؛ لا ضَيْرَ من ذلك ، يا ليوبوف ايفانوفنا تعالي حقاً ، فقد ضجرتُ .

ليوبوتشكا : حسناً ! اضجرْ وحدك ، فعندي ما أفعله .

الطالب : عجباً ، عجباً ! تمرينات هامة ؟

ليوبوتشكا : عليّ أن أقرأ مقالةً أعطاني إياها أناتول دميتريفتش .

الطالب : عبثاً . . .

ليوبوتشكا : لماذا تضايقني ؟ أنتَ تُزعجني .

المربية : وما أَغربَ هذا كله .

الطالب : وأنتِ أيضاً تزعجينني ، لكني أَحترمُ جنسكِ .

ليوبوتشكا : يالهذه التصرفات !

ماري فاسيلييفنا : الكسي بافلوفتش ، يجب أن تعامل الآن ليوبا معاملةً مختلفةً .

الطالب : تعلّمتُ هذه التصرّفات من كتابٍ علمي ألّفه بيلوف ونُشر سنة ١٨٦٣ ، في مطبعة سيركين ، بعنوان « التصرفات الواجب إحداثهافي أشخاص الجنس اللطيف أو فن إرضائه » .

ليوبوتشكا : ماما ، اطرديه ؛ لمَ يُزعجني ؟ حان وقتُ عملك مع أخي . بيتروشا !

بيتروشا يصرخ من النافذة : ماذا ؟

ليوبوتشكا : ادعُ الكسي بافلوفتش العمل . اذهبْ إليه.شيءٌ لا يُطاق حقاً أنني لم أُفْلحْ منذ هذا الصباح في التخلّص منكَ .

الطالب متضايقاً : غيّرتِ فجأة طريقتك في معاملتي ، وأنا أجهلُ لأي سبب .

ليوبوتشكا : لا سببَ لذلك . انصرفْ وهذا كل شيء .

الطالب : كنتِ من قبل أكثر ميلاً إلى المخالطة .

المربية : : هيه ! يا سيدي ، لو كنتُ أمّها ،لما سمحتُ لكَ أن تكلّمَ ابنتي أمامي هكذا . كنت سأعلّمك الأدب .

ماري فاسيلييفنا : ماذا تقولين ، نيانا ؟ كفّي ، جُننْتِ . (للطالب). بالفعل ، لماذا تضايقها ، يا الكسي بافلوفتش ؟ اذهب إلى غرفة بيتروشا ، سأرسل لك فطورك . وعلي أن أكلّم ليوبا .

الطالب بينه وبين نفسه : هذا الشخص اللبون مصابٌ بالغضب . (لماري فاسيلييفنا) . حسناً ! الفطور لا يضرّ . أرسليه . (ينصرف) .

صوت بيتروشا : أرسلي لنا ، يا أمي ، شيئاً من الباليك(1) والخمر.

ماري فاسيليفنا : طيّب .

المشهد -٣-

« المربية ، ماري فاسيلييفنا ، ليوبوتشكا »

ليوبوتشكا : ماما ، ماذا ينبغي أن أفعل ؟ إنه يلاحقني أينما ذهبت ، ويحاصرُني مثل ذبابة . . . قولي له أن يكفّ . . . أصبحت الآن مختلفة تماماً .

ماري فاسيلييفنا : انتظري ، سيأتي خطيبُك ، وسنعلنُ اليوم الخطبةَ على الجميع .

المربية : يجب أن تبدئي بعدم المزح معه أبداً ، ياآنستي العزيزة . ويكفي أن تُعطي هذا (تُري اصبعَها الصغير) للناس الذين من جنسه حتى يأخذوا في الحال الذراع كلها . يجب ألاّ تتغنّجي معه . لكن لتكن الأمور ، بالنسبة إليك ، فولاً أو حمصاً(2) . . . اختلفتِ عن ذي قبل .

ليوبوتشكا : نيانا ، لكني لم أتغنّجْ قط . لعبتُ فقط مع بيتروشا ومعه . وهو كريه.ولستُ أبادلُه كلمة. كل ما أفعله الآن هو أن أدرس وأقرأ الكتب التي حملها إليّ أناتول دميتريفتش ، لكنه لا يدعني وشأني .

---

(1) الباليك : ظهر الحفش المدخن . وهو من المقبلات الفاخرة .

(2) فولا أو حمصاً : يقول المثل الروسي : « كل كاهن بالنسبة إليك ، فهو أب » .

المربية : يجب أن تسلكي سلوكاً أقسى . أنت مُفرطة الطيبة . لو كنت مكانك لما سمحتُ لهذا الوغد بدخول بيتي . لكن انتظري قليلاً ، سأعلّمه الأدب ! فهو لا يخشى أحداً في البيت غيري . يجب . . .

ليوبوتشكا : ماما ، أما زالت كاتنكا تجهل أني مخطوبة ؟

ماري فاسيلييفنا : نعم ، يا عزيزتي ، أبوك ونيانا وحدهما يعرفان ذلك . أنتِ نفسك أردتِ ذلك ، لكننا سنُعلن ذلك للجميع اليوم .

ليوبوتشكا : لماذا لم يأتوا إذنْ ؟ هذا غريبٌ حقاً . ماما ، أليست شخصيته حسنةَ المنظر ؟ أليس كذلك ، نيانا ؟

ماري فاسيلييفنا : نعم ، وجهُه معبّرٌ .

ليوبوتشكا : وما أذكاه ! ليتك تَسْمعينه وهو يحدّثني ! كمَ ستغضب كاتنكا ! على كل حال ، هي تستحقّ ذلك فهي تقول دائماً : إنني غير متطوّرة . الآن سأتطور . وهو يقول : إنني تطورتُ كثيراً في خمسة عشر يوماً . تعلمين ، نيانا ، أنها مُغْرَمةٌ به . هي لا تقول ذلك ، لكنني أعرف . ها هم أولاء ، ها هم ! لا تبكي ، ماما ، أليس كذلك ؟ نيانا ، لا تبكي ، أرجوك . هو لا يحب البكاء ، ثم إن ذلك حمقٌ . كل هذا قديم ، كل شيء عندنا سيكون بحسب الأفكار الجديدة . أنتِ لا تفهمين كيف سيكون هذا ، نيانا . أنا مسرورةٌ جداً . هو ذكي . نعم ؟

ماري فاسيلييفنا : حسناً ! لتكن مشيئة الله ! لتكن مشيئة الله !

المربية : الواقع أنه لا بأس به .

ليوبوتشكا : كيف « لابأس » ؟ هو لطيف . نعم ؟

المشهد ــ ٤ ــ

« النساء أنفسهن ، يدخل ايفان ميخايلوفتش ، فينيروفسكي ، بيكليشوف ، كاترين ماتفيفنا ، تفير دينسكوي » .

ايفان ميخايلوفتش ، مقدّماً بيكليشوف : بيير سيرغيفتش بيكليشوف ، صديق آناتول دميتريفتش .

ماري فاسيلييفنا : أنا سعيدة جداً ، أهلاً بك . (لفينيروفسكي) . كيف الحال ، آناتول دميتريفتش ، كيف صحتكَ ؟

(تدخل البيت مع ايفان ميخايلوفتش) .

كاترين ماتفيفنا : أين الكسي بافلوفتش؟عندي شيءٌ أريد أن أقوله له .

الطالب ، خارجاً من البيت : كنّا نتغذّى مع بطرس ايفانوفتش .

بيكليشوف ، لكاترين ماتفيفنا : قدّميني ، من فضلك ، لطالبكم .

كاترين ماتفيفنا : أفهم رغبتك ، إنه الإنسانُ الحيّ الوحيد .

بيكليشوف : أنا سعيد جداً . (يشدّ على يده) ليتنا نتنزّه قليلاً .

(يذهبُ الثلاثة) .

ليوبوتشكا : **لفينيروفسكي** : لماذا تأخرتَ في المجيء ؟ ضجرتُ كثيراً . قرأتُ مقالتيْك وحفظتهما .

فينيروفسكي : جيّد . وأنا فكرّتُ في أشياء تخصّاك .

ليوبوتشكا : فيمَ فكرّتَ ؟ أأعرفُ ؟

فينيروفسكي: لا أعتقد ، ليوبوف ايفانوفنا . انظري ، بل إني وضعتُ جزءاً منها على الورق .

(يمدّ إليها مقالته) .

ليوبوتشكا : لا ، أرجوك ، حدّثني . أحبّ كثيراً أن تحدّثني .

فينيروفسكي : حسناً ! فكرّتُ في آخر حديثٍ بيننا . فكرّت في المرأة قائلاً في نفسي : إن إحدى مهمات عصرنا الأساسية تحريرُها من العبودية البربرية التي تجدُ نفسها مضطهدةً فيها .

ليوبوتشكا : نعم ،لماذا لا يجوز لها أن تتزوج مرة ثانية ؟ وأنا فكّرتُ في ذلك . لو أنني مَللْتُ زوجي ، مثلاً ، وأنني لم أعد أحبّه على الإطلاق . . .

فينيروفسكي : مع الأسف ! هكذا تشوّه شفاهُ الجمهور أعظمَ مذهب لتحرير المرأة . ليس هذا هو تحريرُ المرأة ، هو لا يَكْمنُ هنا . تحرير المرأة يقوم على مساواتها بالرجل ، وعلى أنها يجب ألا تظلّ منقادةً إلى الأبد لأبيها ، ثم لزوجها . على المرأة أن تظل ثابتةً على قدميها في المجتمع ، وأن تَقْوى على النظر إلى المجتمع في عينيه مباشرةً .

ليوبوتشكا : لماذا تقول كاتيا دائماً : إنني غير متطوّرة ؟ أنا أفهم جيداً جميع الأفكار الجديدة ، وغيرها !

فينيروفسكي : نعم ، صعبٌ عليك إدراك فكرتي ، لكني سأحاول أن أعبّر لكِ بصورة مشخّصة ؟

ليوبوتشكا : كيف قلتَ ؟ « مشخّصة » ؟ . . . وأنا أعرف أيضاً : الطريقة القياسية . ثم إني أعرف غير ذلك . . . كمّلْ ما كنتَ تَنْوي قولَه .

فينيروفسكي أحب أن أبرهن لك بمثلٍ علامَ تقوم حريةُ المرأةِ الحقيقيةُ . لو كنتُ أحد هؤلاء السادة المتخلّفين الذين يسودون مجتَمعك ، أو لو كنتُ تحرّرياً سطحياً لاعتبرتُ أنني سأنال حقوقاً على شخصيتك عند الزواج بكِ ؛ ولخضعتِ لي وخضعتُ لكِ ؛ ولما استطعْنا أن نأتي بحركة دون أن يجرحَ أحدُنا الآخر . لو كنتُ مريضاً مثلا ، وأنت تَنْفرين من رؤية الألم ، فأنت مضطرّة أن تظلّي بقربي ؛ حويصلتُك الصفراوية ، أو حويصلتي لا تصبُّ عصارتَها في المعدة ، ومع ذلك يجب أن نظلّ معاً ، نتألمّ ونتخاصم . أو إني أريد أن استخدم مالي في شراء الكتب ، وأنتِ ، لِتنْقلْ ، في شراء . . .

ليوبوتشكا : آلة خياطة مثلاً ، أو أية آلة . هذه هي الأشياء التي ، سأشتريها دائماً ، أما فستان المخمل الأسود فلن أشتريه . كنتُ أشتهيه كثيراً . فالأقمشة الثقيلة تناسبني . ما رأيكَ إذن ؟ أحب الاستماع إليكَ كثيراً .

فينيروفسكي : أنتِ ترين إذن ما الأهمّ في الزواج ، هو حرية الطرفيْن واستقلالهما .

ليوبوتشكا : آه ! فهمتُ هذا . سيكون رهيباً عليّ أن أفكرّ أنك ستأمرني . شبعتُ من المُربّيات . كان عندنا مربّيةٌ ، ساره كارلوفنا(١) ، لم ترَها أنت هنا . آه ! كم كانت مزعجةً . لو كنتُ أعلم أنك ستأمرني لما تزوّجتُ . أحسّ بالبهجة وذلك لأنني أعلم أننا إن لم نكنْ بالتحديد كالغرباء ، فسنكون متساويْين . . . آنيت زايتسيفا ، رأيتَها عندنا – صديقتي ، لكنها غير متطوّرة حقاً ، لا همّ لها إلا قراءة الروايات . . . وهي تقول : يجب ان تتزوج فقط عندما نحب . كأننا نستطيع أن نحب متى شئنا ! والتصنّعُ حقيرٌ ، اليس كذلك ؟ بينما لو كنّا متساويْين ، فالأمرُ حينئذٍ سهلٌ . هؤلاء الناس لا يَفْتؤون يَحْلمون . . . كيف يمكننا ان نَعْشق بناءً على الطلب ؟

فينيروفسكي : نعم ، ليوبوف ايفانوفنا ، الحبُ ليس سوى لفظةٍ ، عند فتياتٍ من نوع صديقتك . سننظّم حياتنا بطريقة لا تُعيق حرّية كل منا . بارادتنا نستطيع ان نتّحد ، فاذا مللْنا استطعْنا ان نفترق دون ان يضايق أحدُنا الآخر . ثم إن حياتنا يجب ألا يكدّرها أي رأي من الآراء المسبقة . وإذا رأيتِ فجأةً ، أو إذا رأيتُ أنا ، أن من الشاق العيشَ معاً ، فينبغي أن يكون لنا الحقُّ في أن نَفْترق دون لومٍ ودون جفاء . كل هذا جديدٌ ، لكنه بسيط .

---

(١) ساره كارلوفنا : ألمانية أو انكليزية .

ليوبوتشكا : ممتاز ! رائع ! فهمتُ ذلك كله . لا ، أنتَ تظنني غبيّةً ؟ كاتنكا قالت لي كل شيء . وكنتُ أظنّ ذلك أنا نفسي . لكنني أرى أنني ذكيةٌ ، في الوقت الحاضر . فهمتُ كل شيء بسرعة . فما أن تبدأ الكلام حتّى أعرف سلفاً ما الذي ستقولـه . صحيح !

فينيروفسكي : الحقيقةُ بسيطةٌ ، وهي بهذا تتميّز عن الكذب . طبيعتُك خيّرة ، فأنت تتعلّمين بسرعة .

ليوبوتشكا : تبدو لي الآن حياتُنا القديمة جدّ مضحكة . أما عندنا فسيكون كل شيء متميّزاً ، مع الأفكار الجديدة . من أجل ذلك أحبّكَ .

فينيروفسكي : لا شيء يبهجني أكثر من هذا الذي تقولينه ، ليوبوف ايفانوفنا . وسطُك كله يبدو لك مضحكاً ، وعمّا قريب سيبدو لك حقيراً ، وسيكون ذلك حينئذٍ شيئاً ممتازاً . تعلمين أن العقبة الأولى في وجه تطوّر الفرد ، ولا سيما أنتِ ، هي العائلة . كل إمكاناتك حسنة . لكن الذين يحيطون بك هم أدنى من أحطّ مستوى . الشخصيةُ الإنسانية الوحيدة بينكم هي كاترين ماتفيفنا ، لكنها هي أيضاً ، ولأسبابٍ تعرفينها ، تكره الجميع ، أما الآخرون ، فهم الوحل الذي يوسّخك . . .

ليوبوتشكا : ولمَ ذاك ؟ بابا ذكيّ ، وهو يتعاطف مع الأفكار الجديدة ؛ ماما أقلّ . . . لكنها طيبة جداً . وهي تحبني كثيراً . وبابا يحبك كثيراً . . .

فينيروفسكي : عنهما يجب عليك أن تبتعدي . نعم . أنْ يُحبّاك ، شيءٌ مفهومٌ . كل رجل سيّء ، مهما يكن سيئاً ، يرغب في أن يتقرّبَ من الإنسان الشريف . لكنْ نحنُ ، لماذا نحبّ ما هو خبيث ، وما يفوحُ عفنُه ؟ يجب أن تبتعدي عنهما ، نعم ، أن تبتعدي عنهما .

ليوبوتشكا ، منقلبةً : لا تتكلّمْ هكذا ! لا أحب ذلك ، لا أحب ، لا أحب !

فينيروفسكي : انظري إليهم فقط كأجانب ، لا يمكنك مع ذلك أن تجديهم جذّابين .

ليوبوتشكا : لا أحب أن تتكلم هكذا ، لا أحبّ ! إن قلتَ لي هذا مرةً أخرى ، فلن أحبّ الأفكار الجديدة ، وإذا ما تزوجتُك ، فسوف أعيشُ على طريقتي ، لا على طريقتك . وستستحقّ أنتَ ذلك !

فينيروفسكي : وكيف ستكون طريقتُكِ ؟

ليوبوتشكا : انظرْ كيفَ : سنذهبُ إلى موسكو ، وسنستأجر بيتاً ، أجملَ بيت . وسأفصّل فستانا من المخمل الأسود وفستاناً من الحرير غير الصقيل . في الصباح نذهب في نزهة ، ثم نتغدّى عند عمتي ، ثم أرتدي فستاني الأسود ونذهب إلى المسرح ، إلى مقصورة فيه . ثم أرتدي فستاني الآخر ونذهب إلى الحفلةِ الراقصة ، في بيت اشبيني ، ثم نعود إلى البيت وسأروي لك الأشياء ، ولن أقرأ كتاباً . سأحبّكَ ، سأحبك كثيراً ولن أمنحك أيّة حرية . لأنني إن عشقتُك

فسوف أنسى كل شيءٍ ما عداك . ماما كانت هي أيضاً كذلك ، وأنا أُشبهها كثيراً . وسترى كم سيكون هذا ممتعاً . سترى .

فينيروفسكي : لكنك لن تفعلي هذا إلا إذا استمررْتُ في كلامي .

ليوبوتشكا : لا ، سأفعل ذلك بالتأكيد . أنا غاضبة .

فينيروفسكي : وبهذه الطريقة ستُحبّينني ؟

ليوبوتشكا : سأحبّكَ إن كنتَ لطيفاً . إني لم أحب قط ، إلا مرة واحدةً أحببتُ قليلا . لكن تلك المرة لا حسابَ لها .

فينيروفسكي ، يأخذ يدها وهو يبتسم ويتردد في لثمها : نعم ، العيشُ هكذا . . . لكن . . . لا بد لذلك من موارد ، ثم نسيان المبادىء .

ليوبوتشكا : لا تتفوّهْ بحماقات . (تقرّب يدها من شفتيه وتشدّ على وجهه) . هذه تفاهات .

فينيروفسكي : يا حلوتي الصغيرة .

(يريد تقبيلها) .

ليوبوتشكا : لا تقل : يا حلوتي الصغيرة ، هذه كلمة بشعة ، خبيثة ، حمقاء .

فينيروفسكي : لماذا كانت هذه الكلمة كريهةً عليك ؟ يا ساحرتي ، اذن . . .

ليوبوتشكا : لا أستطيع أن أشرح لك ذلك . . . ليست حسنة ، وهي مزعجة . حلوتي الصغيرة ! . . . هي مُقْرفةٌ ، ولا أدري

لماذا . أنت لا تُحسن الملاطفة . (تبستم) . لكني سأعلّمك.
هي مزعجة ، ولا أدري كيف أعبّر لك . . .

فينيروفسكي : اوه ! كم هي فاتنة ! إنها متعةٌ فنّية ! . . . أنا أهذي ... ما أغباني ... طبعاً.أَعْجبتُكِ إذن،يا ليونبكا ؟

ليوبوتشكا : نعم ، لكن لماذا تمشي وكأن ساقيك مريضتان ؟

فينيروفسكي : ما الحماقات التي قلتُها . (ينهض) لا ، ليوبوف ايفانوفنا ، يجب أن ننظر إلى الحياة بجدٍ أكبر . لنجلْ جولةً في الحديقة . . .

ليوبوتشكا : هيّا .

(يذهبان فيصادفان بيكليشوف) .

بيكليشوف ، بهدوء لفينيروفسكي : أرأيتَ ، يا صديقي ! تمّ الأمر ! مالت الآنسة إلى الطالب ميلاً شديداً بحيث صار يصعب الفصلُ بينهما .

(تدخل ماري فاسيليفنا وايفان ميخايلوفتش) .

ايفان ميخايلوفتش ، لبيكليشوف : أنا مسرور لأن أناتول دميتريفتش كلّفك أن تتحدث معي عن الشؤون المالية . سأعْرضها عليك ثم تنقلها إليه . أنا أفهم جيداً آناتول دميتريفتش . فهو نبيل التهذيب ، رقيق الحساسية حتى . . .

بيكليشوف : بلا ريب . وأحب أن أقول لك : إنني رجلٌ عمليّ ، لكني أفهم نفور فينيروفسكي من هذا الحديث . هناك ناس طيّبو القلب يفسّرون كل شيء بالعكس . . .

ايفان ميخايلوفتش : طبعاً ، طبعاً . ونستطيع أن نهتم بذلك الآن ، لأن المدعوّين سيصلون بعد ذلك . . . إن ثروة ليوبا تأتيها من أمها . .

ماري فاسيلييفنا : **آمل ، يا جان ، ألا تقرّر شيئاً بدوني . أنا الأم** والثروةُ ثروتي .

ايفان ميخايلوفتش ، مندهشاً : ماذا تقولين ، ماري فاسيلييفنا ؟

(برفق) . أنتِ مريضة ؟ تحدّثتُ معك سابقاً ، على ما يبدو لي .

ماري فاسيلييفنا ، بغضبٍ مفاجىء : أظنّ أنني أنا الأم ، وقبل أن تقرر كل شيء مع الغرباء ، ينبغي أن يكلّمني هؤلاء . صار يقال : إنني لا يُحْسَبُ لي حسابٌ ولا قيمة لي . الثروةُ ثروتي ولن أترك شيئاً يُعطي دون موافقتي . لن أُعطي إلا متى شئتُ . يبدو لي أنه يجب طلبُ إذني . أصولُ اللياقة أيضاً تتطلّب ذلك . أليس كذلك ، يا سيدي . **أصول اللياقة وحدها على الأقل تتطلّب ذلك ، اسألْ السيد .**

ايفان ميخايلوفتش : هذه مفاجأة ! مالكِ ؟ راجعي نفسك . فكّري فيما تقولينه أمام الغريب !

ماري فاسيلييفنا : أنت الذي لعله لا يَعرْف ما يقول ، أما أنا فأعرفه جيداً . الجميعُ يؤكدون أن الخطيب شخصٌ مجهول .

ايفان ميخايلوفتش : مجهول ! من فضلك ، لا تتفوّهي بحماقات .

بيكليشوف : كل هذا غريبٌ جداً ، إذا لم تقلْ أكثر من هذا .

ماري فاسيلييفنا : لا ، كبحتُ نفسي كثيراً . الجميع يقولون : إنني آخر شخصية في البيت . سأعطّل الزواج .

ايفان ميخايلوفتش : لكنْ ما بِكِ ؟ لماذا ؟ ماذا تريدين ؟

ماري فاسيلييفنا : لماذا ؟ لأني لا أعرفُه . ولست آخذُ عليه شيئاً . ولستُ **حاقدةً عليه** . لكني لن أعطيه شيئاً قبل الزواج . فولوكولامسكوي(١) لي . بعد ذلك ، سأرى : إذا أبدى احترامه لي فسوف أعطيه إياها ، وإلا فان أول كاتب عابر سبيل يمكنه . . .

ايفان ميخايلوفتش : يأخذ يدها بقَسْوة : كفى . تعالي . سنتحدّث هناك .

ماري فاسيلييفنا خائفةً : لن أقول شيئاً ، **جان** ، لن أذهب ، **دعني بحاه السماء** . لن أقول شيئاً بعد الآن .

ايفان ميخايلوفتش ، **لبيكليشوف** : أنتَ ترى ، هذه نزوةٌ غريبةٌ ، لكنك تُدرك أنْ لا أهميّةَ لذلك . وأرجوك ألا تقول شيئاً عن ذلك لآناتول دميتريفتش .

بيكليشوف ، بادي التفكّير : أدرك جيداً ، بل لعلي أدرك أكثر مما ينبغي .

---

(١) فولوكولا مسكوي : اسم مكلية ماري فاسيلييفنا .

المشهد — ٦

يدخل المدعوون ، بينهم سيّدة تتبعها ليوبوتشكا وفينيروفسكي » .

المدعو الأول : عرّفنا للتوّ . يا للمفاجأة ! تهانينا الصادقة .

السيد : ما أعظم فرحك ، ماري فاسيلييفنا .

ايفان ميخايلوفتش : أنا ممتنّ جداً ، جداً .

ماري فاسيلييفنا : نعم ، مفاجأة . ها هما الخطيبان ، وأنا أقدّمهما لكم .

فينيروفسكي يقف ، وينظر إلى المدعوين وهو بادي التجهّم : نعم ، ياليوبوف ايفانوفنا لا بد من الحبّ الجمّ حتى أقبل بالمهمة التي أنهض بها ، ولا بدّ من الإحساس بالرغبة الشديدة في انتشالك من هذه الهوّة وفي انقاذك ، لا بد من ذلك حتى أقبل بالخضوع لهذه التفاهة الحقيرة والمُثيرة . انظري : فمع هؤلاء الناس يُراد مني أن أقيم علاقات !

ليوبوتشكا : وماذا يضيرُكَ من ذلك ؟

ايفان ميخايلوفتش : ها هو ذا . (لفينيروفسكي) هذا عم زوجتي ، وابن عمي . أقدّمك .

المدعو الأول : اسمح لي أن أقدم نفسي كقريب مقبل ؛ تهانيّ الصادقة . (يمد إليه يده) .

السيدة : أنا سعيدة جداً ، جداً بالتعرّف إليك . سمعت الناسَ يتحدّثون عنك كثيراً . ليوبا ، تهانيّ .

(فينيروفسكي يُحيّي ، يضع يديه وراء ظهره . يدير ظهره ويبتعد نحو بيكاليشوف) .

المدعو : تَباله ، يا له من قليل الأدب !

السيدة : ما هذه التصرّفات الغريبة مع الأهل !

فينيروفسكي ، لبيكليشوف : ما أسرع ما يدسّون أيديهم ! يجب أن نُخرسهم . . هذا أحسن ما يلائمهم .

(يتحدثان بصوت خافت)

ايفان ميخايلوفتش : تفضّلْ وادخل الصالون ، على كل حال ، حان وقتُ الجلوس إلى المائدة ، سنبارك الخطيبين . . .

المدعو : إذن ، هل وجدتَ مديراً للأعمال ، ايفان ميخايلوفتش ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! لا تخض في هذا الموضوع ، فأنا متألم جداً .

(ليوبا ، ماري فاسيلييفنا ، ايفان ميخايلوفتش ، والمدعوون ، يدخلون البيت) .

المشهد – ٧ –

« بيكاليشوف وفينيروفسكي » .

بيكليشوف : القضيّة سُوّيتْ على أحسن وجه مع الآنسة دودكينا . أثنيتُ عليها وعلى الطالب ، نقلت إليها بوحَه بالحب وربطتُهما أحدهما بالآخر حتى ليتعذّر الفصلُ بينهما . هذه إذن قد قمعتها . أما فيما يتعلّق بالعلاقات المالية فالأمور سيئة جداً . الأمُ تريد أن تمسك بزمامك وأن

تنتظر دليل احترام زوج إبنتها . . . الطريقة معروفة .
ثم إن الأب سيّء ، في رأيي . . .

فينيروفسكي : الأب يتذلّل . من أجل هذا فقط يمكن أن نغفر له كثيراً من الأشياء .

بيكليشوف : لو كان يتذلّل تذللاً كاملاً لكان ذلك حسناً ، لكن هذا المشهد ، برأيي العملي ، مُثّل تمثيلاً ، وقامت الأمُ بدور الغبيّة عن قصد . إنها ذلك الشريك الوحشي الذي لا يراه أحدٌ والذي يضايقُ الآخر في كل شيء . على كل حال ، لقد قمعت من هم أدهى منها . .

فينيروفسكي : مزعجة هذه الحفلات الحمقاء التي علي أن أتحمّلها ، في حين أن القضية ملتبسة جداً .

بيكليشوف : ديه ! وكأن هذه الحفلات تفرض عليك التزامات ! قلتُ لك : أنتَ مثاليٌّ ، تخشى دائماً أن تسيء التصرف . دَعْ هذا الهمّ . لا الشريفُ ولا اللئيم موجودان عند هؤلاء الناس . وإلاّ كنتَ المخدوعَ دائماً . انظرْ إلى الأشياء ببساطة . إذا كان عليك أن تُنْقذ صديقاً من مغارة لصوص ، فهل تخشى أن تَخْدع هؤلاء اللصوص . والأمرُ كذلك معهم . كل شيء متوقّف على واقعة الزواج وإلا فسوف يُقْمع الشيخ ، قبل هذا اليوم المشهود على الأقل ، على يد خادمك المتواضع . لا تهتمّ بذلك . كل شيء سيتّم على أحسن وجه . أقسم لك . هيّا إذن .

(يدخلان البيت . يسارع الخدمُ إلى النوافذ) .

المشهد – ٨ –

« يدخل الطالب وكاترين ماتفيفنا » .

الطالب : ما هذه الحركة ؟ أهي فضيحةٌ صغيرة تحدث ؟

كاترين ماتفيفنا : رسولُ حرية المرأة يتزوج صبيّةً ، نعم صبيّةً تافهة ، وغير متطوّرة . انظرْ أين يظهرُ ضعفُ المبادئ .

الطالب : هذه مفاجأةٌ حقاً .

كاترين ماتفيفنا ، **تنظر من النافذة** : انظرْ ، انظرْ ، الناسُ يباركونهما ، وهما يركعان . أجدُ هذا مفرط الخسّة ، مُفرط التحقير للكرامة الإنسانية .

الطالب ، ينظر هو أيضاً : سنيورٌ حقير ، لقد عبّرتُ لكِ عن رأيي ، لكنكِ لم تكوني تشاطرينني إياه .

كاترين ماتفيفنا : لا ، اسمعْ ، هذا مُقْرفٌ ، أليس كذلك ؟

الطالب : نعم ، هذا هو التطور الناقص . يا له من متحرّر صغير في دائرة الرسوم .

كاترين ماتفيفنا ، ناظرةً دائماً : وهما يتعانقان : أية علاقات حيوانية ! نعم ، عندما نرى هذا الذلّ ، فمن السهل أن نفقد إيماننا بالتقدّم . هذا درسٌ لكَ ، يا الكسي ، بافلوفتش . لكنني فوق ذلك. نعم، الكسي بافلوفتش ، أنتَ الطبيعةُ الشريفة الوحيدة بين هؤلاء الأوغاد. أنا أقدّركَ .

الطالب : نعم ، لكن ، لو كان عندنا المزيد من النساء مثلكِ ! ومع ذلك فقد أقاموا هنا احتفالاً رائعاً .

ستار .

الفصل الثالث

اللوحة الأولى

« شقة بريبيشيف في مركز المقاطعة . الخدم يرتّبون مائدة الاحتفال ».

المشهد – ١ –

« ايفان ميخايلوفتش ، ماري فاسيلييفنا ، المربّية ، نيكولاييف وهو ملاك ريفي ورجلٌ ضخمٌ له شارب » .

ايفان ميخايلوفتش : وهل لبستْ الخطيبة ؟ لقد آن الأوانُ ، وتجاوزت الساعةُ السادسةَ .

نيكولاييف : نعم ، يا ايفان ، لولا حبّي لك لما رضيتُ بأن أحضر هذا الزواج . وأنا أحضر من أجلكَ فقط . لا أُحبّ هذا السيد . وما هذه الطريقةُ في التصرّف ؟ انتظرْنا مرّتين دون أن يُطلّ علينا . ما هذا ؟ لا يأتي ليتعرّف إلى أقارب خطيبته ؟ وهل يحتقرُنا إذن ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! ما هذا الكلام ؟ ماذا تريد منه ؟ ليس له أهل يعلّمونه العادات ، ثم هناك همومُ الزواج . . . فالزواج ليس مزحةً ، ولا بدّ من شراء كل شيء ،

وترتيب كل شيء . ولعل الوقتَ لم يُسْعفه. أنت . منزعج جداً . أنتَ رجل طيب ، لكنك سريع التأثر .

نيكولاييف : لا ، يا صديقي ، لا تَعْذرْهُ . . . لو كان ذلك مرةً واحدةً لقبلنا ، لكننا انتظرناه أمس حتى السادسة . كان يجب أن يُعْلمنا بأنه لا يريد أن يتعرّف إلينا باعتباره سيداً عظيماً — كنا عامنا بذلك وكنا جلسنا إلى المائدة منذ الرابعة ؛ على الأقل ، ما كان الطعام ليُسخّن من جديد . لا ، يا عزيزي ، لا أُحبّ الانتظار .

ايفان ميخايلوفتش : اوه ! تفسيرك ظالم . لم يكن قصدهُ سيئاً . . . فهو رجلٌ مرموقٌ ، ذكي ، متعلم . . . وعندما تعرفه معرفةً أفضل فستُغيّر كلامك . كنت أقول الشيءَ نفسه قبل معرفتي به . كلُّ ما في الأمر أن عائقاً عاقَ ... ثم يجب أن تأخذ بعين الاعتبار ، يا صديقي ، أن الزمن تغير ، فلم تعد الأمور كما كانت في أيامنا ، تغيّرتْ شروطُ الحياة ، وبليتْ كثيرٌ من العادات .

نيكولاييف : تذكّرْ كلماتي. ستُلاقي متاعبَ في هذا اليوم بالذات ... ماذا تقول ؟ منذ هنيهة فعلَ الشيءَ نفسه : كان عليه أن يأتي ليأكل الفطائر ، وانتظرناه حتى الساعة الثالثة . ومع ذلك فلم يأتِ ، وأكلنا فطائر حامضة . تذكّرْ كلماتي . بل إني أتساءل ، يا صديقي ، (يأخذه على حدة) . إن كنتَ لم تلحقْ به غُبْناً فيما يتّصل بالمهر . قلْ لي الحقيقة كاملةً . هل أعطيتَه شيئاً ؟ أو أنك لم تُعْطه بعد ؟

ايفان ميخايلوفتش : أعترفُ لك ، يا صديقي ، أنه لم يطلبْ مني شيئاً . في البداية ، حدّثْتُه عن ذلك ، لكنه أبى الحديث . وحدّثتُه مرةً ثانية فكانت النتيجة نفسها ، وأجابني : لا حاجة بي إلى المال . . . وبعد ذلك ركبتْ زوجتي رأسَها . . . حينئذ صمّمتُ أن أؤجّل . قلتُ في نفسي : هو يعلم أنْ ليس عندي سوى بنت وأنني سأخصّص لها أملاك فولوكولامسكوي ؛ سأرىَ كيف سيعاملها ، ويمكنني أن أعطيه هذه الأملاك . أما الجهاز فأستطيع أن أقول : إنه تام .

نيكولاييف : الجهاز ليس شيئاً ، يا صديقي ، ليس سوى خرقٍ . هؤلاء الشباب الأشدّاء اليوم يحبّون المال أكثر ممّا نحبّه ، ولا سيمال المالَ نقداً . ليس هذا حسناً ، فقد يخدعك خدعةً خبيثة ؛ سترى .

ايفان ميخايلوفتش : يا للغباء ! لكن انتظرْ ، أي « مادير » سأذيقُك إياه ، خمر معتّقة منذ عشرين سنة — مُتعة !

نيكولاييف : دقيقة ، اشرحْ لي كيف سيتم الاحتفال . هل سيكون حسب التقاليد ؟ نقودُ العروس إلى الكنيسة — وبعد ذلك؟

ايفان ميخايلوفتش : بعد ذلك ، ستذهبون إلى بيته ، بدون والديْ العروس طبعاً ، حسب العادة . ومن المحتمل أن يقدّم لكم الشاي . . . كما تعلمُ ، والسكاكر ، والفواكه للفتيات ، ثم الحساء في أقداح ، والسمك . . . وليمةُ عزب . . .

وتحضرون سفَرَ العروسين . وسنأكل ونشرب على صحتهما . . . وأيّ « مادير » ، أيّ خمر هنغاري ! ليتاك تعلم . أبي جاء به من إحدى حملاته منذ خمسة وأربعين عاماً . . . وأخيراً نقدّم العربة . . . ونضع فيها الجهاز ، ونبارك العروسين ، وسيسافران إلى الخارج ، إن شا الله .

نيكولاييف : يا لهذا الابتكار الأحمق ، وإن يكن انكليزياً ! الإنكليز ، على العموم ، يبتكرون بعقل ، أمّا ما تفعله هنا فهو غباء ! كيف يجوز السفرُ بعد الزواج ؟ هذا جائز لك لأنك تملك عربةً فخمةً ووصيفةً وغير ذلك ، لكن كيف تكون الحال عندما يكون الناس فقراء ؟ هل يسافرون في عجّالة وبدون خدم ؟ . . . ثم ، بدلاً من أن نترك للعروس الوقتَ كي يذهب عنها روعُها ، تصرخ بها : حا ! دي ! تَقَلْقلي ! . . . هذا حُمْقٌ !

ايفان ميخايلوفتش : ما الحيلةُ ، يا صديقي ؟ هذه هي البدعة الجديدة . لكنّ في هذه البدعة شيئاً حسناً . (يدخل الخادم حاملاً أواني فضيّة وصحوناً) . ما الأمر ؟ أرسلتُه إلى بيت العريس ليحمل هذا كله . . . فالعزبُ ، كما تعلم ، قد يحتاج إلى شيء من ذلك . . . (للخادم) . ما الأمر ؟

الخادم : **قال** : « لا حاجة بي إلى هذا » .

ايفان ميخايلوفتش : مَنْ الذي قال هذا ؟

الخادم : السيد نفسه خرج وقال لي : لا حاجة بي إلى هذا ، أرْجعْ سماتك .

ايفان ميخايلوفتش : أرأيتَ ، عنده كل ما يلزم . لا بد أنه حصل على ما يكفيه . وكيف لا يُرهَقُ شابٌ بالعمل ؟ (تمرّ خادمة) . ماذا ، ألم تنته العروس بعد ؟

الخادمة : ما زالت ترتّب شعرها .

(تنصرف) .

نيكولاييف : وهل أهداها هديّةً ؟ مجوهرات ، أو شالاً ، جرياً على العادات ، كما تعلم .

ايفان ميخايلوفتش : هيه ! مَنْ الذي يهدي هدايا اليوم ؟ ثم ماذا يعطي ؟ الحبّ هو الثمين لا الهدية . أعطاها مقصّاً ، أعتقد...

نيكولاييف : تستطيع أن تبصق في وجهي إن لم تحدث اليوم فضيحةٌ مُخْزية ! ما هذه البدعة التي تتحدّث عنها . لا يتزوج المرءُ كلَّ يومٍ مرةً ، أليس كذلك ؟ إن كان هذا لا يرضيه ، فليُرْضِ الفتاةَ على الأقل . . . هذا مُفْرِحٌ لها . ما هذا المقص بأربعة فلوسَ ؟ . . . لا معنى له . . . لو ذهبتُ إلى النساء . . . آهِ ! هذا هو الوصيف .

المشهد — ٢ —

« يدخلُ الوصيف » .

ايفان ميخايلوفتش : وهل جاء العريس ؟ نحن جاهزون . ليوبوتشكا ، انتهيتِ .

صوت ليوبوتشكا : أنا آتية .

الوصيف : هو بالسترة الرسمية .

ايفان ميخايلوفتش : كيف ؟ ما هذا ؟ يجب أن تقول له أن ليوبوتشكا ستر تدي ثوب الزفاف الأبيض ، اذهبْ وأَخطرْهُ بسرعة .

نيكولاييف : قلتُ لكَ : ستحدثُ فضيحةٌ .

(يخرج الوصيف) .

المشهد – ٣ –

« تدخل ماري فاسيلييفنا ، المربّية ، ليوبوتشكا ، بطرس ، الآنسات والخادمة » .

ليوبوتشكا : أأنا جميلة ، بابا ؟

الآنسة الأولى : كم تناسبُكِ أزهار البرتقال . ستُعطينني واحدةً من إكليلكِ ، إذا شئتِ .

الآنسة الثانية : ماذا ، هل ستضعين شالَ العروس ؟

الآنسة الثالثة : كيف يجوز هذا ؟ شيء ماوّن مع ثوب العروس ؟

الآنسة الأولى : لكنْ بما أنه بالسترة الرسمية .

الآنسة الثانية : شيءٌ لا يُصدّق !

ليوبوتشكا : سأحاول ، لأنه طلبَ ذلك مني . يجب أن أضعه . (تدور أمام المرآة) . لا . مستحيل . وسأضعه في جيبي .

الوصيف : انتظروا . . . باركوها . . .

نيكولاييف ، يباركها ويقبّلها في جبينها : ليَمْنَحْكِ الله السعادة . ما أجملَها !

(ليوبوتشكا تقبّل الجميع . النساء يبكين) .

المشهد — ٤ —

« يدخل الطالب وكاترين ماتفيفنا ويقفان بصمت » .

ايفان ميخايلوفتش : ليُسْعدْكِ الله ! . . . كفّيَ عن البكاء ، نيانا ؛ هذا غباء . . .

المربّية ، باكية : لن أراكِ ، يا شمسي ، بعد الآن أبداً .

ليوبوتشكا ، للوصيف : انتبهْ ، لا تضعْ الإكليل(١) على رأسي . بيتروشا ، ضَعْهُ أنتَ على رأسه .

ماري فاسيليفنا : لا تَنْسَيْ أن تضعي قدمَكِ قبله على السجادة . هل أخذتم الشموع ؟ نيانا ، خذي هذه النقود . . . ارميها عند أقدامهما . . .

المربية : سنفعل كلّ شيء . . .

نيكولاييف : أنا واثق من أن الفضيحةَ ستقع .

ايفان ميخايلوفتش : حسناً ! لنقدّم الشكرَ لله . . . والآن ، يجب أن نُعدّ كل شيء...لم يحن أوانُ الوداع بعد ،أليس كذلك ؟

(يخرج الجميع واحداً واحداً ، ما عدا الطالب وكاترين ماتفيفنا)

---

(١) لا تضع الاكليل : أثناء مراسم الزواج .

« كاترين ماتئيفنا والطالب » .

كاترين ماتفيفنا : نعم . ما يزال يوجدُ أفرادٌ لم يتأثرْ وجدانهم إن صح القولُ ، إلا بأطراف المفاهيم الجديدة ، دون أن تنفذ هذه المفاهيم إلى دمهم ولحمهم . لقد أخطأتُ خطأ شديداً في فهم هذا السيّد .

الطالب : ذلك لأننا لا ينبغي أن نصدّق الكذب إذا شئنا ألا نقع في الخطأ ، كما كان يقول أستاذُنا في علم النفس . إن هذا لذو طبيعة تافهة . هذه هي النقطة الأساسية .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ ليَ ، اسمحْ لي ! كيف تُفسّر هذا الحدثَ ؟ كل إنسان مُفكّر لا بد أن يعلم ان الانجذاب الذي تشعر به نحو الجمال ليس سوى مظهر منحطّ للطبيعة البشرية . فكيف يمكن لشخصية مثل شخصية هذا السيّد ألاّ ترى بشاعة هذا الهوى كلها ، وعمق هذا التردّي كله ؟ كيف لم يدرك أنه لا مجال لنهوض مَنْ وَضَعَ قدميه في هذا الوسط ، وخضَعَ لأحكامه المسبقة ، وتنفّس هواءه القاتل؟ ومع ذلك فهو يفهم حريةَ المرأة . وأنا أملكُ أدلّةً ...

الطالب : هو ، بأعماق طبيعته ، سنيورٌ تافه . هذا كل شيء . كَفَتْني نظرةٌ خاطفةٌ أَلْقيتُها على هذا الرجل لأتأكّد من أن كل شيء فيه زائفٌ . مهما قلتِ فان رجلاً يعمل في دائرة الرسوم ، ويملك شقةً وعربةً ، ويحصل على

مرتّب يبلغ ألفي روبل ، لا يمكن أن يكون رجلاً حديثاً ؛ إنه « سنيورٌ » جديد ، هذا كل شيء . وكيف لا ! وقد قال أمامي ذات يوم : إن الطلاب صِبْيَةٌ ! . . . هذه هي فكرة هؤلاء السادة ! كل هذه الجماعة الكريمة تافهةٌ لا قيمة لها ، يا صديقتي المحترمة ! شبعتُ من ذلك كله ! يجب أن أذهب إلى موسكو .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، لقد نَفَذْتَ إلى طبيعته بحدْسٍ سلك الغضّ خيراً مني . تذكّرتُ الآن أنه قال لي : إن المنعكسات ضارّةٌ ! سيّدٌ تافة . . . وينحطّ هكذا بزواج مسرفٍ في تفاهته ، تحيطُ به رموز التفاهة ! والزواج بمَنْ ؟ بشخصية تافهة . .

الطالب : هيه ! لا ، البنتُ ليست سيئةً . . . كان بوسعها أن تتطوّر أكثر . ففيها إمكاناتٌ . . . لكن الوسطَ حطّمَها . إني أضجرُ ، وسأسافر إلى موسكو . . . سأحضر المحاضرات هناك وسأشتغل .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي . ليس في موسكو محاضرات تَحضُرها . والأساتذة لم يتطوّروا فيها كثيراً . أنا نفسي أحبّ أن أذهب إلى بطرسبرج أو إلى موسكو لأتعلّم شيئاً من الفيزيولوجيا . . . نعم ، هذه قناعتي . لكن دروس أيّ أستاذ أحضر ؟ ليس في بطرسبرج أحد .

الطالب : اوه ! ومع ذلك فهناك رفاقٌ أحياء لا يفوحُ العفنُ منهم كهؤلاء الذين هم هنا .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، أنتمْ أحسنُ حظاً منّا . بينما نحن ، النساء ، كيف نستطيع أن نرتّب حياتنا ؟ أنا أيضاً كنتُ أنوي السفر لأدخل الجامعة ، لكن يجب أن أعْرف موضوعياً الشروطَ التي سأعيش فيها هناك ؛ لأن من الصعب علينا ، نحن أصحابَ التقدّم ، أن نكتشف الطريق التي لا نكون مُضْطَهدين فيها على أيدي الرجعيين والمحافظين . لم أعدْ أطيقُ البقاءَ هنا. أحسّ بذبول جميع الأسس الشريفة والمتحرّرة في طبيعتي والتي تشكّل قوتي . وعما قريب ــ شيءٌ رهيب ــ بدلاً من أُشْبهُ مَثَلي الأعلى ، أصبح أقربَ إليه فقط . . . ما العمل ، الكسي بافلوفيتش ؟ إن لك طبيعة غضّةً ، كريمةً ، لم تفسدْ ، وأنت ترى بوضوح أكبر مما أرى . أنقذْني ! أنقذ المرأة التي تضيعُ ، المرأة الحرة ، ولعلها المرأة الوحيدة الحرة كلّياً . نعم ، أحسّ أنني أضيع ؛ وأن الفرح بالتحرّر من الأحكام المسبقة ينطفيء ، هذا النور الذي كنتُ أحيابه . لقد صدمني هذا الرجلُ صدمةً رهيبةً ، وزعزع إيماني بالتقدّم . أنقذْني ، الكسي بافلوفتش ، فأنت رجلٌ نقي ، رجلٌ حقيقي ! . . .

الطالب ، **متأثراً** : ما أشرف شخصيتك ! . . .

كاترين ماتفيفنا : لا ، اسمحْ لي ! أنا أذبل ، وهم جميعاً سينتصرون ، سيقولون : انظروا ، لقد كانت تريد أن تكون حرّةً ، لكنها مثلنا . وسيشمتون . . . علّمني ما يجب أن أفعله . . .

أنا أقدّركَ تقديراً عميقا ، أنتَ وحدكَ بين هذه الجماعة التي تُحيط بي ! . . .

الطالب ، يشدّ على يدها: أستطيع أن أقول : إني لم أعرفْكِ قبل هذه اللحظة . كان يبدو لي — سأكون صريحاً تماماً — أنكِ لم تكوني متشبّعة كلياً بقناعاتنا . أما الآن فأنا أرى بوضوح علوّ مفاهيمكِ وصدقَها .

كاترين ماتفيفنا ، تشدّ على يده شدّاً موجعاً : نعم تألمتُ كثيراً وفكّرت كثيراً . بالنسبة إليّ لا رجعةَ إلى الوراء . إني أكره التخلّف عن العصر ، وأنا أنتمي كليّاً إلى الأفكار الجديدة . لاشيء يمكن أن يوقفني ، وأنا أقدّرك ، أقدّرك تقديراً عميقاً . قلْ لي : إلى أين أهرب حتى أتمكّن من التنفّس بصورة أسهل . كل ما يحيط بي هنا يَضْغط عليّ . نصيحتُكَ وحدها هي التي سأتّبعها . أنا أنتظر .

الطالب ، يفكّر : نعم ، أنا أعرف حلقةً تستطيعين أن تشغلي فيها المكان الذي أنت مؤهلّةٌ له . نعم . لكنني أخشى مع ذلك أن تكون هذه اندفاعةً ، وأن تخافي بعد ذلك . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ، كيف تستطيع أن تُثْبتَ ذلك ؟

الطالب : انظري ، أنا نفسي شبعتُ من الحياةَ في موسكو ، من الفقر ، ومن فقدان العمل المأجور بانتظام . أما التسكع في قاعات المحاضرات والاستماع إلى ثرثرات الأساتذة الفارغي الرؤوس . . . وأما تعليم الأولاد ذوي الآباء الممتلئي الجسوم ، فقد كان أيضاً أشدّ غباءً . كنتُ أطمحُ إلى

حياة مختلفة . وفي بطرسبرج حلقةٌ من الناس شرعوا بعمل حسن . لقد أسسوا مشاعيّةً ، وإلى هؤلاء الناس أريد أن أنضمّ . . . .

كاترين ماتفيفنا ، ممسكةً بيده : الكسي بافلوفيتش ، أوضحْ لي الأمر ! أحسّ أن هذه المشاعية مكونةٌ ، على وجه التحديد ، من هؤلاء الشخصيات الذين أبحث عنهم . . . الكسي بافلوفتش ، إني أرتجف من الانفعال . . . أنْقذني !

الطالب : وهؤلاء الناس يعيشون في بطرسبرج . أحدهم صديقي . تخرّج من المدرسة الدينية . وهو معروفٌ في العالم الأدبي بفضل نقده لقصة : « طيور الترنجي » ، ولعلك قرأتِها ؟ ومقالته هذه لافتة للنظر ، لأنه يَعْرِض فيها آراءَه عن تقدم الأفكار في مدارسنا الدينية .

كاترين ماتفيفنا : مقالة لافتة للنظر ، قرأتُها . مقالة بديعة ، بديعة .

المشهد ـ٦ـ

« يدْخل بيتروشا ويقف من غير أن يُلاحَظَ ، ويستمع » .

الطالب : فهذا السيد كتبَ إليّ يقول : إنهم نظّموا في بطرسبرج مشاعيةً . كانوا في البداية ثلاثةً : طبيباً ، وشاباً لا صنعة له ، وطالباً . مشروعٌ عظيم الأهمية . يجب أن أقول لكِ : إنهم اجتمعوا من أجل الحياة المشتركة . فالسكن والغذاء والدَخْلُ والنفقات ، كل ذلك مشتركٌ عندهم . وهم يسكنون شقةً جميلة ، وتعيش معهم امرأتان . كلٌ منهم

ينهمك فيما يحلوله ، واكل غرفتُه ، وهناك فوق ذلك غرفةٌ مشتركة . والنساء يعشْنَ معهم دون أن يَرْتبطن بأيّ التزام . هنّ حرات ، يشتغلن . . . بشغل المنزل . . . وبالأدب... الزواج غيرُ موجود، والعلاقات حرة تماماً. بدؤوا بعدد صغير ، وهم الآن ثمانية عشر ، على ما قيل لي ، وعددهم آخذٌ في الأزدياد . أنتِ تدركين الأهمية العظيمة التي يمكن أن تكون لهذا المشروع . وفضلاً عن ذلك ، كتبَ إليّ رفيقي : إنهم قد لاقوا بعض المزُعجات التي مالبثتْ أن أُزيلتْ ، وأن الحالة النفسية لهذه المشاعية لا يمكن تصوّرها . والناسُ يتغيرون تغيّراً تاماً منذ أن يصبحوا أعضاء فيها .

كاترين ماتفيفنا : والمرأةُ حرّةٌ فيها ؟

الطالب : كليّاً . الخطرُ الوحيدُ الذي يتهدّدهم يأتي من الحكومة ، إذ من المفهوم أنّ مثل هذه المؤسسة لا بدّ أن تكون لها أهمية عظيمةٌ . هذا هو المشروع الذي تحقّق ، وهكذا أستطيع أن أعيش بدلاً من أن أُعلّم ولداً ضخماً لأب ضخم . لو كان عندي فقط بعض الموارد الصغيرة . نعم لم أكلّمْ أحداً عن هذا ، لأن هذا الشيء يهمني جداً . لكني أقوله لك الآن ، لأنني أرى أن المسألة ليست تولّعاً عابراً وإنما هي قناعةٌ قوية . . .

كاترين ماتفيفنا تضرب رأسها ، بشدة : بديعة ! تلك المشاعية ! إنها فكرة عظيمة ! هذا مدهش ! نعم ! إني أرى في

روسيا فجرُ التقدم الحقيقي يبزغ ! نعم ، تفير دنيسكوي ، أنا واحدٌ منكم !

الطالب : آه ! كيف تنكشف الطبيعةُ الشريفة ! ومع ذلك ، فكرّي . القضية جميلة جداً ، لا جدال في ذلك ، لكن . . .

كاترين ماتفيفنا : أنا عضوةٌ في المشاعية . . اكتبْ إلى صديقك ، أنّ للمشاعية منتسبيْن جديدين منذ الآن :
أنتَ وأنا . ومن جهتي ، سآخذ المال الذي بحوزتي ، وسأكتب إلى إيفان ميخايلوفتش لكي يبيع أرضي ويرسل المال إلى المشاعيّة ، وسوف أذهب معك إلى بطرسبرج . وسأشرع بكِتابي عن أهمية العمل الفكري النسائي . تفير دنيسكوي ، لقد أخطأتُ مرةً خطأً شديداً ! أنتَ لن تخون مبادئنا ؟

الطالب : لن أحترم نفسي إذا أمكنني أن أخونها ؛ سنسافر ، وكلما كان ذلك أسرع ، كان ذلك أفضل .

كاترين ماتفيفنا : إلى اللقاء ، سأكتب إلى ايفان ميخايلوفتش ، وسأشرح له كل شيء في الرسالة ، لأني لا أريد أن أراه بعد الآن .

الطالب : هناك أيضاً ظرفٌ سيّء ؛ لقد طلبتُ إليه سلفةً بثلاثين روبلاً .

كاترين ماتفيفنا : ليس معي ثلاثون روبلاً ، لكني سأكتب إليه ليخصمها من ثمن أراضيّ .

الطالب : لا شك أن المشروع الذي نشرع به من الأهمية بحيث يمكن أن تُنحّى جانباً الاعتباراتُ المالية . غايتُنا تبرّر الوسائل .

بيتروشا ، يظهر : اسمحْ لي أن أقول لك : إنني لست ابناً ضخماً لأبٍ ضخم ، لكنني إنسانٌ يدرُك غاياته مثلك . من الخطأ التفكير هكذا .

الطالب : كنتُ أتكلّم على العموم ، دون تطبيق شيء عليك .

بيتروشا : ليس ذلك نبيلاً ، بل إنه حقير . جئت لأقول لك : إنني ، أنا أيضاً ، لا أريد أن أبقى في هذا البيت . فحصتُ وضعي واقتنعت أن الأسرة هي العقبة الأساسية أمام تطوّر الفردية . يريد أبي أن يبعث بي إلى المدرسة الثانوية ، على أنني متأكدٌ أنني تخطّيتُ بالتطورّ جميع أساتذتي . قرأت منذ فترة وجيزة « بوكل»(١) . إنه يقول الشيءَ نفسه . سأذهب إلى موسكو .

الطالب : ستثيرُ فضيحةً ، هذا كل شيء . لن يُسْمَح لك بالذهاب .

بيتروشا : لستُ طفلاً الآن . حدّثتُ أبي . هو يطلب أن أبقى في الثانوية ، لكني سأذهب وحدي إلى موسكو ، وسوف أذهب .

الطالب : بطرس ايفانوفتش ، ستُحدث فوضى عظيمةً لا أكثر . . . لا نستطيع أن نأخذك معنا .

بيتروشا : سمعتُ حديثكما . سأدخل المشاعية معكما وسأدرسُ العلومَ الطبيعية . لم أعد أطيق نبرَ السلطة الأبوية .

---

(١) بوكل (١٨٢١ ــ ١٨٦٢) مؤلف تاريخ مشهور هو : تاريخ الحضارة في انكلترا ، وكان يقرأ كثيرا في روسيا ، في هذه الفترة .

الطالب : أنت تتكلم دون تفكير . ما تزال صغيراً .

كاترين ماتفيفنا : تفيردنيسكوي ، أنتَ تنسى واجبك . ليس لنا الحق في قمع حرية هذه العاطفة الشابة واندفاعتها . يا بطرس بريبيشيف ، سأرشّحكَ لعضوية المشاعيّة .

بيتروشا : كاترين ، أنا أقدّرك . متى تسافرين ؟ اليوم ؟ إذن ، سأحزم متاعي . سأمرّ فقط على فينيروفسكي ، لأنني أرغب في أن أرى هذا الاحتفال الحقير لكي أزداد سخطاً .

الطالب ، برفق لكاترين ماتفيفنا : أخطأتِ حين ضمَمْتِهِ إلينا . هذا صبيّ .

كاترين ماتفيفنا : تفيردنيسكوي ، الناسُ جميعاً متساوون ، الناس جميعاً أحرار . هيا ، يجب أن نستعدّ ونكتب رسائلنا . بطرس ايفانوفتش ، اعرضْ مفاهيمَك لوالدك .

بيتروشا : إني أفكرّ في ذلك . . . الأسرةُ عقبة . . .

(ينصرفون)

ستار

اللوحة الثانية

« بيت العريس . شقة عزب بالية ، بدون أية استعدادات . أوراق وحقائب مبعثرة » .

المشهد – ١ –

بيكليشوف ، موظف ، شيخٌ قصير ، قريب العريس ، بعقدة فراشة ؛ الحارس الذي يحزم المتاع » .

القريب : كيف ذلك ، سيرج بيتروفتش ؟ أهكذا سيُسافر ؟ أعتقد أن هذا لا يجوز .

بيكليشوف: هكذا سيُسافر ، يا سيدي . هذا ما يلزم . سيعود من الكنيسة ، ويرتدي معطفه ويسافر . وقد قلتُ لك : إن أناتول دميتريفتش لن يكون مسروراً برؤيتك ، سوف تتأكّد من ذلك . لو كان الزواج احتفالياً ، لكان ذلك مقبولاً ، لكنهم يريدون أن يُتمّوا ذلك بأكبر قدر من التكتّم .

القريب : حسناً ! سأنصرف إذا أردْتُم ، لكني أقول في نفسي : إن ابن أخي لن يجد فيّ ما يَخْجلُ منه أمام أهل عروسه . لو كان أخوه نيكيتا ، وهو رجل فاسق ، أولو كان ابن عمي ، لحقّ له حينئذٍ ، في حين أني أنا مستشار في الكلية(١) ورجلٌ معروف . لن أغضّ من قدره .

(١) مستشار في الكلية : مرتبة مدنية من الدرجة السادسة تعادل رتبة عقيد في الجيش.

بيكليشوف : ليست المسألة هنا ، يا عمّ . ليس هذا زواجَ تُجّار(1) ، ولقد تقرّر أن العروسين ، عندما يخرجان من الكنيسة ، سيركبان عربتهما ويسافران إلى الخارج . (يخاطب الحارس). هل العربة جاهزة ؟ لا تنسَ أن تضع المفتاح تحت المقعد الأمامي . والدهن ؟ إذا لم أهتم بكل شيء أنا نفسي . . . وخذْ هذه الحقيبة . (للقريب) . أوه ! أنت ! لشدّ ما تُزعجني ! . . . ولماذا وضعتَ هذه الربطة البيضاء وهذا الوسام ؟ . . . كل هذا مضحك . انظر ، أنا بالسترة الرسمية ، والعريس كذلك .

الغريب : أنا راجعٌ ، أنا راجعٌ . قلْ لي فقط ، هل تلقّى « توليا»(2) مهراً حسناً ؟

بيكليشوف : ما « توليا » هذه ؟ . . . رجل ابن خمسة وثلاثين عاماً . . . لم يتلقّ شيئاً . خدعوه .

الغريب : لا ، لعلك تمزح ؟ أنتم لا تحسبون حساباً للقرابة ، أما نحن ، أبناء الزمن القديم فكنا نأمل . . . قلْ لي الحقيقة ، كيف ، « لم يتلقّ شيئاً » ؟ ايفان ميخايلوفتش ليس فقيراً . مع ذلك . . .

بيكليشوف يقف مقابله ، بينه وبين نفسه : ليُذِعْ ذلك في المدينة .

---

(1) زواج تجار : عندما كان التجار الاغنياء يتزوجون في روسيا ، كانوا يدعون بل يستأجرون شخصا له رتبة ، والافضل ان يكون جنرالاً متقاعدا مزدانا بكل اوسمته ، وذلك لكي يعطوا حفلة الزواج بريقا ورونقا .

(2) توليا : تصغير اناتول .

(بصوت عالٍ) . انظرْ كيف خدعوه . منذ شهرين ،
أعرب عن رغبته في الزواج ، فأرادوا أن يكلّموه في
المهر ، لكنه تصنّع رقّة العاطفة وأجاب إنه ليس بحاجة
إلى ذلك . . . يا لهؤلاء المثاليين !

القريب : يا إلهي ! يا للغباء !

بيكليشوف : ولقد انتظرنا ساعة فساعة . . . وأشْعَرْناه . . . فلم
يُجدِ ذلك شيئاً . كان يتحرّج من الكلام . كان يقول :
سأضيع سمعتي من جراء ذلك ، وهي أغلى عندي من
المهر . . . وكنت أنوي أن أذهب وأعبّر عن رأيي بصراحة ،
لكنه كان يمنعني : انتظرْ ، انتظرْ . . . أما الغبيّ الآخر
فقد صدّق حقاً أن المال ليس ضرورياً في هذا العصر
الحديث ، ولم يُعْطِ شيئاً حتّى الآن . فانظرْ إلى أين تقود
رقّة الإحساس . ! طيب ، يا ايفان ميخايلوفتش . . .
انتظرْ قليلاً . . .

المشهد — ٢ —

« يدخل العريسان والضيوف . التهاني . تجلس الفتاة . يتنحّى
فينيروفسكي جانباً » .

فينيروفسكي : ماذا ، هل كل شيء جاهز ؟ (لقريبه) . مالكَ ، في
الحقيقة ، تضايقني بتهانيك ؟ مع أن أحداً لم يطلبْ منكَ
ذلك . . .

القريب : أهنئك من كل قلبي . توليا . (بهدوء) سمعت أن الأمور غيرُ مُرضية فيما يتّصل بالمهر . . .

فينيروفسكي : ماذا سمعتَ ؟ ما هذه الحماقات ! أنا طلبتُها بلا مهر . . . (يتنحّى) . لِتغربْ عني ، هذه العصابةُ من الأغبياء ! ...

المشهد – ٣ –

« يدخل بيتروشا » .

بيتروشا : آناتول دميتّريفتش ، أنت منذ الآن صهري ، لكني اعتبركَ مجرّد رجلٍ فقط .

فينيروفسكي : أرجوك أن تُعفيني من هذه الحماقات . ماذا تريد ؟

بيتروشكا : كلّفني أبي أن أقول لك : أن تأتي بسرعة إلى العشاءَ . إنه ينوي مباركتكما قبل سفركما . آملُ ألا تذهب . فكل هذا حمقٌ . لستُ أشاطرهم هذه الأفكار . أنا نفسي سأهجرُ منزلَ والدي .

فينيروفسكي : طيّب

(يبتعد هو وبيكليشوف .)

بيكليشوف : أرأيتَ ، يا أخي ؟ لقد تنبّأتُ بذلك . أنتم المثاليون لا تصغون إلى العمليين مثلنا . أرأيت ؟ حصلتَ على المرأة ولم تحصل على المال .

فينيروفسكي : خنازير !

بيكليشوف : لم نخسر المباراة بعد . سأذهب وأوضح رأيي . تستطيع

أنت الآن أن تختار بين طريقين : أن تذهب إلى بيته وتلاطفه وتتملّقه ، أو أن تسافر وتحرّكها . اخترْ .

فينيروفسكي : مَنْ تظنّني ؟ لن أفعل لا هذا ولا ذاك . سأسافر فقط بأسرع ما يمكن . هل رتّبتَ كل شيء ؟

بيكليشوف : نعم ! الحبال ، الدهن . . . فكرّتُ في كل شيء . . . ستسافر إذن بالمركبة القديمة ؟ كنت تنوي السفر في عربة فاخرة ذات أربعة جياد . . .

فينيروفسكي : كيف يمكنني السفر في مثل هذه العربة . نحن ناسٌ فقراء ، ولا نريد أن نُدهشَ أحداً ، على شرط أن يكون ذلك شريفاً .

الضيف الأول ، في الجمهور ، كأن العريس منحرفِ المزاج .

الضيف الثاني : ومع ذلك يجب أن نهنّئه .

الضيف الثالث: نعم ، اذهبْ إليه ، حاولْ قليلا ! سيقطع عليك الكلام . . .

الضيف الرابع : سأطلب منه شمبانيا .

(يشعل فينيروفسكي سيجارةً ويمشي) .

نيكولاييف : حسن ، حسن جداً ! (يقترب من العروس ويمسكها برأسها) . تهانيّ مرةً أخرى . أنا ذاهب إلى أبيك . . . هيّا . . . (بينه وبين نفسه) . يا لها من امرأة صغيرة رُثى لها . . .

ليوبوف ايفانوفنا : انتظرْ ! ماذا ، توليا ، ألا نذهب إلى أبي ؟

فينيروفسكي : من فضلك ، لا تناديني توليا ؛ فهذا ظاهرُ الغباء .

ليوبوف ايفانوفنا : كأنك متكدّر المزاج . أنا أيضاً أحسّ بالانزعاج ... ليس هذا ما كنتُ أنتظرُه .

فينيروفسكي ، بابتسامة متكلّفة : لا ، لا ليس بي شيء . (يجلس بجنبها) . فلي همومٌ كثيرةٌ : يجب أن نستعدّ للذهاب ، وهؤلاء الضيوف الحمقى . . . ماذا يلزمُهم ؟

ليوبوف ايفانوفنا : كيف تريد ، آناتول ؟ كل هؤلاء أقرباء وأصدقاء ، من أقرب الناس إلينا لا غير ، وقد أسخطْنا الكثير منهم حتى الآن . هلاّ ذهبنا إلى منزل بابا ؟ ومن هناك مباشرةً... عندما أفكرّ أننا سنكون في الخارج بعد اثني عشر يوماً . . . ما ألْطفَ ذلك !

فينيروفسكي : لن أذهب إلى منزل أهلك ، يستحيل ذلك عليّ . وأرجوك ألاّ تحزني بسبب ذلك . وماذا سنفعل هناك ؟ كل هذه المراسم أرهقتني . وكيف استطعتُ احتمالها ؟ يا لهذا الغمّ !

ليوبوف ايفانوفنا : وأنا ؟

فينيروفسكي : طبعاً !

الوصيف ، مقتربا : آناتول دميتريفتش ، الضيوف يرغبون في تهنئتك .

فينيروفسكي : حسنٌ ، وما المطلوبُ مني ؟ .

الوصيف : لكن . . . لا بدّ من الشمبانيا .

فينيروفسكي : بيكليشوف ، استمهم نبيذاً ؛ هل عندنا نبيذ ؟ نعم ، ها هو ذا . (يأخذ زجاجةً ويضعها على الطاولة) . ليشربْ مَنْ شاء أن يشرب . ليوبا ، غيرّي ملابسك ، حان وقتُ السفر .

ليوبوف ايفانوفنا : طيب . لكن إلى أين ؟ دنياشا ليست هنا .

فينيروفسكي : ما حاجتُكِ إليها ؟ سأساعدك ، ثم هناك الطاهية . عجّلي ، من فضلك .

(تذهب ليوبا) .

الوصيف : على صحة العروسين !

فينيروفسكي : على صحة مَنْ شئْتَ ، عجّلْ فقط .

التلميذ الثانوي ، وهو يشرب : على صحة حرية النساء ! . . .

فينيروفسكي : آن أوان السفر .

التلميذ : . . . ثم على صحة العلم والحرية ! وأين العروسان ؟ (ينسحبُ المدعوون شيئاً فشيئاً) . وداعاً ، يا سادتي ، أنا ذاهبٌ . على صحة العروسين .

(يرتدي فينيروفسكي معطفه ويضع قبّعته) .

ليوبوف ايفانوفنا ، تظهر : الوداع ، يا سادة ، ! سلّموا على أبي ! وداعاً .

بيتروشا : سنتلاقى . . . أريدُ الحريةَ .

نيكولاييف : قلتُ إنه لن يكون هنا شيء حسن . نَذْلٌ ! يعتقد أن هذه هي البدعةُ الجديدة ! نَذْلٌ !

ستار

الفصل الرابع

المشهد – ١ –

« منزل آل بريبيشيف . الغرفة نفسها التي في المشهد الأول . طاولة موضوعة للعشاء . المدعوون يجلسون زمراً زمراً . آل نيكولاييف . ماري فاسيلييفنا بثياب الأحد . أيفان ميخايلوفتش مع الوسيط»(١) .

ماري فاسيلييفنا : تأخرا . (تنظر إلى الساعة) . وقد حان الوقتُ .

ضيف : لا بد أن الناسَ أخروهما . لنشربْ على صحتهما . (يشرب). وأين صارت قضيتُكَ ؟

الوسيط : ماذا قلتَ ، ايفان ميخايلوفتش،أأنت مصمم بالنسبة إلى الاسترجاع ؟

ايفان ميخايلوفتش : أعطيت، مجّانا أراضي غريتسوف البور ، وتنازلتُ عن المدفوعات الإضافية . أظن أن الفلاحين سيقبلون هذا .

---

(١) وسيط الصلح : موظف ينتخبه نبلاء المنطقة وكانت مهمته تنظيم توزيع الأراضي بين الفلاحين والإقطاعيين . وقد كان تولستوي وسيطا سنه ١٨٦١ .

الوسيط : وكيف لا يقبلون ، ايفان ميخايلوفتش ؟ ستكون الغلطةُ غلطتي إن رفضوا . أظنّ أنه ليس في المقاطعة كلها ، لا في الدائرة وحدها ، ما يُشبه هذا الكرمَ . . .

(يقترب ضيفٌ) .

الضيف : تتحدثون عن أعمالكم ، في مثل هذا اليوم ؟

الوسيط : مستحيلٌ غيرُ ذلك . مهما يكن موضوع الحديث ، فان الحديث يَنْزلق أبداً نحو المكلّفين الموقّتين(١) . هاك مثلاً من معالجة هذه القضايا : إن ايفان ميخايلوفتش يَهبُ الفلاحين سبعة عشر هكتاراً ويُعفيهم من المدفوعات .

الضيف : نعم ، يا سيدي .

ايفان ميخايلوفتش : ما العمل ؟ يجب أن ننتهي من . . .

الوسيط : ما أَعْظمَ ما يفعله الزمن ! عندما أتذكّر اللهجةَ التي كلّمْتنَي بها في البداية . . . كدنا نتخاصم ، أتذكُرُ ؟ بسبب تلك العجوز التي جاءت تشتكي . . .

ايفان ميخايلوفتش : ماكان يمكن للأمور أن تكون غير ذلك . كان ذلك جديداً مسرف الجدّة عليّ ، فاغتظْتُ . . . لم يأتوا مع أن الساعة دقت العاشرة .

الوسيط : وكم يمدحُك الفلاحون ، يضعونك ، أينما كانوا ، في المقدّمة ، لكي يَغيظوا الملاّكين الآخرين .

---

(١) نحو المكلفين الموقتين : هم الفلاحون الذين كانوا يدفعون بعملهم ثمن أسهم الأراضي التي حصلوا عليها بعد التحرير في ١٨٦١ .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، هذه مكافأة حقاً .

الوسيط : وصَدِّقْني أن هذا أنفعُ لك ، ايفان ميخايلوفتش .

ايفان ميخايلوفتش : اوه ! هذا مشكوكٌ فيه ، لكنْ على الإنسان أن يساير عصره .

ماري فاسيلييفنا : هو يقول دائماً : إن ذلك سيكون أنفع . وكان يرى أن البيان حسّن الأشياءَ ، لكنه مع ذلك ، يغضب لأن الفلاحين لا يعملون . ما رأيكَ ؟ هل الأمور تسير سيراً أفضل منذ تحرير الفلاحين ؟

ايفان ميخايلوفتش : لا شك أنه أفضل . (يقتربُ من السيدات) . عمَّ تتحدّثن ؟ .

ماري فاسيلييفنا : نتذكّر زواجنا . رويتُ لهن أنك كنتَ تخيفني ، أتذكر ؟ وأنك جئتني بخاتم من الماس . ولم أكن أنوي قبوله . وأنك رقصتَ معي ، في الحفلة الراقصة ، رقصة المازوركا ، ولم أكن أدري مَنْ أختارُ . . . ما أغبانا ونحن شباب ! لكن ما كان أبهج ذلك . . . كانت أمي تحب احتفالات الزواج الفخمة . كل موسكو حضرت زواجنا ... كانَ المدخل مفروشاً بالجوخ الأحمر ، ووُضِعَتْ الورودُ في صفين اثنين ، في صفين اثنين . . .

المدعوة الثانية : نعم ، كان كل شيء مختلفاً في الماضي .

ماري فاسيلييفنا : وما هذا الزواج ؟ زواج برجوازي . أهكذا تُزوَّج البنتُ الوحيدة ؟ .

الوسيط : لا ، لماذا ؟ ليس فيه أبـّهة لكنه لائق . الزواج اليوم يتمّ هكذا. يخرجان من الكنيسة ليصعدا إلى العربة. أنا أستحسن هذا.

ماري فاسيلييفنا : ومع ذلك فقد تأخـّرا .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، كان يجب أن يكون هنا . حسناً ! يا سادتي ، أرجوكم أن تذوقوا نبيذي . أنا ضامنٌ أنكم لم تشربوا قط مثله .

ماري فاسيلييفنا : جان ، اشرحْ لي ، كيف يجب أن تلاقيهم ؟ أين يقف كل واحد ؟ نسيتُ كل شيء .

المدعوّة الثانية : على الاشبينيْن أن يُدخلاهما حال وصولهما ، ونحن نستقبلهما بالخبز والملح(١) . أنتَ أولاً . . .

المدعو الأول : لا . الترتيب المتبّع هو : الوصيف الذي يُعلن وصولهما ، ثم يدخل الإشبينان ، وبعد ذلك فقط الأب والأم . . .

ايفان ميخايلوفتش : ما أكثر هذه العادات !

الوسيط : أحبّ هذا الماضي . فهو خيـّرٌ جداً ، روسيّ جداً .

ماري فاسيلييفنا : يجب ألاّ تبقيهم كثيراً على المائدة ، جان . فأنا أود أن أكلـّم ليوبا قليلاً على انفراد .

المدعوة الأولى : فرحٌ وهموم ، كل ذلك معاً . . . نعم ، هذه لحظةٌ لا تُنسى .

ايفان ميخايلوفتش : انتظروا ، وصَلَ شخصٌ . أيكونان قد جاءا ؟ انهضي ، ماري فاسيلييفنا ، وخذي الخبز والملح ، هنا .

---

(١) بالخبز والملح : علامة الترحيب في روسيا .

المدعوة الثانية : ضعي قطعاً ذهبية في المملحة – ليعيشا عيشةً غنيـَة .

ماري فاسيلييفنا : ايفان ميخايلوفتش ، أَعْطني .

ايفان ميخايلوفتش : في الحال ، وضعتُ بعضاً منها . (الخادمات والمربية ينظران إلى الأبواب ؛ يصطف الموسيقيون) .
انظروا ، منذ أن يدخلا الباب (للخادم) . قدّمْ الشمبانيا ، ثم السمك بعد ذلك و . . . لقد وصلا !

(يتناول الخبز وينتصب ويقف في وسط الغرفة) .

المدعوة الأولى : يا لهذه اللحظة الجليلة !

المدعوة الثاني : بمَ يحسُّ الأب والأم ؟

ايفان ميخايلوفتش ، يقبّل ماري فاسيلييفنا ، والدموع في عينيه : يا عزيزتي ، أهنئكِ . إنه لفرحٌ عظيمٌ لنا .

ماري فاسيلييفنا : آه ! جان . ما أشدّ خوفي وما أعظم سعادتي ، وأنا أجهل نفسي . . . قلْ لي في الوقت المناسب ، وإلاّ ارتبكتُ . . . لقد وصلوا هل ينبغي أن أقف هنا ؟

(تُسمَعُ خطوات، يتخذ الأب والأم وضعَهما، يُحيطُ بهما الأقرباء) .

المشهد – ٢ –

« يدخل نيكولاييف » .

ايفان ميخايلوفتش : لم وصلتَ بدون العروسين ؟ (يشير إلى الموسيقيين) هس ! . . . بُلْهٌ !

(يتوقّف الموسيقيون) .

نيكولاييف ، أشعث الشعر : لا ، لم أر في حياتي مثل هذه النذالة .
(يرمي قبعته في الأرض) . لقد تنبأتُ لكَ بذلك ، أيها الأحمق العنيف ! لا ، يا صديقي ، لن أسمح لأحدٍ بأن يَهزأ مني . لم أعد أخاك أو صديقَك ، ولا أحب أن أتعرّف عليك بعد الآن ! هذا ما عندي ! (لزوجته) . صوفيا اندريفنا ، لِنَذْهبْ .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا يقول ؟ ما بهِ ؟

ماري فاسيلييفنا : وأين العروسان ؟ جان ، سأَرْتَبِكُ .

نيكولاييف : نعم ، اذهبْ وقبّلْهما ، الحقْ بهما ! . . .

ايفان ميخايلوفتش : نكن ما الذي جرى ؟ لا تُعذّبني ، ما بكَ ؟ لماذا ؟ . . .

نيكولاييف : لقد سافرا . هذا ما بي . بصقا في وجوهنا جميعاً وسافرا .

(يجلس على أريكة فيتجمّع الأفراد حوله) .

المربية : وكيف ، بلامباركة ؟

المدعوة الاولى : هذا غير ممكن !

المدعوة الثانية : هذا لا يُصدَّق !

ماري فاسيلييفنا : آه !

(تتهالك على مقعد فتُهرع المربيةُ إليها) .

ايفان ميخايلوفتش : وهو ما يزال ممسكاً بالصينية : نيكولاييف ،

لا مزْح بهذه الأشياء . . . أين هي ؟ أسألك . (للخادم) .
أين العروسان ؟ تكلّمْ !

الخادم : سافرا .

ايفان ميخايلوفتش : هل جُننتُم ، أنتم الآخرون ، أم ماذا ؟ هل رأيتهما بعينك ؟

الخادم : وكيف إذن ؟ أنا وفيدور وضعناهما في العربة .

ايفان ميخايلوفتش : في العربة ؟ في أيّة عربة ؟ سأقتلك ، يا وغد !

(يرمي بالصينية ويهجم على الخادم الذي يفرّ) .

ماري فاسيليفنا : جان ، ماذا تفعل ؟ من فضلك . . .

(ايفان ميخايلوفتش يقف ويعود متفكراً .)

نيكولاييف : نعم ، يا صديقي ، هذه هي البدعة ، آخر بدعة . أنا أرثي لك وأشتهي أن أضحك . أقدمْ على الحماقات إن شئت ، لكنْ لا تضعْ الآخرين في مواقف حمقاء . لولا أنني أعطف عليكَ لتركتُكُ دون أن أقول لك كلمةً .

المدعوون : لكنْ ما الذي حدث ؟ وكيف يسافران بلا مباركة ؟ . . .

الوسيط : وكيف بعربة ؟ هذا مستحيل .

نيكولاييف : تنبّأت أنه ستحدثُ دناءَةٌ ، وكنت أتوقّع ذلك ، لكنه طمأنني كثيراً حتى ذهبتُ إلى الكنيسة . ولقد جاءَ هذا القليلُ الأدب إلى الكنيسة بالسترة الرسمية وبالبنطال الأزرق . . . طيب . أردت أن أقود الخطيبةَ ، حسب العادة ، لكنه أصْعدها إلى مركبته . قلتُ في نفسي : آه ...

وقررتُ ألا أذهب . ألـّحت علي صوفيا اندريفنا . . .
انتظروا . . . ماذا حدث بعد ذلك ؟ . . . قالت لي : ستجرح
ليوبا . . . فهو يجهل العادات . . . قلتُ : طيب ، سأذهب .
أنا أعطف على ليوبا .

ايفان ميخايلوفتش : نيكولاييف ، أنتَ تمزح . من فضلك ، فكـّرْ ، فيّ . . . أنا أبٌ . . .

نيكولاييف : ولمَ أَمْزحُ ، يا صديقي ؟ لا بدّ أنهم وصلوا محطة لاشنيغو .

ايفان ميخايلوفتش : وبعد ذلك ؟ تكلـّمْ ، تكلـّمْ . . .

نيكولاييف : كان لا بدّ لي من أن أبذل جهداً باعتباري صديقاً قديماً ، لكنني كنتُ أعلم أن خسـّةً ستحدث . . . ومع ذلك فقد كنتُ أحدّثُ نفسي بأن كاتباً ، سوقياً ، لا يستطيع أن يهينني . فذهبتُ إذن . طيّب . عجـّلتُ وأسرعت مع صوفيا اندريفنا ووصلنا . . . فاذا الوصيفُ وحده . . . وإذا الشقةُ أوسخ من حظيرة الخنازير ، وقد تناثرتْ عليها الحبال . وكان فيها صديقٌ للعريس ، نذلٌ مثله ، يرتدي ما يُشبه المبذل ، وقريبٌ له ، كاتبٌ . وماذا تظنّ أنه فعَلَ . أدارَ ظهره لنا ، ووضع قبّعته ثم انصرف هو والصديق .

ايفان ميخايلوفيتش : وفي أي شيء سافر العروسان ؟

ماري فاسيلييفنا : كيف ، بدون خادمتها ؟ دنياشا هنا . اوه ! يا إلهي !

ايفان ميخايلوفتش : كيف سافرا ؟ اقتلْني ! خذْ ! اشربْ دمي !...

نيكولايف : في عربة مغطّاة . رأيتُه بعيني . . .

ايفان ميخايلوفتش : نيكولاييف ! . . . انتبهْ . . .

نيكولاييف : مالي وللانتباه ؟ عليكَ أنتَ أن تنتبه إذ اخترتَ هذا الزوجَ لابنتك . . .

ماري فاسيلييفنا : هل كان بيتروشا هناك ؟ . . . ما هذا كله ؟

المدعو الثاني : لعلهم آذياه ؟ . . .

المدعو الثالث : لا ، يبدو أنهم أعطوه كل شيء قبل الزواج .

المدعو الأول : ربما كان مجنوناً . صَدِّقوني هذا مجنون .

المدعو الثاني : شيءٌ واحدٌ يدهشني : كيف أمكنها أن توافق ؟

المدعو الثالث : أخذَها عنوةً .

المدعو الأول : هذا درس مفيدٌ لايفان ميخايلوفتش .

المدعو الثاني : الكبرياء دائماً .

ايفان ميخايلوفتش : هل كان بيتروشا هناك ؟ يا ساشكا !

ماري فاسيلييفنا : **جان** ، من فضلك . . .

ايفان ميخايلوفتش : أغربي عن وجهي ! . . .

الخادم ، وهو يدخل : فيم يرغب سيدي ؟

ايفان ميخايلوفتش : أين بطرس ايفانوفتش ؟

الخادم : لا أعلم ، يا سيدي . . .

ايفان ميخايلوفتش : سأعلّمك كيف تعلم ! ليُؤْتَ به في هذه اللحظة ، أتسمعني أيها اللص ؟ (يتوقف فجأة) . سأُريكَ إنْ كان يمكن الهزءُ مني . (يهرب الخادم) . .

الخادم الثاني ، يدخل ومعه رسائل : سافر بطرس إيفانوفتش مع كاترين ماتفيفنا والطالب ، وأمروا أن أسلّمك شخصياً هذه الرسائل .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا ؟ (يأخذ الرسائل) . أين سافروا ؟ متى سافروا ؟ .

الخادم الثاني : لا أعلم ، يا سيدي . قال : إلى بطرسبرج .

المدعو الأول : يا للمفاجأة !

المدعو الثاني : نعم ، لا تأتي المصيبةُ وحدها .

نيكولاييف : هذه هي أفكارك الجديدة . . . نتيجة أطوارك الغريبة .

ايفان ميخايلوفتش ، فاتحاً رسالةً : يا سادتي ، أنا شديد الاغتمام . ارحموني ! . أعلمُ أن كل شيء من غلطتي . لا فائدة من الاستتار . . . لا أستطيع القراءة . . . اقرأها أنتَ ، أنت مثلاً (يتصفّح الرسالة ويناولها الوصيفَ) . اقرأْها . . . انتظرْ . هيه ! (للخادم) . اربط الجياد الأربعة بالمركبة . وقلْ للحوذي فيلكا إنه إنْ لم يقرّ بْها في مدى دقيقة ، فإن أترك في فمه سناً واحدةً سأكسر أسنانه كلها . أقول ذلك على الملأ ، ثم ليُحاسبْني الله وقيصري ! نعم انقضى أجلُكَ ! . هيا ! اقرأْ .

الوصيف ، يقرأ الرسالة : « سيدي بريبيشيف ! »

ايفان ميخايلوفتش : مِمَّنْ الرسالةُ ؟

الوصيف : من كاترين ماتفيفنا .

ايفان ميخايلوفتش : طيب : هذه الحمقاء أيضاً سأصفّي لها حسابها .

الوصيف ، يقرأ : « مع أن الاتجاهات الاجتماعية ، غير الناضجة بعد ، التي أبديتَها في هذه الآونة الأخيرة بوضوح أكبر من قبل قد أشْعرتْنا أنك بدأت تزعزع هدوءَ وسطك المحافظ المتطرف ، بل والرجعي المتطرف ، البليد والمعجب بنفسه ، الذي تَحْيا فيه ، ومع أن ذلك بعثَ فينا الأمل بأن نراك تتّجه فجأةً إلى المذهب الجديد ، إلا أن انتصار الفكر لم يَغْدُ بعد انتصاراً للفعل ، أحبُّ أن أقول ببساطة إن المسافة السحيقة التي تَفْصلنا عن أسرتك يتّضح أثرها ذاتياً بقوة جهنمية . إن الأحداثَ الأخيرة التي حدثتْ في وسطكم أبرزت أسسَ الجهل والفساد والتحجّر التي كانت مختبئةً فيه . وبما أننا اجتمعنا على كُرهٍ فلا يمكننا أن نتّحد . كان كل واحد منا يعيش منعزلاً . وقد قررتُ أن أعود إلى بطرسبرج ، لأنضوي تحت راية المذهب النسائي الجديد . وبما أن ضميرك بدا وكأنه يتّجه نحو طريق شريفة ، فقد قدّرتُ أن مما يهمّك أن تطّلع على نجاح نشاطنا في سبيل القضية المشتركة التي لها طابع واقعي حقاً. إن بعض الأشخاص السبّاقين ، وبعض الطبائع المستقيمة تجرّبُ تعايشاً حراً بين الرجال والنساء على أسسٍ جديدة

وأصيلة . هذه المؤسسة سُمّيتْ « المشاعيّة » . وقد صرتُ عضواً فيها(١) .

نيكولاييف : هذه المؤسسة ، يا صديقي موجودة منذ زمن بعيد ، وهي تُدعى بكل بساطة . . .

(يهمس باسمها في أذنه) .

ايفان ميخايلوفتش : تابعْ . . . أهي طويلةٌ أيضاً ؟

الوصيف : لا ، ستنتهي (يقرأ) . « وعندما أعيش في المشاعية ، وسط جماعة في مستواي ، فسأشارك في الصحف الأدبية وسأنشر ، في نطاق قواي ، أفكار العصر بصورة نظرية وبصورة محسوسة على حد سواء . سأكون حرّةً ومستقلة . وداعا ، بريبيشيف . لست أتهمك بشيء . وأنا أعلم أن وحل وسطاك قد لوّثك حتماً ؛ ولست أقصد ماري فاسيلييفنا ؛ كُنتَ مُكْرَهاً على أن تكون على ما أنتَ عليه . لكنْ تذكّرْ هذا الشيءَ : هناك طبائع مُضيئة لا تلين أمام ضربات الزمن وهذا ما ينبغي لك أن تنظر إليه بكثير من الاحترام والعطف (وإلا فقدتَ الكرامة الإنسانية) . إني لا احترمُك ، لكني لا أنكر على الإطلاق مطامحك الإنسانية . أنا فوق اللوم » .

ايفان ميخايلوفتش : أهذا كل شيء ؟ انتظري فقط !

الوصيف : لا . . . « حاشية — أرجوك أن تبيع أرضي التي تساوي

---

(١) واضح ما في هذا الأسلوب من تكلف وحذلقة . «المترجم»

على الأقل خمسين روبلاً الهكتار ؛ اتّكلُ على استقامتك ؛
« أرسلْ إلي الفين وثلاث مئة روبل نقداً في أقرب وقت
ممكن . أما عائداتي فأرجو أن ترسل الي مئةً وخمسين روبلاً
في البريد المقبل » .

ايفان ميخايلوفتش : جيد جداً . أخذتْ سابقاً مئتي روبل ، وكل
ملكيتها لا تغلّ أكثر من مئة وخمسين ؛ سأعطيك حظك
من التوبيخ ، يا صديقتي ! الرسالة الأخرى الآن ؛ هي
من الطالب ، على ما أفترض ، اقرأْها .

الوصيف : « إيفان ميخايلوفتش ، طلبتُ منك سلفةً قدرها اثنان
وثلاثون روبلاً . لا أستطيع أن أردّها لك الآن ؛ لكنك
إن لم تكن لئيماً فلن تبلغ بك النذالةُ حدودَ اتهامي .
سأرسل إليك هذا المال حالما أستطيع تدبّر أموري ؛ من
عادة الأغنياء أن يحتقروا الفقراء . وكان ذلك يجري في
بيتك بوقاحة . سأسافر مع كاترين ماتفيفنا ؛ ليكنْ رأيُك
بها كما تشاء ، فأنا أعتبرها طبيعةً رفيعةً . ومن ناحية
أخرى : احتراماتي

ايفان ميخايلوفتش : هذا واضحٌ ومقتضب . هل الجياد جاهزة ؟
سأنهكها جميعاً حتى ألحق بالجماعة ، وعلى الأقل سأجدُ
تسليتي في ذلك .

ماري فاسيليفنا : ماذا تقول ، ايفان ميخايلوفتش ؟ ارحمْه ، فالمسكين
وحده .

المدعو الأول : هناك ما يدعو حقاً إلى الرحمة !

ايفان ميخايلوفتش : هيا ، الرسالة الأخيرة أيضاً . . . أجْهِزوا عليّ . . .

الوصيف ، يقرأ : « أبي ! فكرتُ كثيراً في فاسفة عصرنا . والذي ينجمُ عنها أن أصحاب العصر الجديد حياتُهم قاسية لأن الرجعيين يضطهدونهم . والكل يعامون أن الأُسْرةَ تحولُ دون تطور الفرديّة . لقد حصاتُ على تطوّر كبير ، بينما أنت محافظٌ متطرف ، وأمي حمقاء — أنت نفساك قاتَ هذا — وإذن فالجميع يدركون ذلك . فلماذا أُضيعُ انطلاقتي العظيمة وأتحجرّ ؟ في الثانوية ، الأساتذة ما يزالون قايلي التطوّر ، ولا أُطيقُ ذلك . يحبسون الإنسان في حبس ! ... لقد انقضى عهد اوبلوموف(١) ، وأمام أصحاب التقدم انفتحت أبوابٌ جديدة . سأحضر الدروسَ في جامعة بطرسبرج والأساتذة فيها قديرون ، وإذا كانوا سيئين فسأعمل وحدي . وإذا لم تكن أنتَ كيرسانوف(٢) جديداً أو طاغيةً ، فأرسلْ إليّ المالَ لأعيش . لأنني قد صمّمتُ على ذلك . وفضلاً عن ذلك ، لقد تأكدّت أن فينيروفسكي رجعي أيضاً . إنه لا يعترف بحرية المرأة . وداعاً ، يا أبي . لعانا سنلتقي في ظروف طبيعية ، رجلاً لرجل . قلتُ كل ما تجمّع في قلبي .

بطرس بريبيشيف .

---

(١) انقضى عهدا اوبلوموف : اوبلوموف نموذج للإقطاعي الروسي الذي يتولد كسله من القنانة ، وذلك في الرواية الشهيرة لايفان غونتشاروف اوبلوموف ١٨٥٩ .

(٢) كيرسانوف : الأب النبيل في رواية تورغنيف « الأب والابن » ١٨٦١ .

ماري فاسيلييفنا : إلهي ! إلهي ! ما هذا ؟

نيكولاييف : أنا أشفقُ عليكَ جداً ، جداً ، يا ايفان ، لكنْ لا حيلةَ لنا في ذلك ، فالغلطةُ غلطتُك . هذه هي إذن البدعُ الجديدة ! أين الجديد ؟ كل شيء قديم ، قديم جداً : الكبرياء ، الكبرياء والكبرياء . منذ أن خُلق الكون والشباب يرغبون في تعليم الكبار .

المدعو الأول : هذا صحيح .

المدعو الثاني : لكنّ لهذا نتائج بعيدة جداً .

المدعو الأول : هذا حمقٌ حقاً ، هذا مضحك حقاً !

ايفان ميخايلوفتش : يا ماري فاسيلييفنا ، أنتِ غبية ، لكنني أغبى منكِ بألف مرة . هيه ! هل هي جاهزة ؟

الخادم : قُدِّمت العربةُ يا سيدي .

ايفان ميخايلوفيتش : قُلْ لدنياشا أن تصطحبني . انتظرْ أين صلكّ الهِبَة ؟ حسناً ! وداعاً ، يا سادة .

(يستأذن ضيوفه) .

الوسيط : ماذا قررتَ إذن ، ايفان ميخايلوفتش ، بصدد قضيتنا ؟

ايفان ميخايلوفتش : دونكَ ما قررتُه : ما لم أُجْبَر إجباراً بسكين على عنقي ، فلن أعطي شبر أرض ، ولا كوبيكاً واحداً ، ولا يومَ عمل واحد ، ولن أُلغي أيةَ غرامة ! حسبُنا إدهاشاً للناس ! لا يا سيدي ، لقد تربّيتُ اليوم .

الخادم : المركبةُ جاهزةٌ ، يا سيدي .

ايفان ميخايلوفتش : معطفي ، يابن الكلب ! ماذا تعتقد ؟ أن الأمور ستسير كما كانت من قبل ؟ — معكِ حق ، ماري فاسيلييفنا ، كلُّ شيء يجري إلى أسوأ . والبيان والمدارس والطلاب . . . كل ذلك سمّ ، هاوية ، وداعاً ، على شرط أن ألحقَ بهم ، ولو على الطريق . كم ستستريح نفسي ! بيتروشا ، سأضربه ضرباً شديداً ! نعم .

ماري فاسيلييفنا : ايفان ميخايلوفتش ، ارحمْني ، لا توبّخْ كثيراً الكسي بافلوفتش ، فهو حقاً هزيلٌ ويدعو للرثاء . كل ذلك فهو بسبب شبابه .

نيكولاييف : تستطيع أن تعود بابنك ، لا أن تفسخ زواجَ ابنتكَ .

ايفان ميخايلوفتش : آه ! دَعْني من هذا الموضوع . (يدنو من المائدة ويشرب كأساً من النبيذ) . نعم ، نعم ، سأضربه ضرباً شديداً ، سأضربه بالعصا . وداعاً . اضحكوا ، اصرخوا ، اغضبوا لكني سأضربه ضرباً شديداً ، سأضربه ضرباً شديداً ! وسيشكرني فيما بعد ، نعم !

ستار

الفصل الخامس

« يُمثّل المسرح صالة المسافرين في محطة للأبدال » .

المشهد — ١ —

« يدخل مدير البريد وكبير القرية » .

مدير البريد : ما هذا العَدْوُ السريع ! لم نرَ مثله منذ ماكاري(١) . دورُ مَنْ الآن ؟

كبير القرية : دور آكيم ؛ لم يعدْ . لا بدّ أنهم أخّروه في لابشيفو . ومن حسن الحظ أن البريد لم يصل بعد .

المدير : وبعد الساعة السادسة ستمرُّ خيلُ البريد من جديد . ماحيلتُنا في ذلك ؟ سيُزعجُنا المسافرون في الوقت الحاضر .

كبير القرية : في الماضي ، في عهد تيخون موسيتش ، عندما لم يَبْقَ جياد ، كان يختبىء في مخزن العلف . أنا أيضاً كنتُ كبيراً للقرية . وذات مرة جاءنا سكّيران من القوقاز ، وأذاقانا الأمرّين ! كلُ الناس في المحطة ضُربوا ، وكلهم

---

(١) ماكاري : معرض مشهور في نيجني نونغورور . ويسمى أيضاً معرض ماكاري .

هربوا . وسُحبَ تيخون موسيتش من قدميه إلى الخارج .
قال لهم : « أنا موظف ، لا يجوز لكما ! » فضرباه ضرباً شديداً ! أتصدّقني ؟ لقد جرّاه عبر الفناء . وضحك الحاضرون كثيراً .

المدير : إذا فعل بي أحد المستهترين مثل ذلك فسأعلّمه الأدب .

كبير القرية : اوه ! أصبحَ المسافرون وديعين جداً الآن . لكنني أحبّ أن أسأل سيادتك : لماذا يخاطبنا الجميعُ الآن ، نحن الفلاحين ، بضمير الجمعْ ؟

المدير : جاء هذا من التعلّم ، أي من التقدّم . لستَ أحمق ؟

كبير القرية : لكننا لاحظنا مع الحوذيين أن الذي يخاطبك بضمير الجمع يجب ألا تنتظر منه حلواناً . بينما الذي يزعق كثيراً ولا يوفّر يده يعطيك بالتأكيد خمسة روبلات أو ستة ، تستطيع أن تثق بذلك .

المدير يضحك : وأولئك أيضاً يُبدون ملاحظاتهم . « كفاك نظماً للجواهر . انظر إلى هذه القذارة ، قل لهم أن يكنسوا هنا ، وامسحْ الطاولةَ على الأقل » . ما من مسافر لا ينزعج . كل شيء يبدو لهم وسخاً . ومَنْ الذي يوسّخُ كل شيء ؟ همْ أنفسهم دائماً . لا هم لهم إلا أن يوسّخوا وينصرفوا . ولا شيءَ يبدو لهم كافي النظافة . (كبير القرية ينظّف) . سأنام قليلاً . ها قد جاء مسافرون آخرون ، فيما أعتقد . لا بد لهم من أن ينتظروا ، مهما يكن رأيُهم .

كبير القرية : ليدفعوا الضِعْفَ ، ويأخذُهم فلاحونا .

(يرنّ جلجلٌ) .

المشهد — ٢ —

« مدير البريد ، كبير القرية ، فينيروفسكي وليوبوف ايفانوفنا ، شاحبةً جداً ، صامتة وحزينة » .

فينيروفسكي : أيها السيد مدير البريد ، أريد جياداً . وأنت ، يا كبير القرية ، اذهبْ وقلْ لهم أن يربطوا لي الجياد بأسرع ما ما يمكن . (لليوبوف ايفانوفنا) . آه ! ها نحن وحدنا . هذا رائع ! منذ أن تخلّصْنا من تلك الحماقات الكريهة ، الآن فقط أحسّ أنني إنسان . أأنت مسرورة ، يا حلوتي !

ليوبوف ايفانوفنا : نعم . . . أنا مسرورة ، أنا متعبة .

المدير : الجياد كلها في العمل .

فينيروفسكي : أكرّر لكَ : هذه أوراقي ، وهذا هو المال ، فقلْ لهم أن يربطوا الجياد .

المدير : عندما نربّي جياداً أخرى سنربطها .

فينيروفسكي : تفضّلْ وقلْ لهم أن يربطوها أو أعطني الدفتر ، فسأتقدّم بطلب .

المعلم : هذا هو الدفتر . اكتبْ طلبَك . رأيْنا كثيرين غيرَك .

فينيروفسكي : آه ! حسنٌ . حسنٌ جداً ! نعم ، الاستقامهُ ستظلّ طويلاً من حظنا نحن وحدنا . . . ما هؤلاء التافهون !

(يجلس ، يتصفح الدفتر ، ثم يكتب) .

المعلم : مقترباً ، هائجاً : اقرأ الدفتر بالأحرى . تفضّلْ وانظرْ : البريد ، ٨ جياد في الساعة ٥ و ٢٣ دقيقة. لم تبلغ التاسعة ولم يعودوا بعد . عقيدٌ مع زوجته ٦ جياد في الساعة ٦ و ١٧ دقيقة . تفضّلْ وانظرْ : العدد الكامل هو ٣٦ جواداً ، نعم ، يا سيدي ، يجب أن تنظر قبل أن تصف بالتفاهة الناسَ الذين ربما كانوا خيراً منكَ .

فينيروفسكي : دعْني ، فليس في نيّتي مناقشتك .

المدير : ما عليكَ إلا أن تكون أكثر حذراً في المستقبل . حتى الجنرال الذي يسافر بمركبة الجياد الستة ، لا نسمح له بذلك . . . بصرف النظر عن الأوباش . . .

(يخرج)

المشهد - ٣ -

« الأشخاص أنفسهم ما عدا مدير البريد » .

فينيروفسكي : يا كبيرَ القرية ، ائتني بسماور ، من فضلك. (لليوبوف ايفانوفنا) . هل تتناولين شاياً ، يا حلوتي ؟(لكبير القرية) . وبالسكر والشاي !

كبير القرية : سعر السماور عشرون كوبيكا ، أما السكر والشاي فحاسبْ المعلّمة .

فينيروفسكي : هات كل شيء . هل تتناولين شاياً ؟

ليوبوف ايفانوفنا : نعم . . . لا .

فينيروفسكي : يجب أن ترفعي خمارك .

ليوبوف ايفانوفنا : لا ، لابأس بذلك .

فينيروفسكي ، جالساً بقربها : أنتِ ترين ، يا صديقتي ، الفرقَ المدهش الذي يَفْصلنا عن أهلك القدماء . نحن ننظر إلى الحياة ببساطة . هذا السيد ، بسبب وسطه وقناعاته ، يجد من الضروري أن يزعج الناس وأن يعاملهم بفظاظة . هذا طبيعي ، ومثلُ ذلك كونُ أهلك يعتبرون اجراءات الحماقة التي أفلتْنا منها ضرورية . من دون شك ، نحن لا نستطيع تغييرها ، لكننا يجب أن نقول لهم ، باعتبارنا أشخاصاً أذكياء : أنتم سيّئون وحقراء ، وهذا شأنكم ، يا سادة ؛ لكنْ لا تمنعونا من أن نكون شرفاء وإنسانيين . متى أدركت هذا المفهوم ، يا حلوتي . . .

ليوبوف ايفانوفنا : لا تقل « حلوتي » ، هذا بشع .

فينيروفسكي : طيب ، لا يهمّ . لاحظي فقط كم سيذلّ هؤلاء الحمقى في مثل هذه الصدامات . لستُ أكرههم ، بل إني احتقرهم ، سيذلّون ، وسيدركون ذلك عندما يفكّرون . صدّقيني ، إن أهلكِ الآن يحسّون أنهم أغبياء . وهذا ما يلزمهم .

ليوبوف ايفانوفنا : وماذا فعلَ بك أهلي ؟ ولنفرضْ أن في تطوّرهم نقصًا ، لكنهم ليسوا سيّئين . هناك أسوأ .

فينيروفسكي : أنتِ ذكيّة ، يا حلوتي . صحيح ، هناك أسوأ . لكن منذ اللحظة التي ندرك فيها تفاوت قناعاتنا ، منطلقاتنا ،

يجب أن يصفّ البعض إلى اليسار ، والآخرون إلى اليمين .
كل هذا بسيطٌ جداً . لستُ احترم الأغبياء والجهلة ، كما
لا أحترم اللؤماء والجامدين وأعداء الجديد ، مثل أهلك .
وإذنْ فلا أنت ولا أنا نستطيع أن نحترمهم . أنتِ موافقة ،
أليس كذلك ؟ غيري يتصرّف بدبلوماسية ، ويخفي
قناعاته ، لكنني أقدّرُ أن الحقيقة والشرف نافعان دائماً .

ليوبوف ايفانوفنا : لكن لماذا ؟ إن أبي ليس عدواً للجديد — على العكس !

فينيروفسكي : ألم ترَيْ أنه كانْ يخافني فقط وأنه منافق ؟ ثم إننا لا
نستطيع أن نحترم امرأةً حمقاء لا تفهم شيئاً خارج النوم
والأكل .

ليوبوف ايفانوفنا : ومع ذلك ، كنتُ أحبّهما . . .

فينيروفسكي : أحبّي ما هو حرٌ وشريفٌ وعاقل ! أحبّي الأشخاص
الذين يجمعون في أنفسهم هذه الصفات ، وستُصبحين
إنسانية ؛ أما أن تحبّي امرأةً لأنها ولدتك ، فلا معنى لذلك .
نعم ، يا صديقتي الرائعة ! إذا كنتِ تحبينني ، فليس ذلك
من أجل جمالي ولا من أجل ذكائي ، ولكن لأن هذه
الصفات تجمّعتْ فيَّ ، نعم ، الأمر كذلك (يؤتى
بالسماور) . أتعملين الشاي ؟

ليوبوف ايفانوفنا : لا ، لا أريد شاياً ، كل ذلك وسخٌ وبشع .
انظرْ إلى هذه الفناجين . لا أريد شاياً . . .

فينيروفسكي : نعم ، ليوبوف ايفانوفنا ، يا حلوتي الصغيرة بين
النساء . الآخرون يحصلون على هذه المعرفة بمشقّة لقاء

صراعات ودراسات طويلة ، وأيضاً فان الطباع النادرة والقوية هي التي تفهم هذه النظرية بقوة ووضوح كفهمي لها ، بينما أنت يا حلوتي المحظوظة ، تحصلين على ذلك كله بسهولة . يكفيك أن تصغي وتحفظي ، ودفعة واحدة ترتفعين إلى العلو الذي ينبغي أن يكون فيه إنسان الزمن الحديث . لكن لندع هذا الحديث . نحن الآن وحدنا ، ونحن حرّان . (يدنو منها) . لماذا لا تشربين ، يا حلوتي .

ليوبوف ايفانوفنا ، مكشّرة : أيّة فناجين هذه ! يا للبشاعة ! كل الناس يشربون منها – وربما المرضى . لا أستطيع .

فينيروفسكي : لستِ نشطةً اليوم . أمن الممكن ، يا عزيزتي ، ألا تسرّكِ رحلتُكِ هذه ؟

ليوبوف ايفانوفنا : سيان عندي ، أنا متعبة . لماذا لم تأتِ بدنياشا ؟

فينيروفسكي : عُدْتِ إلى دنياشا ؟ لا أرى من حقي مضايقتك بالأسئلة . أنتِ حرّةٌ مثلي ، وسيكون الأمرُ كذلك في المستقبل . إن رجلاً آخر في مكاني قد يرى لنفسه حقوقاً عليك ، في حين أنني أنا أعترف بحريتك الكاملة . نعم ، يا فاتنتي ، ستنتظمُ حياتُنا بحيث تقولين عمّا قريب : هجرتُ السجنَ إلى الفضاء الطلْق .

ليوبوف ايفانوفنا : لماذا لم تأتِ بدنياشا ؟

فينيروفسكي : كان سيكون ذلك تصرّف رجلٍ إقطاعي ، تصرفاً قبيحاً ، وكانت ستضايقنا . (يقترب منها) . أيمكن تقبيلُكِ الآن ؟

ليوبوف ايفانوفنا : دَعْ هذا ! واغسلْ هذه الفناجين ! ما أوسخَها !

فينيروفسكي مبتسماً : ليس هذا مهماً . (يعمل شاياً ويشرب) .

إذن يمكن تقبيلك ؟ عندما تسمحين بذلك فقولي لي . .
لعلك تريدين أن تستريحي ؟ سأخرجُ . لن أكدّر حريتك أبداً .

ليوبوف ايفانوفنا : لا . . . نعم . . . لا . . . لا أحتاج إلى شيء .
أنا ضجرة .

فينيروفسكي : أتظنين أنني لم أتوقّع هذا الاحتمال ؟ على العكس .
لسنا رجال عمل من أجل جمل رنانة نصنعها . إننا
لا نتولّع بالأشياء تولّعاً . كنت أعلم أنك ستضجرين .
أتريدين أن أقول لك لماذا ؟ لا تندهشي لأنني حَزَرْتُ
ذالك ، فليس في ذلك ما هو خارقٌ للعادة . لقد نشأت
في وسطٍ حقير . ولك طبيعةٌ خيّرةٌ ، لكنك اكتسبت ،
أثناء حياتك ، أشياء كثيرةً في جو البلادة والعفن ذاك .
ولقد بقيتْ هذه الأشياء فيك ، بصورةٍ غير ملحوظةٍ ،
وأنت لم تكوني تلاحظينها من قبل كما أننا لا نلاحظ الوحل
في اسطبل مليء بالزبل ؛ لكنك حين احتككت بالنقاء
وبالقوة ، غدا الوحلُ مرئياً أمامك وبهر النورُ عينيك .
وعندما تنظرين إليّ ، تَرَيْنَ أدرانَك . . .

(يذرع الغرفةَ منفعلاً) .

ليوبوف ايفانوفنا ، بهدوء : آه ! دائماً عن نفسه .

فينيروفسكي : كيف ؟

ليوبوف ايفانوفنا : لا شيء . تكلّمْ .

فينيروفسكي : لا تخافي من ذلك ، يا حلوتي ؛ فهو إحساسٌ عابرٌ . الذين يخرجون من الظلمة لا يستحسنون النورَ في اللحظة الأولى . لكن هذا انطباعٌ خاص بالتغيّرات المفاجئة . لماذا تنزعجين ؟ لأن العربةَ تبدو لك غيرَ مريحة ، لأنك فقدت خادمتك ، ولان الفناجين تبدو لك وسخةً .... كل ذلك يأتي من بلادة المَلاّك . فكّري إذن أن أمامك حياةً كاملةً من الحرية ، ورجلاً تساهل مع التفاهة جهده ، وأن . . .

ليوبوف ايفانوفنا : أنت لا تَمْدح إلا نفسك . . .

فينيروفسكي : أمدحُ ما يستحقّ المدح وألوم ما يستحقّ اللوم ، أما أن تكون الجوانبُ الحسنة أو السيّئة فيكِ أو فيّ فليس لذلكَ كبير أهميّة . إن التواضع المزعوم هو أحد الأحكام المسبقة التي استمرّت بفضل الجهل والغباء . وهكذا فان أمك تدّعي أنها حمقاء . وهذا حسنٌ بالنسبة إليها . هيه ! هيه !

ليوبوف ايفانوفنا : دَعْني ، فقد ضجرتُ .

فينيروفسكي : حسناً ! سأسكتُ وسأقرأ قليلا . وهذه الحالة ستزول عنكِ . ربما كانت الحويصلة الصفراوية لم تصبّ محتواها . وهناك ، لتحاشي ذلك ، وسائل فيزيائية . لن أغضبَ عليك

أبداً . ومهما فعلتِ فسأبحثُ عن السبب ، وسأعثرُ عليه ، وسأحاول إبعاده . سأسكتُ أنا ، أما أنت فخذي قليلاً من الماء .

ليوبوف ايفانوفنا ، تنهض ، وتدنو من الباب وتسأل : أعندكم امرأةٌ ؟ أيمكن أن أدخل ؟

(يجيب صوتٌ : ادخلي إذا شئتِ . تخرج ليوبوف . تُسْمَعُ جلاجل وأصوات) .

المشهد — ٤ —

« تدخل كاترين ماتفيفنا » .

صوت تفيردينسكوي في الكواليس : يبدو أنه لم تبقَ جياد .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ، تقول : لم تبق جيادٌ . إذنْ لماذا يحمل هذا المكان اسم : محطة الأبدال ؟ المحطة تُقام ليكون فيها جياد ، نعم أم لا ؟

(يدخل تفيردنيسكوي ، بيتروشا ، كبير القرية . بيتروشا به حازوقة) .

كبير القرية : قُلنا لكَ أن جميع الجياد في العمل . هذان ينتظرانها أيضاً .

(فينيروفسكي يشاهد القادمين الجديد فيَخْرج دون أن يُرى) .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، أنت لا تجيب عن سؤالي . لماذا ترفضون أن تعطوا الجيادَ ناساً لهم الحقوقُ نفسُها التي لأي جنرال .

بيتروشا : إغ . . . افهمْ إذن إغ . . . أننا ذاهبون إلى بطرسبرج ، ، إغ . . . لم نأت من بعيد . . . إغ . . . جريبيشيفكا لنا . إغ . . . أعطنا جياداً ، وإلا إغ . . . تعرّضتَ لما يسوءك . . . إغ . .

كبير القرية : سأرسلُ إليكم مدير البريد .

(يريد أن يخرج) .

تفيردينسكوي ، يحتجزه : أيها الريفي المحترم ! أنت ترغب ،حسبما استنتجتُ من كلامك ، أن تنفّذ عمليةً تجارية . ونحن لا نرغب أن نسهّلها .

كبير القرية : كف عن المزاح ، يا سيدي ، ودَعْني وشأني .

(يدخل مدير البريد) .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي أن أطلبَ منكَ جياداً . لنا من الحق مثل الذي لأي رجل ذي رتبة . لقد مضى الوقتُ الذي يُحْتَرَم فيه الجنرالات وحدهم ، ويُحْتقَر رجالُ العلم ، وطلابُه .

مدير البريد : ها قد مرّ ساعتان وليس عندنا أيُّ جواد ، تفضّلوا وانظروا إلى الدفتر . الناس متساوون ، عندنا وأنا أفهم العصرَ الحاضر كأي إنسان .

بيتروشا ، لكاترين ماتفيفنا : لا،اسمحي لنا ، إغ . . سأُقنعه . . . أستطيع أن أفعل ذلك . . . (لمدير البريد) . احكُمْ بنفسك . . . . . . إغ . . . متى سنصل بطرسبرج . . . إغ ...

إذا كنا عند كل محطة . . . إغ ! . . . سنحتاج إلى الجياد حتماً . . . إغ . . . أعطها . . . احسبْ كم سيستغرقُ ذلك . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، سأقنعُهُ .

المدير : لعلكم تريدون أن آتيكم بالدفتر ؟

بيتروشا ، لكاترين ماتفيفنا : دَعيني . . . إغ . . . سأقنعه . . . إغ ! . . . نحن ذاهبون إلى المشا . . . إغ . . . عية .

المدير : أينما ذهبتُمْ فسيّان عندي . . .

ففيردنسكوي : يأخذ الدفتر : ذُكِرَ في هذا الدفتر أن ملازما يدُعى ستيباتوف كان مستعجلاً لعملٍ مُلحّ ، فتأخّر بسبب تأخرّ الأبدال .

كاترين ماتفيفنا : سأقدّم طلباً .

المدير : أرجوكِ ، يا سيّدة . لم يبقَ جياد ، وهذا كل شيء . .

كاترين ماتفيفنا : وأيُّ جهلٍ بواجباته فوق ذلك ، وأية وحشّية !

ففيردنسكوي : اسمحْ لي ، سأصوّر في هذا الدفتر كل آلام نفسنا وأخلاقَ مديري البريد القاتلة .

بيتروشا : لا ، دعوني اتصرّفْ ، فعندي فكرةٌ . . . إغ . . .

المدير : يسحب الدفتر منهم ، تهزؤون بي ، يا سادة ! لسنا أقلّ قيمةً منكم . إذا أحببتم أن تكتبوا فاكتبوا ، لكنْ لا ينبغي أن تفقدوا أدبكم .

تفيردنسكوي : وهكذا ، يا كاترين ماتفيفنا ، يُوقفُ عائقٌ حقيرٌ مسيرتَنا نحو مشعل التقدّم . هذا المواطن غاضبٌ . لِنَدَعْهُ

بيتروشا : إغ ! . . . إغ ! . . . إغ ! . . .

تفيردنسكوي ، ضاحكاً : قلتُ لكَ إنك أفرطت في تذوّق الخمر الهنغارية .

بيتروشا : كيف ، يا سيدي ؟ إغ ! . . . ليس في هذا ما يُضحك ، إغ ! ... على العكس ... لا أسمح لك بالضحك ... إغ ! ...

تفيردنسكوي أية صبيانية في أن تَستاءَ من كل شيء !

بيتروشا : وحدك صبي ... إغ ! ... أنا رجلٌ ... إغ ! .... حرٌ ... إغ ! ... قلتُ أنا نفسي . . . إني . . . إغ ! . . . ذاهب ... إغ ! ... إلى المشاعية .

تفيردنسكوي : نعمْ ، يا بريبيشيف الشاب ، فهذا أفضل لك .

بيتروشا : عبّرتُ عن رأيي بأنك أنتَ الصبي ... إغ ! . . . لا أنا . أنتَ لا تعرف ... إغ ! ... حريةَ الفرد ... إغ ! ... اسكتْ ... تحامقتُ فقط وشربت هذا النبيذ ... إغ ! ... وأنا أشعر بالغثيان ... إغ ! ... ولولا ذلك لأعربتُ ... إغ ! ... عن آراء تدهشك ... إغ إغ ... أنا نعسان ، (يجلس وينام في نومه) . عقبةٌ ... ! ! ... للفرْدِ ... ! ول ... إغ ! ... إغ ! ...

تفيردنسكوي : طيّب ، سننتظرْ . بل يمكن أن نتناول الشاي . لأنني ضجرتُ . انظري ، ذاك واحد شربَ هنا . يا ريفي ،

يا كبير القرية ، أيمكن أن نجد عندك الأداةَ التي تسمّى عادةً : سماور ؟

كاترين ماتفيفنا ، تجلس إلى الطاولة ، وتشعل سيجارةً ، وتردّ شعرها إلى الوراء : أحب طريقتك المرحة في النظر إلى الحياة ، يا تفيردنسكوي . مهما تكن خطيرةً الأحداثُ التي تجري اليوم في حياتك ، فانك تدفنُ في أعماق نفسك أفكارك السريّة ولا تكفّ عن المزاح . كثيرون قد يجدونك خفيفاً ، لكن هذا بالضبط هو ما أحبّه فيك . وأنا أقدّركَ من أجل هذا . نعم ، ها نحن قد سرْنا الخطوةَ الأولى في طريقنا الجديدة .

تفيردنسكوي : ما نفعُ الكلام دائماً ؟ إذا كنا نعلم أن القضية صحيحةٌ وأننا أحرارٌ ومحقّون ، فما المطلوبُ أكثر من ذلك ؟ لا أحبّ أن أستعدّ سلفاً . إذا جاءتْ ساعةُ العمل فأنا عامل ومكافحٌ ، وريثما تأتي ... يمكننا أن نبتهج بالمزح الخفيف .

كاترين ماتفيفنا : قلْ لي شيئاً واحداً : تساءلتُ ، في الطريق ، لماذا كان مؤسسُ هذه المشاعيّة رجلاً لا امرأةً ؟

تفيردنسكوي : هيه ! المصادفة . (يؤْتَى بالسماور) . وإذن فمن الذي سيقوم بصُنع الشاي ؟

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اعتقد أن المدي من الدواعي المنعة كالتي لديك . اسمع : فلْنقترعْ .

تفيردنسكوي : وهكذا ، فلنَعْهدْ إلى القدر الأعمى بحل مشكلتنا .

(يأخذ سيجارةً ويخفيها وراء ظهره . تأخذ كاترين ماتفيفنا ملعقة وتفعل مثله) .

كاترين ماتفيفنا : لا ، عليكَ أنتَ أن تحزر .

تفيردنسكوي ، يمسك بذراعها ، ويلقي بسرعة نظرةً دائرية حوله ، فيداعب ذراعها ويضغط عليه محرّكاً يديه : ومع ذلك فليست رديئةً هذه الذراع الممتلئة . الملعقةُ في هذه .

كاترين ماتفيفنا ، **مبتسمة** : تفيردنسكوي ، لا تكنْ غبياً ، حزرْتَ . سأحضر الشاي .

تفيردنسكوي كم يقرّب الطريقُ بين الناس . أشعرُ باحساس غريب في جواري للمرأة . (يقترب منها) . كم هو حسنٌ منك أنك لم تلبسي تنّورة داخلية . وما هذه الثنية الصغيرة هنا ، ثنية قديمةٌ حتماً .

(يشير إلى ظهرها) .

كاترين ماتفيفنا : تفيردنسكوي ، أتعرف أبيات هوغو(١) ؟ هوغو رجل متخلّف ، لكن حَدْسه الشعري نفذ إلى كثير من أمور المستقبل : لا تهينوا . . .

تفيردنسكوي : ثنيّة من الطراز الأول . . . اسمحي لي أن أنْشرها . لا أن أطويها ، بل أن أنشرها .

(يلمسها)

---

(١) أبيات هوغو : استشهاد غير دقيق بالابيات التي تبدأ كما يلي : « اوه! لا تهينوا أبداً امرأة تسقط !

كاترين ماتفيفنا ، **ضاربة يده** : تفيردنسكوي ، عندما أعرفك معرفة أوثق ، فسأروي لك حياتي . إن حياة المرأة شذوذ غريب في مجتمع قليل التطوّر كمجتمعنا . (تبتعد) .

تفيردنسكوي ، لو كان تقديري لكَ أقلّ ، لشككتُ في صحة قناعاتك . ماذا تفعلُ يدُكَ ؟

تفيردنسكوي : ما هذه الحالات الفريدة التي يمكن أن تحدث ! لقد عشنا ثلاثة أشهر معاً ، وتحدّثنا فقط عن الأمور التي تثير التفكير ، والآن ، وفجأةً ، تغيّر رأيي فيكِ كليّاً . لماذا لا تريدين أن أضعَ يدي هنا ؟ (يضعها على ظهر مقعد كاترين ماتفيفنا) . لن أمسّ شيئاً دون إذن . لن أمسّ شيئاً .

كاترين ماتفيفنا ، **مشرقة** : افحصْ أعماقَ ضميرك ، وحينئذ سأصغي بشرفٍ إلى بَوْحكَ . لا أريدُ تولّعاتٍ عابرة ، يجب أن تكون فوقها . لا تلمسني .

تفيردنسكوي : لستُ ألمسُكِ ، ولستُ ألمسُ شيئاً . لكن في نظراتكِ شيئاً مُفْترساً ، شيئاً أعلى من المرأة . أحدُ رفاقي كانت له امرأةٌ صديقةٌ ، مربّيةٌ . كنّا نسمّيها فافوتشكا . أنتِ شبيهةٌ بها ، شبيهة بها جداً . ما ألطفَ هذه الثنيّةَ .

(يمسك بها ويضمّها إليه) .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ، فكّرْ جيداً وافحصْ نفسك . الطريق التي . . . قلْ لي ، أيّ حب تحبّني ؟

(تنتزع نفسها منه وتنهض) .

تفيردنسكوي ، يتبعها : أنتِ عطرُ قلبي ، نرجيلة الأمل السماوي ، أنت بخارُ نعل اصنامي المعبودة ، أنت كل عذوبة قبّة سماء الكون وكل ضوئها . إني أحبكِ وأشتهي أن أشرع في استغلالك .

كاترين ماتفيفنا : لا تَنْطقْ بحماقات ، فتَجْرح فيّ الكائن الشريف ، لا المرأةَ . لستُ أُميّز . أنت تقول : إني أفْتناكَ بجاذبيتي ، وأنا أعتبرك رجلاً كريم النفس ، فحلّلْ خاصيّةَ هذه الجاذبية واشرحْها لي : حاولْ أن ترى الأشياءَ بموضوعية . إن عقلاً محسوساً يمكن أن يصغي إليك . هذا ما عندي .

تفيردنسكوي ، يدنو منها ويمسكها بيدها : أيتها المرأة الإلهية ، والحرة ! إن القدر يساعدنا . فرضيعُ « مينيرفا » (يشير إلى بيتيا النائم) . طار بين ذراعيْ « مورفي » ، وغدَوْنا وحدنا ، يَنْهشني الحب . (يمسك بها ويحاول تقبيلها) . المستقبل بين يديْ القدر ، والحاضرُ لنا . (يقبّلها) . كفّي إذن ، يا عزيزتي !

كاترين ماتفيفنا ، تدفعه بخوف : أنتَ تُهينني . وباكَ أيضاً ، خُدِعتُ . سأَصْرخُ ، اتركْني !

بيتروشا ، في نومه : الأسرة ... إغ ! .... عقبةٌ ... لا .. فر .. إغ ! ... ديّة .

تفيردنسكوي ، غاضباً ، يتركها : هذا لا يَليقُ بامرأة حرةٍ حقاً . أن تفهم كل شيء بطريقة قذرة .

كاترين ماتفيفنا : يا إلهي ، إلى أين نزلتُ ! . . . يا إلهي ! . . . الكنني فوق . . . لا . . . أنا فوق كل شيء .

(تجلس على حدة ، مضطربة وتستغرق في أفكارها) .

المشهد — ٥ —

« كاترين ماتفيفنا ، تفيردنسكوي ، فينيروفسكي وليوبوف ايفانوفنا » .

ليوبوف ايفانوفنا ، تخرج ، وهي تذرف الدمعَ مدراراً : أين إذن حريةُ المرأة إذا كنتَ تعذّبني ؟ ... إني ضجرتُ ، ماما كانت على حق ... كاتنكا ! الكسي بافلوفيتش ، يا صديقيّ ، وبيتروشا ! ماذا جرى ؟

تفيردنسكوي : مفاجأة مثيرة ! أنا . . . نحن ذاهبون إلى بطرسبرج .

كاترين ماتفيفنا : ليوبوف ! كنتِ محقّةً ! الكن دعيني ... يجب أن أفكر طويلاً .

(تتكىء على مرفقها وتفكر) .

بيتروشا ، يستيقظ فجأة وينهض : انتظروا ، سأروي أفضل مما يروون ... يجب أن تعلمي أنت نفسك أن الأسرة ... إغ ! ... في تطور الفرد ... إغ ! ... يّة . ذهبتُ وحدي إذن ، الكن الكسي بافلوفيتش اكتشف أن هناك المشاعيّة ... والمشاعيّة ... مؤسسة مدهشة ، آه ! لا قيمة لذلك . . . أنا نعسان كثيراً ، أيقظتموني .

(يجلس) .

ليوبوف ايفانوفنا : ما بِهِ ؟

فينيروفسكي : لا شيء خارق للعادة . كل شيء مفهوم . سكرَ الصبيّ . ونجمتْ عن ذلك فظاعةٌ غير عادية .

بيتروشا ، ينهض : أنت نفسك فظاعةٌ غير عادية . كل الناس يعلمون أنك رجعي . قال لي الكسي بافلوفتش وكاترينا أنك تزوجتَ من أجل المال . وهذه نذالة بحسب مفهوم . . . .

(ينام) .

تفيردنسكوي : صبيّ ، في الواقع . ثق ، يا آناتول تعيتريفتش أنني لم أقل ذلك ولا أراه ، لأن قناعاتنا . . .

فينيروفسكي : أن تقول ثم أن تنكر ما تقول ، هذا من شيمتكَ . (لكاترين ماتفيفنا) . أما معك ، يا آنسة فسأتكلم بجدّ . عندما تفاهمنا — هيه ! هيه ! هيه ! — في شقتي ، رجوتُكِ ألا تتكلّمي عن شخصي . وأجبرتِ على وعدي بذلك . إلا أنني أرى أنك لا تريدين أن تفي بوعدك ، وسأجبرك في الوقت الحاضر على الوفاء به . هيه ! هيه ! هيه ! — نعم . فنحن ، الرجال الأذكياء حقاً ورجال العمل ، نتميّز عن الثرثارين من جنس صديقيك . . . وذلك بالضبط لأننا لا نُقاد بل نقود الآخرين ، كما قُدتُكِ — هيه ! هيه ! هيه ! نعم . (بهدوء) . تتباهَيْن بأنك حرة من الآراء المسبقة ، لكن هناك أشياء لا تريدين إعلانها ، فاعلمي إذنْ . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي . . .

فينيروفسكي : تفضّلي .

كاترين ماتفيفنا : لا ، لا شيء ؟ الحقُ معك . دعْني فقط انتهي من تفكيري (تجلس في الوضع نفسه) . اتركْني ، من فضلك . سأجيبك فيما بعد .

فينيروفسكي ، لليوبوف ايفانوفنا : انتهيتُ الآن من هذه الآنسة . أما أنتِ ، فكفّي ، يا حلوتي . أنا متساهل مع الأشخاص الضعاف جسدياً وفكرياً ، وذلك شيء طبيعي ، لأنني أرى تماماً كل الطموحات الصغيرة . لكن عندما أُعارَضُ ، فمن عادتي تحطيم العائق . تريدين أن تُظهري أنك تماكين الإرادة . وهذا محمودٌ وإنساني ، لكن يجب أن يكون لك هدفٌ معقول .

ليوبوف ايفانوفنا ، بحرارة : أنتَ تعتقد دائماً أنك وحدك العاقل . كاتنكا ، أنتِ لا تحبّينني ، لكن قولي له الحقيقةَ ، من فضلكِ ، دافعي عني . أشعر بالضيق ، وبالضجر الشديد . لماذا تركتُهم جميعاً . لو كانت دنياشا على الأقل معي ! كاتنكا ما بكِ ؟

(كاترين ماتفيفنا تصمتّ ثم تجيب) .

كاترين ماتفيفنا : ليوبوف ، دعيني انتهي من تفكيري . إن تحوّلا كبيراً يجري فيَّ . أحسّ بذلك .

ليوبوف ايفانوفنا : أنتَ إذن ، الكسي بافلوفتش ، قلْ لي ، أكنتَ تعذّب المرأةَ التي تحبّها ؟ إنه يلوم أهلي ولا يُحبني .

تفيردنسكوي : أنا في الحب ، ليوبوف ايفانوفنا ، حديثُ التبصّر ، بل إني كافرٌ بالحب .

ليوبوف ايفانوفنا : لا همّ لكَ إلا المزْح ، لكني لا أمزح الآن . يا إلهي ، لماذا سافرتُ .

فينيروفسكي : لماذا هذه الجمل الرنانة الكريهة ! كفى ! أقول لكِ للمرة الأخيرة : حاولي أن تتبيّني رغباتكِ ، ثم عبّري لي عنها . الأمر بسيط . إني أعبّر عن نفسي بشكل واضح ومعقول . حاولي أن تفعلي مثلي .

ليوبوف ايفانوفنا : كاتنكا تتكلّم دائماً مثلك . أيمكن أن نقول كلّ ما نحسّ به ؟ وكيف يمكنني أن أقوله ؟ . . . أنت لا تتكلّم إلا عن نفسك . وأنت لا تحبّني ، ولم تفكّرْ فيّ لحظةً واحدة . . . فلماذا تضايقني فوق ذلك ؟ إني أضجر . أنتَ لا تمدح إلا نفسك . بابا كان سيفهمني .

فينيروفسكي : قلتُ لك : إنني فوق هذه الجمل ولن تستطيعي إكراهي على وَضْع قدمي في حَلْبةِ هذه النقاشات التافهة التي تدعينني اليها

المشهد — ٦ —

فينيروفسكي ، لكبير القرية : قلْ للفلاحين أن يربطوا خيولهم ، سأدفع ضعف الأجرة .

كاترين ماتفيفنا ، تنهض وتنفض شعرها : اسمحْ لي ، لقد أفنعتَ تفكيري . سأقول لكم في الوقت الحاضر كلّ شيء . . . إن علاقاتنا . . .

(تُسْمَع في الكواليس ضوضاء وصرخات) .

المشهد — ٧ —

« الأشخاص نفسهم وايفان ميخايلوفتش » .

ايفان ميخايلوفتش : آ ... آ ... آ ! يا أصدقائي ! ها هم هنا الطيّبون. أمسكتُ بهم جميعاً معاً ! . . .

تفيردنسكوي : أستطيع القول : إننا سنرى فضيحة صغيرةً حلوةً .

فينيروفسكي ، يجلس على كرسي قبالة ايفان ميخايلوفتش ويحدّق فيه بوقاحة : هذا رجلٌ يحتاج إلى نَقْفَة .

كاترين ماتفيفنا : ايفان ميخايلوفتش ، أنا سعيدةٌ برؤيتك .

ليوبوف ايفانوفنا ، مسارعةً إلى أبيها : بابا ، يا عزيزي . . .

بيتروشا : ينهض من مكانه وينظر إلى إيفان ميخايلوفتش نظرةً متبلّدةً : اليوم . . . إغ ! ... كل الناس فهموا ... إغ ...

ايفان ميخايلوفتش ، مُبْعداً ليوبا بيده : حسناً ! (مخاطباً تفيردنسكوي) تفضل بالاقتراب مني ، يا سيد .

تفيردنسكوي : أتظن أنني مجبورٌ على أن أدفن نفسي إلى الأبد في الريف ، من أجل عشرين روبلاً ؟ يبدو لي أنك تستطيع أن تفهم بنفسك . . .

ايفان ميخايلوفتش : لا ، يا صديقي العزيز . . . هذه النغمةُ انتهتْ . هل تعاقدْتَ على تعليم ابني ؟

تفيردنسكوي : لعلك ترجو أن تُخيفني . . . لكن (يخاف) . إن الاقتصاصَ بالكمّ ليس حديثاً . . .

ايفان ميخايلوفتش : « حديثاً » ؟ سَمِعْنا بذلك ! والذي تعهّد بالعمل ، لم يترك عمله بدون سبب معقول فحسب ، لكنه يُضلّ الصبيّ عن الطريق الصحيح ، ويُخرج به من بيت أبيه ؛ كيف تسمّي مثل هذا الرجل ، يا سيدي ؟ ألا تعلم ؟ يا خدّاع ! . . .

تفيردنيسكوي : أنتَ وقحٌ ، ولا أسمحُ لإنسان . . .

ايفان ميخايلوفتش : كيف ؟ (يهجم عليه) . لو كنتَ أكبر سناً ... لكنك جديرٌ بالرثاء ، يا سيدي . . .

تفيردنسكوي : بدون شك ، هذا ما ننتظرْ من قليلي الأدب ومن المضطَهِدين الصفّاعين .

(يتراجع)

ايفان ميخايلوفتش ، يهجم عليه بعزمٍ أكبر : اخرجْ من هنا !

تفيردنسكوي : يلتقط صرّته ويصرخ من الباب وهو ذاهب : رجعي حقير !

المشهد — ٨ —

ايفان ميخايلوفتش : دون أن يعير تفيردنسكوي انتباهاً : والآن ، جاءَ دورُك ، يا صقري الصغير . (يدنو من بيتروشا) . ساشكا ! (يدخل الخادم) . هل جئت بالعصي ؟

الخادم : تحت المقعد ، يا سيدي .

بيتروشا : الفردية ، الفر — د . . .

ايفان ميخايلوفتش ، للخادم : خذْ هذا السفيه ، وصبَّ على رأسه سطلَ ماء ، أتسمعني ؟ وضَعْه في المركبة . . .

بيتروشا : الطغيان ... و ... من السلطة الأبوية . . . الفرد . . .

ايفان ميخايلوفتش ، يستدير فجأة ويصفعه على قذاله : لا تجادلْ ! امشِ ! ساشكا ، خُذْهُ إلى البئر ، وغطّسه بالماء ، واحرسْه في المركبة . . .

بيتروشا : ولمَ ذاك ؟ ... أستطيع بنفسي أن . . .

ايفان ميخايلوفتش : أتذهب ؟ ...

الخادم : حسناً ! تفضّلْ واخرجْ ، بطرس ايفانوفتش . . .

(يخرج الخادم وبيتروشا) .

ايفان ميخايلوفتش ، لكاترين ماتفيفنا : والآن ، أنتِ أيتها الطامحةُ إلى التحررّ بشعرك المقصوص ، اسمحي لي أن أسألكِ : أتظنّين أن منزل عملك منزلٌ عمومي ، أو ماذا ؟ قولي ؟ .

كاترين ماتفيفنا : ايفان ميخايلوفتش ! أُشاطركَ آراءك . . .

ايفان ميخايلوفتش : لا ، يا صديقتي ، دعي هذه الألفاظَ كلّها ! كنتُ أحمق ، لكنني لن أكون كذلك بعد الآن . أكنت ألتذُّ بادارة أملاكك ؟ هل سرقتُكِ ؟ أكان هناك مَنْ يدفع لي نفقة إقامتك ؟ دَخْلُكِ من أملاكك مئة روبل في السنة ، وأنتِ . . . مِنَ المُقرف أن أتكلّم عن ذلك !

كاترين ماتفيفنا : أنتَ محقٌ تماماً ، ايفان ميخايلوفتش ، وطريقتي في التصرف غير منطقيّة .

ايفان ميخايلوفتش : وماذا لقينا هناك ، أنا وماري فاسيليفنا ، غير الاحتقار ؟ وبماذا توّجت ذلك كله ؟ بالهرب وبهذه الرسالة ! (يخرج الرسالة) لست قريبتك ولا عمتك ، تفضّلي واذهبي حيث شئت ، مع ذلك المدّعي .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، يا صديقي العزيز ، نعم ، أنت تُعرب عن الحقيقة ، نعم ، يا صديقي العزيز ، أدركتُ خطئي . وأطلبُ نسيان ذلك . أنا امرأة شقيّة ، يا صديقي العزيز .

ايفان ميخايلوفتش : حسبُكِ خداعاً لي ، يا صديقتي . (يبصر فينيروفسكي) . كفى !

فينيروفسكي : لمَ تنظر إليّ هكذا ؟ لا أكتمك ، ايفان ميخايلوفتش ، أني تعبتُ من صراخك . عُدْ إلى بيتك ، فهذا أفضل حقاً . فليس ها هنا أولاد حتى تخيفهم .

ايفان ميخايلوفتش : سأعود ، يا سيدي ، متى قلتُ كلّ ما في نفسي .

فينيروفسكي : وماذا في نفسك ، أيمكن أن نعرفه ؟ سأُصغي إليك مع أني أعلم سلفاً ما ستَرْويه لي . فلن يكون فيه شيءٌ جديد أو لطيف . . .

ايفان ميخايلوفتش : عندي الكثير ممّا سأقوله لك ، لكني لن أفعل ذلك بحضور امرأتي وابنتي . أتجد من الشريف أن تحرّض البنتَ على أبيها ، وأنا ، مع تخلّفي ، أعلم أن المرأة التي

لا تقدّر أباها ، ليس لها شأن كبيرٌ ، والتي لا تقدّر زوجَها شأنُها أقلّ .

فينيروفسكي ، **لكاترين ماتفيفنا** : أظن أن هذا السيد ينوي أن يعلّمني الشرف ؛ هذا مضحك جداً .

كاترين ماتفيفنا : هو على حق ، هو على حق تماماً ، لا تكلّمني ...
(تدير ظهرها) .

فينيروفسكي ، هازاً كتفيه : يا كبير القرية ، قدّم الجيادَ — وأنتَ ، إيفان ميخايلوفتش ، أنا أجدك مضحكاً ، مضحكاً لا غير .

ايفان ميخايلوفتش ، يصرخ : قاتُ لكَ : كفى . لندعْ هذا . اذهب بسلام . (لليوبا) . جئتاكِ بدنياشا . خذيها معاك . كنا حزينين ، حزينين جداً . . . لكنْ ، ليكنْ الله معاك . — عندما يصيرُ لك أولادٌ ستَفْهمين .
(يقبّلها ، ليوبا تبكي) .

فينيروفسكي : اللعبةُ مُثّلَتْ تمثيلاً لابأس به . لكنها بدأتْ تزعجني . لنذهب ، ليونبكا لننتقل الى الغرفة الثانية .

ليوبوف ايفانوفنا : بابا ، لا أريد ، لن أسافر أبقَ معي . (لفينيروفسكي) دَعْني .

ايفان ميخايلوفتش : جُنِنْتِ ! آناتول دميتّريفتش ، يا صديقي العزيز ، اعذرْني إذا اهتجْتُ . ستَبْقى . . .

فينيروفسكي ، يمسك امرأته بيدها : ليوبا ، لنذهبْ ، يستطيع أبوك أن يستمرّ في ريائه مع كاترين ماتفيفنا .

ليوبوف ايفانوفنا : بابا ، ماذا فعلتُ ؟ أنا أخافه ، وأكرهُه .

(تخبّىء وجهها في صَدْر أبيها) .

ايفان ميخايلوفتش : أنت تَهْذين . ماذا تقولين ، ليوبا ؟ ليس هذا مسموحاً .

كاترين ماتفيفنا ، نتقدم بمهابة ، وتردّ شعرها : الآن سأقول كل ما أفكّر فيه . اصغِ إليّ ، ايفان ميخايلوفتش ، اصغِ إليّ فينيروفسكي . يجب أن يَهْجر الحبُّ هذا الرجلَ ، هذا الشخص الشقي الحقير .

فينيروفسكي ، يجهد في أن يطغى بصوته على صوتها : أنتِ امرأة حمقاء ، جاهلة ، عاهرة . اخرسي ، وإلاّ . . .

كاترين ماتفيفنا : لا ، فينيروفسكي ، لن تخيفني . أنا طبيعة حرّةٌ ، لن تغطّي صوتي ؛ أنوي أن أقول أنا نفسي كلَّ شيء . أنتَ جبانٌ ، والذي يقول لكَ هذا كائنٌ حرٌ وليس امرأةً . . . سيُضيع ليوبا إن بقيت معه ، كما أضاعني قبل أن ينبذني . قبل نصف ساعة كنتُ أعدُّ نفسي متفوّقة على الناس جميعاً ، أما الآن فأنا أشقى المخلوقات واجدرها بالرثاء ، وأتعسها .

فنيروفسكي : أنتِ غبيّةٌ ، لا أكثر . وفعلُكِ لا يدهشني على الإطلاق ، لأنه ناجمٌ عن حمقك . ليوبوف ايفانوفنا ، أعْرِضُ عليكِ أن تسافري معي .

ليوبوف ايفانوفنا : لن أسافر إطلاقاً . أُفضّل أن أموت !

ايفان ميخايلوفتش : يابنتي المسكينة ! ماذا فعلتُ بكِ لنذهبْ . وداعاً ، يا سيّدي . الآن ، أستطيع أن أقول لك كل شيء .

أنت أردتَ أن تتزوج من أجل الثروة . وأنت لم تحبَّ ليوبوشكا ولم تحترمْها . كان يلزمكَ شيءٌ واحدٌ : المال ؛ وقد أخذْتَه . وبما أنك أخذته هو والكائن الذي لا تساوي خنصره ، فقد جلبْتَ له الشقاء وبصقت في وجوه الذين لم يريدوا لكَ إلا الخيرَ . الكبرياء والتفاهة الغلطةُ كلها غلطتي .

فينروفسكي ، يجهد في أن يغطّي صوته ، ويمسك بيدها : كنت أشفق على ليوبا التي كانت تذبل في أسرتك الحقيرة ؛ وقد أنْقذتُها من فسادكم . ليوبا ، لنذهبْ ! لن أسمح لأحد بالسخرية مني . سأسخر منكم . لنذهبْ !

(يسحبها بيدها) .

ليوبوف ايفانوفنا : أوْجَعْتَني ، لن أذهب ، لا أريد أن أكون زوجتك ، أنا أكرهك . . .

كاترين ماتفيفنا : وهذا من أتباع المذهب الجديد ! مذهبنا !

ايفان ميخايلوفتش ، هاجماً على فينيروفسكي : اتركْها ! أتسمعني ؟ (يقف أمام ابنته ، فينيروفسكي يريد أن يتقدّم) . خطوة واحدة ، وأحطّمك قطعاً .

فينيروفسكي : هيه ! هيه ! هيه ! (يتراجع ، ويخرج ، على عجلٍ ، مسدّساً من جيبه) . أنظن أني لم أتوقّع هذا ؟ توقّعْتُ كل شيء ، باعتبار أني أتعامل مع ناسٍ مثلك . توقعتُ الشتيمة والمشاجرة . نحن رجال عملٍ ، ولا نسمح لأحد

بالضحاك على حسابنا ، هيه ! هيه ! حاولْ أن تُسيءَ إليّ .

(يصوّب مسدّسه) .

ايفان ميخايلوفتش : يقف أمامه ويهزّ رأسه : أحمق ! على مَنْ تريد إطلاق النار ؟ حسناً ، افعلْ ! ليوبا ، لنذهبْ .

(يخرجان) .

فينيروفسكي ، وحده : هل استطعتَ إذنْ أن تهزأ مني ؟ — هيه ! هيه ! لا ، لسنا مثل تفيردنسكوي ... حتى يمكن أن نُطْرَدَ ... بيكايشوف على حق ، فمع هؤلاء الأوغادِ يجبُ أن يتخلّى المرء عن مبادئه كلها . كنتُ شريفاً أكثر من اللازم معهم ، لكن المرأة ، من ناحية أخرى ، حرّةٌ ، ولستُ أجدُ لي حقاً على امرأتي . آه ! نعم ، هناك أيضاً صكّ هِبَةِ أملاكها(١) .) يدخل الخادمُ ليبحثَ عن الشال) . تعال إلى هنا ، خذْ هذه الورقة إلى سيّدك . لن يفهموا أنني أعيد إليهم هذا الصك . هيه ! هيه ! لأن العلاقات في هذا الوسط المتجمّد ما تزال متوحّشة وفظّةً . أو لعلنا نحن قد أسْرفْنا في سَبْقِنا لهم ، وقد وُلِدْنا قبْل الأوان بمئة سنة ، بحيث لن يكون بيننا وبينهم أيّ اتّفاق ممكن .

ستار

---

(١) صك هبة أملا كها : تناقض واضح . فالصفحات السابقة أوهمت أن الصك لم يعط .

المقطم الأول

مسرحية في ستة فصول

١٨٨٦

الشخصيات

فلاح

شيطان

إبليس

شيطان الموظفين

شيطان الفلاحين

العامل

الجار

المرأة

فتاة

شيخ

الأم

الشيخ الأول

الشيخ الثاني

الشيخ الثالث

الشيخ الرابع

الفصل الأول

حقــلٌ

المشهد — ١ —

فلاح

الفلاح يَحرثُ الأرضَ وينظر إلى السماء : ها قد انتصف النهار ! وحان وقتُ حَلّ الدابّة . هُو ، دي ! شُدّي ! أعْياك التعبُ ، يا مسكينة ! اصبري ، سنستريح ؛ شدّي هذه المرة لآخرِ ثلْمٍ ، وبعد ذلك سنأكل ... ما أحسنَ هذه الفكرة وهي أنني حماتُ معي لقمةَ خبز . أنا في غنىً عن العودة إلى البيت . سآكل هنا ، قرب البئر ، وسأغْفو قليلا ، بينما ترعى الفرسُ شيئاً من العشب ، ثم أستأنفُ بعد ذلك عملي ، بعون الله . الحمد لله ، سأنهي عملي في ساعة مبكّرة .

المشهد — ٢ —

« الفلاح . يظهر شيطانٌ في دغل » .

الشيطان : ما أطْيَبَه ! إنه يَبْتهل إلى الله دائماً . انتظرْ قليلاً ، ستَبْتهل إلى الشيطان أيضاً . . . لِنأخذْ أولاً لقمةَ خبزه .

سيشرع في البحث عنها ، ثم ينال منه الجوعُ ، وسينتهي به الأمرُ إلى التجديف وإلى الابتهال إلى الشيطان !

(يختطف قطعة الخبز ويحملها إلى خلف الدغل حيث يجلس ليتابع من هناك ما سيجري) .

الفلاح ، يحل أحزمة عُدّة الفرس : باركني ، يا ربي ! (يُخرج فرسه من العريش ويُطلقه ويتّجه إلى الموضع الذي وضعَ فيه قفطانه) : آه ! أنا شديدُ الجوع . أعطتني زوجتي قطعةً كبيرة من الخبز ، سآكلها كلها . (يقترب من قفطانه (. ليست هنا ! لا بدّ أنني خبّأتُها تحت القفطان . (يرفع قفطانه) . وهي ليست هنا أيضاً ! هذا غير مقبول .

(يأخذ قفطانه وينفضه) .

الشيطان ، المختبىء خلف الدغل : ابحثْ ، ابحث ! انظرْ ، هذه هي ! . . .

(يجلس على قطعة الخبز) .

الفلاح ، يرفع حطبة وينفض قفطانه مرةً أخرى : هذا غير مقبول . لم يمرّ أحدٌ من هنا واختفتْ خبزتي ! لو أن الطيور أكلتْها لبقيَ منها فتاتٌ ! . . . لم أر أحداً . لا بدّ أن يكون قد أخذها أحدٌ مع ذلك .

الشيطان ، ينهض : صه ! ها هو يوشك أن يبتهل إلي .

الفلاح : باه ! ليكنْ . . . لن أموت من الجوع . أُخذتْ خُبزتي ؛ حسناً ! ليأكلْها مَنْ أخذها على صحتي ، وجزاه الله خيراً ! . . .

الشيطان ، يبصق من الغيظ : آه ! يا له من فلاحٍ لعين ! لم يَبْقَ عليه إلا أن يُجدّف ، ويقول « جزاه الله خيراً » . من المؤكد أنني لا يمكن أن أجني فائدة منه .

(يضطجع الفلاح على الأرض ويرسم علامة الصليب وينام) .

الشيطان ، خارجاً من خلف الدغل : لم أصلْ إلى نتيجة . ورئيسي إبليس يقول لي دائماً : « أنتَ لا ترسلُ لي إلى جهنم إلا القليل جداً من الفلاحين . في كل يوم يصلني جمهورٌ من التجار ، والإقطاعيين ، والناس من كل الأوضاع ، لكنك لا تكاد ترسلُ أحداً من الفلاحين » . وهو طيبّ القلب أيضاً ! لا أستطيع أن أدنو منهم ، فكيف أصطفي منهم أصدقاء ؟ هل يمكن أن نبتكر شيئاً أدهى مكراً من سرقة قطعة الخبز الوحيدة لهذا الفلاح ؟ ومع ذلك فلم يَفُهْ بأي تجديف . لا أدري ما الذي سأبتكره بعد ذلك . سأذهب لأقدّم تقريري لرئيسي .

(يختفي في باطن الأرض) .

ستار

الفصل الثاني

جهنم

« يشغل ابليس المقعد الرئيسي . عند قائمة العرش يجلس الشيطان الكاتب وأمامه طاولة عليها محبرة . على الجانبين ، يقف الحرسُ . إلى اليمين خمسة شياطين في مظاهر شتى إلى اليسار قرب الباب : الحاجب . يقف أمام الرئيس شيطان أنيق الملبس » .

الشيطان الأنيق الملبس : في السنوات الثلاث المنصرمة ، تسلّمت ما مجموعُه ٢٢٠٠٠٥ مئتان وعشرون ألفاً وخمسة أشخاص . وكلهم تحت سلطتي حالياً .

ابليس : حسنٌ جداً . شكراً . مُرَّ .

(يمرّ الشيطان المتميزّ اللباس إلى اليمين) .

ابليس ، للكاتب : تعبتُ . هل بقي كثيرٌ من القضايا ؟ ممّنْ وصلتْنا التقارير وممّنْ لم تصلْ ؟

الكاتب ، يعدّ على أصابعه ، مشيراً إلى الشياطين الواقفين إلى اليمين والذين ينحنون كل بدوره ، عند تفقّد أسمائهم : حَضَرَ شيطان الإقطاعيين وأعلن عن قَبْض ٨٣٦ شخصاً : وشيطان القضاة ٣٤٢٣ ؛ وشيطان النساء الذي وصل تقريرهُ

في هذه اللحظة وهو يُعلن عن ١٨٦٣١٥ امرأة متزوجة و ١٧٤٣٨ بنتاً . بقي علينا أن نستمع إلى اثنين فقط : شيطان الموظفين وشيطان الفلاحين . . المجموع في هذه الساعة هو : ٢١٧٦٥٥ .

ابليس : يمكننا إذن أن ننتهي من ذلك بسرعة . (للحاجب) أَدْخِلْه . (يدخل شيطان الموظفين وينحني أمام ابليس) . حسناً . ما عندك . كيف تسيرُ أمورُك ؟

شيطان الموظفين : أموري ! (يفرك يديه وهو يضحك) . بيضاء كالسناج ! غنيمةٌ لا أذكر أنني وقعْتُ على مثلها منذ خَلْقِ العالم .

ابليس : آه ! آه ! قَبَضْتَ على كثيرين ؟

شيطان الموظفين : اوه ! ليس الرقم هو المهم ، وهو غير مرتفع ، ١٣٥٠ لا أكثر ؛ لكنْ ما أَجْسرهم ! أشخاص قادرون على أن يقوموا بمهمة الشياطين . وهم أمهرُ منّا في تعذيب الناس . وقد علّمتُهم طرائق عملية جديدة .

ابليس : طرائق عملية جديدة ؟

شيطان الموظفين : ها هي : كان كتّابُ المحاكم قديماً يتّفقون مع القضاة من أجل سفالاتهم . وقد استدرجتُهم ليستقلوا بأنفسهم ، فلا يدافعون إلا عمّنْ يدفع مالاً أكثر . لو رأيتَ حميّتَهم ! إنهم يعثرون على الوسيلة التي يكونون

نافعين بها حيث يمكن الاستغناء عنهم بسهولة . أكرّر لك : إنهم يعذّبون البشر أفضل من الشياطين .

ابليس : سأرى ذلك . (يمر شيطان الموظفين إلى اليمين ، إبليس الحاجب) . أَدْخل الأخير .

(يدخل شيطانُ الفلاحين وهو يحمل قطعةً من رغيف ، ينحني أمام ابليس حتى الأرض) .

شيطان الفلاحين: ليس بوسعي أن أحيا هكذا . اعهدْ إليّ بمهمّات أخرى .

ابليس : أيّة مهمات ؟ بمَ تَهْذي ؟ اقتربْ وتكلّمْ بوضوح أكبر . . . هات تقريرك . هل كسبتَ كثيراً من الأصدقاء بين الفلاحين ؟

شيطان الفلاحين ، باكياً : ولا واحد .

ابليس : ماذا ؟ ... ولا واحد ! تقول ، ولا واحد ؟ ... وماذا فعلتَ طوال هذا الوقت ؟ تسكّعْتَ . . .

شيطان الفلاحين ، متباكياً : لا ، لم أتسكّعْ ... وتعذّبتُ عذابَ الكلاب. كل ذلك بلا جدوى . . . لم أستطع أن أحصل على شيء ... انظرْ ، لقد اختطفتُ من أحد الفلاحين ، وبحضورِه ، خبزتَه الوحيدة . أتظنُّ أنه أقسم بالشياطين ؟ أبداً، لا ... تمنّى العافيةَ لمن يأكل غداءه .

ابليس : ماذا ؟ ماذا تحكي ؟ . . . امتخطْ وتكلّم بوضوح . فلسنا نفهم شيئاً من غمغمتكَ .

شيطان الفلاحين: القضيّةُ أن أحد الفلاحين كان يحرث . وكنتُ أعلمُ أنه يملك قطعةً من الخبز غداءً له ، لا غير . فسرقتُ له قطعته . كان ينبغي بعد ذلك أن يستشيط غضباً . آه ! كل ما قاله هو : « لقد أخذوا مني خُبزتي ؛ جزَىَ الله خيراً مَنْ سيأكلها . وها أنا أحمل إليك الخبزةَ . خذها ، ها هي ذي .

ابليس : طيّب ! والآخرون ؟

شيطان الفلاحين: الآخرون ! لكنهم يتشابهون جميعاً . لا سبيل إلى قَبْض واحد منهم .

ابليس : كيف تجرؤ أن تمثّل أمامي ويداك فارغتان ! وفوق ذلك ، جئت تنشر الوباء بهذه الفضلة القذرة من الطعام . ما هذا ! أتراكَ تهزأ بي ؟ أتظنّ أننا سنطعمك في جهنم من أجل سواد عينيك ؟ الآخرون يُتْعِبون أنفسهم ويكدّون . انظرْ إليهم (يشير إلى الشياطين) . هذا كسبَ لي ١٠٠٠٠ نفس ؛ وهذا ٢٠٠٠٠ ألف ؛ الآخر ٢٠٠٠٠٠ ؛ أما أنت ، فانك تأتيني وأنت غير مسرور من نفسك ، وتُخرجُ لي فضلةً من الخبز قديمةً ، وتَروي لي هذا الهُراء ! لستَ سوى ثرثار وكسول . الفلاحون يَسْخرون منك ويُفْلتون من يديك . انتظرْ قليلا ، يا صديقي ، سأفتّح لك عينيك .

شيطان الفلاحين: لا تَقْتلْني ! دعني اتكلّم . . . الآخرون جميعاً

مهمتُهم سهلةٌ مع الإقطاعيين والتجار والنساء . لاشيء أيسر : فمن أجل قبّعة من الفرو ، ومن أجل قطعة أرض ينخدع الإقطاعي وينْقاد إلى آخر الدنيا ؛ والشيء نفسه مع التاجر : أَرِهِ المال فتستطيع أن تقوده وكأنما تقوده برسن دون أن تخشى إفلاته . أما النساءُ فكل واحد يعلم أننا نفْعل بهن ما نشاء بالكلام الحلو وبالحليّ . لكنّ الأمرَ مع الفلاحين مختلفٌ . إنهم يَشْتغلون من الصبح إلى المساء ، بل وفي طائفةٍ من الليل ، ولا يَفُوتُهم أبداً أن يبتهلوا إلى الله ، قبل الشروع بأي عمل . فما الوسيلةُ إلى التأثير في هؤلاء الناس . يا أبي ، أَعْفني من الاهتمام بالفلاحين . إني أخضّ دمي في ذلك ، وأَجرُّ على نفسي غضبَك .

ابليس : أنت تكذب ، أيها الخامل ! دَعْ الآخرين وشأْنَهم . وإذا اقتنصوا التجارَ والإقطاعيين والنساء فلأنّهم يَعْرفون كيف يداهنونهم ، لأنهم يبتكرون أبداً حيلاً جديدة . انظرْ ، إن المكلّف بالموظفين ابتكر منذ قليل وسيلةً جديدة كلّ الجدّة — ابتكرْ أنت شيئاً جديداً بدلاً من أن تفْخر بخبزةٍ تافهة سرقْتها . — يا لهذه المأثرة ! — انصبْ حبائلك حول الفلاحين فسينتهون بالوقوع في الفخ . أنتَ تقضي وقتكَ كله في الثرثرة ، وبالطبع ، إنهم يستفيدون من ذلك ، ويستردّون قواهم . لم يعودوا يأسفون على خبزهم ! وإذا أخذوا يتبنّون هذه العادات ويحوّلون إليها نساءَهم ، فسنَفْقدهم تماماً . هيّا ، ابتكرْ لي شيئاً ! اجتهدْ في ذلك، ما وسعكَ الاجتهادُ !

شيطان الفلاحين: لاهمّ لي سوى الابتكار . ضَعْ أحداً مكاني . لم أعدْ قادراً على شيء . . .

ابليس بغضب : لم تعدْ قادراً ! لعلي أنا الذي سيشتغل مكانك ؟

شيطان الفلاحين: لا أستطيع .

ابليس : لا تستطيع ! انتظرْ ! هيه ! خذوا السياط واجلدوه .

(يمسك الحراس بالشيطان ويجلدونه) .

شيطان الفلاحين: آي ! آي آي !

ابليس : هل وجدتَ ؟

شيطان الفلاحين: آي ! آي ! لا أستطيع أن أجد شيئاً ؟

ابليس : اجلدوا ! اجلدوا ! هل وجدت ؟

شيطان الفلاحين: وجدتُ ، وجدتُ !

ابليس : آه ! قلْ لنا ماذا وجدتَ !

شيطان الفلاحين: وجدت وسيلةً أكيدةً لقَبْضهم كلهم . أَعطني فقط الأذنَ بأن أشتغل بالأجرة عاملاً عند أحد الفلاحين . لا أستطيع أن أقول لك أكثر من ذلك الآن .

ابليس : ليكنْ . لكن لا تَنْسَ أنك إذا لم تَسْتحقّ قوتك في ظرف ثلاث سنوات فسأسلخ لكَ جلدَكَ .

شيطان الفلاحين: في ظرف ثلاث سنوات ، سيكونون كلهم لي .

ستار

الفصل الثالث

« مخزن للغلال ؛ طنابر مملوءة قمحا » .

المشهد — ١ —

« الشيطان في ثياب عامل . يملأ مكيالاً من القمح المأخوذ من طنبر . ثم يحمله الفلاحُ إلى مخزن الغلال » .

العامل : هذا سابعُ مكيال .

الفلاح : وكم « تشيتفيرتا(١) » ؟

العامل : بعد أن نظر إلى العلامات الموضوعة على الباب : ستة وعشرون . ومع هذا المكيال تصبح سبعة وعشرين .

الفلاح : لن يدخل القمحُ كله . امتلأَ المخزنُ .

العامل : سوِّه جيداً .

الفلاح : هذا ما سأفعله .

(يأخذ المكيال) .

---

(١) تشيتفيرت : مكيال روس يساوي ٢,٠٩٧ هيكتولتر .

المشهد — ٢ —

« العامل ؛ يبقى وحده ، ويرفع قبعته فنشاهد قَرنَيْه »

« سينشغلُ فترةً ، وسأستغلّ غيابه لأقوّم ، قرنيَّ قليلاً . (يقوم قرنيه) . وأنزع حذائي ، وذلك مالا أستطيع أن أفعله أمامه . (يسحب جزمته فترُى قدماه الظلفاوان . يجلس على العتبة) . هذه السنة الثالثة الجارية ؛ وعمّا قريب لا بدّ له من أن يردّ لي حساباتي . . . هو لا يجد مكاناً يخزن فيه قمحه ؛ بقي أن نعلّمه آخر حيلة في طريقتي . وبعد ذلك ، قد يأتي الرئيسُ ذاتُه ، وسأُريه شيئاً ما . سيدفع ثَمنها غالياً ، قصة الخبزة .

المشهد — ٣

« يدخل الجار ؛ يخفي العامل قرنيه » .

الجار : طاب يومُك .

العامل : طاب يومك .

الجار : أين معلّمُكَ ؟

العامل : إنه يكدّس القمح في مخزن الغلال . لم نتمكّنْ من إدخاله كله .

الجار : حظّه عظيم ! ألاّ يجد مكانا لمحصوله ! هذا هو الصيف الثاني الذي يُدهشنا فيه بمحصوله من القمح . كأن هناك مَنْ يُعْلمه مسبقاً . في السنة الماضية ، في الجفاف ، بذر

قَمْحه في الأراضي المنخفضة . لم يحصد أحدٌ في البلد شيئاً ، وملأتم أنتم مخزناً للغلال بكامله . في هذه السنة ، سنة المطر : زرع هو ، الشاطر ، في الأراضي العالية ، وبينما تعفّن الزرعُ وهو قائم في كل مكان آخر ، كان القمح وفيراً عندكم أنتم . وأيّ قمحٍ !

(ينثر بيده حفنةً من القمح ويعضعض بعض الحبّات) .

المشهد — ٤ —

« الشخصان ثم الفلاح » .

الفلاح ، الذي يخرج من المخزن وهو يحمل مكيالاً فارغاً : طاب يومُك ، يا رفيق .

الجار : طاب يومُك . كنتُ أسألُ عاملَك كيف استطعتم أن تتنبّؤا بالمكان الملائم للبذار . كل الناس يَغْبطونك . جاءك الكثيرُ من القمح ، الكثير من القمح حتى إنك لن تستطيع أن تأكله كلّه في عشر سنوات .

الفلاح : كل ذلك ، فهو بفضل بوتاب . (يشير إلى عامله) . إنه ذو ذكاء وحذاقة . في السنة الماضية ، أرسلتُه يحرثُ ، وحده . وعندما رأيت أنه حرَث لي السبخةَ شتمتُه ، صدّقْني . إيه ! ... ومع ذلك أقنعني بأن نزرع هناك ، فزرعْنا . وكانت النتيجة جيدة . وهذه المرة أيضاً كان تنبّؤه صحيحاً : بذر في الأراضي العالية .

الجار : كأنه يعرف الطقسَ في السنة كلها . . . آه ! ما أعظم محصولَكَ . (صمت) . قلْ لي ، جئتُ أطلب منك نصف مكيال . فقد نفدتْ مؤنتي . وسأردّها لك في السنة القادمة .

الفلاح : خذْ ، خذْ .

العامل : بصوت خافت للفلاح ، وهو يدفعه . لا تُعْطهِ .

الفلاح للجار : لا حاجةَ إلى الشروط . تقدّمْ ، خذْ .

الجار : شكراً ، سأذهب لآتي بكيسٍ .

العامل ، بينه وبين نفسه : لم يفقد بعد هَوسَه القديم بالعطاء ؛ وهو لا يتبع نصائحي كله . باه ! بعد بعض الوقت سيفقد هذه العادة .

(يخرج الجار) .

المشهد - ٥ -

« الفلاح والعامل »

الفلاح ، جالساً على العتبة : ولمَ لا نُعطي مثل هذا الرجل الطيب ؟

العامل : باه ! إن كان يسرّك . . . فأَعطِ ؛ لكنك لن تستردّ حبةً ممّا تُعطي . العطاء سهل ، مثل التدحرج عن الجبل ؛ لكن الاسترجاع صعبٌ ، مثل صعود الجبل ، كما يقول الكبار .

الفلاح : دَعْني وشأني . فعندي الكثير من القمح . . .

العامل : طيب ! . . . وبعد ذلك ؟ . . .

الفلاح : عندي ما يكفيني ، لا للموسم القَادم فقط ، بل لسنتين بدءاً من اليوم . عندي مالا أعرف كيف أفعلُ به .

العامل : لا تعرف كيف تفعل به ؟ لكنني سأصنع لك بهذا القمح ، بقمحك ، شيئاً ثميناً ، يُفرحكَ طوال حياتك .

الفلاح : وما ذاك ؟

العامل : شرابٌ ، شرابٌ يمنحك القوةَ إذا أحسستَ بالضعف ، ويمنحك الشهيّةَ إذا أحسستَ بالشبع ، ويمنحك النوم إذا عجزتَ عن النوم ، ويمنحك الإقدام إذا أحسست بانحطاط قواك . هذا هو الشراب الذي سأصنعه لكَ .

الفلاح : أنتَ تُضحكني .

العامل : على راحتك . لم تصدّقْني عندما نصحتُك في المرة الأولى أن تزرع في السبخة ، وفي المرة الثانية أن تزرع في الأراضي العالية . وقد رأيتَ النتائج مع ذلك . وسترى أيضاً بالنسبة إلى هذا الشراب .

الفلاح : لكن بماذا ستصنعُه ؟

العامل : بهذا القمح نفسه .

الفلاح : ولن يكون ذلك إثماً .

العامل : يا لها من فكرة ! أي إثم تريد أن يكون ذلك ؟ كل شيء مُعطىً للإنسانَ كي يتمتّع به .

الفلاح : قلْ لي ، يا بوتاب ، من أين جاءك هذا العامُ الوفير ؟ إني ألاحظُك ، أنت مُكبّ دائماً على عملك بعيدٌ عن الادعاء ؛ فمنذ سنتين وأنت تعمل عندي لم يتسنَّ لك نزع حذائك ، مع ذلك فأنت تعلم كل شيء . أين تعلّمْتَ ذلك كله .

العامل : اوه ! تجوّلتُ قليلاً في أماكن شتّى .

الفلاح : أنت تقول إذن : إن هذا الشراب سيمنحني القوةَ ؟

العامل : سترى . ليس له إلا النتائج الحسنة .

الفلاح : وكيف ستَصْنعُه ؟

العامل : ليس ذلك صعباً . يكفي أن تعلم . أنا بحاجة فقط إلى قدرٍ ووعاءين من المعدن المسبوك .

الفلاح : أهو لذيذُ الطعم .

العامل : حلوٌ كالعسل . إذا ما ذُقْتَه لم تستطعْ الاستغناءَ عنه .

الفلاح : هيّا ! سأسأل الجار إن كان قدرُه ما يزال عنده . يجب أن نرى ذلك .

ستار

الفصل الرابع

« في مخزن الحبوب . في الوسط ، وُضع على النلر قلو أُغلقَ إغلاقاً محكَماً ، يتصل بوعاء من المعدن المسبوك ، له حنفيّة » .

المشهد – ١ –

الفلاح والعامل

العامل ، يمسك بكأس تحت الحنفيّة ويذوقُ ماء الحياة : يا معلّم ، صار الشراب جاهزاً .

الفلاح ، الذي قرفص وأخذ ينظر : شيءٌ عجيب ! عجينتُكَ تُعطي ماءً . لعلك تصبّ الماءَ أولاً ؟

العامل : ليس هذا ماءً . هذا هو الشراب نفسه .

الفلاح : كيف ؟ هو صافٍ ؟ ظننتُ أنْ سيكون له لونُ الجعة ؛ كأنه ماءٌ عذب .

العامل : لكنْ ، أيّة رائحة هذه !

الفلاح ، ينشق الرائحة : هيه ! أيّ عطرٍ هذا ! دعني أذقْهُ .

(يهم بأخذ الكأس من بين يدي العامل) .

العامل : انتظرْ ، ستَقْلبُ كل شيء . (يُغْلق الحنفيّة ، يشرب ، ويصفق بلسانه) . هي ناجحة . خذْ ، اشرب !

الفلاح ، يشرب جرعةً أولاً ، ثم جرعةً أخرى ؛ وعندما يشرب كل ما في الكأس يناوله إياها : هات أيضاً ، كان ما فيه أقلّ بكثير من أن أحسّ مذاقه .

العامل، ضاحكاً: استستغتَه ، أليس كذلك ؟

(يملأ له كأسه) .

الفلاح ، يشرب : ليس رديئاً ، هذا الابتكار . . . يجب أن أنادي المرأةَ . . . يا مارفا ! صبّ لي قليلاً ! صار جاهزاً للشرب . . . تعالي ، تعالي .

المشهد — ٢ —

« الفلاح والعامل والمرأةُ وفتاة » .

المرأة : ماذا ؟ مالكَ تصرخُ هكذا ؟

الفلاح : ذوقي شيئاً ممّا صنعْناه هنا . (يمدّ إليها الكأس) شمّي لي هذا .

المرأة ، بعد أن شمّت : عجباً ، عجباً !

الفلاح : اشربي .

المرأة : ألا يُؤذيني هذا ؟

الفلاح : اشربي ، يا حمقاء .

المرأة ، تشرب : هيه ! نعم ؛ هو لذيذ .

الفلاح : وقد نملَ قليلاً . صدّقْتُكِ أنه لذيذ . لكن انتظري ، سترين . بوتاب يقول إنه يزيل تعبَ الجسد . وبه يُصبح الشبابُ شيوخاً . . . لا ! بمَ أهذي ؟ قصدتُ أن الشيوخ يصبحون شباباً . . . لم أشرب سوى كأسين صغيرين ، أليس صحيحاً ؟ . . . وأحسّ بقواي تعود إليّ . (يبدو عليه الافتخار) . أرأيتِ ؟ ما رأيك ! سنشربُ منه ، نحن الاثنين ، وسنعود شابين . هيه ! هيه ! مارفا . . .

(يقبّلها)

المرأة : ما هذا ، ما الذي دهاك ؟ أدار لكَ الشرابُ رأسَكَ .

الفلاح : صدقتِ ... آه ! كنتِ تتّهميننا ، أنا وبوتاب ، بتضييع القمح . انظري ماذا فعلنا منه . لن تَشْكي الآن ؟ أهو لذيذ ؟

المرأة : لا شك أنه لذيذ ، بما أنه يُعيد الشباب إلى الشيوخ ... ها أنتَ الآن فتى شديد القوى . . . والواقع أنني أحسّ بالمرح يَمْلؤني . آه ! لنُغنّ ! آه ! آه ! آه ! ...

(تُغنّي) .

الفلاح : انظري ، انظري ! كلّنا شباب ، كلنا فرحون .

المرأة : يجب أن تُحضرَ أمّك . فهي دائماً متذمّرةٌ ، متكدّرةُ المزاج ؛ سنغيرّها لك . سيردّ لها الشرابُ شبابها وستغدو ، من غير شك ، أكثر لطفاً .

الفلاح : وقد سكر تماماً : صحيح ، نادي أمي . (للفتاة) . هيه ! هيه ! ماشكا ! اركضي وأحضري الجدّة . . . أحضري العجوز أيضاً . . . أنا آمره بالنزول عن الموقد ، وماذا يصنع عليه ؟ سنردّه شاباً . هيا . اسرعي . كان ينبغي أن تكوني هنالك . اجري !

(تخرج الفتاةَ راكضةً) .

الفلاح للمرأة : ما رأيكِ ؟ أتريدين كأساً أخرى ؟ (العامل يملأ الكأس ويعطيها الفلاح) . مفعول الشراب يبدأ أولاً من فوق . . . من اللسان الذي يعود إليه شبابُه ، ثم يأتي إلى اليدين . . . وها هو يصل إلى القدمين الآن . . . نعم ، أحسّ أن قدميّ تَستعيدان نشاطهما . انظري ، هاهما تنطلقان .

(يرقص) .

المرأة ، بعد أن شربتْ بدورها : اعزفْ لنا ، يا معلم بوتاب ، لحناً راقصاً .

(يتناول بوتاب البلاليكا ويعزف . يرقص الفلاحُ وامرأتُه . يعزف العامل في مقدّمة المسرح ، ويضحك وهو يغمز بعينيه ، وفجأةً يقف عن العزف ، لكن الفلاح وامرأته يتابعان رقصهما) .

العامل : ستدفع لي غالياً ثَمنَ كسرة الخبز !! ! إن هذين المستهتريْن في الحالة التي أريدها لهما . وسيظلان في قبضتي زمناً طويلاً . فَلْتأْتِ ، ذلك الرئيس العظيم !

المشهد ـ ٣ ـ

« الأشخاص أنفسهم ، تدخل الأم العجوز ، غضّة الإهاب ، وشيخ محلّل بالبياض » .

الشيخ : ما هذا ! جُننتم ؟ الناس يشتغلون وأنتم ترقصون!

المرأة ، تغني وهي ترقص وتصفّق بيديها : أُوهي ! أوهي ! أوهي ! أذنبتُ أمام الله . الله وحده بلا ذنب !

الأم : كيف ، يا حقيرة ! ... ترقصين بدلاً من أن تخمّري الفرن !

الفلاح : كفّي عن ذلك ، يا أمي ، ليتك تعرفين ما الذي أصابنا ! ... عندنا الوسيلة التي تردّ الشيوخ شباباً . خذي ، اشربي هذا فقط .

(يمدّ إليها كأساً من ماء الحياة) .

الأم : في البئر ماءٌ كثير . (تشمّ ماء الحياة) . ماذا دسستم فيه ؟ . . . ما هذه الرائحة الغريبة !

الفلاح والمرأة : لكنْ اشربي .

الأم ، تذوق ماء الحياة : عجباً ، عجباً ! . . . لن يقتلني هذا ؟ . بالتأكيد ؟

المرأة : على العكس ، سيُنعشك هذا . ستعودين شابةً . . . تماماً .

الأم : حقاً ؟ (تشرب) . آه ! . . . هذا لذيذ . . . ألذّ من الجعة.
وأنتَ ، أيها الأب العزيز ، ذُقْهُ أنتَ أيضاً .

(الشيخ الجالس يهزّ رأسه) .

العامل : دعوه . . . لكن صبّوا للجدّة كأساً أخرى .
(يقدّم لها كأساً) .

الأم : أخاف أن يؤذيني هذا . . . أي ! لأنه يُحرق ! . . ومع
ذلك فهو يَستهويني . . .

المرأة : اشربي ... ستحسّين كيف يسيل في عروقكِ .

الأم : آه ! لنشربْ !

(تشرب)

المرأة : ماذا ! هل نزل إلى قدميكِ ؟

الأم : ها هو ينزل . . . نعم ، ها هو . . . آه ! كم أحسّ أنني
خفيفة . . . في الواقع ! لنشربْ قطرةً أيضاً . (تشرب) .
آه ! الحقّ أنني غدوتُ شابةً . . .

الفلاح : هذا ما قلتُه لكِ .

الأم : ليت رَجُلي الذي غابَ يراني مرةً أخرى كما كنتُ في
أيام شبابي !

(العامل يعزف ، الفلاح وزوجته يعزفان) .

الأم ، تتقدّم إلى وسط المسرح : ما هذه الطريقة في الرقص ؟

سأريكم أنا ، كيف ترقصون . (ترقص) . ثم هكذا . . .
وهكذا . . . أرأيتم ؟

(يذهب الشيخ ويفتح حنفية القدر . يسيلُ ماءُ الحياة على الأرض .
وما أن يرى الفلاحُ ذلك حتى يهجم على الشيخ) .

الفلاح : ماذا تَفعلُ أيها اللص ! تُضيع كلَّ هذه الثروة ! أيها الغبي العجوز . (يدفعه ويضع قدحاً تحت الحنفية) . لقد سال كلُّ شيءٍ .

الشيخ : هذه ثروة ؟ هذا هو الهلاكُ الأبدي . إن الله أَطلَع قمحكَ ليكون غذاءً لكَ ولقريبك . وأنت صنعتَ منه شراباً شيطانياً ، لن يكون ذلك لخيرِكَ . دَعْ هذا كله ... أتظنّ ذلك شراباً ؟ لا . بل هو نار ، نارٌ تحرقك.

(يأخذ شعلة من النار التي تحت القدر ويقرّبها من ماء الحياة السائل فيشتعل . يرتعب الجميع) .

ستار

الفصل الخامس

داخل كوخ خشبي

المشهد — ١ —

العامل وحده: يُرى قرناه وقدماه الظّلفاوان : القمحُ كثيرٌ هذا العام أيضاً ؛ ولا نعرف أين نضعه ، وفلاحُنا قد استساغ الكحول. قطّرْنا مرةً أخرى ، لكن ماءَ الحياة ، هذه المرة ، في البرميل ، في مأمنٍ من الفضوليين . لم نعد نقدّم الشرابَ مجّاناً . ولسنا نقدّمه إلا للذين ننتظرُ خدماتٍ منهم . وهكذا فقد دعا ، بناءً على نصيحتي ، جميع مستغلّي البلدة القدماء إلى الشراب عنده اليوم ، لكي يَقْسموا الملكية بينه وبين جَدّه ، بحيث لا يَبْقى لجدّه شيءٌ . واليوم أيضاً هو نهاية التزامي . لقد انقضتْ السنواتُ الثلاث . وكل شيء جاهز . يستطيع الرئيس أن يأتي.ليس عندي ما أَخْجلُ به أمامه .

المشهد — ٢ —

ابليس والعامل

ابليس : خارجاً من الأرض : حسناً ! ها قد انتهى الموعدُ المضروب. هل استَحْقَقت لقمة الخبز ؟وعدتكَ أني سآتي بنفسي . هل صنعتَ شيئاً من فلاّحِكَ ؟

العامل : بالطبع . وستحكمُ أنتَ بنفسك . سوف يجتمعون هنا بعد قليل ، فاختبىءْ في الفرن ولاحظْ ما سيجري . سوف تُسَرّ .

ابليس ، ينسلّ الى الفرن : سوفَ نرى .

المشهد — ٣ —

« العامل وإبليس . الفلاح يصحبه أربعهُ شيوخ . تتبعه امرأتُه . يجلس الرجال حول المائدة . ترتّب المرأةُ الصحون وتضع على المائدة طبقاً من العصير المجمد وصحناً من الفطائر المحشوّة . يتبادل الشيوخ والعامل التحيّات » .

الشيخ الأول : حسناً ! وهل صنعْتَ هذه السنة أيضاً شيئاً من شرابكَ ؟

العامل : أجل ، كمية لا بأس بها . ولمَ ندَعَ القمح يضيع ؟

الشيخ الثاني : وهل نجح الشراب ؟

العامل : هو خيرٌ من السنة الفائتة .

الشيخ الثاني : وأين تعلّمتَ ؟ . . .

العامل : بالسفر نتعلّم كثيراً من الأشياء .

الشيخ الثالث : صحيح ، صحيح ! أوه ! إنه يعرف كثيراً من الأشياء .

الفلاح : اشربوا .

(تحمل المرأةُ ابريقاً وتصبّ لهم ليشربوا) .

المرأة : على صحتكم ، يا ضيوفنا !

الشيخ الأول ، يشرب : على صحتكِ ! . . . آه ! هذا لذيذ . . . هو يُليّن المفاصل . . . شراب رائع ! . .

(يردد الشيوخ بالتتالي الجواب نفسه . يُظهر إبليس رأسه من فتحة الفرن . يأتي العامل ليقف بجنبه) .

العامل لإبليس : تأمّلْ الآن ما سيَجري . عرقلةٌ ماهرةٌ لتلك المرأة الساذجة ستقلبُ لها كأسها . . . لم يكن يأسف قديماً على خبزه ، فاسمعْ ما سيقوله الآن من أجل كأسٍ من ماء الحياة .

الفلاح : يا امرأة ، هلا صببتِ . . . جولةً أخرى . . . للاشبين هناك ، ثم للعم ميشيل .

(تدور المرأةُ حول الطاولة وهي تصبّ الشراب لكل واحد منهم . يُعرقلها العامل فتتعثّر فتكبّ شرابَ كأسِها) .

المرأة : آه ! يا إلهي ! لقد أوقعتُ . . . لكن لماذا تنحشرُ أنتَ يا شيطان بين ساقيّ .

الفلاح ، هائجاً على امرأته : آه ! يا امرأة الشيطان الملعونة ! إنها خرقاء كالكتْعاء وتسمح لنفسها باتّهام الآخرين . أيّ كنزٍ أرقْتهِ على الأرض !

المرأة : لم أفعل ذلك عمداً .

الفلاح : أرجو ذلك . . . خذي حذرَكِ ، إن نهضتُ فسأُعاملك

كيف تكبين ماءَ حياتي . (للعامل) وأنتَ . أيضاً ، لم تدورُ حولَ المائدة ، أغربْ عني إلى الشيطان ! .

(تصب المرأة الشرابَ للشَرْب مرةً أخرى) .

العامل مقترباً من الفرن ، لإبليس : أرأيتَ ؟ قديماً كان فقدانُ كسرة الخبز الوحيدة لا يدعوه إلى الأسف ، أما اليوم فمن أجل كأس حقيرةٍ من ماء الحياة يوشك أن يضرب امرأته ويرسل بي إلى الشيطان . . . إليكَ .

ابليس : جيّد . اهنئكَ .

العامل : واصبرْ قليلاً . فسوف تُهنئني ، عند نهاية الزجاجة . ها هُمْ قد أخذوا يقولون الكلامَ اللطيف والمعسول ؛ وعمّا قريبٍ يأتي التملقُ ، وسوف تستمع حينئذ إلى حيل هذه الثعالب القديمة .

الفلاح : حسناً ! أيها الشيوخ المحترمون ، ما الذي قررتموه بشأني ؟ إن جدّي الذي كان يعيش معنا والذي كنتُ أطعمُه ، قد عاد إلى بيت عمّي . وهو يطالب حصةً من أرضي ليُعطيها ابنَه . . . أعلم أنكم ستسوّون هذه القضية أحسن تسوية . فأنتم رجالٌ أذكياء . آه ! يا إلهي ! لولاكم ، لما كنا سوى جسم بلا رأس . . . لا شبيه لكم في القرية . إيفان فيدوتتش ، مثلاً رجلٌ من الطراز الأول . . . كل الناس يقولون ذلك . . . أما أنا ، فاذا شئتَ أن أكلّمك بصراحة ، يا ايفان فيدوتتش ، قلتُ لك : إنني أضمر

لك من الحب أكثر مما أضمر لأبي ولأمي . . . الأمر هكذا .
وميشيل ستيبانيتش . . . هذا الصديق القديم . . .

الشيخ الأول ، للفلاح : إن الحديث مع الرجل الطيب فَرَحٌ للقلب ، وغنىً للعقل . . . وأنتَ ، أنت رجلٌ طيب . والحق أنك أنت أيضاً لا مثيلَ لكَ .

الشيخ الثاني : أنتَ ذكي ومحبوب . ولذلك أحبّكَ .

الفلاح الثالث : إني أحمل لك الكثير من الحب حتى إن الكلمات تُعْوِزني للتعبير عنه . قبل قليل كنتُ أقول ذلك لامرأتي .

الشيخ الرابع : أنتَ صديقٌ ، صديق حقيقي !

العامل لابليس ، وهو يدفعه: أرأيتَ كيف يكذبون . إذا أداروا ظهورهم أوسَعَ كل واحدٍ جارة شتماً . . . لكنْ انظر إليهم ، إنهم كالثعالب التي تُحرّك أذنابها . هذا من تأثير شرابي .

ابليس : شرابٌ جيد ! شرابٌ ممتاز ! . . . إذا بدؤوا يكذبون على هذا النحو فهم جميعاً لنا . مرحى ، أهنّئك .

العامل : انتظرْ حتى يشربوا زجاجةً ثانية ، وسترى ما الذي يكون .

المرأة ، تحمل ماء الحياة أيضاً : هيّا ، اشربوا . على صحّتكم !

الشيخ الأول : لعلّنا قد أكثرنا ؟ . . . على صحتك . (يشرب) من الممتع أن يشرب المرء مع شَرْبٍ كرام .

الشيخ الثاني : لا سبيل إلى الرفض . . . على صحتكما : السيد والسيدة !

الشيخ الثالث : يا أصدقائي ، أشربُ على صحتكم . . .

الشيخ الرابع : آه ! ما ألذّ هذه الجعة ! . . . هيّا ، سنسوّي الأمرَ كله . . . أريد ذلك .

الشيخ الأول : تريدُ ذلك ! لستَ أنتَ الذي يأمر هنا ، وإنما نحن القدماء .

الشيخ الرابع : آه ! نعم . أنتم أقْدمُ ، لكنكم أغبى أيضاً . أغربْ من حيثُ أتيتُ .

الشيخ الثاني : مهلاً ، لمَ تَشْتُمُ الناس ، أنتَ ، يا غبي !

الشيخ الثالث : الحقُ معه ، على كل حال . لم يُقمْ صاحبُ البيت مأدبته من أجل سواد عيوننا . يريد أن نسوّي له شؤونه الصغيرة . . . يمكننا أن نفعل ذلك له . . . لكنْ . . . يجب أن يَسْقينا . . . أليس صحيحاً ؟ . . . ثم . . . يجب أن تُبدي احترامَكَ ، كما تعلم ؟ . . . لأننا نحن . . . الناسُ يَسْتخفّون بنا . . . أما أنت . . . فأنت بحاجة إلينا ثم إنك أنت . . . لستَ سوى خنزير . . .

الفلاح : احلك عن نفسك . مالك تصرخ ؟ رأينا الكثير من أمثالك ، كما تعلم . امضوا ، أنتم جميعاً لا تصلحون إلا للأكل .

الشيخ الأول : كفاك خبثاً ، أنت ، أتسمع ؟ . . . وإلا فرَكْتُ أنفك .

الفلاح : سنرى .

الشيخ الثاني : آه ! يا له من شخص قبيح ! . . انظرْ إليه ، ليأخذْه الشيطان ! . . . لا أريد حتى أن أتحدث مع هذا الحيوان ! سأنصرف .

الفلاح ، ممسكاً به : مهلاً ، ابقَ .

الشيخ الثاني : دعني ، وإلا ضربتُك .

الفلاح : لا ، لن أرخيك . ليس لك الحق . . .

الشيخ الثاني : خُذْ ، هذا هو حقّي .

(يضربه)

الفلاح : ساعدوني ، أنتم الآخرون !

(تدافع عام . الفلاح والشيوخ الأربعة يتكلّمون معاً) .

العامل ، **لإبليس** : حسناً ! هل رأيتَ ؟ أليس دمُ الذئب هو الذي أخذ يجري في عروقهم ؟ نعم ، ها هم جميعاً شريرون كالذئاب .

ابليس : شرابٌ ممتاز ! تهانيّ .

العامل : انتظرْ ، انتظرْ ، حتى يُفْرغوا زجاجتهم الثالثة . سترى مفاجآت أيضاً .

ستار

الفصل السادس

« شارع في القرية . إلى اليمين ، عجائز جالسات على جسور خشبية مع جَدّ الفلاح . في وسط المسرح نساء وبنات وفتيان يعقدون حلقات ويرقصون ويغنّون . ومن كوخٍ خشبي تصل أصوات وضوضاء صادرة عن سُكارى ؛ يخرج أحدُهم وهو يصرخ بصوتٍ مخمور . الفلاحُ الذي يخرج وراءه يجرّه إلى الكوخ الخشبي .

المشهد — ١ —

الشيخ ، وحده : آه ! أيّةُ خطيئة هذه ، أية خطيئة هذه ! ماذا يلزمهم غير هذا ! أيّ شيء أمتع ، في يوم العيد ، من أن نستريح من عمل الحقول ، وأن نتزيّن بعض الشيء ، وأن نُعد أدواتنا ، ثم أن نجلس في البيت لنتذوّق مع الأسرة فرحة الاستراحة ، أو أن نذهب للنزهة في الشارع ونتحدث عن مصالح القرية ؟ هل يمكن أن يتمنى الإنسان خيراً من ذلك ؟ إذا كنّا شباباً فهناك حلقات الرقص . وها هم يلهون ما أجمل لهوهم ! يسرّ الناظرين ! هذا شريف ، وبهيج . (صرخات في الكوخ الخشبي) . أمّا ذاك فما هو ؟ عذابٌ للناس وفرح للشياطين . وكل هذا يأتي من الوفرة والغنى .

المشهد — ٢ —

« فتياتٌ وفتيان وشيوخ وفلاحون . رجال سكارى يخرجون وهم يترنّحون من الكوخ الخشبي . أشاعوا الفوضى ، وهم يصرخون في الحلقات وأخذوا يضايقون الفتيات » .

البنات : دَعْني ، عمّ كارب ، ماذا دهاك ؟

الفتيان : هيّا إلى الشارع الثاني . لا نستطيع أن نلهو هنا بسلام .

(يخرجون جميعاً ما عدا السُكارى والجدّ) .

يدنو الفلاح من الجد ويهزأ بحركاته منه : أتراك تقدّمْتَ ؟ . . .
سيَقْضي لي الشيوخُ القدماء بالحصة كاملةً . وهذا لكَ
خُذْ ... عضٌ . أَعْطوني كل شيء ، ولم يتركوا لك شيئاً .
وهم هنا ليُخبروك بذلك .

الشيخ الأول : لأن فكري ، أنا ، مُرْهفٌ ، يميّز الحقيقة .

الشيخ الثاني : سأرفعُ صوتي فوق جميع الأصوات . أنا لا أخاف .

الشيخ الثالث : هذا الصديق ! هذا الصديق الوفيّ ! هذا الصديق الممتاز !

الشيخ الرابع : إلى الأمام أيها الكوخ ، إلى الأمام أيها الفرن ! لن يبقى للسيدة بيت ! عاش الفرح !

(يخرج الشيوخ متشابكين اثنين اثنين وهم يتعرّجون . يتّجه الفلاح إلى كوخه لكنه يتعثّر ويقع ويرسل همهمةً تذكّر بهمهمة الخنزير . ينهض الجدُّ و الفلاحون ويتفرقون) .

المشهد — ٣ —

« إبليس والعامل يخرجان من الكوخ » .

العامل : هل رأيتَ ؟ دمُ الخنزير هو الذي يظهر الآن . لقد تحوّلوا من حيوانات متوحشّة إلى خنازير . (يشير إلى الفلاح) .

انظرْ إلى هذا الخنزير القذر الذي يتمرغ في الطين وهو يهمهم .

ابليس : هيّا ، ستكون لك حصتُكَ أثناء التوزيع . كانوا ثعالب في أول الأمر ، ثم ذئاباً ، ثم خنازير ، كانوا حقاً ذلك كلّه . رائعٌ شرابُك ! علّمْني كيف حضّرْتَهُ . لا بدّ أنك أدْخلت فيه دم الثعلب والذئب والخنزير ؟

العامل : إطلاقاً ، لا ، وإنما وفّرتُ لهذا الرجل محاصيل تتجاوز حاجاته . فعندما كان يَجْني كمية من الحبوب لا تكاد تكفيه ، كان يستطيع أن يستغني عن الخبز دون أن يتذمّر . أما عندما جاءه من القمح ما لا يعلمُ كيف يفعل به ، تحرّكَ فيه دمُ الثعلب والذئب والخنزير . هذا الدم كان فيه منذ الأزل ، لكن لم يملك إمكانَ الظهور

ابليس : يا صديقي الجسور ، لقد استحققْتَ خبزتك . ما عليهم الآن إلا أن يشربوا ماء الحياة وسيظلّون في قبضتنا إلى الأبد .

ستار

الاقطاعي الذي افتقر

مشاهد دراميّة في عشر لوحات

١٨٨٦



الاقطاعي الذي افتقر
مشاهد درامية في عشر لوحات
اللوحة الأولى

« أمام باب الكنيسة ، يقف الخدم ومعهم محفّة ، ينتظرون الإقطاعي وزوجته » .

المشهد — ١ —

« الخادم الأول والخادم الثاني والخادم الثالث » .

الخادم الأول : وها هو يذهبُ إلى الكنيسة !

الخادم الثاني : تأخّر حتى ذهب ! فمنذ عشرين سنة وأنا في خدمته ، لم يذهبْ إلى الكنيسة مرة واحدة !

الخادم الثالث : لا شك أنه يريد أن يتوب .

الخادم الأول : بدأ بالتوبة متأخّراً ! لقد أجرى كثيراً من الدموع ! وأمَرَ بقتل بطرس ، واختطف زوجةَ سيميون ، ابنة تيودور ، وعذّب المساكين ؛ الناسُ يلعنونه ، لكنه لا يكفّ عن قَصْفه وترفه . وهو يشرب من المساء إلى الصباح ، ويمارس الصيد ، ويتنزّه ؛ ولا يتصدّق على الإطلاق ؛ بل إنه لا يدعُ المتسوّلين يدخلون فِناءه . فكيف يَغْفِرُ اللهُ مثلَ هذه الذنوب !

الخادم الثاني : أتظنّ حقاً أنه سيتوب ؟ ليس ذلك من شيمته . سوف يدنّس ، بالأحرى ، شيئاً في الكنيسة ! (في هذه اللحظة ،

تخدّد البروقُ السماءَ ويَقْصف الرعدُ) . يا إلهي !ماذا جرى ! السماءُ صافيةٌ وها هو الرعد يَقْصف !

المشهد — ٢ —

« يخرج من الكنيسة خادمٌ يركض » .

الخادم : شيءٌ مروّع ، ما فعَله سيدُنا !

(الناس جميعاً يحيطون بالخادم ليسألوه) .

الخادم الأول والخادم الثاني والخادم الثالث جميعهم في آن واحد : ما الخبر ؟ ماذا جرى ؟ احكِ ، بسرعةٍ !

الخادم : اسمعوا ! لقد دخل القدّاسَ قبل قليل ، وقبّعتهُ على رأسه وجلس في الوسط ونظر حوله . في هذه اللحظة ، صعد الشماسُ ليقرأ الأناجيل . وقرأ هذا المقطع الذي جاءَ فيه : « ويلٌ للذين يعيشون في الرخاء(١) . . . » فصرخ سيّدُنا : « أنت تكذب ، أعطني هذا الكتابَ المقدّس » . وأمسكَ بالكتاب المقدّس وأخذ يمزّقه بحنق . لكنه ما كاد يبدأ بتمزيق الكتاب المقدّس حتى بدأ الرعد يَقْصف ، حينذاك هربتُ .

المشهد — ٣ —

« يخرج الإقطاعيُّ وخلفه الجمهور » .

الإقطاعي: انظروا إلى هذا ! لقد تجرّأ على القول : إن المتسولين

(١) استشهاد غير دقيق من انجيل لوقا : ٦ — ٢٣ .

سيصبحون سعداء وأن الأغنياء سيفتقرون ! وكيف ذلك ، من فضلكم ؟ كيف أفتقرُ وعندي مئةُ قريةٍ ، والمقاطعةُ كلها خاضعةٌ لسلطتي ؟ كل ما هو مكتوبٌ في الكتاب المقدّس كذبٌ ! ولا يجب أنْ نَنْشر الكذب ؛ ولذلك انتزعتُ هذه الصفحات ووضعتُها في جيبي ؛وهكذا لن يقرأها أحدٌ . وأنا الذي عاش حياتَه غنياً ، سأقضي بقية حياتي في الرخاء . (مخاطباً الشعبَ) . حسناً ! وأنتم ممّ تخافون ؟ ألم يخبروكم أنكم يجب أن تستعدوا لحَوْش الطرائد . امضوا ! أسرعوا . سأعود إلى بيتي لأتناول فطوري ، ثم نسير بعد ذلك مباشرة في طريقنا .

(يصعد إلى المحفّة ؛ يسير به الخدم . الرعدُ يَقْصف .بروقٌ خاطفةٌ للأبصار) .

الإقطاعي: تستطيع أن ترعد . لستُ أخشاك . ارعدْ ! ارعد !

اللوحة الثانية

« الغابة . يُسمع صوتُ البوق . يصل صيادان » .

المشهد — ١ —

الصياد الأول : هل رأيتَ سيّدنا .

الصياد الثاني : إيه ! لا . لم أره منذ أن ترجّل عن جواده .

الصياد الأول : كيف حدَثَ أنه ترك جواده ينصرفُ ؟ عندما كان على جواده ، جَرحَ أيّلاً ، فابتهج بذلك ، وترجّل وأراد أن يُجهز عليه ، لكن الأيل ، نهض على قوائمه

وأفلت منه . فانطلق هو راكضاً في إثره . وهرب جواده .
أردْنا أن نلحق به فلم نُفْلح .

(يصل صياد ثالث) .

الصياد الثالث : ماذا تفعلان هنا ؟

الصياد الأول والثاني معاً : ننتظر سيّدنا .

الصياد الثالث : أنتما كمنْ يجري وراء نهار أمس . لقد عاد سيّدُنا .

الصياد الأول : كيف ! وجواده !

الصياد الثالث : أمسكوا به واقتادوه إليه . وامتطاه عند النهر .

الصياد الثاني : أنتَ تكذب .

الصياد الثالث : بالتأكيد لا ! رأيته بعينيّ . أنا أمسكتُ له بالركاب .

(يذهبون)

المشهد — ٢ —

« يُرى أيّلٌ يقف جامداً وراء مُنسغة . يبرز الإقطاعي حاسر الرأس وفي قبضته خنجرٌ » .

الإقطاعي: أين هو ؟ أين تراه يكون ؟ يا للشيطان ! لكني واثقٌ أنه كان هنا قبل قليل . يا لهم من أوباش سيئين ! أين كانت عيونهم ؟ تركوا جوادي يهرب . انتظروا قليلا . عندما أعود فسآمر بَجلْدكم جميعاً ! (يشبُ الأيّل فجأة ، فيجري الإقطاعي في اثره ، يُريان من بعيد وهما يظهران ويختفيان) .

(تُمثّل ، إن أمكن ، ساقيةٌ يَعْبرها الأيل سباحةً ، والإقطاعي يسبح في اثره ، بعد أن ترك ثيابه الفخمةَ على الشاطىء) .

اللوحة الثالثة

« الغابة . . إن كان هناك ساقية ، فيجب أن يكون الإقطاعي عارياً ، وإن لم يكنْ ، فيجب أن يكون مجرّداً من بعض ثيابه ، بلا بندقية ، ولا بوق صيد ، ولا سكين ، حاسر الرأس » .

المشهد – ١ –

الإقطاعي: يا شياطين ! يا أنذال ! يا أوباش ! انتظروا قليلاً حتى آمر بجلدكم جميعاً . ولا يُجيبون . انتظروا قليلاً ! ستَدفعون ثـَمنَ ذلك كله ! يا بذرة الشيطان ! لقد ذهبوا وتركوني وحدي ! آه ! لا تفقدون شيئاً في انتظاري ! (يصيخ السمع) . لا أحد ؟ (يتمدّد على الأرض) . آه ! ذلك الأيّل الملعون ! إلى هنا أوصلني ! سأُضطَر إلى قضاء الليل في الغابات ! أيها الأوباشُ القذرون ! أيها الأوغاد ! ستعرفونني عندما آمر بَجلْدكم ! الواحد تلو الآخر ، أولاً . لن ينجو أحدٌ ! لن يُفلت أحدٌ وسوف يتكرر الجلدُ ! لن ينسوا هذا العقاب في زمنٍ قريب ! يا ناس ! يا ناس ! . . . لا أحد ! . . . أهناك أحد ؟ (ينهض) لا بدّ مع ذلك من أن أجد أحداً أو أن أبلغ النهر ، الذئاب قد تهاجمني هنا . يا ناس ! (يصرخ أبداً) . جفّتْ حنجرتي تماماً ! إذا استطعتم أن تحصوا الجلدات فاحصوها ! سأحطم لكم ظهوركم ! يا ناس ! يا ناس ! .

المشهد — ٢ —

« يصل قُطّاع الطرق وهم مدجّجون بالسلاح ؛ يحملون أكياساً ثقيلةً . يُشعلون ناراً عظيمة » .

قاطع الطريق الأول: قديماً ، كان المارةُ يخافون قُطّاع الطرق ، أما الآن فنحن الذين نخافُهم ؛ هذا بسبب ذلك الصيد اللعين للإقطاعي في هذه الغابة ؛ لا سبيل إلى الهدوء !

القاطع الثاني : أجل . يا لسوء الحظ ! انقضى النهارُ ولم نجدْ شيئاً ، لم ننهبْ شيئاً ! يجب علينا ، في نهار غد، أن ننهض مبكّرين لنطوف الدروب بحثاً عن الغنيمة !

القاطع الأول : ليس هناك من داعٍ شديد للشكوى من حياتنا ، لكنْ ، ها نحن غيرُ مرتاحين ! .

القاطع الثالث : ولمَ تخافان الإقطاعي إلى هذا الحدّ ؟

القاطع الأول : ألا تَفْهمُ إذن ، يا غبيّ ، أن الإقطاعي ليس فلاحاً بسيطاً ؛ فهو عندما يخرج ، يصطحب مئةَ فارسٍ بسلاحهم، ومئتي راجلٍ ، ولو خالفَنا الحظّ وعرَفَنا فلن يبقى منا أثرٌ .

القاطع الثاني : صحيح ! ولذلك هربْنا !

القاطع الأول : ماذا تظن ؟ يجب ألا تُنازع غنياً ولا تُصارع قوياً . كل هذه الغابات التي تراها فهي له ، والقريةُ كلها له أيضاً ؛ هذا رجلٌ له شأنهُ ؛ إنه قوي جداً . وهو قاطع طريق مثلنا ، لكنه من طبقة أخرى لا أكثر . (في هذه

اللحظة تُسمع نداءات الإقطاعي ولعناتُه خلف المسرح) .
آه ! آه ! يا شياطين ! يا لصوص ! انتظروا قليلاً ،
سأُريكم مقدرتي ! يا ناس ! يا ناس !

المشهد – ٣ –

« قُطّاع الطرق يصيخون السمع) .

القاطع الثالث ، **واثباً على رجليه** : عجباً ! كأنه غول ؛ هذا غولٌ يعوي !

القاطع الثاني : انتظرْ لأذهب وأرى إن كان غولاً حقاً . (يرى الإقطاعي وهو يقترب) . أرأيتَ أنه ليس غولاً ! هذا شخص ضل طريقه ؛ وهو سكران ، من دون شك . يا صاحب الأناقة ! أنتَ !

الإقطاعي : ، يُشاهدُ قطّاعَ الطرق : آه ! ها أنتم هنا ! تركتم بنذالة سيدّكم ومعلّمكم وجلستم هنا مرتاحين حول النار ! لكن انتظروا قليلاً !

(ينقضّ عليهم ويأخذ بضربهم . ينهض قاطعُ الطريق الأول ويمسك به من قبة ثوبه .

القاطع الأول : آه ! قلْ لي ، أنت باسل ! أنتَ محارب !

(يمسكُ بيديه ويهزّه) .

الإقطاعي : يا قذر ! يا حقير ! يا وغد ! يا شيطان ! انتظرْ قليلاً .

(يتخبّط)

القاطع الأول : هل رأيتم قط أرعن مثل هذا الأرعن ! اعطني حَبْلاً !

الإقطاعي: ماذا ! تجرؤون على ذلك ! ألم تعرفوا سيدّكم ؟ سأَسْلخ لكم جلودكم ، حتى إذا سلختها شنقتكمْ من أرجلكم !

القاطع الثاني ، رابطاً يديه خلف ظهره : يا سيدور ! أَحْكِمْ الربطَ بينما أَجْلدُه أنا حتى أعلّمه كيف ينْسى سيادتَه .

(يأخذ سوطاً) .

القاطع الثالث : ليس له هيئةُ الإقطاعي على الإطلاق .

الإقطاعي: نعم سآمر بشنقكم .

القاطع الأول ، يجلده بالسوط أول جلدة : هذه واحدة ! هيّا ، يا سيّد ! اقفزْ قليلا ، اقفزْ !

الإقطاعي: آي ! آي ! لا لا !

القاطع الأول : وهذه الثانية ! أهكذا كنتَ تَنْوي أن تجلدناً أم بطريقة أخرى ؟

الإقطاعي: آي ! آي ! اوه ! أقسم لكم أنني سيّدكم !

القاطع الأول : طبعاً ، صدّقْتُكَ ! ومن أجل ذلك بالضبط أَجْلدك ! (ينفجر ضاحكاً) .

(ينفجر ضاحكاً) . انتظرْ ، يا صديقي ! سوف أعرّيك ، وهكذا سنرى بصورة أفضل أنك السيّد الإقطاعي .

(يَضْربه قطّاعُ الطرق ، ويربطونه بشجرة ، ويُعرّونه) .

اللوحة الرابعة

المشهد – ١ –

« الصباح ، في الغابة ؛ الإقطاعي مربوطٌ بجذع شجرة وهو عارٍ تقريباً . إنه يئنّ » .

الإقطاعي: اوه ! آي ، آي ! ماتتْ ذراعاي ! اوه ! كم سيكون انتقامي عظيماً ! سآمُرُ أن يُجلَدوا بقضبان الحديد ! اوه ! ظهري مُوجَعٌ ، محطّمٌ ! ستدفعون ثمن ذلك كله! انتظروا حتى ألقاكم ، أيها المستهترون ! ستدفعون ثمن ذلك ، أيها اللؤماء ! آوه ! آه ! جفّتْ حنجرتي تماماً ! سأسجنكم في الزنزانات ! في السجون الخفيّة ! سأدعُكم تهلكون فيها من الجوع .

المشهد – ٢ –

« يصل راعيان : شابٌ وعجوز » .

الراعي الثاني ، العجوز: آه ! يا للمصيبة ! يا للمصيبة ! مَنْ الذي ارتكب هذا الذنبَ البشع ؟ لا شكّ أن قطاع الطرق هم الذين نهبوه وربطوه .

الإقطاعي ، وقد رآهما : هلا استعجلْتما ، أيها الغبيّان ! مالكما تقفان هناك جامديْن ؟ أسرعا ! عجلاً ! خلّصاني على عجل !

الراعي العجوز : اولئك ناسٌ لا يخافون غضبَ الله ! . . انظرْ كيف

عذّبوه .(يدنو ويفكّ الحبال) . أرأيتَ هذه العُقدَ المُحْكمة ! أعطني سكينك ، يا جان .

الإقطاعي: كفاكَ تراخياً ! لمَ تتباطأُ ، أسرعْ ، أيها الخامل !

الراعي العجوز ، يقطع الحبال : وبعدُ ، يا صديقي ! أتريد شيئاً من الماء ؟ جان ، هات ماءً وخبزاً !

الراعي الشاب ، يحمل إبريقاً من الماء ورغيفَ خبز : خذْ ، يا صديقي الطيّب ، كلْ واشبعْ .

الإقطاعي ، يستلقي على الأرض ويئن ، هائجاً : يا لقطّاع الطرق الحقراء ! ماذا فعلوا بي ؟ لكنهم لن يفلتوا من انتقامي !

الراعي الشاب : يا عمّي ، إنه يهدّد .

الراعي العجوز : دَعْه وشأنه ؛ إنه يَهْذي ، وسيثوب إلى نفسه . يجب أن نغطيّه .(يخلع قفطانه القديم ويهمّ بتغطية الإقطاعي). خذْ ، يا صديقي المسكين ، ضعْ هذا الرداءَ عليكَ .

الإقطاعي، ينظر إلى القفطان القديم دون أن يشكره : أنت مجنون ! أتجرؤ أن تُلقي عليّ هذه القذارة ! هذه البشاعة ! أتعرفُ مَنْ أنا ؟ أنا سيّدُك! اخلعْ بلوزتك ، ولبدتك ، ونفّضْهما بعناية ؛ وحينئذ ربما قبلتُ أن ألبسهما ! وبعد ذلك على الفور خذني إلى القصر ، قصري ، قصْر سيّدك ومعاشّك .

الراعي العجوز : لا مجالَ للنقاش ! فهو ، بلاشك ، مجنون ؛ إذ يزعم أنه السيّد الإقطاعي ؛ لقد رأيتُ سيّدي أمس ،

أمس بالذات ، رأيتُه بعينيّ هاتين ، لكنه كان ممتطياً جواده الجميل ، وكان يجري نحو قصره . (مخاطباً الإقطاعي) . هذا يكفي ؛ ضَعْ على ظهركَ ما أعطيناك ، وامضِ إلى القرية ، وهناك ستَسْتريح !

الإقطاعي، واقفاً على قدميه : آه ! أنت حقاً كالآخرين ! لستَ خيراً منهم ! ستنال العقابَ نفسه ! كيف تجرؤُ أن تكلّم سيّدك وقبعتك على رأسك . (ينزع عنه بعنف قبعة اللبد الكبيرة ويدحرجُها على الأرض) أَعْطني بلوزتك .

(يضعُ يده على بلوزة الراعي العجوز) .

الراعي العجوز: يلتقط قبّعته ، ويدفع الإقطاعي عنه ، بلطمة مفاجئة ، ويبتعد : لننصرفْ ، يا جان . تعال ، يا صغيري . فهو مجنون تماماً .

الراعي الشاب : كيف ! فككْناكَ من الشجرة ، وأطْعمناكَ ، وأعطاكَ قفطانهُ ، وتنوي أن تَضْربه ؟ دَعْهُ وشأنه أو حذار !

(يرفع سوطه ويدفع الإقطاعيّ بعنف شديد حتى يُصاب بالذُعر . يبتعد الراعيان ، بينما يستلقي الإقطاعي ويأخذ بالأنين) .

المشهد — ٣ —

الفلاحون يمرون بدورهم : انظروا ، هذا رجل مستلق هنا .

الإقطاعي: أيها القرويون ! اجروا إلى قصريّ لتُعلنوا أن سيدَكم قد عُثِرَ عليه . ليرُسلوا إليّ عربةً وخدماً ، وخذُوني ، في أثناء ذلك ، إلى كوخٍ لكي أستريح .

شيخ : ماذا تَحكي ؟

الإقطاعي: إنني سيدكم !

الشيخ : كيف ، أنت سيّدنا ! سيّدنا في بيته ، ثم إن سيّدنا لا يجري وقدماه حافيتان .

الإقطاعي: أنت غبي ، لا تفهم شيئاً . كنتُ أُطاردُ أيّلاً ، وضللتُ طريقي . أنا سيّدكم الوحيد ، وهم يبحثون عني .

الشيخ : كفى كذباً . سيّدنا مرّ أمامنا أمس ، وقد رأيناه بذاته ، وفي هذا الصباح ، جاء أحدُ حجّابه ليرانا . ونحن نعلم جيداً أن سيدّنا في بيته .

الإقطاعي: يا عصابةً من قطّاع الطرق ! أنتم تكذبون ! وسترون ! صبراً !

الشيخ : كفى كلاماً ، يا صديقي الطيب ؛ لقد ركلكَ الراعيان ، على ما يبدو . ألم يكفك هذا ؟ أتريد ركلاً بعد ؟ اهدأْ إذن وامضِ في طريقك !

الإقطاعي: هم يرفضون أن يفهموا شيئاً ! اصغوا قليلاً . اصغ ،أنتَ ! ألستَ تصدّق أنني سيّدك ؟ أعطني ورقةً وريشةً وسأكتب إلى زوجتي ! ستعرف خطّي وسأضيفُ شيئاً لا يعرفه أحدٌ غيرها وغيري .

الشيخ : كفى ثرثرةً ! انصرفْ ! اغربْ عن وجهي !

الفلاح الأول : على كل حال ، لِيكتبْ ! ولنأخذْهُ إلى القرية .

(يُنهضون الإقطاعي السريعَ الغضب ويحملونه إلى القرية) .

اللوحة الخامسة

المشهد – ١ –

– كوخ –

الإقطاعي: اوه ! ما أشدّ تعبي ! لكنْ لماذا لا يأتون ؟ كان يجب أن يكون الجوابُ هنا ! إن زوجتي النبيلة ستسعدُ حين تراني على قيد الحياة . آه ! جاء شخصٌ أخيراً . (يصل رسولٌ). ما معنى ذلك ؟ أين عربتي ؟ وأينَ خدمي ؟

الرسول : ما أكثر عجلتَكَ ، أنتَ ؟

الإقطاعي: كيف تجرؤُ على مخاطبتي بهذه اللهجة ؟

الرسول : أجْرؤُ لأن سيّدنا قد أمرني بذلك .

الإقطاعي: أي سيّد ؟

الرسول : السيد الحقيقي . وهو ليس مثلك . قال ما يلي : لِيُطْرَدْ من هنا ، وأحبّ ألا أسمعَ باسمه بعد الآن ! فهمتَ ، إنه لا يريد أن يسمع باسمكَ بعد الآن .

الإقطاعي: آه ! يا إلهي ! يا إلهي ! وزوجتي ! بم أجابت ؟

الرسول : زوجتُكَ ، لا أدري بم أجابت ، لكن زوجة سيدي قالت : « هذا لا يُصدّق ! كيف يمكن أن يوجد مثل هؤلاء

الغشّاشين ؟ اطردوه ، هذا الغشّاش ! »

الإقطاعي: يا إلهي ! يا إلهي ! ماذا سيحلّ بي ؟

(ينهار ، ويبكي) .

صاحب الكوخ : يا لها من قصة ! يا صديقي ، فشلتْ حيلتُك ! انصرفْ برعاية الله !

اللوحة السادسة

« فناء مزرعة ، الإقطاعي مشغول بتقليب الزبل بصحبة فلاّحةٍ » .

الفلاحة : هذا رجل لا يُحسن أن يُمسك بالمذراة !(تلتقط المذراةَ من يده بحركة نزِقة) . أعطني المذراة. تبدو كأنك سيّد أخرق !

الإقطاعي: وَددتُ لو أُحسنُ ذلك ، لكنني لم أستطعْ .

الفلاحة : لكنك تُحسن أكلَ خبزي !

الإقطاعي: آه ! ما هذه الحياة ! ما هذه الحياة البائسة ! الموتُ أفضل منها !

الفلاحة : ضع نفسك في هذا العريش وجُرَّ .

(يطيعُها الإقطاعي ، يربط نفسه ، ويشدّ بجهود مضنية ويقع) .

الفلاّحة : لستَ صالحاً حتى لهذا ! أنتَ لا تصلحُ لشيء ! ما هذا الشخص الحقير الذي أُرْسِلَ إليّ !

الإقطاعي: آه ! ما أجملكِ ، يا عزيزتي !

الفلاّحة : آه ! وها أنتَ تغازلني الآن ! (يصل الفلاح) ما هذا الشخص الحقير الذي أرسلتَه إليّ . هو لا يصلح لشيء . وهو يغازلني .

الفلاح : ماذا ؟ سأعلّمكَ كيف تعيش معي . اغربْ عن وجهي ؛ يا لكَ من إقطاعي ! .

اللوحة السادسة

المشهد – ١ –

« قرية . يمرُّ الإقطاعي حافي القدمين ، حاسر الرأس ، مرتدياً ثياباً ممزّقة ، رثّةً ؛ يضطجع مُنْهكا على حافة الطريق » .

الإقطاعي: ها أنا أخيراً على الطريق الصحيحة ! سأصلُ الآن إلى بيتي . فاذا وصلتُ بيتي عرّفتُ بنفسي . لا يريدُ أحدٌ هنا أن يصدّق أنني السيّد ؛ كلهم يُهينونني ، ولا شيء غير ذلك ! إن لم أكشف عن شخصي تصدّقوا عليّ ، لكنْ ، ما أن أُعرّفهم بنفسي حتى يطردوني . لم آكلْ شيئاً طوال هذا اليوم . طيّب ! لن أقول بعد الآن : إنني السيّد .

(يدنو من كوخ ، وهو يتكلّم ، ويدقّ على النافذة) .

الرحمةَ ، أعطوني شيئاً آكلُه . (تنفتح النافذة ؛ ويُرى رأسُ فلاّحة يبدو من إطارها) .

الفلاّحة : عجباً ! متسول ! أنت ، متسوّل ؟ ألا تخْجلُ ؟ أنت

في صحة تامة ، سليمُ الجسم ، ويمكنك أن تشتغل ؛
أتبلغُ بك الوقاحةُ أن تطلب الصدقة ؟

الإقطاعي: لكنني لستُ متسوّلاً ، أنا السيدّ !

الفلاّحة : السيد لا يأتي ليدقّ على نوافذ الناس .

(تُغلق مصراعي الخشب وتتوارى) .

المشهد — ٢ —

« على الطريق يسير متسوّلان ، أحدهما أعمى والآخر مقطوع اليدين . يقتربان بدورهما من النافذة » .

المتسوّلان معاً : بجاه المسيح !

(تفتح الفلاّحةُ بحذرٍ نافذتَها ، تنظر وتعطيهما خبزاً وهي تقول :)

الفلاحةُ : خذا ! امسكا ! بجاه المسيح !

(يجلس المتسوّلان ويأكلان ، بينما تُغلق النافذة) .

الإقطاعي ، يدنو منهما : الرحمة ! أطعماني .

الأعمى : ولماذا لا تطلب الصدقةَ بنفسك ؟

الإقطاعي: طلبتها ! وألححتُ في الطلب فأبوا أن يعطوني شيئاً .

المقطوع اليدين : هيّا ! خذْ ! أعطه خبزاً .

(يعطيانه قطعة خبز يلتهمها التهاماً) .

المتسوّلان ، يسألانه : قلْ لنا ! مَنْ أنتَ ؟ من أينَ جئتَ ؟

الإقطاعي: أوه ! لم أعدْ أشتهي أن أرويَ ذلك ! فما ان اتكلّم حتى يسبّني الناس ويضربوني . لا يريد أحدٌ أن يصدّقني . لستُ أُحسنُ العمل ؛ وأشتهي أن آكل ! أنا جائع ! ارحماني ! خُذاني معكما ! سأكافئكما مكافأةً عظيمة ؛ ستكونان سعيدين ؛ سأَبْني لكما سعادتكما !

المقطوع اليدين : ولمَ لا ! سنأخذُه ! وسيَحْملُ الكيس .

الأعمى : إذا شئتَ ، فنحن موافقان !

(ينهض المتسوّلان ويمضيان ، وهما يقودان الإقطاعيَّ معهما) .

اللوحة الثامنة

المشهد – ١ –

« في بلاط قصر الإقطاعي . خَدمٌ . الناس في كل مكان يعزفون ويرقصون . ومن البوّابة الكبرى المفتوحة ، يُرى المتسوّلان والإقطاعي وهم يدخلون مرتّلين الصلوات » .

البوّاب ، يتقدّم نحوهم : الدخول ممنوعٌ هنا . انصرفوا ! افسحوا المكان !

صيادٌ : حذارِ ! حذارِ ! وإلا أطْلقتُ كلابي !

(يتابع الإقطاعي التقدّم وحده . تنقضّ الكلاب عليه لتعضّه) .

حوذيٌّ : انظرْ إلى هذا البطل ! انتظر ، يا صديقي . ستعضّ الكلابُ ربلات ساقيك .

(أثناء هذا الوقت تعضّ الكلاب ساقي الإقطاعي المتشرّد) .

الإقطاعي: آيْ ! آيْ !

(يُمسك به البواب من قبّة سترته ويجرّه إلى المخرج ، ويهزّه بعنف) .

البواب : أغربْ عنّي ، ما دمتَ حياً ! هيا ! اخرجْ !

الإقطاعي: جئتُ . . .

(في هذه اللحظة ، يُرى إقطاعيٌ آخر وهو يتطلّع من أعلى النافذة . ينظر الإقطاعيُ المتسوِّلُ وهو فاغرٌ فاه ، ويصمت) .

الإقطاعي المتسوِّل ، وقد عادتْ إليه ثقتُه بنفسه : يا إلهي هذا أنا الذي هناك ! في هذا البيت ! هذا أنا آخر في النافذة . لقد جُننْتُ ! ماذا جرى ؟

الإقطاعي ، من النافذة ، ويشير بيده : دعوا المتسوّلين يَدْخلون . هذا لهم . (يَرْمي بكيس مملوء نقوداً) . ليُغنِّ المتسوّلان والأعمى ، وقدّموا لهم الطعام . ولْيدْخُلْ بيتي ذاك الذي يحمل كيساً .

(يترنم المتسوّلون بصلواتهم) .

اللوحة التاسعة

المشهد — ١ —

« غرفة في داخل قصر الإقطاعي . الإقطاعي المتسول وحده على المائدة والخدمُ يخْدمونه » .

الإقطاعي المتسوّل : ماذا يمكن أن يَعْني ذلك ؟ أنا آخر في النافذة !
ما أصفى وجهه وما أعظم الطيبة التي تَشيعُ فيه !
لقد تصدّى للدفاع عني وسمح لي أن أدخل قصره . لم
أبلغْ إذنْ غايةَ شقائي . انتهتْ حياتي . لن يتعرّف عليّ
أحد أبداً ! قَدَري أن أموتَ في الفقر . لكنْ ، يا للسماء !
أية أعجوبة ! أية معجزة !

(يظهر النورُ ، ويخرج من هذا النور صوتٌ يقول) :

الصوت : أتعرف ذلك السيد الجاحدَ ؟ كان سيداً قوياً ، غنياً ،
ومتكبراً ، أتعرفه ؟ وهو لم يؤمن بكلام الإنجيل وكان
يؤكّد أن الغنيّ لا يمكن أن يفتقر . أتعلم الآن ما نفعُ الغنى
في هذه الدنيا ؟ أتعلم أنه لا يمكن الاتّكالُ عليه ؟ أأدركتَ
أن ذلك كله لم يكن سوى خيال زائل ؟ وهل أدركتَ
لمَ أتتْكَ هذه الرؤيا ؟ هل تتوبُ عن كبريائك ؟ هل
ثبتَ من غطرستك ؟

الإقطاعي: نعم ! لقد ثبتُ ولا أريد أن أعيش بعد الآن كما كنتُ
أعيشُ في الماضي .

الصوت : عُدْ سيّداً من جديد وكن جديراً بمركزك .

(تتحول ثيابُ الإقطاعي وتغدو جميلةً وفخمةً ؛ تدخل زوجتُه
وتقبّله بحنان . يُحيّيه الخدم باحترام) .

اللوحة العاشرة

« مائدة يُقدَّم عليها الطعامُ ببذخٍ ، وحولها يجلس المتسوّلان ،
بينما يخدمهما الإقطاعيّ وزوجته » .

ستار

سلطان الظلمات

دراما في خمسة فصول وست لوحات

١٨٨٦



سـلطان الظلمـات

دراما في خمسة فصول وست لوحات

« أمّا أنا فأقول لكم :ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى في قلبه .

فان كانت عينُك اليُمنى تُعثرك فاقلعْها وألْقِها عنك ، لأنه خيرٌ لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلْقَى جسدُك كله في جهنم » .

متى ٥: ٢٨-٢٩

الشخصيات

بطرس : ٤٢ عاماً ، فلاح غني ، متزوج للمرة الثانية ، عليل .

نيكيتا : ٢٥ عاماً ، مُدّعٍ للجمال ، عامل عند بطرس.

آكيم : ٥٠ عاماً ، والد نيكيتا ، فلاح نحيف وورع .

ميترتيش : عامل قديم ، جندي متقاعد .

والد خطيب آكولينا ، فلاح مشاكس .

زوج مارينا .

دركي .

خطيب آكولينا :

حوذي :

شاهد زواج :

قيّم القرية

آنيسيا : ٣٢ عاماً ، فلاحة مغناج ، زوجة بطرس .

ماتريونا : ٥٠ عاماً ، زوجة آكيم .

آكولينا : ١٦ عاماً ابنة بطرس من زواجه الأول ، صماء قليلا ، ومتخلفة عقلياً .

آنيوتكا : ١٠ أعوام ، ابنة بطرس الثانية .

مارينا ، ٢٢ عاماً ، يتيمة .

مافرا : العرّابة .

مارفا : أخت بطرس .

جارة :

الفتاة لأولى :

الفتاة الثانية :

خطابة :

الشعب .

مدعوون :

نساء :

فتيات :

الفصل الأول

« تجري الأحداثُ في الخريف ، في قرية كبيرة .يُمثّل المسرحُ بيت بطرس الخشبيّ الكبير . يجلس بطرس على مقعد ، ويُصلح إكليل جواد . آنيسيا وآكولينا تغزلان .

المشهد — ١ —

« بطرس ، آنيسيا وآكولينا . المرأتان تغنّيان » .

بطرس ، ناظراً من النافذة: ها إن الجياد ذاهبةٌ مرة أخرى ! سيقتلون مهري حتماً ! نيكيتا ! نيكيتا ! يا نيكيتا ! لقد صُمّتْ أذناه ! (يصغي ويخاطب المرأتين) كفاكما غناء ، أنتما ! لسنا نسمعُ شيئاً !

صوت نيكيتا ، في الخارج : ماذا ؟

بطرس : أعِدِ الجيادَ .

نيكيتا : بعد قليل ، انتظرْ !

بطرس ، هازاً رأسه : اوه ! هؤلاء العمال ! لو كنتُ مُعافىً لما كان عندي أحدٌ منهم أبداً ! هم منبعٌ للخطايا بالنسبة إلى أصحاب العمل ! (ينهض ويجلس ثانيةً) نيكيتا ! عبثاً تَصْرخُ

. . . (ملتفتاً إلى المرأتين) . لتذهبْ واحدةٌ منكما . . .

آكولينا ، اذهبي ، وأعيديها !

آكولينا : الجياد ؟

بطرس : ماذا ؟

آكولينا : على الفور .

(تخرج)

المشهد – ٢ –

« بطرس ، آنيسيا » .

بطرس : يا لَهُ من خامل ، هذا الولد ! إنه لا يُتْقن عمله ! قبل أن يكلّف نفسه النهوض والـ . . . ماذا أقول ؟

آنيسيا : يحقّ لكَ الكلام ! أنتَ أكثرُ حركةً منه ، أنتَ ! ينْتقلْ من الموقد إلى المقعد ويتمدّد مع الآخرين !

بطرس : لو لم نتمدّدْ معكم أنتم ، لبحثْنا عنكم سنة في البيت ! آه ! ما هؤلاء الناس !

آنيسيا : أنت تحشر عَشر شَغلاتٍ معاً ثم تتذمّر بعد ذلك . ليس بالصعب على المرء أن يأمر وهو متمدّد على الموقد(١) .

بطرس ، متنهداً : لو لم يتسلّط المرضُ عليّ لما احتفظتُ به يوماً واحداً .

---

(١) متمدد على الموقد : في البيوت الخشبية الروسية ، كان الموقد واسعاً جداً وكان من الممكن النوم عليه .

(صوت آكولينا وهي تسوق الجياد ، يُسْمع صهيل المهر ، وتدخل الخيول من الباب الكبير . الأبوابُ تَصرُّ) .

بطرس : المِزاحُ ، هذا دأبُه ! آه ! لولا المرض لما احتفظتُ به ، حتماً !

آنيسيا ، تقلّده : لما احتفظتُ به ! . . أودُّ لو أراك تعملُ ، وبعد ذلك تستطيع أن تتحدّث .

المشهد – ٣ –

« بطرس ، آنيسيا ، آكولينا » .

آكولينا ، داخلةً : آه ! تعذّبتُ حتى أدخلتها . فالحمار كان يرفض الدخولَ ، على عادته .

بطرس : ونيكيتا ، أين هو ؟

آكولينا : نيكيتا ؟ في الشارع .

بطرس : وماذا يفعل في الشارع ؟

آكولينا : ماذا يفعل ؟ هو في الزاوية ، يثرثر .

بطرس : آه ، مِن هذه ! لا ينتفع المرءُ منها بشيء ! ! . . . ومع مَنْ يُثرثر ؟

آكولينا ، ثقيلة السمع : ماذا ؟

(تصدر عن بطرس حركة تدلّ على الغيظ ؛ تُتابع آكولينا غزلها) .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، آينوتكا » .

آنيوتكا ، داخلةً على عجل ، لأمها : أبو نيكيتا وأمه هنا . هما يريدان أن يأخذاه إلى البيت . . عسى أن أموت إنْ لم يكن ذلك صحيحاً !

آنيسيا : صحيح ؟

آنيوتكا : صحيحح ! عسى أن أموت ، على الفور ! (تضحك) . كنتُ مارةً وإذا نيكيتا يناديني . قال لي : وداعاً ، « آناباافلوفنا ! لا تَنْسَيْ أن تأتي لتتسلّي في عرسي . وقال لي : أنا ذاهبٌ من عندكم . . . » وأخذ يضحك .

آنيسيا ، لزوجها : أرأيتَ ! الناس ليسوا بحاجة شديدة إليكَ هنا ! هذا نيكيتا ينصرف من ذاته . وهو ، يقول : « سأطردُه ! »

بطرس : وماذا في ذلك ؟ لِيَنْصرفْ ! ألن أَجدَ غيره ؟

آنيسيا : والمال المسلّف ؟

(تتقدّم آنيوتكا إلى الباب ، تُصغي وتنصرف) .

المشهد — ٥ —

« آنيسيا ، بطرس ، آكولينا » .

بطرس ، مقطّباً حاجبيه : المال ! إن كان الأمرُ هكذا ، فسوف يعوّضني عنه بالعمل ، في هذا الصيف .

آنيسيا : نعم ، أنت مرتاح جداً لطرده . سيقلُّ مقدارُ الخبز المأكول ! وعلي أن أكدح طوال أيام الشتاء ، كالحصان العجوز المسكين . البنتُ ليست نشطةً في العمل ، وأنت تظلُّ متمدّداً على الموقد ، أنا أعرفكَ ؛ كفاك كلاماً !

بطرس : لا حاجة إلى اللعْلعة بلسانك قبل أن تعرفي ما الموضوع .

آنيسيا : الاصطبلُ مليءٌ بالماشية . فأنتَ لم تبع البقرة ، واحتفظت بالخراف للشتاء . ولا نكاد نجد الوقتَ الكافي لإعداد الماء والعلف ، وتريد فوق ذلك أن تَصْرف الخادم ! حسناً ! وأنا أيضاً ، لا أريد أن أعمل فلاّحةً ، وسأتمدّد مثلك على الموقد ، وليذهبْ ذلك كله إلى الشيطان ! افعلْ ما تشاء !

بطرس ، لآكولينا : اذهبي وأحضري العلف ، مالكِ ! حان الوقتُ .

آكولينا : العلف ؟ طيّب !

(ترتدي قفطانها وتأخذ حبلاً) .

آنيسيا : لا أريدُ بعد الآن أن أشتغل لك ، كفاني شغلاً ! لا أريد . اشتغلْ أنت نفسك !

بطرس : كفى ! ماذا أكلتِ اليوم ؟ أنت كالخروف المسعور !

آنيسيا : أنتِ وحدك مسعورٌ ! لا يأتينا منك لا العملُ ولا الفرح ! أنتَ تلتهم حياتي ! آه ! أيها الكلبُ العجوز الراجف !

بطرس ، يبصق احتقاراً ويرتدي ثيابه : سامحني الله ! سأذهبُ لأرى ما الأمر .

(ينصرف).

آنيسيا : أيها الشيطان العفِن !

المشهد — ٦ —

« آنيسيا ، آكولينا » .

آكولينا : لماذا تشتمين والدي ؟

آنيسيا : انصرفي ، يا حمقاء ، واخرسي !

آكولينا ، متقدمةً نحو الباب : أعرفُ لماذا تَشْتمينه ! أنت نفسك حمقاء ! كلبة ! أنا لا أخافك !

آنيسيا : ماذا تريدين ؟ (تنهض وتبحث عن شيء تضرب به آكولينا) . حذارِ ، سأضربكِ بالمذراة !

آكولينا ، فاتحةً الباب : كلبة ! شيطانة ! أنتِ شيطانة ! كلبة ! كلبة ! شيْطانة !

(تخرج)

المشهد — ٧ —

« آنيسيا ، وحدها » .

آنيسيا ، مشغولة البال : آه ! قال : تعاليْ إلى عرسي ! » ماذا يدبِّر ؟ سيزوِّجونه ! حذارِ ، يا نيكيتا ! إن كانت هذه أفكارك ،

فسوف أتعهّد . . . . لا أستطيع أن أحيا بدونه، لن أدعه يذهب .

المشهد ــ ٨ ــ

« آنيسيا ، نيكيتا » .

نيكيتا ، يدخل بحذر ، يتطلّع إلى جميع الجهات ، وحين يرى آنيسيا وحدها ، يدنو منها على عجل ويقول بصوت خافت : يا صديقتي ، الأمورُ ليست على ما يُرام ! جاء والدي وهو يريد أن يأخذني معه . لقد أمرني بالعودة إلى البيت . قال لي : « سنزوّجكَ حتماً وستعود إلى البيت » .

آنيسيا : حسناً ! تزوّجْ ! ماذا يهمّني من ذلك ، أنا ؟

نيكيتا : آه ! صحيح ! أنا أسعى لتدارك الأمور وهي تحثّني على الزواج ! (غامزاً بعينه) ولمَ ذاك ؟ هل نسيتِ ؟

آنيسيا : نعم ، تزّوجْ ! فهذا لا يخصّني .

نيكيتا : لماذا تشاكسين ؟ ما هذا ؟ إنها لا تريد أن ألاطفها ! مابكِ ؟

آنيسيا : ما بي أنك تريد التخلّي عني ، وإذا كنتَ تريد التخلّي عني فأنا لم أعدْ بحاجة إليك ، هذه هي القصةُ كلها .

نيكيتا : مهلاً ، آنيسيا ؟ أأنساكِ ؟ أبداً ، لا ! لن أتخلّى عنكِ ، قطعاً ، وانظري كيف أفكرّ : حتى عندما يزوّجونني فسأعودُ لألقاكِ ، بشرط ألا يحتجزوني في المنزل .

آنيسيا : وهل أحتاجُ إليك عندما تتزوّج ؟

نيكيتا : لكنْ ، ما الحيلة ، يا صديقتي ! لا سبيل ، مع ذلك ، للإفلات من مشيئة الأب .

آنيسيا : تُلقي كلَّ شيء على عاتق أبيك ، وكلُّ الأفكار منك . أنت تُحضِّر ذلك كله منذ زمن طويل مع حبيبتك القذرة « مارنكا » . هي التي خدعتْك . وهي لم تأتِ لوجه الله حين جاءت تحوم حول البيت ، في هذه الأيام الأخيرة .

نيكيتا : مارنكا ؟ أأنا بحاجة إليها ؟ هناك عددٌ لابأس به مثلها يُلاحقْنني !

آنيسيا : لمَ جاء أبوكَ إذن ؟ أنت وضعْتَ هذه الفكرةَ في رأسه ، كنتَ تخدعني .

(تبكي)

نيكيتا : آنيسيا ، أتؤمنين بالله ، نعم أم لا ؟ لم يخطر ببالي مثل هذا ، حتى ولا في الحلم . قطعاً ، لم أكُن أعلم شيئاً من ذلك . العجوز هو الذي يتحملُ مسؤوليةَ ذلك كله .

آنيسيا : إن كنتَ لا تريد ، فلا يمكن جرُّكَ بالرَسَن .

نيكيتا : هكذا أفكرّ . لا سبيل إلى مقاومة الوالد . لكن هذه ليست مشيئتي .

آنيسيا : قاومْ ، هذا كل ما في الأمر .

نيكيتا : أعرفُ واحداً أخذ يقاوم هكذا ، فداعبوا ظهره بعصيّ البلدية . هذا بسيط جداً لكنني لا أشتهيه . هذا يُدغدغ ، على ما يبدو .

آنيسيا : كفى دعابةً ! اسمعْ ، يا نيكيتا ، إذا أخذْتَ مارنكا فلا أدري ما الذي سأفعله بنفسي . . . سأقتل نفسي ! لقد ارتكبتُ إثماً ، وخالفتُ القانون . . . ولا أستطيع العودة عن ذلك . وإذا ما ذهبتَ فسوف أتدبّر أمري بحيث . . .

نيكيتا : ولمَ أذهبُ ؟ لو كنتُ أريدُ الذهاب لذهبتُ منذ زمن بعيد . البارحة بالذات ، عرضَ علي ايفان سيميونيتش عروضه . . . يُريدني حوذياً . . . فلم أقبلْ . وأيةُ حياة مع ذلك ! كلُ الناس يريدونني ، وأنا أعلم ذلك جيداً . آه ! لو لم تكوني تحبيّنني لاختلف الأمرُ !

آنيسيا : تذكّرْ ذلك جيداً ! سيموتُ العجوز بين لحظة وأخرى . وسنسوّي وضعنا . سنتزوّجُ وتصبح أنت السيد !

نيكيتا : لمَ التفكيرُ في أشياء بعيدة ؟ وماذا يهمّني من ذلك ؟ إني أعمل كما أعمل لنفسي . رب العمل يُحبنّي ،وربةُ العمل أيضاً ، وإذا كانت النساءُ يركضْن ورائي فلا يدَ لي في ذلك ، الأمر بسيطٌ جداً . . .

آنيسيا : ستحبّنُي ؟

نيكيتا ، يقبّلها : هكذا ! من كل قلبي ودائماً مثل . . .

المشهد — ٩ —

« نيكيتا ، آنيسيا ، ماتريونا »

ماتريونا ، تدخل وترسم علامة الصليب طويلاً أمام الصورة المقدّسة ، نيكيتا وآنيسيا يفترقان بغتةً : لم أرَ شيئاً ! لم أسمعْ شيئاً !

داعبتَ امرأةً صغيرةً . حسناً ! العُجول ، يا إلهي ، تلعب هكذا في المرعى . . . ولمَ لا ؟ هذا هو الشباب ! وأنتَ ، يابني ، المعلمُ يناديكَ من الفناء .

نيكيتا : أنا ، جئتُ بحثاً عن الفأس .

ماتريونا : أعْلمُ ، أعلم ، يا عزيزي ، ما الفأسُ التي تطلبها . إنها فأسٌ توجد ، على الأغاب ، قرب النساء .

نيكيتا ، ينحني ليتناول فأساً : طيب ، يا أمي ، الأمر جدٌّ إذن ! تريدين أن تزوّجيني ؟ أعتقدُ أنك مخطئة . وقبل كل شيء فأنا غيرُ حريص على ذلك .

ماتريونا : لمَ نزوّجكَ ، يا عزيزي ؟ عشْ كما كنتَ تعيش من قبل ! هذا كله من تخيّلاتِ العجوز . اذهبْ ، يا صغيري ، سندبّر أمورنا بدونك .

نيكيتا : الامر مضحك مع ذلك . فتارة تريدون تزويجي ،وتارة أخرى لا تريدون . قطعاً ، إني لا أفهم شيئاً من ذلك .

المشهد — ١٠ —

« آنيسيا ، ماتريونا »

آنيسيا : خالة ماتريونا ، هل تريدون حقاً أن تزوّجوه ؟

ماتريونا : وبأيّ شيء نزوّجه ، يا فراولتي الصغيرة ؟ كل هذا كلامٌ في الهواء ، من عجوزي . تَزْويجُه ، تزويجُه ، ليس أمراً بمقدوره . تعلمين أن الخيل لا تعاف الشوفان . إن كنّا بخير فلماذا نبحثُ عن الأفضل ؟ هذه هي حالتنا . ألستُ أرى إلى أين وصلتْ الأمورُ ؟

آنيسيا : حسناً ! خالة ماتريونا ، ليس لي أن أخبّىءَ نفسي عنك . أنتِ تعرفين كل شيء . لقد أثمتُ وأحببتُ ابنَكِ .

ماتريونا : آه ! يا له من شيء جديد ! وكأن الخالة ماتريونا لم تكن تعلمه ! أيه ! الخالة ماتريونا ، يابنتي ، امرأةٌ ماكرة ، سيّدة الماكرات ! الخالة ماتريونا ، يا فراولتي ، ترى على عُمْق مترٍ تحت الأرض . أعرفُ كلَّ شيء ، يا فراولتي ! أعرفُ لماذا تحتاج النساءُ إلى المسحوق المنوّم . وقد جئتُ بذلك معي (تفك طرفاً من شالها وتخرج منه كيساً من المسحوق) . ما يلزم ، أراه بوضوح ، وما لا يلزم ، لا أريد أن أعرفه ! الخالة ماتريونا كانت شابةً هي أيضاً ! ذلك انه لا بد ، مع عجوزي الأحمق ، من تدبير الأمور لنعيش . أعرفُ السبع والسبعين طريقةً ! إني أرى ، يا فراولتي ، أن عجوزكِ قد وضع قدماً في القبر . علامَ هو قادر ؟ اضربيه ضربةً بالمذراة لا تَسِلْ منه قطرةُ دم . وفي الربيع ، على أبعد مدى ، سندفنه . لا بدّ لك حينئذ من أحدٍ في البيت . . .وابني . . . ألن يكون رجلاً نافعاً ؟ ليس أسوأ من الآخرين ، فما فائدتي من منع ابني عقد صفقةٍ رابحة ؟ أأنا عدوّةُ ، ابني ؟

آنيسيا : بشرط أن يظلّ معنا ؟

ماتريونا : سيظلّ ، يا عصفورتي . تلك حماقات . تعرفين عجوزي . ليس له عقلٌ راجح ، لكن إذا دخلت الفكرةُ رأسه لم يُخرجْها منه سوى الشيطان بذاته .

آنيسيا : من أين جاء إذن هذا المشروع ؟

ماتريونا : أنت تعرفين ابننا ، يا فراولتي الصغيرة . تعرفين كيف يحبُّ النساء . ولا خلاف في أنه جذّاب الشخصية . . وكان ، كما تعلمين ، مستخدماً ، في السكة الحديدية ، وكانت هناك صبيّة ، يتيمة ، طاهية ، بدأت تلاحقُه .

آنيسيا : مارنكا ؟

ماتريونا : نعم ، هي ! عسى أن يحطّم الشلل عظامَها ! لا أستطيع أن أقول لك إن كان بينهما أو لم يكنْ بينهما شيء ، غير أن عجوزنا عَلِمَ بالأمر . أجاءت هي تثرثر أم أن الناس تحدّثوا عن ذلك ؟ . . .

آنيسيا : أهي جريئةٌ ، العاهرة !

ماتريونا : وإذا بالعجوز يتحمّس ! ذلك الغبيّ ! « سنزوّجه ، سنزوّجه ! للتكفير عن الإثم ! لِنعدْ به إلى البيت ، ولنزوّجْه ! » هكذا قال . وقلتُ كل ما بوسعي أن أقوله . فلم يُفد قولي شيئاً . عند ذاك قلت في نفسي : حسنا ! سأَقْلبُ لك مشروعَك » . تعلمين ، يا فراولتي الصغيرة ، أن هؤلاء الأغبياء ، يجب أن نوافقهم دائماً على ما يقولون ، وعندما نَنْتقل من القول إلى الفعل ، نَفْعل ما نشاء . في وقت قصير ، تستطيع المرأة أن تُقلّب في رأسها سبعاً وسبعين فكرةً . كيف تريدين أن يَفْهمونا ؟ قلتُ له حسناً ، يا صديقي ، هذه صفقة ممتازة ، لكن لا بدّ من

التفكير فيها . لنذهب إلى الولد ! وسنطلب مشورة بطرس اغناتيتش ، وسنرى ما يقوله . وها نحن قد جئنا !

آنيسيا : آه ! ما العمل الآن ، خالة ماتريونا ؟ وإذا ألزمه أبوه بذلك إلزاماً .

ماتريونا : الإلزام ؟ سندسّه تحت ذنب الكلب . لا تخافي . لن تتمّ القضية ! بعد قليل ، عندما نلتقي بعجوزك ، سأنخل كل ما يقوله نَخْلاً حتى لا يبقى منه شيء ، وإذا كنتُ جئتُ مع الأب فلكي أُنقذ المظاهرَ . وكيفَ إذن ؟ ابني يعوم في السعادة ، وهو مُقْبلٌ على سعادة أكبر ، ثم أزوّجه بعاهرة. لستُ غبيّة إلى هذا الحد ! .

آنيسيا : مارنكا جاءت تلاحقه إلى هنا . أتصدّقينني ، يا خالة ماتريونا ؟ عندما قيل لي : إنكم ستزوّجونه ، كان ذلك كأن سكّيناً غُرستْ في صدري . ظننتُ أنه يحبّها .

ماتريونا : آه ! عجباً ، يا فراولتي ، لا بدّ أن يكون مجنوناً حتى يحبّ قذرةً لا مأوى لها ولا مقرّ . نيكيتا شابٌ له تفكيره ! ويعرف مَنْ التي يجب أن يحبّها . وهكذا ، فبالنسبة إليك ، يا فراولتي ، لا تخشَيْ شيئاً ، لن نجيء به إلى البيت أبداً ، ولن نزوّجه أبداً . تعطوننا بعض الروبلات وسيبقى .

آنيسيا : يبدو لي أن ذهاب نيكيتا سيكون موتاً لي !

ماتريونا : حُبُّ الشباب ! لا شك في ذلك ، أنت امرأةٌ في شَرْخ الشباب وتعيشين مع هذا الأخرق ! . . .

آنيسيا : صدّقيني ، يا خالة ماتريونا ! كم يُقْرفني ، كم يُقْرفني ، هذا الكلب الحقير ! لم أعدْ أستطيع النظر إليه في وجهه !

ماتريونا : ليس هذا غريباً ! تعالي ، انظري . (تهمس وتتطاع إلى جميع الجهات) . ذهبتُ إلى صديق لي من أجل المسحوق . فأعطاني عقاراً لغايتين . انظري إليه . قال لي : « هذا مسحوق منوّم . أعْطية كيساً صغيراً منه وسوف ينام نوماً ثقيلا حتى يمكن أن ترقصي على بطنه » وأضاف : « وهذا عقارٌ إن أعْطيته إياه في الشراب لا يترك أيّة رائحة ، لكن له قوةٌ كبيرة ، وهو يُعطىَ على سبع مرات ، في كل مرة قبضة صغيرة . قال : تُعطيه إياه على سبع مرات ، وسوف تنالُ حريّتها .

آنيسيا : آوه ! ما هذا المسحوق ؟

ماتريونا : لا يترك أيَّ أثر . أخذَ روبلاً منّي . قال لي : إنه لا يستطيع أن يبيعه بسعر أرخص ، لأن هذه المساحيق صعبةُ التركيب . دفعتُ الثمن من مالي ، يا فراولتي . إذا لم ترغبي فيه أخذْتُه إلى ميخايلوفنا .

آنيسيا : أوه ! لكن ربما نتَجَ عن ذلك شرٌّ ؟ . . .

ماتريونا : أيّ شر ، يا فراولتي ؟ الشرّ لو كان رَجاُلك قوياً ، لكنْ لم يبق فيه سوى النَفَس ، ولا يستطيع أن يعيش . كثيراتٌ يفعلْن ذلك .

آنيسيا : آه ! يا رأسي المسكين ! أخشى كثيراً ، يا ماتريونا ، أن يُصيبنا سوءٌ . اوه ! لا ! لا !

ماتريونا : إذن سأعيد المسحوق معي .

آنيسيا : قلت إذن : يجب تذويبه في الماء مثل غيره من المساحيق ؟

ماتريونا : في الشاي ، أفضل . قال لي « لا يبقى منه أيُّ أثر ، وليس له رائحةٌ أو أي شيء آخر » . الذي باعني إياه رجلٌ ذكيٌّ .

آنيسيا ، تأخذ المسحوق : اوه ! يا رأسي المسكين ! أكنتُ أجازفُ وأُقدمُ على هذه الأشياء ، لو لا حياة الأشغال الشاقة التي أَعيشُها .

ماتريونا : لا تَنْسي الروبل ! وعدتُ العجوز بأن آتيه به .. إنه يجهد نفسه هو أيضاً .

آنيسيا : بلا ريب .

(تذهب نحو صوانها وتخفي فيه المسحوق) .

ماتريونا : خبّئيه جيداً ، يا فراولتي ، حتى لا يعرف أحدٌ عنه شيئاً . وإذ ما حدث شيءٌ — حَفِظَنا الله من ذلك — فقولي : هذا للحشرات . . . (تأخذ الروبل) . لأنه يَصْلحُ أيضاً للحشرات ! . . .

(تتوقّف عن الكلام) .

المشهد — ١١ —

« آنيسيا ، ماتريونا ، بطرس وآكيم» .

« يدخل آكيم ويرسم علامة الصليب وهو ينظر إلى الأيقونات المقدّسة » .

بطرس ، يدخل ويجلس : قاتَ ، إذن ، يا عم آكيم . . .

آكيم : أفضل ، يا اغناتيتش . . . لا بدّ من ذلك ، هذ أفضل ! حتى لا يجرّ علينا السوءَ ، بخلاعاته ! أود . . . أن أسلّم هذ الولد . . . العملَ ، وأنتَ ، إذا كنت ترى غير ذلك ... فسنحاول محاولة أخرى . . . أفضل !

بطرس : طيّب، طيّب ! اجلسْ ولنتحدّثْ (آكيم يجلس). إذنْ أنتَ تريد أن تزوّجه ؟

ماتريونا : لسنا مستعجلين على الزواج ، يا بطرس اغناتيتش ؛ أنتَ تعرف الضائقة التي نحن فيها ؛ كيف تريد منا أن نتزوج ونحن نتعذّبُ لنعيش بالتَقْتيّر ؟ كيف تريد منا أن نزوّجه؟

بطرس : يا عذراء ! افعلوا أفضل ما يناسبكم .

ماتريونا : لسنا مستعجلين على الزواج . كما قلتُ لك . والرجال ليسوا مثل توت العليق ، إنهم لا يَسْقطون إذا زاد نضجُهم .

بطرس : إذا كانت المسألة مسألة زواج فهو شيء حسنٌ .

آكيم : نودّ ذلك . . . نعم . . . لأني لقيتُ عملاً صغيراً . . . في المدينة . . . نعم . . . مرُبحاً .

ماتريونا : تُسمّيه عملاً ! تنظيف المراحيض ! كم تقيّأتُ ، كم تقيّأت ، في هذه الأيام الأخيرة ، عند عودته .

آكيم : في البداية ، نعم . . . كأنها . . . تزخم الأنف . . . لكنْ عندما نتعوّد . . . مثل ثفل العنب . . . ثم إن ذلك مربح

أيضاً . أما الرائحة ، نعم . . . فليس لنا أن نغتاظ منها ...
نحنُ المساكين . . ثم . . بامكاننا تغيير ثيابنا . . . إذن ،
أنت ترى ، أننا نود لو يكون نيكيتا في البيت . . . يشتغل
في البيت شغلَ البيت ، وأنا . . . أكسب عيشي في
المدينة . . .

بطرس : تريد أن تحتفظ بابنك في البيت . . . أفهمُ هذا ، لكن المال
المسلّف ، في هذه الحالة ؟ . . .

آكيم : صحيح ، صحيح ، يا اغناتيتش ! . . . كلامُك حقّ . . .
مَنْ أجّرَ نفسه فقد باعَها ! ليبقَ إلى آخر المدة . . .
بمقدار المال فقط ، لكن بما أنه سيتزوج ، امنحْه عدة
أيام . . . إن لاعماك هذا .

بطرس : هذا ممكن !

ماتريونا : المشكلة أننا غير متّفقيْن . وسأفتح نفسي أمامك ، يا
بطرس اغناتيتش ، كما أفتحها أمام الله . . اقضِ بيني
وبين رجلي . إنه يكررّ دائماً : « الزواج ! الزواج » .
اسألْه : بِمَنْ ؟ . . . ليت الخطيبة كانت لائقةً . . .
أأنا عدوةُ ابني ؟ لكنّ في البنت عيباً . . .

آكيم : هذا ، أنتِ مخطئةٌ فيه . . . مخطئةٌ ، فهمتِ ، في إهانة
هذه البنت ! مخطئة . . . لأنها . . . هذه البنت . . . هذه
البنت نفسها لحقتْها الإهانةُ من ابنك ! هناك إهانة . . .
فهمت . . . هذه البنت . . . نعم !

بطرس : وما هذه الإهانة ؟

آكيم : وقع ذلك ، أتفهم ، . . مع ابني نيكيتا . . . مع نيكيتا ، نعم !

ماتريونا : كُفَّ عن الكلام ! لساني أكثر طلاقةً ، دعْني أتكلّم . كان ولدنا ، كما تعلم ، يشتغل قديماً في السكة الحديدية ، وهناك تعلّقتْ به هذه البنتُ التي لا تَسْوَى شيئاً ، كما تعلم . . . اسمها مارنكا ، وكانت طاهيةً لفرقة عمالها . هذه البنتُ تصرّح الآن أن ابننا نيكيتا قد خدعها . . . كما تقول .

بطرس : هذا عملٌ غير صالح .

ماتريونا : ذلك أنها بنتٌ غيرُ مستقيمة . إنها تتسكّع دائماً . . . مومسٌ حقيقية .

آكيم : هذه عادتكِ ، يا عجوز ! ليس الأمر كذلك . . . ليس كذلك أبداً . . . ليس كذلك ! .

ماتريونا : هذا كل ما تعرفُه من كلام ، يا نسري ! كذلك ، كذلك ! ما « كذلك » ؟ لا يعرف نفسه ما « كذلك » ! . لا تسألْني أنا ، يا بطرس اغناتيتش ، واسأل الناسَ عن أخبار هذه البنت . سيقول لك الناسُ الشيءَ نفسه . متسكّعةٌ قذرة .

بطرس ، لآكيم : طيّب ! يا عم آكيم ، إذا كان الأمرُ كذلك ، فلا داعي لتزويجه . ليست الكنةُ حذاءً . ننزعُهُ متى شئنا .

آكيم ، مغضباً جداً: العجوز ، تتكلّم على البنت كذباً . . . نعم . . . كذباً . . . ! لأن البنت ، نعم . . . طيّبة . . . طيبة جداً ، البنت ! أنا أشفقُ عليها . . . نعم . . . أشفق عليها . . . تلك البنت !

ماتريونا : يا له من مَبرَّةٍ للإحسان ، يُحسن إلى الآخرين ويترك أهْلَه يموتون جميعاً ! يَشْفق على البنت ولا يشفق على ابنه . طيّب ! علّقْها في عنقك وتجوّلْ بها . دعْنا ! كفاك هَذْرا بهذه الحماقات !

آكيم : لا ، ليست حماقات !

ماتريونا : لا تقاطعْني ! دعْني أتكلّم .

آكيم ، مقاطعاً : لا ليست حماقات . أنتِ تحوّلين كل شيء على حسب هواكِ ، إن كان بصدد البنت أو بصددك . . . لكن الله ، أرأيتِ ، الله . . . سيحوّل كل شيء على حسب مشيئته . . . وسيكون أمرُ هذه . . . كذلك . . .

ماتريونا : ليس في الكلام معك سوى إتْعاب اللسان .

آكيم : بنتٌ شغّيلة . . . بنتٌ طيّبة . . . لنفسها ولمن حولها . . . نعم إنها تلائمنا ، مع فقرنا . . . ولن يكلّف العرسُ غاليا . . . لكن أكثر ما يؤثّر فيّ هو الإهانةُ التي لحقتْ بهذه البنت ، نعم . . . يتيمةٌ ، هذه البنتُ ! والإهانة موجودة !

ماتريونا : هي حرةٌ في أن تقول . . .

آنيسيا : عم آكيم ، إذا كنتَ مستعداً لسماع النساء فَسَيْروين لك ما تشاء من الحماقات .

آكيم : والرب ؟ الرب الرحيم ؟ أليست مخاوقاً بشرياً ، هذه الفتاة ؟ هي مخاوقة في نظر الرب الرحيم . ! أليس هذا صحيحاً ؟

ماتريونا : ها قد انطلق مرة أخرى !

بطرس : عمّ آكيم ، يجب ألاّ تصدّق دائماً ما تقوله البنات .فابنكم لم يمتْ لِنُحْضره ولنسأَلْهُ إن كان ذلك صحيحاً . فلن يَحلْف زوراً . ادْعيه . (تنهض آنيسيا) . قولي له إن والده يطلبه .

المشهد – ١٢ –

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا آنيسيا » .

ماتريونا : رأيُك صائب ، يا صديقي . ليوضحْ لنا الأمرَ الشابُ بنفسه . لأننا لانستطيع ، في هذه الأيام ، أن نزوّج ابننا بالقوّة ، ولا بد من أخذ رأيه أيضاً . لن يرضى أبداً بالزواج بها ، وبقبول العار . . . رأيي أن يبقى عندك يخدم سيّده ، بل لا حاجة بنا إلى أخْذه في الصيف ، إذ نستطيع أن نستأجر رجلاً . أعطنا ورقةً بعشرة روبلات واحتفظْ به .

بطرس : سنتحدّثُ عن ذلك فيما بعد ، يجب أن نسير في الأمور بالترتيب . ننتهي من شيء قبل أن نبدأ بالآخر .

آكيم : أنا قلتُ كل هذا . . . لأن هذا يوافقني . . . نحن نحاول دائماً أن نرتّب الأمور لأنفسنا على أفضل وجه . . . أما

الربُ ، نعم . . . فنحن ننساه . . . نفكّر في ما هو أفضل...
ونَبْغي جرّ كل شيء إلى مصلحتنا ، فنخطىء بحق أنفسنا ...
نفكرّ فيما هو أفضل . . . وبدون الرب الرحيم ، ينتجُ
عن ذلك الأسوأُ .

بطرس : نعم ، لا ريب ، الرب ،لا يجب أن ننساه .

آكيم : ينتج الأسوأ . . . بينما لو سرتم بحسب القوانين وبحسب
تعاليم الرب لملأ ذلك قلوبكم بالفرح ، نعم . . . هذا
يجذبكم إليه ! . . . هكذا فكرّتُ ! . . . أُزوّجُ الولدَ
لحمايته من الخطيئة . فيبقى هو في البيت ، أما أنا . . .
فسأشتغل في المدينة . . . العمل لطيف ومفيدٌ أيضاً .
هذا أفضل ، بحسب تعاليم الرب ! لأنها يتيمةٌ . وهكذا
مثلاً ، ففي الصيف الماضي أخذوا خشباً من عند الوكيل ...
ظنّوا أنهم يَخْدعونه بهذه الطريقة . . . والواقع أنهم
خدَعوه ، لكن الرب الرحيم . . . لم يخدعوه . . .
وحينئذ ! . . .

المشهد — ١٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، نيكيتا وانيوتكا » .

نيكيتا : هل طلبتموني ؟

(يجلس ويتناول تبغه من جيبه) .

بطرس ، برفقٍ وبشيء من اللوم : مالكَ ! ألا تعرف أصول اللياقة ؟
الأب يريد أن يَسْتفهم منك ، وأنتَ تتسلّى بتبغك وتجلس !
تعال إلى هنا ، قفْ !

(يجلس نيكيتا أمام الطاولة ، ويتكيء بمرفقه عليها ، بعدم اكتراث ، ويبتسم) .

آكيم : هذا إذن ما ينتج . . . ذلك أذنكَ يانيكيتا . . . هناك شكوى ، أتفهم ، شكوى . . .

نيكيتا : وممّن الشكوى ؟

آكيم : الشكوى ؟ من بنتٍ ، من يتيمةٍ . . . أتفهم ، الشكوى ... منها جاءت الشكوى . . . عليك . . . من مارينا نفسها ... نعم !

نيكيتا ، وهو ما يزال يبتسم : هذا مضحك حقاً ! أية شكوى هذه ؟ مَنْ حَمَلَها ؟ أهي نفسها الّتي جاءت بها ؟

آكيم : أنا . . . أسألكَ الآن . . . وأنت . . . يجب أن تجيبني ... ارتبطتَ بفتاة ، نعم . . . هل ارتبطتَ بها ؟

نيكيتا : لا أفهمُ قطعاً ما تسألني عنه .

آكيم : ارتكبتَ حماقات ، أليس كذلك ؟ معها . . . قُلْ ، حماقات ؟

نيكيتا : كانت هناك أشياء كثيرة . عندما نتضايق نلهو أحياناً مع الطاهية . . . نعزف على الأكورديون وهي ترقص .. . ما الحماقات الّتي تريدها غير هذا ؟

بطرس : لا تتهرّبْ من الجواب ، يا نيكيتا ، وجاوبْ كما ينبغي ، عمّا يسألك أبوكَ .

آكيم ، بلهجة مهيبة : نيكيتا ، تستطيع أن تخدع البشر ، لكنك لن تخدع الله . إذن فكّرْ في ذلك جيدا ، يا نيكيتا . . . لا تُقْدم على الكذب . . . هي يتيمة ، أتفهم . . . قد تُسيء إليها . . . يتيمة . . . نعم . . . تكلّمْ ، أفْضلُ لك . . .

نيكيتا : طيّب ! ليس لديّ ما أقوله . . . قطعاً ، قالتْ كلَّ شيء ، إذ ليس عندي شيء . . . (محتدّاً) . تستطيع هي أن تقول كلّ ما تشاء ، كما لو كنتُ ميتاً . . . ألم تتكلّمْ هي أيضاً عن « فيدكا ميشيكين » ؟ أليس مسموحاً للمرء ، في هذه الأيام ، أن يلهو ؟ هي حرةٌ في أن تروي ما تشاء .

آكيم : أيه ! نيكيتا ! حذارِ ! . . . الكذب ينكشف دائماً . . . هل كان بينكما شيء ، نعم ، أم لا ؟

نيكيتا ، بينه وبين نفسه : يا لهمْ من ملْحاحين حقاً ! (بصوت عالٍ) . قالتُ لكَ : إنني لا أعلم شيئاً ، ولم يكن بيني وبينها شيء (غاضباً) وحقّ المسيح ، خذوا ! (يرسم علامة الصليب) . لن أغيرّ كلامي ! لست أعرف شيئاً على الإطلاق ! (صمت . يتابع نيكيتا كلامه وهو يحتدّ شيئاً فشيئاً). هل خطر لكم مثلاً أن تزوّجوني بها ؟ ستكون فضيحةً حقّاً . في هذه الأيام ، ليس لأحد الحقُّ في تزويج الناس بالقوّة . الأمر بسيطٌ جداً ، وأنا أقسمتُ على كل حال . لا أعرف شيئاً على الإطلاق .

ماتريونا ، مشيرةً إلى زوجها : انظروا إلى هذا الأبله ! إنه يصدّق كلَّ ما يُقال له . هل في الأمر ما يستحقّ أن يُذِلَّ من

أجله هذا الولدَ المسكين ! الأفضل له أن يتابع حياته عند معلّمه كما كان من قبل ، وسيُعطينا المعلم ، بسبب ضائقتنا ورقةً بعشرة روبلات ، وعندما يحين الوقت . . .

بطرس : ما قولُكَ الآن ، عم آكيم ؟

آكيم ، متمطّقاً بلسانه ، لأبنه : تذكَّرْ ذلك جيداً ، يا نيكيتا ، إن النعمةَ التي يُثيرها الرجلُ . . . لا تسقط جانباً ، بل على رأسه ! تذكّر ذلك ، لكي لا ينمحي . عنه . . . هذا !

نيكيتا : ليس لي أن أتذكّر ذلك ، تذكّرْهُ أنت نفسك .

(يجلس)

انيوتكا : يجب أن أذهب لأروي ذلك لماما .

(تخرج)

المشهد - ١٤ -

« بطرس ، آكيم ، ماتريونا ونيكيتا » .

ماتريونا ، لبطرس : هو ، في كل شيء ، كما رأيتَ ، يا بطرس الخناتيتش ، مشوّش دائماً ! وإذا أدخل في رأسه شيئاً فلا سبيل إلى إرجاعه عنه ! كلُّ ما قلناه هو إزعاجُكَ دون نتيجة . أمّا بالنسبة إلى الولد ، فليَبْقَ هذا كما كان من قبل . احتفظ به فهو في خدمتك .

بطرس : وأنتَ ، عم آكيم ، ما قولُكَ ؟

آكيم : أنا ، نعم . . . لستُ أنتزعُ من الولد حرّيته . . . بشرط أن . . . هذا . . . كنتُ أريدُ ، كما ترى ، نعم . . .

ماتريونا : بمَ تَهذر ؟أنت نفسك لا تَعرِفُ بم . ليبقَ الولدُ كما كان من قبل !وهو نفسُه لا يريد أن يترك عمله . لا حاجةَ بنا إليه . سنتدبّر أمورنا وحدنا .

بطرس : لكنْ ، يا عم آكيم ، إذا أخذْتَه في الصيف ، فسوف أستغني عنه في الشتاء . إذا أراد أن يبقى فَلْيَبْقَ السنةَ بكاملها .

ماتريونا : بالتأكيد ، نعم ، سيلتزم بالسنة كلها . وإذا احتجْنا نحن ، في الأعمال الصعبة ، إلى عوْنٍ ، استأجرْنا أحداً . أما الولدُ فليَبْقَ ، وستُعطينا أنتَ ورقةً بعشرة روبلات . . .

بطرس : لسنة تامة أيضاً ، إذن ؟

آكيم ، متنهّداً : إذا كان الأمرُ كذلكَ . . . نعم ، حينئذٍ . . . أترى . . . وهو كذلك .

ماتريونا : نعم ، لسنة كاملة ، بدءاً من سبت القديس دميتري(١) . أما الأجرة ، فلن تجور عينا فيها : وأما ورقة العشرة ، فهاتها الآن . ساعدْنا !

(تنهض وتنحني أمام بطرس) .

---

(١) القديس دميتري : يقع هذا العيد في ٢٦ تشرين الأول .

المشهد — ١٥ —

« الأشخاص أنفسهم ، آنيسيا وآنوتكا . آنيسيا تجلس على حدة »

بطرس : هيا ! الأمورُ على ما يرام ، وبما أنها سُوِّيَتْ هكذا ، فلنذهبْ إلى النزل ولنشربْ كأساً ! هيا ، عم آكيم ، إلى كأسٍ من ماء الحياة !

آكيم : لن أتناول شيئاً . . . .

بطرس : تتناول الشاي ، إذن .

آكيم : الشاي . . . نعم . . . فأنا أُحبه .

بطرس : والمرأتان ستشربان شاياً أيضاً . نيكيتا ، أنتَ ، أدْخل الخراف واجمع القشّ .

نيكيتا : طيب

(يذهب الجميع ، ما عدا نيكيتا . الظلام يهبط) .

المشهد — ١٦ —

نيكيتا ، وحده ، مشعلاً سيجارةً : يا لهم من مِلْحاحين ! « قُلْ لنا ماذا تَفْعل مع البنات ! » إذا كان لا بدّ من حكاية كل شيء ، فإن تنتهي الحكاية ! كلّهم مجمعون على القول : « تزوّجْ ! » إن كان ينبغي الزواج بهنّ جميعاً ، فكم مرأةٍ ستتزوج ! لا داعي للزواج ، فأنا أعيشِ أفضل مما يعيش المتزوّج ! غيري يغار من المتزوج . . . هذا مضحك مع ذلك . . . كأنهم دفعوني إلى حَلْف اليمين دفعاً عندما رسمتُ علامة الصليب أمام الأيقونة المقدّسة . . . وبذلك

قطعتُ عليهم الطريق . . . يُقال : إن اليمين الكاذبة شيء خطير . . . يا الحماقة ! . . . ليست شيئاً . . . . كلام فارغ ، لا غير !

المشهد – ١٧ –

« نيكيتا ، آكولينا »

آكولينا ، تدخل وتضع حبْلَها على المقعد ، وتخلع قفطانها وتذهب إلى غرفة المهملات : كان يجب أن تُشعل الضوء . . .

نيكيتا : لكي انظر إليكِ ؟ إني أراك جيدا بدون الضوء .

آكولينا : أتريد أن تسكت !

المشهد – ١٨ –

« آكولينا ، نيكيتا ، آنيوتكا »

آنيوتكا ، تدخل على عجل ، بصوت خافت لنيكيتا : نيكيتا ، أسرعْ ، هناك مَنْ تسأل عنك . . . حقاً !

نيكيتا : مَنْ ؟

آنيوتكا : « مارينا » السكة الحديدية ، هي في الشارع ، في الزاوية .

نيكيتا : غير صحيح .

انيوتكا : اوه ! عسى أن أموت . . .

نيكيتا : وماذا تريدُ إذن ؟

انيوتكا : ترجوك أن تخرج . قالت : « ليس عندي سوى كلمة واحدة أريد أن أقولها له » . لكنها سألتني إن كان صحيحاً أنك ستذهب من عندنا فأجبتُها أنا : لا . وقلتُ لها : أبوه أراد أن يأخذه ، ويزوّجه ، لكنه رفض ، وسيبقى أيضاً سنةً أخرى . فقالت لي حينئذٍ : « أرسليه إليّ ، بجاه الله ! فعندي كلمةٌ سأقولها له . وهي تنتظر منذ وقت طويل . اذهبْ إليها إذن !

نيكيتا : لتغربْ من وجهي ! ولماذا أذهب ؟

انيوتكا : قالت إن لم يأتِ فسوف أَدخلُ البيت ! عسى أن أموت إن لم تكن قالت : « سأدخل البيت ! » .

نيكيتا : لا تخافي ، ستنصرفُ عندما تتعب من الانتظار . . .

انيوتكا : قالت : وهل سيزوّجونه بآكولينا ؟ »

آكولينا ، تتقدّم لتأخذ مغزلها : مَنْ الذي سيزوّجونه بآكولينا ؟

انيوتكا : نيكيتا .

آكولينا : ليس الأمر سهلاً إلى هذا الحد ! مَنْ الذي قال هذا ؟

نيكيتا : يا عذراء ! يبْدو أن هذا يُقال . (ينظر إليها ويبتسم) ما رأيك ، يا آكولينا ، أترضين بي ؟

آكولينا : بِكَ ؟ قبلُ ، ربّما ؛ أما الآن فلا .

نيكيتا : ولمَ لا الآن ؟

آكولينا : لأنك لن تحبني .

نيكيتا : ولمَ لا ؟

آكولينا : لن يُسْمَحَ لك بذلك .

نيكيتا : ومَنْ الذي لن يسمح لي ؟

آكولينا : خالتي . إنها تجدّف دائماً ، وهي تراقبُك طوال الوقت...

نيكيتا ، ضاحكاً : أرأيتم ! إنها تلاحظ بدقة .

آكولينا : أنا ! ليس لي ما ألاحظه ، لكنّي لستُ عمياء . لقد أوْسعتْ أبي شتماً اليوم العجوزُ العنيدة .

(تذهب إلى غرفة المهملات) .

آنيوتكا : نيكيتا ، انظرْ ! (تنظرُ إلى النافذة) . ها هي قد جاءت ! عسى أن أموت إن لم تكن هي ، سأنصرف .

(تخرج)

المشهد — ١٩ —

« نيكيتا ، آكولينا ؛ في المكتب ، مارينا » .

مارينا : ما الذي تَفْعلُه بي ، يا نيكيتا ؟

نيكيتا : ما الذي أفعلُه ؟ إني لا أفعل شيئاً .

مارينا : تريد أن تتنكّر لي ؟

نيكيتا ، يقف ، مغضباً : تأتين إلى هنا ؟ لا مثيلَ لهذ العمل !

مارينا : آه ! نيكيتا !

نيكيتا : انتنّ مضحكاتٌ ، حقاً ! ماذا جئتِ تفعلين هنا ؟

مارينا : نيكيتا !

نيكيتا : نعم ، أنا نيكيتا ! ماذا تريدين ؟ انصرفي ، قلتُ لكِ !

مارينا : نعم ، أرى أنك تريد أن تتخلّى عني . . تريد أن تنساني . .

نيكيتا : وما الذي عليّ أن أتذكّره ؟ هي نفسها لا تعرف ما هو ؟ كنتِ في الشارع ، وأرسلتِ آنيوتكا . . . فلمْ أذهبْ . . . أنت ترْين إذن أنني لستُ بحاجةٍ إليك ، بكل بساطة . حسناً ! انصرفي إذن !

مارينا : لستَ بحاجة ! الآن لم تعد بحاجة إلي ! ظننتُ أنك ستحبّني ، والآن ، لم تعد بحاجة إليّ ، بعد أن قَضَيْتَ عليّ !

نيكيتا : كل هذا ، كلامٌ لا يقدّم ولا يؤخّر ، حماقات ! أنتِ التي جئتِ وأخبرتِ أبي ؟ انصرفي ، انصرفي !

مارينا : أنت تعلم جيداً أني لم أحبّ غيرك . ولن أغضب سواء تزوجتَني أم لم تتزوجني . . . لكنْ بما أنني لم أُخطىء معك ، لمَ لم تعدْ تَحبّني ؟ لماذا ؟

نيكيتا : ينبغي ألا نتكلّم كلاماً لا جدوى منه ! انصرفي ! اوه ! الغبّيات ، كلهن مجنونات !

مارينا : ما يؤلمُني . . . لا أن تكون قد خدعْتَني حين وعدْتني بالزواج ، بل لأنك لم تعدْ تحبّني . . . وليس هذا فقط . . . بل لأنك فضّلْتَ علي أخرى ، وأنا أعرف مَنْ هي ! . . .

نيكيتا ، يتقدّم نحو وهو بادي الغضب : لا داعي لكثرة الكلام

معكنّ ، أنتن النساء ، فأنتنّ لا تُذْعِنّ للحق أبداً .
قلتُ لكِ انصرفي ، وإلا انتهت الأمور نهاية سيئة !

ماريتا : نهاية سيئة ؟ لعلك تريد أن تضربني ؟ حسناً ! اضربْني !
لمَ تُديرُ وجهَك ؟ أيه ! نيكيتا !

نيكيتا : قطعاً ، ليس هذا لائقاً . . . قد يأتي أحدٌ . ثمّ ما فائدةُ
الكلام ؟

ماريتا : انتهى الأمرُ ، إذن ؟ ولم يبقَ شيءٌ ! تأمرُني أن أنسى ؟
حسناً ! تذكّر ، يانيكيتا ! كنتُ أحافظ على شرفي كما
أحافظ على بؤبؤ عيني ، فقضيتَ عليّ من أجل لا شيء ،
وخدعتني ، ولم ترأفْ بيتيمة . . . (تبكي) . تنكّرتَ
لي وقتلتني ، ومع ذلك فلستُ حاقدةً عليك . ليحاسبْك
الله ! إذا وجدتَ خيراً مني فانسَني ، وإذا وجدت أسوأ
فتذكّرْني ! وسوف تتذكّرني ، يانيكيتا ! وداعاً ، بما أن
الأمر كذلك ! آه ! كم كنتُ أحبّك ! وداعاً ، لآخر
مرة !

(تريد أن تقبّله وتمسك رأسه بيديها) .

نيكيتا ، متخلّصاً منها : كفى ثرثرةً ! إذا كنتِ لا تريدين أن
تنصرفي ، فأنا سأنصرف . وابقي هنا .

ماريتا ، ترسل صرخة : وحش ! (على عتبة الباب) لن يمنحك
الله السعادة !

(تخرج وهي تبكي) .

المشهد — ٢٠ —

« نيكيتا ، آكولينا » .

آكولينا ، خارجةً من غرفة المهملات : يا لك من كابٍ ، نيكيتا !

نيكيتا : لماذا ؟

آكولينا : كم بكتْ !

(تبكي)

نيكيتا : وماذا يهمّكِ من ذلك ؟

آكولينا : ماذا يهمني ! أهنْتَها ، وسوف تهينني كذلك أيضاً ، أيّها الكاب !

(تعود إلى المكتب) .

المشهد — ٢١ —

« نيكيتا ، وحده » .

نيكيتا ، بعد صمت : يا لها من جذّابة ! أُحبّ النساء كما أحب السكر ، لكن ما أكثر الخطايا معهن ، آه ! . . . لا نهاية لها ! . .

ستار

الفصل الثاني

يُمثّل المسرحُ الشارعَ وبيت بطرس الخشبي . إلى اليسار ، البيت الخشبي وله مصطبة ودرج في الوسط. إلى اليمين باب العربات وزاوية من الفناء . في هذه الزاوية ، آنيسيا تَنْفُشُ القنب . بين الفصل الأول والفصل الثاني ستة أشهر .

المشهد — ١ —

« آنيسيا ، وحدها »

آنيسيا ، تتوقف وتصغي : هناك شيء آخر يطنّ ؟ لا بد أنه نزل عن الموقد .

المشهد — ٢ —

« آنيسيا ، آكولينا »

« تدخل آكولينا حاملةً سطلين معلقين بقضيب خشبي » .

آنيسيا : هو ينادي . اذهبي وانظري ماذا يريد . ها هو ذا يزعق .

آكولينا : وأنتِ ؟

آنيسيا : قلتُ لكِ : اذهبي !

« تدخل آكولينا البيت »

المشهد – ٣ –

« آنيسيا وحدها »

أنهكني . . . لا يريد أن يقول أين وضع ماله . أمس بالذات ، كان في الرواق ، لعله خبأه فيه ؛ أما اليوم فلا أعرف أين . . . ومن حسن الحظ أنه لم يجرؤ على الانفصال عنه وأن المال ما يزال في البيت . آه ! ليتني أجده ! أمس كان المال معه ؛ واليوم لا أعرف أين هو ! . . آه ! لقد أرهقني .

المشهد – ٤ –

« آنيسيا ، آكولينا » .

« آكولينا تخرج من البيت الخشبي وهي تربط أطراف شالها »

آنيسيا : إلى أين تذهبين :

آكولينا : إلى أين أذهب ؟ يريد أن أذهب لأحضر العمة مارفا . قال لي : « اذهبي وأحضري أختي ، سأموت ! عندي لها كلمة ! » .

آنيسيا ، **بينها وبين نفسها** : يرسلها لتحضر أخته ! اوه ! يا رأسي . اوه ! ينوي أن يسلمها ماله . ما العمل ؟ (لآكولينا) . لا تخرجي ! إلى أين تذهبين ؟

آكولينا : أحضر العمة .

آنيسيا : قلت لك : لا تذهبي إليها . سأذهب بنفسي . الأصح

أن تذهبي إلى النهر لتنظيف الغسيل ، وإلاّ فلن يتسنّى لك
أن تنتهي قبل الليل .

آكولينا : لكنه أمَرني بذلك . . .

آنيسيا : اذهبي إلى حيث أرسلتُكِ . أكررّ عليكِ أنني سأذهب بنفسي
لإحضار مارفا . لاتنسي أن تأخذي أن القمصان المنشّفة
على السياج .

آكولينا : القمصان ؟ أنتِ لن تذهبي إليها وهو قد أمر بذلك .

آنيسيا : قلتُ لكِ : إنني سأذهب . أين آنيوتكا ؟

آكولينا : آنيوتكا ؟ إنها تحرس العجول .

آنيسيا : أرسليها إلي . فلن تخرج العجول .

(آكولينا تلمّ الغسيل وتخرج)

المشهد — ٥ —

« آنيسيا ، وحدها » .

إن لم أذهبْ إليها فسوف يغضب ؛ وإن ذهبتُ سوف يُسلّمها
المال . وستضيع جهودي سدىً . لا أدري ماذا أفعل . سيتفجرّ
رأسي !

(تتابع عملها) .

المشهد — ٦ —

« آنيسيا ، ماتريونا »

« تدخل ماتريونا ومعها قضيب ، تحمل سقطاً صغيراً » .

ماتريونا : كان الله في عونك ، يا فراولتي !

(تلتفت آنيسيا ، وترمي بشغلها ، وتصفق بيديها فرحاً)

آنيسيا : ما كنتُ انتظر مجيئَكِ ، يا خالة ! الرب هو الذي أرسلكِ في الوقت المناسب !

ماتريونا : ولمَ ذاك ؟

آنيسيا : طار صوابي . . . يا للمصيبة !

ماتريونا : ما بك ؟ ما يزال حياً على ما يُقال ؟

آنيسيا : آه ! اسكتي ، إنه لا يحيا ولا يموت !

ماتريونا : والمال؟ ألم يسلمه الى أحد ؟

آنيسيا : قبل قليل ، بعثَ يُحضر أخته مارفا لا بد أن يكون ذلك بصدد المال .

ماتريونا : بالطبع . ألا يكون قد سلّمه الى أحد ؟

آنيسيا : لا ، لا يوجد أحد . . أنا أراقبه كالعقاب . . .

ماتريونا : وأين المالُ إذن ؟

آنيسيا : لا يقول أين . ولم أفلح في معرفة ذلك . إنه يغيّر مخابئه دائماً . أنا متضايقة بسبب آكولينا . . . هي غبية ، لكنها ترصدُني ، أيضاً ، وتقوم بالحراسة ! يا لرأسي المسكين ! أنا منهكة !

ماتريونا : إيه ! يا فراولتي ، سيَسحبُ المالَ من تحت أنفكِ ، ثم تبكين عليه بقيّة عمرك . سيطردونك . . . دون أن تحصلي على شيء . وتكونين قد قضَيْتِ حياتك ، يا

عزيزتي ، تكدّين حول هذا الشحيح ، حتى إذا صرتِ أرملةً وجب عليكِ أن تتسوّلي .

آنيسيا : اسكتي ، يا خالة ! قلبي يتمزّق . لا أدري كيف أعمل . بل لا أدري مَنْ أستشير . حدّثتُ نيكيتا عن ذلك ، لكنه لا يجسر على التدخل في هذه القضية . قال لي أمس فقط : إن المال تحت الأرض .

ماتريونا : حسناً ! وهل فتّشتِ عنه ؟

آنيسيا : غير ممكن . فهو دائماً هنا . وعلى حَسْب ما استطعتُ أن أرى ، إنه يحمل المال مرةً معه ، ومرةً أخرى يُخبئه .

ماتريونا : تذكّري جيداً ، يا بنتي ، أنكِ إذا أخطأتِ الهدف هذه المرة ، فلا سبيل إلى إصلاح الخطأ طوال حياتك . (بصوت منخفض) . هل أعطيتهِ شاياً ثقيلا ؟

آنيسيا : أوه !

(تريد أن تتكلم ، لكنها تسكت عندما ترى جارتها) .

المشهد — ٧ —

« المرأتان ، غرّابة مرّتْ أمام البيتَ الخشبي وسمعت صراخاً » .

العرّابة ، لآنيسيا: آنيسيا ! يا آنيسيا ! أليس رَجلُكِ هو الذي ينادي ؟

آنيسيا : إنه يسعل دائماً هكذا ، فكأنه يصرخ . حالتهُ سيئة

العرابة ، تتقدم نحو ماتريونا : صباح الخير ، أيتها الجدّة العزيزة ، من أين جئتِ ؟ .

ماتريونا : من منزلي ، يا عزيزتي . جئتُ أستخبرُ عن ابني . وقد حملتُ إليه قمصاناً . تعلمين ، الناس يفكّرون كثيراً في أبنائهم .

العرابة : **طبيعي . (لآنيسيا)** : أردتُ ، يا اشبينتي ، أن أغسل الأغطية . لكنني أعتقد أن الأوان لم يحن بعد . فلم يبدأ أحدٌ .

آنيسيا : ألمَ العجلة ؟

ماتريونا : هل اعترفَ ؟

آنيسيا : نعم ، جاءه الكاهن أمس .

العرابة ، لماتريونا : وأنا أيضاً ، ألقيتُ عليه نظرة خاطفة أمس . لا أدري كيف يعيش . فكم نحلَ جسمُه ! أمس ، كان يُحتضر حقا . . . فوضعناه تحت الأيقونة المقدّسة ، وبكيناه ، وتهيّأنا لغسله . . .

آنيسيا : ثم عاش ! نهض وأخذ يتجوّل .

ماتريونا : هل مُسِحَ المسحة الأخيرة ؟

آنيسيا : نُصِحْنا بذلك . إذ ظلّ حياً فسوف نرسلُ غداً مَنْ يُحضِرَ الكاهن .

العرّابة : لا شك أن ذلك مزعجٌ لكِ ، يا صغيرتي آنيسيا . صَدَقَ قولُهم : المريضُ حقاً ليس من يلزم السرير بل الذي حول السرير .

آنيسيا : يجب أن ينتهي ذلك ، على كل حال ، بشكل أو بآخر .

العرابة : بالتأكيد ! فها هو ذا يحتضر منذ سنة ! إنه يُقيِّد يديك :

ماتريونا : وليس مبهجاً أيضاً أن تصبح المرأة أرملةً . هذا حسن عندما تكون شابة ، أما عندما تكبر فهي لا تجد مَنْ يَرْثي لها . ليست الشيخوخةُ فرحاً . انظرا إليَّ مثلاً : لستُ كبيرة وأنا منهكةٌ . لستُ أحسُّ بساقيّ . أين ابني ؟

آنيسيا : إنه يحرث . ادخلي ، سنسخّن السماور . وستستعيدين قواك بفنجان من الشاي .

ماتريونا ، جالسةً : حقاً ، يا عزيزتي ، إني متعبة . أما المسحة الأخيرة فهي ضرورية حتماً . يُقال إنها نافعة للنَفْس .

آنيسيا : نعم ، سنُرسِل غداً . . .

ماتريونا : الأمور أفضل هكذا . وعندنا عرسٌ ، يابنتي .

العرابة : وكيف ؟ في الربيع ؟

ماتريونا : صدق المثلُ : « عندما يتزوج الفقير ، يَقْصُرُ ليلُه » . سيمون ماتفتيش سيتزوج مارنيا .

آنيسيا : وجدتْ سعادَتَها على كل حال .

العرابة : أعتقدُ أنه أرمل . وتزوّجها من أجل أولاده .

ماتريونا : له أربعة . أية فتاةٍ شريفةٍ ، ولو قليلاً ، تقبل بذلك ؟ تزوّجتْه ، وهي مسرورة . ياعذراء ! كانوا يشربون الخمر ويبدو أن في المسألة شُبهة . . . كانت الكأس مثقوبةً . . .

العرابة : نعم ، في الواقع ، كان الناس يتحدّثون عن ذلك ! والزوج أهو في بحبوحة .

ماتريونا : هم يعيشون عيشةً مقبولةً حتى الآن .

العرابة : قليلاتٌ الفتياتُ اللواتي يقبلن الأولاد ؛ عندنا مثلاً ميشيل ، هو فلاحٌ ، يا أمي . . .

صوتُ فلاح : ايه ! مافرا ، أين انقلعْتِ ؟ أرجعي البقرة !

(تنصرف الجارة) .

المشهد — ٨ —

« آنيسيا ، ماتريونا »

ماتريونا : تتكلّم بلهجة ثابتة ، أثناء انصراف الجارة : لقد زوّجوها، يابنتي . وهي الآن بعيدةٌ عن الخطيئة ، على الأقل ، ولن تساور الشكوكُ زوجي الغبي حول نيكيتا (ثم تقول فجأةً ، وبصوت خافت) . ها هي ذي انصرفتْ ! قولي لي ! هل سَقَيْتهِ الشاي ؟

آنيسيا : لا تذكّريني بذلك . الأفضل أن يموت وحده . إنه لا يموت مع ذلك ، وكل ما فعلتهُ أني أثْقلتُ ضميري ، بخطيئة . اوه ! يا لرأسي ! لمَ أعطيتني هذه المساحيق ؟

ماتريونا : هذه المساحيق ، يابنتي ، منوّمةٌ ، فلماذا لا تعطينه منها ؟ لا ضرر في ذلك .

آنيسيا : لا أتكلّم عن التي تنوّم ، بل عن الأخرى ، البيضاء . . .

ماتريونا : والبيضاء ، يا فراولتي ، مساحيق طبيّة .

آنيسيا ، متنهّدة : أعلم، لكنني خائفة مع ذلك . اوه! لو تعلمين كم أَجْهَدَني . . .

ماتريونا : وهل وضعتِ له كثيراً منها ؟

آنيسيا : اعطيتهُ مرّتين ؟

ماتريونا : ألم تلاحظي شيئاً ؟

آنيسيا : غمستُ فيها طرف لساني . فأحسستُ بمرارةٍ خفيفة . أما هو فأخذها في الشاي وقال : « حتى الشايُ عفنْته ! فقلتُ له أنا : « كل شيء مر في فم المرضى » أوه ! يا خالتي ! كم شعرتُ بالضيق !

ماتريونا: لا تفكّري في ذلك ! فعندما نفكّر في ذلك ، يزدادُ ضيقنا !

آنيسيا : كان الأفضل ألا تُعطيني إياها وألاّ تدفعيني إلى الخطيئة . عندما أتذكّر ذلك يتفتّتُ قلبي . لمَ أعطيتني إياها ؟

ماتريونا : مهلاً ، مهلاً ، مهلاً . حفظَكِ الله ، يا فراولتي ! لم تُلْقين التبعة كلها عليَّ؟ لاتجعلي من افكارك افكاراً لي . إذا ما حدث شيءٌ أياً كان ، فسأغسل يديّ منه . وسأقول : إني لا أعرف شيئاً على الإطلاق . سأقبّل الصليب وسأَحْلفُ أني لم أر المساحيقَ المذكورة ، بل لم أسمعْ بها . فكّري في ذلك جيداً ، يابنتي ! كنّا نتحدّثُ عناك مؤخّراً : « كم تتألّم ، المسكينة ! بنت الزوج غبيّة ، والرجلُ

عَفِنٌ ، لَزْقةٌ حقيقية ! ما الشيءُ الحسن الذي يطلع من مثل هذه الحياة ! »

آنيسيا : أما أنا فلن أتراجع ! فليس في هذه الحياة التي أحياها ما يستوجب التورط في مثل هذه المغامرة فقط ، بل ما يستوجب أن أشنق نفسي أو أخنقها! وهل هذه حياةٌ ؟

ماتريونا : ممتاز ! ليس لديك وقتٌ تضيعينه الآن ! يجب أن تعثري على المال بطريقة أو بأخرى ويجب أن تَسْقيه شاياً .

آنيسيا : أوه ! يا لرأسي المسكين ! لا أدري ما أفعل . أُحسُّ بالضيق . آه ! ليته يموتُ من ذاته ! لأني أخاف أن أُثقل ضميري .

ماتريونا ، بخبث : لماذا لا يقول أين المال ؟ أيَبْغي أن يحمله معه حتى لا يستفيد منه الآخرون ؟ أعَدْلٌ هذا ؟ حَفِظَنا اللهُ ! الكثير من المال سيضيع وسيفقدهُ الجميع ! أليس هذا خطيئةً ! ماذا يفعل إذن !

آنيسيا : لم أعدْ أعرفُ شيئاً أنا نفسي . نَفَدَتْ قواي !

ماتريونا : ما الذي لا تعرفينه ! المسألة واضحة ! إن أخطأتِ الهدفَ هذه المرة ، ندمتِ على ذلك طوال حياتك . سيسلّم المال إلى أخته ، وستظلّين على الأرض .

آنيسيا : لقد أرسل يُحضرها . يجب أن أذهب إليها .

ماتريونا : انتظري قبل أن تذهبي . سخّني السماور ، قبل كل شيء ؛

سَنسقيه شاياً ، وسنبحث عن المال معاً . ربما أفلحنا في العثور عليه .

آنيسيا : وإن وقع لنا سوءٌ ؟

ماتريونا : وماذا تنوين أن تفعلي إذن ؟ لا يمكنك أن تظلي مكتوفة اليدين . أتقنعين بالنظر إلى المال دون أن تمسّيه . تصرّفي !

آنيسيا : سأذهب إذن لأغلي السماور .

ماتريونا : اذهبي ، يا فراولتي ، وافعلي ما يجبُ فعلُه حتى لا تأسفي على شيء . (تذهب آنيسيا . تناديها ماتريونا) . وإياك أن تقولي شيئاً عن ذلك كله لنيكيتا . تعرفين كم هو بسيط ، فعسى ألا يعلم شيئاً عن موضوع المساحيق ، لأني لا أدري ما الذي يُقْدم عليه لو عَرفَ . إنه حسّاسٌ جداً ، ولم يكن يجرؤ على ذبح دجاجة . لا تخبريه . فإن يفهم شيئاً . . .

(تتوقّف ،رتعبةً وهي ترى بطرس يظهر على العتبة) .

المشهد — ٩ —

« **المرأتان** ، **بطرس** » .

بطرس ، يتشبّث بإطار الباب ، وبصوت ضعيف : ألا سبيلَ إليكِ ، اوه ! آنيسيا ، مَنْ هنا ؟

(يسقط على مقعد) .

آنيسيا ، خارجةً من ركنها : لِمَ خرجتَ ؟ كان من الأفضل لك أن تظل حيث كنتَ .

بطرس : هل ذهبت البنتُ لإحضار مارفا ؟ . . . إني أتألّم . . .
اوه ! وإذا جاء الموت ! . . .

آنيسيا : لا وقتَ عند البنت . أرسلتُها إلى النهر . انتظرْ قليلاً .
إذا ما انتهيتُ ذهبتُ بنفسي .

بطرس : أرسلي آنيوتكا ! . . . أين هي ! اوه ! إني أتألّم ! اوه !
هذه هي منيّتي ! . . .

آنيسيا : أرسلتُ مَنْ يُحضرها .

بطرس : أوه ! وأين هي ؟

آنيسيا : أين هي ؟ ليُحطّم الشللُ عظامها !

بطرس : اوه ! تلاشتْ قواي ! . . . واحترقت أحشائي . . .
كأنني أُثْقَبُ بمخرز ! لمَ تتركونني وحدي ، كالكلب؟ . . .
ولستُ أجد مَنْ يَسْقيني . . . اوه ! ... أرسلي آنيوتكا . . .

آنيسيا : ها هي ذي ! آنيوتكا ، اذهبي إلى أبيك .

المشهد — ١٠ —

« الأشخاص أنفسهم ، انيوتكا تدخل على عجل ، تذهب آنيسيا إلى الركن » .

بطرس : اذهبي . . . اوه ! . . . أحضري . . . العمة مارفا . . .
قولي لها . . . أبي يدعوك . . . لِتأْتِ . . . أنا بحاجة
إليها . . .

آنيوتكا : حسناً ! . . .

بطرس : انتظري ! . . . قولي لها : أن تستعجل . . . قولي لها : إنني أموت . . . اوه ! . . .

آنيوتكا : سآخذ شالي وسأركض إليها !

(تخرج راكضة) .

المشهد — ١١ —

« بطرس ، آنيسيا ، ماتريونا » .

ماتريونا ، غامزةً بعينها : هيا ! يابنتي ! لا تنسي شغلَكِ : إذهبي إلى البيت وابحثي في كل مكان . . . افعلي كما تفعل الكلاب عندما تفلّي نفسها من البراغيث . نقّبي في كل مكان ، وأنا سأفتش البيتَ بعد قليل .

آنيسيا : أُحسُّ معاكِ بشجاعةٍ أكبر . (تتقدم نحو مطاع الدرج ، لبطرس) هل أغلي السماور ؟ الخالة ماتريونا جاءت لترى ابنها ، فتناولا الشاي معا أنتَ وهي .

بطرس : حسناً ! افعلي ! . . .

(تدخل آنيسيا البيت الخشبي) .

المشهد — ١٢ —

« ، بطرس، ماتريونا ، ماتريونا تتقدّم نحو مطلع الدرج »

بطرس : طاب يومُكِ !

ماتريونا : طاب يومُكَ ، يا وليَّ نعمتي ! طاب يومك ، يا عزيزي !

أرى أنك ما تزال مريضاً . كم يرثي لك عجوزي . قال لي : « اذهبي واستخبري عنه » . وهو يسلّم عاياكَ .

(تنحني مرة أخرى) .

بطرس : أنا أموت . . .

ماتريونا : نعم ، فعندما أنظر إلياك ، يتّضح لي أن المرض لا يَهيم في أواسط الغابات ، بل بين الناس . لقد نحلْتَ ، نحلْتَ حقاً ، يا عزيزي ! والمرضُ لا يُزيِّن صاحبَه . يا عذراء !

بطرس : موتي قد حان . . .

ماتريونا : هذه مشيئة الرب ، يابطرس اغناتيتش ! لقد مُنِحْتَ الأسرارَ ، بعون الله ، وستُمْسَحُ المسحة الأخيرة . . . وامرأتك ، لحسن الحظ ، ذكيّةٌ . . . ستُدفَن وستُقام لك وليمة الموتى ، كل ذلك بشكل لائق ، وسيدير البيتَ ابني ، في هذه الأثناء .

بطرس : لكنْ مَنْ سيأمُر ؟ . . . فزوجتي لا تعرفُ الجِدَّ ... إنها مشغولةٌ بالحماقات . . . ذلك أني أعرفُ كل شيء ، أنا . . . أعرف كل شيء . . . البنتُ بسيطةٌ قليلاً . . . وهي شابةٌ أيضاً . . . أدرتُ بيتي . . . شيئاً فشيئاً . . . ولن يكون هناك مَنْ يُديره . . . هذا يؤلمني !

(يبكي)

ماتريونا : إن كان ذلك بسبب المال ، فأنت تستطيع أن تتصرّف ...

بطرس ، لآنيسيا التي في البيت الخشبي : وآنيوتكا ! هل ذَهبتْ ؟

ماتريونا ، مخاطبة نفسها : ما يزال يتذكّر .

آنيسيا ، من داخل البيت الخشبي : ستذهب في الحال . ادخلْ إلى البيت . سأساعدك .

بطرس : دعيني هنا . . . لآخر مرة . . . الهواءُ ثقيلٌ في الداخل . . . إني أتألم . . . اوه ! أحْرقَ لي ذلك قلبي . . . أودّ لو أموت . . .

ماتريونا : إذا لم يَسْتلّ اللهُ الروحَ فهي لا تخرجُ من ذاتها . الحياةُ والموت بيد الله ، يا بطرس اغناتيتش ، ولا نستطيع أن نتنبّأ بموتنا . فقد نشفى . وهكذا كان عندنا فلاح يُحتضر . . .

بطرس : لا ! أحسّ أنني سأموتُ اليوم . . . أُحسّ بذلك !

(يستند إلى الجدار ويغمض عينيه) .

المشهد — ١٣ —

« بطرس ، ماتريونا ، آنيسيا » .

آنيسيا : ماذا ؟ أتدخل أم لا تدخل ؟ طال انتظاري لك ، يا بطرس ! إيه ! بطرس !

ماتريونا : تنسحب قليلا ، وتنادي آنيسيا باصبعها : وجدْتِ ؟

آنيسيا ، نازلةً الدرج ، لماتريونا : لاشيء !

ماتريونا : هل فتّشتِ جيداً ؟ تحت الأرض الخشبية ؟

آنيسيا : لم أجدْه هناك أيضاً . لعله في مخزن الغلال . لقد صعد إليه أمس .

ماتريونا : فتّشي ، فتشي في كل مكان ! . . . في جميع الزوايا ...
أظنّه سيموت اليوم . . . وحده . أظافره زرقاء ولونه
غدا كلون الأرض . هل السماور جاهز ؟

آنيسيا : سيَغْلي .

المشهد — ١٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، يصل نيكيتا من الجانب ، وعلى حصان إن أمكن ، يقترب من باب العربات » .

نيكيتا : لأمه ، طاب يومُكِ ، يا أمي . هل الجميعُ بخيرٍ في
البيت ؟

ماتريونا : نعم ، الحمدُ لله !

نيكيتا : والمعلمُ ، كيف حاله ؟

ماتريونا : تكلّمْ بصوت خافت ، ها هو ذا !

(تشير إلى مطلع الدرج) .

نيكيتا : حسناً ! ليَبْقَ ! ماذا يهمّني من ذلك ؟

بطرس ، يفتح عينيه : نيكيتا ! ايه ! نيكيتا ، تعال إلى هنا !

(يقترب نيكيتا ، وتتحدّث آنيسيا هي وماتريونا بصوت خافت) .

لم عدتَ مبكّراً ؟

نيكيتا : انتهيتُ من الحراثة .

بطرس : هل حرثتَ الأرضَ التي وراء الجسر ؟

نيكيتا : هذه بعيدة جداً الآن على الذاهب إليها .

بطرس : بعيدة ! نعم ، من هنا ، هي أبعد ، بالفعل . يجب أن تذهب إليها الآن خصّيصاً . بما أنك كنتَ فيها . . .

(آنيسيا تصغي ولا تُظهر نفسَها) .

ماتريونا ، تتقدّم : آه ! يا بني ، لماذا لم تعدْ مخاصاً لمعلّمك ! المعلم عاجزٌ . وهو يثقُ بك ، فيجب أن تخدمه كما تخدم أباك . ابذلْ جهدك كله ، اخدمْه أحسنَ خدمة ! هذا ما قلتُ لك أن تفعله .

بطرس : طيب ! اذهبْ وأخرج البطاطا من القبو . . . والنساءُ ، اوه ! . . . سيَفْرِزنها . . .

آنيسيا ، لنفسها : انتظرْ قليلا قبل أن أذهب . يُريد أيضاً أن يُرسل الناسَ جميعاً . . . ذلك لأن المال معه الآن . . . يريد أن يخبّئه .

بطرس : إذا جاء موعدُ زرعها تكون قد تعفّنت . اوه ! . . . لم أعدْ أحتمل ! . . .

(ينهض)

ماتريونا ، تصعد الدرجَ على عجل وتسند بطرس : أتريد أن أساعدك على الدخول .

بطرس : نعم ! (يقف) . نيكيتا !

نيكيتا : بخشونة : ماذا تريد أيضاً ؟

بطرس : لن أراك بعد الآن . . . سأموتُ اليوم . . . سامحْني ، بجاه الله ، سامحني إن كنتُ قد أسأتُ إليك في يوم ما ، بالقول . . . أو بالفعل . . . وقد أسأتُ بهما ! سامحْني !

نيكيتا : ليس لي أن أسامحك . نحن جميعاً خَطَأَة .

ماتريونا : آه ! يا بني ، اصغ ِ جيّدا إلى ما يقوله لك !

بطرس : سامحْني ، بجاه الله !

(يبكي)

نيكيتا ، بانفعال شديد: سامحكَ الله ، يا عم بطرس ! ليس لي أن أحقد عليك ، فأنتَ لم تُسيءْ إليّ . سامحْني ، أنتَ . فاعلي مُذْنبٌ بحقّك .

(يبكي . يخرج بطرس وهو ينتحب . تسنده ُ ماتريونا) .

المشهد — ١٥ —

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين ! إنه لم يتكلّم لوجه الله . لا شك أن في رأسه شيئاً . (تتقدّم نحو نيكيتا) . ولمَ قلتَ إن المال تحت الأرض الخشبية ؟ لم أجدْه فيها

نيكيتا ، باكياً ، بعد استراحة : لم يُسيءْ إليّ ، على العكس ، لم يفعل معي سوى الخير . وأنا ، انظري إلى ما فعلتهُ !

آنيسيا : كفى ! أين المال ؟

نيكيتا ، مغضباً : ما أدْراني ، أنا ؟ فتّشي عنه .

آنيسيا : ماذا جرى لك حتّى صرتَ حسّاساً إلى هذا الحدّ ؟

نيكيتا : رقّ قلبي له . كيف أخذ يبكي !

آنيسيا : من حقّك أن يرقّ قلبك له ، وقد عاملك دائماً كما يُعامَلُ الكلبُ ! قبل قليل ، كان يأمرُ بطردك من البيت . لي أنا يجب أن يرقّ قلبُكَ .

نيكيتا : ولمَ لكِ أنتِ ؟

آنيسيا : سيموتُ ومالُه مخبوءٌ .

نيكيتا : لا تخافي . فلن يُخبِّئه .

آنيسيا : اوه ! يا صغيري نيكيتا ! لقد أرسل مَنْ يُحضر أخته . هو يريد أن يسلّمها إياه . يا لمصيبتنا ! كيف سنعيش إن أعطاها المال ؟ سيطردوننا . اعمل جهدك . قاتَ البارحة إنه ذهب إلى مخزن الغلال .

نيكيتا : نعم ، رأيتُه يخرج منه ، لكنني لا أعلم أين يكون قد وضعه .

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين ! هل ينبغي أن أذهب إلى المخزن لأرى !

(نيكيتا ينصرف) .

المشهد — ١٦ —

ماتريونا : تخرج من البيت الخشبي ، تنزل مطلع الدرج وتُكلّم آنيسيا بصوت منخفض : لا تَبْحثي بعد الآن ، المالُ معه ! جَسَسْتُه أنا . المالُ معلّق في عنقه بحبل صغيرة .

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين !

ماتريونا : وإذا لم تضعي يدك عليه فوراً فلن تجديه إلا على جناح النسر . ستأتي أختُه ، وحينئذ ، السلامُ على المال !

آنيسيا : صحيح ! ستأتي وسيسلّمها إياه . . . ما العمل إذن ؟ .

ماتريونا : ما العمل ؟ انظري ، السماور أخذَ يغْلي . اصنعي شاياً وصبّي له ! (بصوت خفيض) . وأفرغي كلّ ما في الورقة ... ثم اسقيه إياه . . . فاذا شرب فنجاناً فتّشي ... ولا تخْشي شيئاً . . . لن يرْوي ذلك لأحد !

آنيسيا : أنا خائفة !

ماتريونا : لا تنطقي بالحماقات ! أسرعي . وأنا سأنتظر الأختَ إن كان لا بدّ من ذلك . وقبل كل شيء فتّحي عينيك ! وانتزعي المال واحمليه إلى هنا . سيخبّئه نيكيتا .

آنيسيا : آه ! يا رأسي ! لا أدري أين أبدأ :

ماتريونا : لا تفكرّي ! افعلي ما أقوله لكِ ! نيكيتا !

نيكيتا : ماذا ؟

ماتريونا : انتظرْ هنا ، على المقعد ، تحسباً لما قد نحتاج إليه . . .

نيكيتا ، بحركة تضجّر : اوه ! من هؤلاء النساء ! انهن يخترعن دائماً أشياء جديدة ، سيفْقدنني رشدي . آه ! دعيني وشأني ، الأفضل أن أذهب لأُخرج البطاطا من القبو .

ماتريونا : توقفه من ذراعه : قلتُ لك ، انتظرْ .

المشهد – ١٧ –

« الأشخاص أنفسهم ، تدخل آنيوتكا» .

آنيسيا : هل رأيتِها ؟

آنيوتكا : كانت في بستان ابنتها . وستأتي .

آنيسيا : ستأتي . . ماذا سَنفعل ؟

ماتريونا، الآنيسيا : معكِ وقتٌ ، افعلي ما أقوله لك .

آنيسيا : لا أعلم . . . لم أعدْ أعلمُ شيئاً . . . تشرّشتْ أفكاري ...
آنيوتكا ، يابنتي العزيزة ، اذهبي وانظري إلى العجول !
. . . لا بد أنها فلتتْ . . . أوه ! لستُ أجسر على ذلك !...

ماتريونا : اذهبي ! أراهنُ أن السماور فار .

آنيسيا ، ذاهبةً : آه ! يا لرأسي المسكين !

(تخرج)

المشهد – ١٨ –

« ماتريونا ، نيكيتا » .

ماتريونا ، تتقدّم نحو ابنها : هكذا يابني ! (تجلس قربه على المقعد) .
يجب أن نفكّر في قضيتّك وألا نتصرف بلا ت.و .

نيكيتا : وأية قضيّة هذه ؟

ماتريونا : أن نُحسن تدبير حياتك في هذه الدنيا .

نيكيتا : تدبير حياتي ! كل الناس يعيشون ، وسأعيش كما يعيش
سائرُ الناس .

ماتريونا : أظنّ العجوز سيموت اليوم .

نيكيتا : إنْ مات فليذْهبْ إلى السماء ! ماذا يهمّني من ذلك ؟

ماتريونا ، لا ترفعُ نظرها عن مطلع الدرج وهي تتكلّم : آه ! يابني ، الأحياءُ يجب أن يفكّروا في شؤون هذه الدنيا . وهم بحاجة إلى كثير من الذكاء . فبسبب أفكارك السخيفة أراني مضطرّة لأتدخّل في كل شيء ، ولأرهق نفسي وأنا أهتمّ بك . تذكّرْ ذلك جيداً ولا تَنْسه فيما بعد .

نيكيتا : وبمَ اهتممتِ ، أخبريني ؟

ماتريونا : بم اهتممتُ ؟ بمصيرِك ، بمستقبلك . إن لم نفكّر في ذلك مسبقاً فلن نصلَ إلى شيء . تَعْرفُ ايفان موسيتش ، أليس كذلك ؟ أنا على علاقة حسنة به . وقد دخلتُ عليه مؤخّراً لأمر من أموري . . . جلستُ وأخذنا نتبادل شتّى الأحاديث ، وأثناء ذلك سألتُه : « كيف يمكننا ، يا ايفان موسيتش أن ندبّر قضيّةً من هذا النوع ؟ لنفترض أن لدينا رجلاً أرملاً وأنه تزوج امرأةثانية بعد موت الأولى ، وليس له من الأولى مثلاً سوى بنت ، ومن الثانية سوى بنت . ولنفرض أنه مات ، فهل يحق لأرملته أن تُدخل إلى البيت زوجاً ثانياً ؟ » فقال لي : « نعم ، هذا ممكنٌ . لكن لا بد لذلك من البراعة . وبالمال يمكن تدبير هذه القضية ، أما بدون المال فيجب ألا تفكّري فيها » .

نيكيتا ، ضاحكا : بلا ريب ! ما عليكِ إلا أن تُعطي المال . كلُّ الناس محتاجون إلى المال .

ماتريونا : إذن ، يا عزيزي ، حدّثتُه عن كل شيء . فقال لي :
« أولاً : يجب أن يُسجّل ابنُك في هذه الناحية . ولا بدّ
للمدك من المال . . . ليَسْقيَ الكبار ... حينئذ يوقّعون .
يجب أن تفعلي كل شيء بذكاء » . خذْ ، انظرْ (تأخذ
ورقةً من شالها) . هذه هي الورقة التي عملها لي . اقرأْها ،
أنتَ عالمٌ ، أنتَ !

« يقرأ نيكيتا بصوت خفيض وماتريونا تصغي) .

نيكيتا : هذه ورقة كسائر الأوراق . هي شهادة تسجيل . وهي لا
تحتاج إلى كل هذا الذكاء .

ماتريونا : واسمعْ إلى ما قاله ايفان موسيتش أيضاً . « ولتحرصْ
يا خالة ، ألا يفلت المالُ منها » . فاذا لم تضع يدها عليه
ضاع الزوجُ منها . المالُ عصبُ كل شيء . فانتبهْ ،
يابني ، لأن اللحظة المناسبة قد حانت .

نيكيتا : ماذا يهمّني من ذلك ؟ المال لها . ولتُدبّرْ أمْرها !

ماتريونا : ايه ! يابني ، كيف تفكّر ! أتحسنُ المرأة تدبيرَ أمرها ؟
حتى لو أخذت المال فهي لا تُحسن التصرّفَ به . المرأة ،
معروفة ! أما أنت فرجل ، وتستطيع أن تخبّئه . وأنت
أقدر على تدبير أمورك إذا ما حدث شيء .

نيكيتا : مشاريعكن ، أنتن النساءُ ، غير معقولةٍ على الإطلاق .

ماتريونا : ولمَ ، غير معقولة ؟ ضَعْ يدك على المال تملك المرأة ،
فاذا خطر لها أن تجنح كانت لديك الوسيلةُ لكبحها !

نيكيتا : دعيني وشأني ، سأتصرف !

المشهد — ١٩ —

« نيكيتا ، ماتريونا ، آنيسيا » .

« تخرج آنيسيا على عجل من البيت الخشبي وهي شاحبة » .

آنيسيا ، لماتريونا : حتماً ، كان المال معه ! وها هو ذا !

(تشير إلى ما تحت مئزرها) .

ماتريونا : أعطي نيكيتا هذا المال وسيخبئه ! خذهُ وخبّئه ، يا نيكيتا ، في مكانٍ ما ..

نيكيتا : حسناً ! هاتيه !

آنيسيا : آه ! يا رأسي ! أهذا أنا حقاً ؟ . . .

(تمضي نحو باب العربات) .

ماتريونا ، توقفها من ذراعها : إلى أين تذهبين ؟ سيُلاحَظُ غيابكِ . وستأتي أختُه . . . أعطيه إياه . . . إنه يعلم . . . اوه ! يا للمجنونة !

آنيسيا ، مترددة : أوه ! يا رأسي !

نيكيتا : هاتيه ، إن شئتِ ! سأخبّئه في مكانٍ ما .

آنيسيا : وأين ستُخبئه ؟

نيكيتا : لعلّكِ تخافين ؟

(يضحك)

المشهد — ٢٠ —

« الأشخاص أنفسهم ، آكولينا ، راجعةً مع الغسيل » .

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين ! «تسلّمه المال» . حافظْ عليه، يا نيكيتا !

نيكيتا : ممّ تخافين ؟ سأخبّئه في مخبأ آمن بحيث لا أعثر عليه أنا نفسي .

(يخرج)

المشهد — ٢١ —

« ماتريونا ، آنيسيا ، آكولينا » .

آنيسيا : مرتعبةً اوه ! ليته . . .

ماتريونا : وهل مات ؟

آنيسيا : أعتقد أنه مات . نزعت الكيسَ من عنقه ، ولم يُحسّ بشيء . . .

ماتريونا : هيّا ، اذهبي إلى البيت الخشبي . ها هي ذي آكولينا .

آنيسيا : أنا التي ارتكبت الإثم . . . وإذا استولى على المال ؟

ماتريونا : كفى ! ادخلي البيت . ها إن « مرفا » جاءت .

آنيسيا : وَثقتُ به ! . . . سنرى .

(ترجع إلى البيت) .

المشهد — ٢٢ —

« مارفا ، آكولينا ، ماتريونا » .

« تدخل مارفا من جهة ، وآكولينا من الأخرى » .

مارفا ، لآكولينا: كنتُ سآتي في وقت أبكر ، لكني كنت عند ابنتي . ما الخبر ؟ أيريد العجوز أن يموت ؟

آكولينا ، تضع غسيلها : لا أدري . أنا آتيةٌ من النهر .

مارفا ، مشيرة إلى ماتريونا : مَنْ هذه المرأةُ ؟

ماتريونا : أنا مِنْ زويفو ! أم نيكيتا ، من زويفو ، يا عزيزتي ! طاب يومُكِ ! كم سَتَميمَ ، كم سَتَميمَ أخوك ! لقد خرج هو نفسه وقال : أحضروا لي أختي لأن . . . لأن ...» اوه ! أيكون قد مات ؟ . . .

المشهد — ٢٣ —

« الأشخاصُ أنفسهم وآنيسيا التي تخرج راكضةً من البيت الخشبي . تضم أعمدة مطلع الدرج وهي تزعق » .

آنيسيا : اوه ! اوه ! ... لماذا تركتَني ... وحيدةً ... أرملةً ... تعسةً ... إلى الأبد ... إلى الأبد ... لقد أغْمض عينيه ... عينيه الصافيتين . . .

المشهد — ٢٤ —

« الأشخاص أنفسهم . العرّابة . العرّابة وماتريونا تسندان آنيسيا

من تحت ذراعيها . تدخل آكوليتا ومارفا إلى البيت الخشبي . يُهرَعُ الجيران » .

صوت : يجب دعوةُ العجائز لغسل الميت .

ماتريونا ، مشمّرةً كميّها : هل في القدر ماءٌ ! آه ! ما زال في السماور ماء . سأشرع في العمل .

ستار

الفصل الثالث

« يُمثّل المسرحُ بيتَ بطرس الخشبي أثناء الشتاء . بين الفصلين الثاني والثالث تصرّمتْ تسعة شهور . آنيسيا في ثياب البيت ، تنسج أمام نول . آنيوتكا مستلقية على الموقد . ميترتيش عامل ريفيّ عجوز » .

المشهد — ١ —

« آنيسيا . آنيوتكا ، ميترتيش » .

ميتريتش ، يدخل ببطء ، ويخلع معطفه المصنوع من جلد الحمل : آه ، يا إلهي ! ألم يعد المعلمُ بعدُ ؟

آنيسيا : كيف ؟

ميترتيش : ألم يعد نيكيتا بعدُ من المدينة ؟

آنيسيا : لا .

ميتريتش : لعله يَمْجُنُ هناك . آه ! إلهي !

آنيسيا : هل انتهيتَ من درس القمح ؟

ميترتيش : طبعاً ! ورتّبتُ القشّ . لستُ أحبُ أن أفعل الأشياء إلى نصفها . اوه ! إلهي ! يا قديس نيكولا !(يحك جسأتيه بيديه) . ينبغي ، مع ذلك ، أن يكون قد عاد .

آنيسيا : لا حاجة به إلى العجلة . فمعه مال . . . وهو يتسلّى مع البنت

ميتريتش : يا عذراء ! إن كان معه مالٌ، فلماذا لا يتسلّى ؟ ولماذا ذهبت آكولينا إلى المدينة ؟

آنيسيا : اسألها هي لماذا حملها الشيطان إلى المدينة ؟

ميتريتش : يا عذراء ! فمع النقود ، في المدينة ، نحصل على كل شيء . يا إلهي !

آنيوتكا : ماما ، أنا سمعته . . . بأذنيّ ، يقول لها : « سأشتري لك شالاً تختارينه أنت بنفسك » . وقد لبستْ أحسن ثيابها . ارتدت قميصها الفضفاض المخملي وشالاً فرنسياً .

آنيسيا : الحقّ مع من قال : إن حياء البنات لا يتجاوز عتبةَ الباب . فما أن تجتازه حتى تنساه اوه ! الوقحة ! . . .

ميتريتش : باه ! الحياء ، وما نفْعُه ؟ إذا توفّر المالُ لنا تسلّينا . اوه ! إلهي ! ألم تأت ساعةُ العشاء ؟ (آنيسيا تلزمُ الصمت). سأتدفّأ ريثما يحين الوقتُ . (يتسلّق إلى المدفأة) . اوه ! يا إلهي ! يا عذراء ! يا قديس نيكولا !

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم . العرّابة » .

العرّابة ، داخلةً: ورَجلُك ؟ يبدو أنه لم يعد بعدُ ؟

آنيسيا : لا .

العرّابة : آن له أن يعود . لعله توقّف في النزل ؟ قالت لي أختي فيولكا : إن أمامه الكثيرَ من العربات ؟

آنيسيا : آنيوتكا ! أيه ! آنيوتكا !

آنيوتكا : ماذا ؟

آنيسيا : اذهبي وانظري في النزل . انظري إن كان نيكيتا قد توقّف ، لأنه سكران .

آنيوتكا ، تقفز إلى أدنى الموقد ، وتضع شالا : أنا ذاهبة إلى هناك .

العرّابة : وهل أخذ معه آكولينا ؟

آنيسيا : لولاها لما ذهب إلى المدينة . هي سبب كل هذه المشاكل . قال : عليَّ أن أتسلّم مالاً من المصرف » . هي التي تعقّد كل شيء .

العرابة ، هازّةً رأسها : بديهي .

آنيوتكا ، على العربة : إذا كان هناك ، فماذا أقول له ؟

آنيسيا : انظري فقط إن كانَ هناك .

(تخرج)

المشهد — ٣ —

« آنيسيا ، ميترتيش ، العرّابة . صمت طويل » .

ميترتيش : متأوّهاً ، اوه ! إلهي ! نيكولا الرؤوف !

العرابة ، جافلةً : اوه ! كم خوّفني ! مَنْ هذا ؟

آنيسيا : هذا ميتريتيش ، عاملُنا .

العرابة : اوه ! كم أرْعبني ! يقال إن آكولينا تُطْلَبُ للزواج ؟

آنيسيا ، تترك نَوْلَها وتجلس أمام الطاولة : نعم ، ناسٌ من ديبديوفو تقدّموا للطلب ، لكن يبدو أنهم علموا هناك أيضاً بشيء ما . تقدّموا بالطلب ثم لزموا الصمت . وماتت القضيّةُ . مَنْ يَرْضَى بها ؟

العرابة : وآل ليزوتوف من زويفو ؟

آنيسيا : هؤلاء أرسلوا أيضاً . . . ولم تنجح القضيةُ . بل إنه أبى استقبالَهم .

العرابة : لا بدّ مع ذلك من تزويجها .

آنيسيا : آه ! نعم ! لا بدّ من ذلك حقاً ! عيل صبري ، يا اشبينتي ، لكيْ اخرجَها ، لكنْ لاحظّ لي ! لا هو ولا هي يريدان ذلك . لم يَشْبعْ بعد من حسنائه ، فهمتِ !

العرابة : اوه ! يا للخطيئة ! لا يُصَدَّق هذا ! وهو زوج خالتها مع ذلك ؟

آنيسيا : ايه ! خُدِعْتُ ، يا اشبينتي . . . وببراعة . لا جدالَ في ذلك . كنتُ غبيةً إذْ لم أرَ . . . عندما تزوجتُ ، لم أكتشفْ شيئاً ، وكانا مع ذلك متفاهميْن .

العرابة : يا لها من قصة !

آنيسيا : وما بدأتُ أرى بوضوح إلا فيما بعد . كانا يُخفْيان مما

يفعلانه عني ! آه ! يا اشبينتي ! لو تعلمين كم آلمني ذلك ! لو لم أكن أحبه !

العرّابة : هذا بديهي !

آنيسيا : اوه ! كم كان مؤلماً لي أن أرى نفسي مُهانة ً !

العرابة : ويبدو أنه بدأ يصبح سريعَ الضرب .

آنيسيا : لا تسألي ! لم يكن ، فيما مضى ، شريراً عندما يسكر . وكان يسرف في الشرب قديماً ، لكني كنتُ أوافقه ، أما الآن فما أن يسكر حتى يهجم عليّ ليسحقني تحت قدميه . وفي آخر مرة أنشبَ يديه في شعري وقد تعذّبتُ كثيراً حتى خلصتُه منه . وأما البنتُ فهي أخبث من حيّة ! قلّما تنتج الأرضُ مثل هذه النذالة !

العرابة : إيه ! يا اشبينتي ، أنت بائسة ، أرى ذلك بوضوح . الوضعُ لا شكّ ، مؤلمٌ لك . آويتِ في بيتك صعلوكاً ، وهو يُسيء معاملتكِ اليوم . لمَ لا تُمسكين بزمامه ؟

آنيسيا : آه ! يا عزيزتي ، ماذا تريدين أن أفعل بقلبي ؟ كان المرحوم زوجي أقسى ، ومع ذلك كنتُ أحمله على تغيير رأيه بسهولة . أما الآن فلم أعد قادرة ً على ذلك . يكفي أن أراه ليخمد غضبي كله . لا أشعر أمامه بأية شجاعة . أنا أمامه كالدجاجة المبلولة .

العرّابة : ايه ! لقد سحروك . يُقال إن ماتريونا هي التي تُلقي أذى السحر . هي التي سحرتكِ .

آنيسيا : هذا ما خطَر لي . كثيراً ما أحقد عليه .. ويُخيَّل إليّ أني سأمزّقه . وما ان يظهر حتى تتلاشى شجاعتي !

العرابة : من الواضح أنك مسحورة . من السهل اكتشاف ذلك . فعندما أنظر إليكِ أجدُ أنك لم تعودي أنتِ نفسك .

آنيسيا : ساقاي لا تطاوعانني ، وانظري إلى هذه البهيمة آكوليا . تلك المتبذّلة الشعثاء ، انظري إلى التغيرّ الذي طرأ عليها الآن ! لقد كساها أحسنَ لباس ، فسمنتْ ، وملأتْ رأسها بالأوهام . إنها تقول : « أنا ربة البيت ، البيت لي ، وكان والدي ينوي تزويجي به » . وكم هي خبيثة ، يا ربي ! إذا غضبتْ أصبحتْ قادرة على هدْم كل شيء .

العرّابة : ما أغربَ حياتكِ ! وتصوّري أن الكثيرات يَغَرْنَ منك ! يقلن إنكم أغنياء ، لكن الذهب ، فيما أرى ، لا يمنع الدموع من أن تسيل .

آنيسيا : هناك حقاً ما يستوجب الغَيْرة ! لقد ذهبت تلك الثروة هباءً ! لا يُصدَّق إلى أي حدّ ببذر .

العرّابة : ولمَ تركتهِ يفعل ذلك ؟ المالُ مالُكِ .

آنيسيا : آه ! ليتني تنبّأت بذلك ! لقد ارتكبتُ حماقةً كبيرة .

العرّابة : أنا ، لو كنتُ مكانك لاشتكيتُ إلى كبير القرية . المال مالُكِ . فكيف يجرؤ على إنفاقه ؟ مثل هذه الأخلاق غير جائزة .

آنيسيا : في مثل هذه الأيام ، كل شيء جائز .

العرّابة : أوه ! كم أنت متهاونة !

آنيسيا : نعم ، أنا متهاونة ، يا عزيزتي ، تماماً . دارَ رأسي ! ولم أعد أعرف شيئاً . اوه ! يا رأسي المسكين !

العرابة : هذا شخصٌ آتٍ .

(تصغي ، ينفتح الباب ، ويدخل آكيم) .

المشهد — ٤ —

« المرأتان ، آكيم » .

آكيم ، يرسم علامة الصليب أمام الأيقونة المقدسة ، ينظّف حذاءه ويخلع معطفه : السلامُ لهذا البيت ! هل أنتم بخير ؟ طاب يومُكِ ، يابنتي !

آنيسيا : طاب يومُكَ ، يا أبي ، هل جئتَ من بيتك ؟

آكيم : خَطَرَ ببالي ، نعم . . . أن أصل إلى بيت ابني . . . لم أخرج مبكّراً ... تغدّيتُ ... ثم مضيتُ . . . الطقسُ ثلجيٌّ ... والمشيُ صعبٌ فيه ... ولذلك تأخرتُ . . . وهل ابني هنا ؟

آنيسيا : لا ، هو في المدينة .

آكيم ، يجلس على مقعد : ذلك لأن عندي قضيّة صغيرة ... وقد حدّثتُه عنها مؤخّراً ... نعم قضيّةٌ صغيرة ... حدّثتُه عن ضائقتي ... فالحصان لم يعد يقوى على الوقوف ،

الحصان ... إذن يجب أن نتدبّر أمرنا ... لنحصل على جواد آخر . من أجل هذا جئتُ .

آنيسيا : نعم ، حدّثني نيكيتا عن ذلك . سيصل قريباً ، وستحدّثه عن ذلك . (تتّجه إلى الموقد) . تعال إلى العشاء ، ريثما يصل . ميترتيش ! يا ميتريتش ! تعال إلى العشاء !

ميترتيش : اوه ! يا ربي ! يا قديس نيكولا الرؤوف !

آنيسيا : تعال إلى العشاء .

العرابة : سأنصرف . إلى اللقاء .

(تخرج)

المشهد — ٥ —

« آكيم ، آنيسيا ، ميترتيش » .

ميتريتش ، نازلاً من الموقد : نمتُ دون انتباه . اوه ! يا إلهي ! يا قديس نيكولا ! طاب يومُك ، عم آكيم .

آكيم : ايه ! ميترتيش ! ... أنتَ إذن ؟ ... إذن أنتَ ... هكذا ...

ميتريتش : نعم ! أنا عاملٌ عند نيكيتا ، عند ابنك .

آكيم : ايه ! إذن ... أنتَ . . . هكذا ... عامل ... عند ابننا ، ايه !

ميتريتش : كنت مستخدماً ، في الآونة الأخيرة ، عند تاجرٍ في المدينة . لكنني أنفقتُ كل ما جمعتُه على الشراب ، وها

أنا ذا أعود إلى القرية . وبما أني لم أعرف أين أستقر ، اشتغلت أجيراً . (يتثاءب) أوه ! يا إلهي !

آكيم : هل نيكيتا ... إذن ... نعم ... هو إذن مشغول جداً ؟ ... هل له أشغال خارج البيت حتى استأجر . . . عاملاً ... هكذا . . . عاملاً ؟

آنيسيا : أية أشغال تريد أن يكون له . كان وحده كافياً للعمل ، من قبل . أما الآن فان في رأسه شيئاً آخر . ولذلك أستأجر عاملاً .

ميتريتش : ما الضررُ من ذلك إن كان يملك فلوساً ؟

آكيم : هو مخطىء في هذا ... في هذا هو مخطىء ... هو مخطىء إنه يترك أعماله كثيراً . . . .

آنيسيا : يتركها كثيراً حتى إنني . . . يا إلهي .

آكيم : يفكر المرءُ فيما هو أفضل . . . وينتج ما هو أسوأ ... في الغنى . . . يفسُدُ الإنسانُ . . . في الغنى . . .

ميتريتش : حتى الكلاب المرفهة تغدو مسعورة ، فكيف لا نفسُدُ نحن ؟ خذني أنا مثلاً لقد عربدتُ وأنا في البحبوحة ، ولم أصحُ من سكري طوال ثلاثة أسابيع . شربت حتى آخر فلوسي . فلما لم يَبْقَ معي شيء توقفتُ . والآن أقسمتُ . . . لا ردَّ اللهُ الخمرةَ !

آكيم : وعجوزك أين هي ؟

ميتريتش : العجوز ؟ إنها في عملها ، هي في المدينة . . . تطوف الحانات ، وتتبختر بعينها المقاوعة وعينها الأخرى السوداء من الضرب ، وفمها الأَلْوَق . وهي لا تصحو من سكرها ، حفظَها الله ! .

آكيم : اوه ! اوه ! ما هذا ؟ . . .

ميتريتش : وأين تريد أن تعمل امرأةُ جندي ! هي في عملها ! ....

(صمت)

آكيم ، لآينسيا : هل حمل معه نيكيتا . . . كذلك . . . شيئاً إلى المدينة ؟ هل ذهب ليبيع شيئاً ؟

آنيسيا ، واضعةً الصحون والملاعق ومقدّمةً طعام العشاء : لا ، ذهب فارغاً . ذهب ليسحب مالاً من المصرف .

آكيم : اتريدون ... كذلك . . . أن تضعوا مالكم . . . في موضع آخر ؟

آنيسيا : لا ، نحن لا نامسه . لن يسحب سوى عشرين أو ثلاثين روبلاً نحتاج إليها . لا بد من الذهاب لسحبها .

آكيم : لسحبها ... ولمَ ذاك ... الذهاب لسحب المال ... نسحب منه اليوم ... ونسحب منه غداً ... وننتهي بسحبه كله .

آنيسيا : لا ، هذا منفصل . رأس المال يظل كاملاً .

آكيم : كاملاً ؟ ... وكيف ذلك ... كيف يظلّ كاملاً . تأخذين منه ويظلّ كاملاً ؟ صبّي الطحين في المعجن أو ضَعيه في

مخزن المؤن ... وخذي منه ... هل يَظلّ كاملاً ؟ غير صحيح ، لا ! هم يخدعون الناس . . . أوضحي ذلك ، وإلاّ خدعوكم . كاملاً ! . . . تأخذين منه باستمرار وتريدين أن يظلّ كاملاً .

آنيسيا : لا أستطيع أن أشرح لك ذلك . ايفان موسيتش هو الذي نصحنا بذلك . قال لنا : « ضعوا مالكم في المصرف . سيكون المالُ في مأمن وتنالون الفوائد » .

ميتريتش ، الذي انتهى من عشائه : الحقّ معه . كنتُ أشتغلُ عند التاجر . الأمور تجري هكذا عندهم . يضع المرءُ ماله ولا يبقى عليه إلا أن يتمدّد على الموقد . المال يأتي وحده .

آكيم : سخيفٌ ... ما تقوله ... كيف تأخذ ... أنت تأخذ وهم ... ممّن يأخذون ؟

آنيسيا : هم يعطونك مال المصرف .

ميتريتش : المرأةُ لا تعرفُ حقيقةَ الأشياء . خُذْ ، سأشرح لك ذلك كله . افهمْ جيداً . أنتَ ، مثلاً ، معاك مالٌ ، وأنا ، من جهتي ، ليس عندي ، في الربيع ، ما أبْذرُ به أو ما أدْفعُ به الضرائب . حينئذ آتي إليك وأقول لك : « آكيم ، اقرضْني عشرة روبلات ، وأنا سأعيدُها إليك عندما أنتهي من أشغالي ، وسأحصد لك قطعة من الأرض ، لقاء الخدمة التي أدّيتَها لي » . وأنت تعلم أن لديّ ما يكفل الدَّيْن ، كالحصان ... أو البقرة ... فتقول لي : « أعطني

لقاء الخدمة روبلين أو ثلاثة » . فأقبل لأن الحبل في عنقي . وفي الخريف التالي أبيع محصولي وأحمل إليك المال . وتبتز مني ثلاثة روبلات . هذه منفصلة .

آكيم : لكن ... لكن ... هكذا ... الفلاحون الذين يفعلون ذلك ... لا يتصرّفون تصرفاً عادلاً ... ذلك أنهم نسوا الله ... غير صحيح . . . لا .

ميتريتش : انتظرْ ، سترى . افهمْ جيدا محاكمتي ... إذن أنت فعلتَ ما قلتُه قبل قليل جرّدْتَني من نقودي لكن آنيسيا ، من جهة أخرى ، تملك مالاً حراً ، ولا تدْري ماذا تفعلُ به . . . إنها امرأة . . . ولا تدري كيف تضعه . حينئذ تأتي لتلقاكَ ولتقول لك : « ألا تستطيعُ أن تستثمرَ مالي ؟ » فتجيب : « بلى ، هذا ممكن ». وتنتظر أنت . فأعودُ في الصيف وأقول لك : « اقرضْني أيضاً عشرة ، روبلات ، وسأكون شاكراً » . عند ذاك تفحص حالتي ، فاذا لم أكن مفلساً وإذا كان ممكناً أن تبتزّ مني شيئاً ، تُعطيني مال آنيسيا ، وإذا كنتُ ، على العكس ، لا أملك فجلةً ، ولا ما أسدُّ به الرمق ، تُغلق بابك في وجهي ، قائلاً لي : « ليكن اللهُ معك ! » وتبحث عن غيري لتُعطيه مالك ومال آنيسيا ، وهذا بدوره ستَسْلخه . هذا هو المصرف . وهو يسير سيراً نشطاً ، كما قلت لك . الأمر سهل جداً .

آكيم ، محتداً : نعم ، كيف ؟ . . . كذلك . . . لكن هذا ... عار؟

هناك فلاحون يفعلون ذلك . . . لكن هؤلاء الفلاحين يعلمون جيداً أنهم يرتكبون إثماً ... ليس هذا بحسب القانون ... نعم . هذا عارٌ . فكيف يحقّ للناس المتعلّمين . . .

ميتريتش : هذه الصفقة بالنسبة إليهم ، يا عزيزي ، جدُّ مفرحة . افهمْ جيداً . عندما يَعْجزُ رجلٌ غبي أو امرأةٌ عن استغلال المال ، يحملانه إلى المصرف ، وهم — حفظهم الله — يضعون هذا المال في جيوبهم ويَسْلخون به الشعب . هذا سهل .

آكيم متنهداً : ايه ! أرى أننا بائسون بلا مال . . . لكننا أشدّ بؤساً مع المال . . . كيف ، اللهُ أمرنا بالعمل . . . وأنتَ تضع مالك في المصرف . . . وتنام ... المال يُطعمكَ دون أن تُشغّل أصابعَك العشر ... هذا عارٌ ... ليس هذا بحسب القانون !

ميتريتش : القانون ! لا يكترثُ أحدٌ له الآن ! إنهم يَسْلخون الناسَ حقيقةً ، هذا كل ما في الأمر !

آكيم ، متنهداً : اوه ! ما أسوأ هذا الزمن ! فقد رأيتُ أخيراً ... في المدينة مراحيض ... أيّة اختراعات ! ملمّعة متقنة الصنع كالمنزل ، ينفقون المال هدراً . . . أما الله فقد نسوه . . . نسوه ، نسوه . . . نسيناه . . . الله ! (لآنيسيا) . شكراً ، يا عزيزتي ، شبعتُ ، وأنا مسرورٌ .

(ينهض عن المائدة ، يصعد ميتريتش إلى الموقد) .

آنيسيا ، ترفع الطعام عن المائدة وتأكل : على الأقل كان أبوه يوبّخه ! وأنا أخجلُ من أن أحدّثه عنه .

آكيم : ماذا ؟

آنيسيا : لا شيء .

المشهد – ٦ –

« الأشخاص أنفسهم ، تدخل آنيوتكا » .

آكيم : آه ! يا صغيرتي ! أنتِ تحركين دائماً ! بَرَدْتِ ، أليس كذلك ؟

آنيوتكا : اوه ! نعم ، كثيراً ! طاب يومُك ، يا جدي .

آنيسيا : ماذا ؟ هل هو هناك ؟

آنيوتكا : لا . لكن أدريان الذي رجعَ من المدينة قال إنه رآهما في نزل ، وأن أبي كان ثملاً حتى الموت » .

آنيسيا : أتريدين أن تأكلي ، خذي !

آنيوتكا ، مقتربة من المدفأة : آه ! أيّ برد هذا ! تيبّستْ يداي .

(ينزع آكيم حذاءه ، آنيسيا تغسل الأواني) .

آنيسيا : يا أبي العزيز !

آكيم : ماذا ؟

آنيسيا : ومارينا ؟ هل تحيا حياة سعيدة ؟

آكيم : لابأس بحياتها . هي امرأة لطيفة ... وذكية ... وديعة ...

إنها تعيش ... وتبذل جهدها ... لابأس بتلك المرأة اللطيفة . . . متقنة عملها ، نشطة ثم هي كذلك ... متواضعة ... لابأس بها ، تلك المرأة اللطيفة .

آنيسيا : يُقال إن شخصاً من قريتكم ، قريبٌ لزوج مارينا ، ينوي أن يطلب آكولينا ؟ هل سمعتَ بهذا ؟

آكيم : من آل ميرونوف ! نعم . . . النساءُ تحدّثْن عن ذلك ... لكنْ ... لا أعلم ... النساءُ كنّ يتحدّثْنَ عن ذلك ... ذاكرتي ليست قوية ... على الإطلاق ... أما آل ميرونوف ... فهم فلاحون كذلك ... لابأس ...

آنيسيا : كم سأكون مسرورة في تزويجها بأسرع وقت !

آكيم : لماذا ؟

آنيوتكا ، تصيخ السمع : ها هو قد وصل .

آنيسيا : ماذا ؟

(تتابع غسل الملاعق دون أن تلتفت) .

المشهد ــ ٧ ــ

« الأشخاص أنفسهم ، نيكيتا » .

نيكيتا : آنيسيا ! ايه ! يا امرأة ! مَنْ الداخلُ ؟

(آنيسيا تنظر إليه وتلْوي رأسها بصمت) .

نيكيتا ، بقسوة : مَنْ الداخل ؟ هل نَسيتِ ؟

آنيسيا : كفى تبجحاً هكذا ! ادخلْ !

نيكيتا : بقسوة أكبر ، مَنْ الداخل ؟

آنيسيا ، تتقدّم وتمسكه بيده : حسناً ! هو الزوج ! هلاّ دخلتَ !

نيكيتا ، مقاوماً : آه ! فهمتِ ! الزوج ! وما اسمُه ، الزوج ؟ تكلّمي بدقّة .

آنيسيا : طيّب ! نيكيتا .

نيكيتا : آه ! ... يا جاهلة . قولي اسمَ أبي .

آنيسيا : حسناً ! آكيميتش .

نيكيتا ، على عتبة الباب : آه ! ... واسم العائلة ؟ ما هو ؟

آنيسيا ، تضحك وتشدّه من يده : تشيايكين . اوه ! كم هو سكران !

نيكيتا : آه ! ... (يتمسّكُ باطار الباب) . وقولي لي بأية قدم يدخل تشيايكين بيته الخشبي ؟

آنيسيا : كفى ! ستبرّد الغرفة .

نيكيتا : لا ، قولي لي بأية قدم يدخل . هذا إجباري .

آنيسيا ، بينها وبين نفسها : سوف يضايقني الآن . (بصوت عالٍ) حسناً ! باليسرى . هلاّ دخلتَ الآن .

نيكيتا : آه !

آنيسيا : انظر مَنْ يَنْتظرك في البيت .

نيكيتا : أبي ! وماذا في ذلك ! أنا لا أحتقر أبي بل أستطيع أن

أُبدي له احترامي ! طاب يومُك ، يا أبي العزيز ! (ينحني ويمدّ يده إلى آكيم).. احترا ماتي .

آكيم ، دون أن يجيب : الخمر ... هذا ما تفعله ... العار ... .

نيكيتا : الخمر ؟ ... كم شربتُ ؟ قطعاً ، لقد أخطأتُ ، شربتُ مع صديقٍ لي ... على صحّته .

آنيسيا : امضِ إلى النوم .

نيكيتا : يا امرأة ، أين أنا ؟

المشهد — ٨ —

« الأشخاص أنفسهم ، آكولينا » .

آكولينا ، بثياب الأحد ، تتقدّم نحو نيكيتا ومعها سفط : لمَ رميْتَ كلَّ شيء إلى اليمين وإلى اليسار . أين الخيط ؟

نيكيتا : الخيط ؟ ايه ! ميتريتش ، أين أنت ؟ أنت نائم ؟ اذهبْ وفكّ الحصان .

آكيم ، ينظر إلى ابنه دون أن يرى آكولينا : ما هذا ؟ العجوز ... متعبٌ . . . لأنه درس القمح . . . أما هو فقد سكر ... ثم يرسلُه ليفكّ الحصان ... يا للعار !

ميتريتش ، ينزل عن الموقد ، ويحتذي جزمته المصنوعة من اللبد : أيها الرب الرحيم ! وأين الحصان ؟ في الفناء ؟ لا ريب أنه أنهكه . ليخنقْه الطاعون ! كم شرب ... لم يبق موضعٌ للشراب ! يا إلهي ! يا قديس نيكولا !

(يرتدي معطفه ويخرج) .

نيكيتا ، جالساً : سامحْني ، يا أبي العزيز . لقد شربتُ ، هذا صحيح . وماذا في ذلك . الدجاجات يشربْن كثيراً ، أليس هذا صحيحاً ؟ سامحْني إذن . ان يشعر ميتريتش بالإهانة ، وسيفاك الجواد .

آنيسيا : هل ينبغي حقاً تسخين السماور .

نيكيتا : نعم ، فعندي أبي هنا . سأتحدّث معه وسنتناول الشاي . (لآكولينا) . هل حملتِ المشتريات كلها ؟

آكولينا : المشتريات ؟ أخذتُ أغراضي . والباقي في الزلاجة . عجباً ، هذا ليس لي .

(ترمي بسفط على الطاولة وتنظّم الباقي في الصوان . تنظر إليها آنيوتكا . آكيم لا ينظر إلى ابنه . يضعُ حذاءه ولفافتيه قرب المدفأة لتنشف) .

آنيسيا ، خارجةً بالسماور : الصوان ملآن ! وما يزال يرى من الواجب أن يشتري .

المشهد — ٩ —

« آكيم ، آكولينا ، آنيوتكا ، نيكيتا » .

نيكيتا ، متظاهراً بأنه صحا من سكره : لا تغضبْ ، يا والدي العزيز . أنت تظنّ أنني سكران . في حقيقة الأمر ، إن عقلي لا يفارقني أبداً . وأنا أعرفُ المثلَ : « اشربْ لكنْ لا تفقدْ رشدك » . استطيعُ أن أحدّثك ، يا أبي ، في هذه اللحظة بالذات . . . لم أنسَ شيئا . حدثتَني عن المال ....

حصانُك لا يَقوى على الوقوف ، أتذكّر ذلك جيداً .
هذا ممكن ! ... كل ذلك يتوقّف عليّ . لو كان المبلغ
ضخما لرجوتك أن تنتظر ، لكن بالنسبة إلى ما تطلبه فأنا
أستطيع كل شيء . . . خُذْ !

آكيم ، يتابع تصفيف لفافيته : ايه ! يا صغيري ، ليس هذا وقتُ
الحديث . . . كما ترى .

نيكيتا : لمَ تقول لي هذا ؟ تَقْصد أنه لا يجوز أن تجادل سكّيراً ؟
لستُ سكران . لا تَرْتَبْ في ذلك ... سنشرب الشاي .
وبالنسبة إليّ فأنا قادر على كل شيء ، في حقيقة الأمر ،
قادر على تدبير كل شيء . . .

آكيم ، هازا رأسه : ايه ! إيه ! إيه ! ايه !

نيكيتا : المال ! ها هو ذا .. (يبحث في جيبه ، ويسحب من
محفظة مدعوكة رزمةً من الأوراق المالية ، يختار من بينها
ورقةً بعشرة روبلات) . امسكْ ! هذا للحصان . خُذْ
للحصان . لستُ ممّنْ ينسون أهلهم . هذا إجباري !
أنت أبي ، ولا أستطيع أن أتركك . خذْ ! أمسك !
الأمرُ بسيط . لستُ بخيلاً ! (يتقدّم نحو أبيه وينوي
أن يدسّ الورقة بيده . لا يأخذها آكيم . يمسك نيكيتا أباه
من ذراعه) . قلتُ لك ، خُذْ ، فاستُ آسفُ عليها عندما
أعطيكَ إياها .

آكيم : لا أستطيع ... أن آخذها ... ولا أريد ... أن أكلّمكَ . . .
لأنك ... نعم ... لا تملك عقلكَ .

نيكيتا : لن أُرخيَكَ ! خُذْ !

(يدسُّ الورقة في يده) .

المشهد — ١٠ —

« الأشخاصُ أنفسهم ، آنيسيا »

آنيسيا ، تدخل وتقف : خُذْها إذن ، وإلاّ فإن يُرخيَكَ .

كيم ، يأخذ الورقة وهو يهزّ رأسه : اوه ! الخمر ! لا يعود الإنسانُ إنساناً . . .

نيكيتا : حسناً ! الأمور أفضلُ هكذا . إن أعَدْتَها فذلك حسن ، وإن لم تُعدْها ، فبحفْظ الله ! كذلك أنا ! (يشاهد آكولينا) . آكولينا ، أري الهدايا .

آكولينا : ماذا ؟

نيكيتا : أري الهدايا .

آكولينا : لا داعي لذلك ، لقد لففْتها .

نيكيتا : أَريهمْ إياها ، قلتُ لكِ . ستُسَرُّ آنيوتكا برؤيتها . دعي آنيوتكا تَرَها . افتحي الشال وأعطيني إياه .

آكيم : يُؤْلمني قلبي من مجرد النظر إليه .

(يصعد إلى الموقد) .

آكولينا ، تُخرج عدة أسفاط من الصندوق وتضعُها على الطاولة : ما الفائدة من مشاهدتهم لها ؟

آنيوتكا : اوه ! ما أجمله ! حلوٌ مثل شال ستيبانيدا !

آكولينا : شال ستيبانيدا ؟ لا مجال للمقارنة (تحتدّ وتفتحه) . انظري إلى نوعه . هذا شالٌ فرنسي .

آنيوتكا : والكريتون ؟ ما أجمله ! فستان ماشوتكا شبيهٌ به ، لكنه افتحُ وأرضيته زرقاء .

نيكيتا : آه ! . . .

(تذهب آنيسيا ، وهي بادية الغضب ، إلى غرفة المهملات . ثم تعود منها ومعها أنبوب سماور وغطاء طاولة ، وتتقدّم إلى الطاولة) .

آنيسيا : يا لها من بضائع معروضة !

نيكيتا : انظري إليها .

آنيسيا : ماذا أنظرُ ؟ ألم أرَ ؟ ارفعوا هذا من وجهي !

(ترمي بشال آكولينا أرضاً) .

آكولينا : لمَ تَرْمينه ؟ ارمي ما يخصّك .

(تلمّ شالها) .

نيكيتا : حذار ، آنيسيا !

آنيسيا : مم ؟

نيكيتا : أتظنّين أنني نسيتُك ؟ انظري هنا . (يُريها سفطاً ويجلس عليه) . هديّةٌ لك ، لكن يجب أن تستحقّيها . يا امرأة ، أين أنا هنا ؟

آنيسيا : كفى تبجّحاً ! لستُ أخافُك . بأي مال عربدت واشتريتَ الهدايا لتلك المدُحدَحة ؟ بمالي .

آكولينا : اود ! بمالك ! أردت أن تسرقيه لكنك لم تقدري اطلعي من هذا الباب !

(تدفعها بقوة لتمرّ) .

آنيسيا : لم تدفعينني ؟ أنا التي ستدفعك .

آكولينا : تدفعينني ، أنا ! تعالي لحظة !

(تمشي لملاقاتها) .

نيكيتا : ايه ! اسكتا ! كفى !

(يقف بينهما) .

آكولينا : يا للوقاحة ! أفضلُ لك أن تسكتي ، إن كنت تعتقدين أننا لا نعرف شيئاً !

آنيسيا : قولي ، ماذا تعرفين ؟

آكولينا : أعرف شيئاً يخصّك .

آنيسيا : أنت عاهرة ! تعاشرين رجلاً متزوّجاً !

آكولينا : وأنت التي موّتتْ زوجها !

آنيسيا : تهجم على أكولينا : أنت تكذبين !

نيكيتا ، يحجزها : آنيسيا ، هل نسيت ؟

آنيسيا : لا آبهُ لتهديداتك . ولستُ أخافُكَ .

نيكيتا : اخرجي !

(يدفع آنيسيا بكتفيها إلى الخارج) .

آنيسيا : أين تريد أن أذهب ؟ أنا في بيتي هنا .

نيكيتا : قلتُ لكِ : اخرجي . وإياكِ أن تعودي !

آنيسيا : لن أخرج ! (نيكيتا يدفعها . آنيسيا تبكي وتصرخ وهي تتشبّث بالباب) . كيف ! أُطْرَدُ من بيتي ! ماذا تَفْعل، يا مجرم ؟ آه ! أتظنُّ أنك قادرٌ على فعل ما تشاء دون عقاب !

نيكيتا : هيا ! هيّا !

آنيسيا : سأذهب إلى كبير القرية ، وإلى الدركي !

نيكيتا : قلتُ لكِ : اخرجي !

(يُخرجها)

آنيسيا ، وراء الباب : سأَخنقُ نفسي !

المشهد — ١١ —

« نيكيتا ، آكولينا ، آنيوتكا ، آكيم » .

نيكيتا : كفى !

آنيوتكا ، باكية : اوه ! يا أمي العزيزة !

نيكيتا : تظنّ أنها تخوّفني ! لماذا تبكين ! لا تخشيْ شيئاً ، ستعود . اذهبي وانظري إلى السماور هل غلا .

(تخرج آنيوتكا) .

المشهد – ١٢ –

« نيكيتا ، آكيم ، آكولينا » .

آكولينا : تلمّ الأشياء المبعثرة على الطاولة وتطويها : اوه ! النذلة ! تريد أن تخلق المشاكل ! انتظري . سأمزّق لك قميصك . سأمزّقه ، بلا ريب !

نيكيتا : لقد طُردتْ ، فماذا تريدين أكثر من ذلك ؟

آكولينا : لطّخت شالي الجديد ! الكلبة ! الحمقاء ، لو لم تخرج لاقتلعتُ عينيها !

نيكيتا : لا تغضبي ! لماذا تغضبين ؟ . . . فبما أنني لا أحبّها !

آكولينا : تُحبّها ! أيمكن أن يُحبّ إنسانٌ مشاكسٌ مثلها ؟ لو كنتَ تخلّيتَ عنها مرة واحدة لما وقع هذا كله . اطردْها بعيداً ! على كل حال ، البيتُ بيتي والمال مالي . يا لها من عشيقة ! عشيقة ، هي ، قاتلة ! هكذا هي ، وستفعل معك مثلما فعلتْ معه !

نيكيتا : لا سبيل إلى سدّ أفواه النساء ! أنتِ تهذرين دون أن تعلمي ماذا تقولين .

آكولينا : بلى ، أعلم ما أقول . لا أريد أن أعيشَ معها ، وسأطردها ! لا ينبغي أن تظلّ معي ! هي ، العشيقة ! بل إنها ليست عشيقة ، وإنما هي بغيّةُ المحكومين بالأشغال الشاقة !

نيكيتا : كفى ! ليس لك شيء تقتسمينه معها . انظري إليّ .

أنا السيّد ! وأنا أفعل ما أريد . لم أعد أحبّها ، وأنت التي أحبّها الآن ، أحبُ مَنْ أشاءُ . هذه هي إرادتي . أما هي فالى الحَجْز . . . (يرفع قدمه دليلاً على الاحتقار) . آه ! من المؤسف أن الآكورديون . ليس عندنا :

(يغني)

في الفرن فطائرُ حلوى
وعلى الدَرَج برغل
ونحن ، نحن نعيش
ونمرح .
وعندما يأتي الموت
سنموت .
في الفرن فطائر حلوى
وعلى الدرج برغل .

المشهد — ١٣ —

« نيكيتا ، آكيم ، ميتريتش » .

« يدخل ميتريتش وينزع حذاءه ومعطفه ويصعد إلى الموقد » .

ميتريتش : يبدو أن المرأتين تشاجرتا أيضاً . لا بد أن تتشاجرا أبداً . يا إلهي ! يانيكولا الرؤوف !

آكيم ، على حافة الموقد ، يأخذ لفافتيه ويلفّهما ويحتذي حذاءه : مرّ إلى الداخل ، مُرّ !

ميتريتش ، ماراً : لن تتوصّلا إلى اتفاق على القسمة . يا إلهي !

نيكيتا ، لآكولينا : هاتي الشراب ، سنشرب منه مع الشاي .

المشهد – ١٤ –

« الأشخاص أنفسهم ، آنيوتكا » .

آنيوتكا ، داخلةً ، لآكولينا : ايه ! سيغلي السماور .

نيكيتا : وأمُّكِ ؟ أين هي ؟

آنيوتكا : هي في البهو . تبكي .

نيكيتا : آه ! . . . آه ! . . . ناديها ، قولي لها أن تأتي بالسماور . وأنتِ يا آكولينا ، هاتي الفناجين .

آكولينا : الفناجين ؟ طيّب .

(تحضّر الفناجين) .

نيكيتا ، يأخذ الشراب والبسكويت وسمك الرّنكة : هذا لي وهذه الخيوط لامرأتي ، وزيت الكاز في البهو ، والمالُ ، هذا هو . انتظرْ ! (يأخذ الآلة الحاسبة) . يجب أن نتحقق من الحساب : طحين القمح الأبيض . . . ثمانون كوبيكاً ، زيت القنب . . . بيد أبي ، عشرة روبلات ! ... تعال ، يا أبي ، لتناول الشاي !

(صَمْتٌ ، آكيم بجانب الموقد يربط لفافتيه)

المشهد – ١٥ –

« الأشخاص أنفسهم ، آنيسيا ».

آنيسيا ، حاملةً السماور : أين يجب ان أضعه ؟

نيكيتا : ضعيه على الطاولة . ماذا ؟ هل ذهبْتِ لتقابلي كبير القرية ؟ لأننا . . . يجب أن نفكّر قبل أن نتكلّم . كفى خصاماً . اجلسي واشربي (يصبّ لها كأساً صغيرة) . وهذه هي هديتك .

(يُعطيها السفط الذي كان جالساً عليه . آنيسيا تهزّ رأسها وتأخذه دون أن تقول شيئاً) .

آكيم ، ينزل من الموقد ويضع معطفه ، ويتقدّم نحو الطاولة ويضع عليها ورقة الروبلات العشرة : هذه نقودُكَ ، فخذْها !

نيكيتا ، دون أن يرى الورقة : أراك لبستَ ؟ أين تذهب ؟

آكيم : سأنصرف ، أنا . . . كما ترى . . . ليحفظْك اللهُ !

(يأخذ قبّعته وزناره) .

نيكيتا : هذا شيء جديد ! لماذا ترجع هكذا ، في الليل ؟

آكيم : لا أستطيع . . . أن أبقى . . . في بيتك ، لا أستطيع ، كما ترى . . . أن أبقى . . . وداعاً !

نيكيتا : كيف تذهبُ والشايُ على الطاولة ؟

آكيم ، يلفّ زناره حول جسمه : سأرجع . . . لأن . . . الأمور

ليست حسنة ... في بيتك ، ليست حسنة ، نيكيتا ! أنت ، حالتُكَ سيئة ، سيئة ! سأنصرف !

نيكيتا : كفى مشاكل ! اجلسْ ، وتناول الشاي .

آنيسيا : مالكَ ، أيها الأب ؟ سنخجل أمام الناس . مَنْ الذي أساءَ إليك ؟

آكيم : لم يسيءْ إليّ أحدٌ ، لا أحد ! لكنني أرى ... أن ابني يجري إلى هلاكه ... يجري إلى هلاكه . . .

نيكيتا : أي هلاك ؟ هات براهينك !

آكيم : هلاكك ، هلاكك ! أنتَ على طريق هلاكك ! ماذا قلتُ لكَ في الصيف الماضي ؟

نيكيتا : حدثتني عن أشياء كثيرة .

نيكيتا : حدّثتُكَ عن اليتيمة التي أسأتَ إليها . . . اليتيمة مارينا ... التي أسأتَ إليها . . .

نيكيتا : اوه ! ما زال يتذكّر ! لقد ذهبتْ هذه القضيةُ مع الثلوج القديمة ! قضية منتهية !

آكيم ، محتداً : منتهية ! لا ، يا صديقي ، هي لم تَنْتهِ ... الخطيئة تستدعي أختَها ، وأنت متورّطٌ ، يانيكيتا ، في الخطيئة ! متورّطٌ في الخطيئة ! أنت متورّطٌ ، غارقٌ . . .

نيكيتا : هيا ! تناول الشاي . . . هذه هي القصة كلها .

آكيم : لا أستطيع . . . أن أتناول الشاي . . . لأن حسّتك ... توجع قلبي . لا أستطيع . . . أن أتناول الشاي معك !

نيكيتا : آه ! ما هذه الثرثرة المكرورة ! هيا اجلسْ إلى الطاولة !

آكيم : أنت عالقٌ في خيوط غنائك كالعالق في خيوط الشباك ، كالعالق في خيوط الشباك ! يجب أن يكون لك ضمير !

نيكيتا : من أين لك هذه السلطة المطلقة لتأتي إلى بيتي وتُنحي علي باللائمة ؟ لماذا تزعج نفسك ؟ أأنا صبي حتى تشدّ لي أذنيّ ؟ لم يعد أحدٌ يستعمل هذه الطرق .

آكيم : صحيح . . . سمعتُ هذا أيضاً . . . أن الناس يَسْحبون الآباء من لحاهم . . . لكن هذا هو هَلاكُ النفس . . . هو الهلاك .

نيكيتا ، مغضباً : نحن نعيش مُستغنينَ عنك . أنت جئتَ تطلبُ معونتنا .

آكيم : مالك ؟ هذا هو مالك . . . سأتسوّل . . . أتري . . . لكنني لن آخذه !

نيكيتا : كفى أرجوك ، لمَ تغضبُ ؟ (يمسكه بيده) أنت تكدّر اجتماعنا .

آكيم ، مرسلاً صرخة الغضب : آه ! ... دعْني ! ... لن أبقى ، أفضّل أن أنام على الطريق . . . على أن أنام وسط قذارتك ! أوه ! سامَحَني الله !

(يخرج)

المشهد — ١٦ —

« نيكيتا ، آكولينا ، آنيسيا ، ميترتيش » .

نيكيتا : حسناً ! كفى !

المشهد — ١٧ —

« الأشخاص أنفسهم وآكيم » .

آكيم ، فاتحاً الباب : أفِقْ ، يا نيكيتا ! وفي نفسكَ إنما يجبُ أن تفكّر .

(يخرج)

المشهد — ١٨ —

« نيكيتا ، آكولينا ، آنيسيا ، ميتريتش » .

آكولينا ، ممسكة بالفناجين : وهل ينبغي أن أصبّ الشاي !

ميتريتش ، يصرخ من على الموقد : آه ! يا ربي ، ارحمني ، أنا الخاطىء !

(الجميع يجفلون مرعوبين) .

نيكيتا ، متهالكاً على المقعد : اوه ! ضجرتُ ، ضجرتُ ! آكولينا ، أين الآكورديون ؟

آكولينا : الآكورديون ؟ الآن تذكرتَه ؟أعطيْتَهُ للتصليح . سكبتُ لك ، اشربْ .

نيكيتا : لا أريدُ شيئاً ! أطفئوا الأنوار ! اوه ! ما أشدّ ضجري ! آوه ! ما أشد ضجري !

(يبكي)

ستار

الفصل الرابع

إحدى أمسيات الخريف . ضوء القمر . داخل الفناء . في الوسط بهوٌ . إلى اليمين بيتُ الشتاء الخشبي وباب العربات . وإلى اليسار بيت الصيف الخشبي وقبو . تُسْمَعُ أصواتٌ مخمورةٌ تخرج من البيت الخشبي . تخرج الجارةُ من البهو مع عرّابة آنيسيا .

المشهد — ١ —

« العرّابة ، الجارة »

الجارة : ولمَ لم تخرجْ آكولينا ؟

العرّابة : لمَ ؟ هي لا تريد ، وتحتجّ بأنْ لا فراغ لديها . جاء أهلُ الخطيب ليتعرّفوا إليها ، لكنها ظلّتْ مستلقية في البيت الخشبي ولم تطلّ بوجهها ، يا عزيزتي .

الجارة : ولمَ ذاك ؟

العرابة : لعلها قد أُصيبتْ بأذى السحر . فهي تحس بالمَغْص في بطنها .

الجارة : أممكنٌ هذا ؟

العرابة : لكن . .

(تهمس إليها بشيء في أذنها) .

الجارة : اوه ! يا لها من خطيئة ! وهل علمَ بذلك أهلُ الخطيب ؟

العرابة : وكيف يعلمون ؟ كلهم سكارى . ثم إن ما يبحثون عنه خاصة هو المهر ؛ ليس بالشيء القليل ما سيُعْطونه لهذه البنت ، يا أمي : معطفان من الفرو ، ستة فساتين ، شال فرنسي ، وكمية من قطع القماش والفضة ، وورقتان من ذوات المئة ، على ما يقال . . .

الجارة : في مثل هذه الظروف ، ليس في تسلّم المال كبيرُ لذّة . يا للعار ! صه ! هذا أبو الخطيب !

(تسكتان وتدخلان البهو) .

المشهد – ٢ –

« أبو الخطيب . يخرج من البهو وبه حازوقة » .

الأب ، وحده : احترقتُ ! ما هذا الحرُّ ! يجب أن أتبرّدَ قليلا ! (يتنفّس بقوة) . الله أدري بما هو كائن ! لكن هناك شيئاً لم يرقْ لي . سنرى ما ستقوله العجوز .

المشهد – ٣ –

« الأب ، ماتريونا »

ماتريونا ، خارجة من البهو : آه ! وأنا التي كانت تبحث عنك في كل مكان ! ها أنت ذا ، يا عزيزي . وبعدُ ! كلُّ شيء على ما يُرام ، بحمد الله . عندما يكون القصدُ تزويجَ أحد الأولاد فلا مجال للمباهاة ، ثم إن هذا ليس من طبعي ، لكن

بما أنك جئتَ بنّيات ٍ حسنة ، فاني آمل ، بعون الله ، أن تعترفوا لنا بالجميل الأبدي ، لأن الخطيبة بنتٌ نادرة . تستطيع أن تبحث في الناحية كلها فلا تجد أختاً لها .

الأب : نعم ، بالتأكيد ، لكن يجب مع ذلك التحفّظ بصدد المال .

ماتريونا : بصدد المال ، اطمئنّ . كل ما انتقل إليها من أبويها سيذهب معها . وفي مثل هذه الأيام ، ليس بالشيء القليل ثلاث ورقات من ذوات الخمسين .

الأب : لسنا نقول العكس . الولد هو الولد . رتّبي هذا أحسن ترتيب .

ماتريونا : أنا ، يا عزيزي ، أقول لك الحقيقة الخالصة . بدوني ، ما كنتَ لتعثر على مثل هذه الفتاة . وقد طلبها آل كورميايين للزواج ، لكنني عارضتُه ذلك . وبالنسبة إلى المال قلتُ لكَ الحقيقة . فالمرحوم (تقبّلَه اللهُ في ملكوته السماوي) كان يموت وأمَرَ الأرملةَ أن تتزوّج نيكيتا . وأنا أعرفُ كلّ شيء ، عن طريق ابني . وأمرَ بتسليم المال إلى آكولينا . ولو كان غير نيكيتا لاستغلّ ذلك ، لكن نيكيتا ردّ لها كل شيء . وياله من مبلغ ٍ !

الأب : الناس يزعمون أنه ترك لها أكثر من ذلك . ابنك نيكيتا ، شابٌ بارع .

ماتريون : ايه ! يا حمامتي البيضاء ، قطعة الخبز في يد الجار تبدو دائماً أكبر . ستُعْطَى ما هو موجود . فاتركْ حساباتك وأنْه ِ القضية . يا لها من بنت جميلة كالصورة

الأب : لا أقولُ : لا ، لكننا تساءَلنا ، أنا والعجوز ، لمَ لم تخرج . وإن كان بها عاهة ؟

ماتريونا : هي ؟ لكنك لن تجد مثلها في الناحية كلها . وهي صابة ، قاسية كالحديد ! وأنتَ تعرفُها ، مالَكَ ؟ أمّا من جهة العمل فاطمئن . هي صماء قليلا ، لا أنكر ، لكن في أحسن التفاح دودةً . وإذا كنتَ تريد أن تعلم لمَ لم تخرج مذلك لأنّ بها أذى السحر ، نعم . وأنا أعرف اليد التي فعلت ذلك ، والتي أحسّتْ بالخطبة فألقتْ أذى السحر . لكنني شاطرة ، وأنا أعرف الكلمة التي تُبطلُ السحر . وستقوم غداً . فلا تخشَ شيئاً بالنسبة إليها .

الأب : حسناً ! اتفقْنا إذن .

ماتريونا : لكن لا تتراجعْ عن كلامك ، ولا تَنْسَني .

صوت امرأة ، في البهو : حان وقت العودة ، ايفان .

الأب : أنا ذاهب .

(يخرجان)

المشهد – ٤ –

« آنيسيا ، آنيوتكا »

آنيوتكا ، خارجةً من البهو ومناديةً آنيسيا باصبعها : يا أمي !

آنيسيا : مالَكِ ؟

آنيوتكا : اقتربي مني ، يا أمي ، لكي لا يَسْمعنا أحدٌ .

(تتّجه إلى مخزن الغلال) .

آنيسيا : ماذا ؟ أين آكولينا ؟

آنيوتكا : هي في مخزن الغلال . ليتك ترينها ، شيءٌ رهيب . وهي تقول : « ليتني أموت ، لم تَبْقَ فيّ قوةٌ ! سآخذ في الصراخ بكل قواي ، ليتني أموت ! »

آنيسيا : ستصبر . يجب أولاً أن نَصْرف ضيوفنا .

آنيوتكا : اوه ! كم تتألّم ، يا ماما ! ثم إنها غاضبة ! وهي تقول : « هم يُضيعون وقتهم إذا شاؤوا أن يبيعوني ، لأنني لا أريد أن أتزوج . سأموت ! » اوه ، ماما ، بشرط ألا تموت ! أنا خائفةٌ جداً من ذلك .

آنيسيا : لا تخافي شيئاً ، فلن تموت ! لا تذهبي لرؤيتها . انصرفي !

(تخرج آنيسيا وآنيوتكا) .

المشهد — ٥ —

ميتريتش ، وحده ، يدخل من باب العربات ويأخذ في لمّ القش المتناثر على الأرض : اوه ! إلهي ! يا قديس نيكولا الرؤوف ! كم شربوا من ماء الحياة ! وأية رائحة تفوح منهم ! الرائحة تصل إلى هنا . . . كلا . . . لن أعود إلى شرب ماء الحياة ! لن أعود ! وانظروا إلى هذا القش الذي بعثروه ! القايل هنا ، والقايل هناك ، هذا يعمل حزمةً في نهاية الأمر . أية رائحة هذه ! كأنّ تحت أنفي كأساً

من ماء الحياة ! آه ! لاردّ الله مله الحيلة ! (يتثاءب) .
حان وقتُ النوم . لا أشتهي للدخول إلى المنزل . الرائحة
تعبقُ في أنفي معطّرةً ، العاهرةُ ! (يسمع هديرٌ العربة التي
تبتعد (ها هم قد سافروا ! اوه ! إلهي ! نيكولا الرؤوف !
كلهم يحاولون أن يخدع بعضُهم بعضاً ! حماقاتٌ ، كل
هذا !

المشهد — ٦ —

« ميترتيش نيكيتا » .

نيكيتا ، داخلاً : ميتريتش ، اذهبْ ونَمْ ، سأَلُمُّ القشَّ .

ميتريتش : طيّب ! أطْعم النعاجَ منه . سافَروا ، أليس كذلك ؟

نيكيتا : نعم ، لكن الأمور ليست حسنة ، ولا أدري ماذا أفعل .

ميتريتش : يا لها من قضيّة ! ما أهمية ذلك ؟ هناك بيوت اللقطاء .
وهي تُؤوي اللقطاء مهما يكنْ عددهم ، خُذْ إليها
ماتشاء منهم ، فلن يطالب القائمون عليها مناكَ حساباً ؛
بل ! إنهم يدفعون للأم أجرتها إذا شاءت أن تعمل مرضعاً .
آه ! الأمرُ بسيطٌ جداً اليوم !

نيكيتا : ميترنيش ، أرجوك ألاّ تثرثر كثيراً إذا ما حدث شيءٌ .

ميتريتش : ماذا يهمّني من ذلك ؟ أخْفِ جميع الآثار كما يَحْلو
لكَ . اوه ! رائحةُ ماء الحياة تفوح منك ! سأذهب إلى
النوم . (يمضي متثائباً) . اوه ! يا ربي !

المشهد — ٧ —

نيكيتا ، يصمت طويلا . يجلس على زحافة : يا لها من ورطة !

المشهد — ٨ —

« نيكيتا ، آنيسيا » .

آنيسيا ، داخلة : نيكيتا ، أين أنتَ ؟

نيكيتا : هنا .

آنيسيا : ماذا تفعل وأنت جالس ؟ ليس لدينا وقت نضيعه . يجب أن تحمله على الفور .

نيكيتا : وماذا سنفعل إذن ؟

آنيسيا : كما قلتُ لكَ . اعملْ ما آمركَ به !

نيكيتا : الأفضل أن نضعه في بيوت القطاء .

آنيسيا : حسناً ! احملْه إذا شئت . أنت قويٌّ على ارتكاب القذارات ، لكننا لا نجدك عندما يُراد إصلاحُها .

نيكيتا : وماذا يجب أن نفعل ؟

آنيسيا : كما قلتُ لك . اذهب إلى القبو . واحفرْ حفرة !

نيكيتا : أليس من سبيل إلى تدبير الأمور بشكل آخر ؟

نيسيا ، تقلّده : بشكل آخر ! يبدو أنه لا سبيل إلى شكل آخر . كان يجب أن تفكّر في ذلك قبل الآن . اذهبْ إلى حيث أرسلكَ .

نيكيتا : آه ! يا لها من ورطة ! يا لها من ورطة !

المشهد – ٩ –

« نيكيتا ، آنيسيا ، آنيوتكا » .

آنيوتكا : ماما ! أختي تناديكِ . يبدو أنها جاءت بوليد . عسى أن أموت ! سمعتُه يصرخ .

آنيسيا : ماذا تختلقين ؟ حَطِّمَ الشلل عظامَكِ ! هذه قطط صغيرةٌ تموءُ . ادخلي ونامي . وإلا عوقبْتِ .

آنيوتكا : ماما ، يا عزيزتي ، ما أقوله صحيح ،أقسم لكِ .

آنيسيا : رافعةً يدها : سوف أ . . . يجب ألا أراك هنا بعد الآن !

(آنيوتكا تهرب) .

آنيسيا : لنيكيتا : افعلْ ما قلتُه لك ، وإلا فحذارِ !

(تخرج)

المشهد – ١٠ –

(نيكيتا ، وحده ؛ يصمت طويلاً) .

نيكيتا : اوه ! يا لها من ورطة ! وياهؤلاء النساء ! وياللمصيبة ! هي تقول : « كان يجب أن تفكّر في ذلك قبل الآن » . أكان عندي وقتٌ للتفكير ؟ في الصيف الماضي ، أخذتْ آنيسيا تدور حولي . وأنا لستُ راهباً ! وعندما مات المعلم كفّرتُ عن خطيئتي ، كما كان ينبغي عليّ أن أفعل . ولم يكن لي يدٌ في الأمر . ألا يقعُ هذا كل يوم ؟ ... ثم هناك قصةُ المساحيق . . . أأنا الذي دفَعها إلى أن

تتصرّف كما تصرّفتْ ؟ لو كنتُ أعلم ذلك لقتلْتُها ، الكلبة ! لقتلتُها ، بالتأكيد ! جعلتْني شريكاً في كل قذاراتها ، الوسخة ! كم اشمأزّتْ منها نفسي منذ ذلك الوقت . . وعندما حدثتْني أمي عن ذلك قرفْتُ منها إلى حدّ لم أعد أستطيع معه رؤيتها . كيف يمكن أن أعيش معها ؟ حينئذٍ بدأت مشاكلُنا . ثم أخذت البنتُ تُلاحقني . ماذا يهمّني من ذلك ؟ لو لم أكن أنا لكان غيري . وهذه هي النتيجة . وليست الغلطة أيضاً غلطتي . اوه ! من هذه الورطة ! (يظل متفكّراً ، بعض الوقت) . وكم هنّ جريئاتٌ ، اولئك النساء ! ما الذي لم يتصوّرْنَهُ ؟ لكنني لن أرْتضي ذلك !

المشهد — ١١ —

« نيكيتا وماتريونا » .

« ماتريونا تخرج على عجل ومعها مصباح وبيدها رفشٌ » .

ماتريونا : ها أنت مثل دجاجة على بيضها ! ماذا قالت لك زوجتُك ؟ دبّرْ قضيتَك !

نيكيتا : ماذا ستفعلان ؟

ماتريونا : هذا يخصّنا . . . افعل ما يخصّك .

نيكيتا : آه ! برّمْتُما لي رأسي !

ماتريونا : أتنوي أن تتراجع ؟ ما ان يُطالَبُ منك العملُ حتى تتراجع !

نيكيتا : يا لها من ورطة ! هذا كائن بشري .

ماتريونا : كائن بشري حاو ! لا يكاد يتنفّس . ثم ماذا تريد أن نفعل به ؟ حاول أن تحمله إلى بيت اللقطاء ، فسيموت مع ذلك ، وسيحدث الناس عما جرى ، وسيتنادرّون بالحادثة في أرجاء القرية ، ثم ستظلّ البنتُ على صدورنا .

نيكيتا : وكيف نستطيع أن نفعل ذلك ؟

ماتريونا : ألا نستطيع تدبير مثل هذه القضية في منزلنا ؟ سنعمل بحيث لا يبقى أيُّ أثر ! افعلْ فقط ما أقوله لك ، لأننا ، نحن النساء ، لا نستطيع أن نفعل ذلك وحدنا . خذ الرفشَ الصغير وانزلْ واشتغلْ . سأضيءُ لك .

نيكيتا : فيمَ أشتغل ؟

ماتريونا ، بصوت خافت : احفرْ حفرةً صغيرة . ثم نَحمْله إليك وسنرتّبُ كل شيء ، هناك . ها هم ينادونني ! هيّا ، اذهبْ ، يجب أن أسرع إليهم .

نيكيتا : لكن . . هل مات ؟

ماتريونا : بالتأكيد . لكن يجب أن تسرع . لم ينم الناسُ كلهم بعد . قد يرون وقد يسمعون . . . هؤلاء الأوغاد يريدون أن يعرفوا كل شيء . لقد مرّ الدركيُّ هذا المساء . خذْ إذن (تناوله الرفشَ) . انزل إلى القبو . . . وهناك ، في الزاوية ، احفر حفرة صغيرة . . . الأرض طريّةٌ هناك . . . وبعد ذلك ، سَوِّ الأرض جيّداً . لن تتحدّث الأرضُ ... . امضِ ، ياعزيزي ، امضِ !

نيكيتا : برمتُّما لي رأسي ! آه ! دعيني ، سأتصرف ! افعلا وحدكما ما تشاءان .

المشهد — ١٢ —

« ماتريونا ، نيكيتا ، آنيسيا » .

آنيسيا : شاقةً الباب ، ماذا ؟ هل حفر الحفرةَ ؟

ماتريونا : لماذا انصرفتِ ؟ أين دسستِهِ ؟

آنيسيا : غطيتُه بغطاء سمياك . لن يسمعه أحد . وهل حفر الحفرةَ ؟

ماتريونا : هو لا يريد .

آنيسيا ، واثبةً ، ثائرة : لا يريد ؟ يريد ، من دون شك ، أن تأكله حشراتُ السجن ؟ سأروي كل شيء للدركي . لا أبالي إن انتهيتُ من مرة ؛ سأحكي كل شيء !

نيكيتا ، منذهلاً : ماذا ستحكين ؟

آنيسيا : ماذا ؟ كل شيء ! مَنْ أخذ المال ؟ أنتَ . (نيكيتا يلزم الصمتَ) والسم ، من دسّه ؟ أنا ، لكنك كنتَ تعلم ذلك ، كنتَ تعلم ذلك ، كنتَ تعلم ذلك ! كنتَ شريكي .

ماتريونا : كفى ! لا تتشاكس ، نيكيتا . ماذا بقي علينا أن نفعله ؟ أن تبذل شيئاً من الجهد . امضِ ، يا عزيزي !

آنيسيا : يا لله من رجل رقيق ! لا يريدُ ! كفاني ما لقيتُه من سوء

معاملاتك ! كنتَ السيّدَ زمناً طويلاً ، والآن جاء دوري !
امضِ ، قلتُ لكَ . . . وإلاّ . . . خُذْ ، دونَكَ الرفشَ !
امضِ !

نيكيتا : لا داعي لهذا الصراخ (يتناول الرفش دون أن يتحرك) .
إنْ لم أشأْ فلن أذهب !

آنيسيا : لن تذهب ! (تبدأ بالصراخ) . النجدةَ ! ايه !

ماتريونا ، تسدّ فمها : مهلاً ! أأنتِ مجنونةٌ ؟ سيذهب اذهبْ يابني ،
اذهبْ ، يا عزيزي !

آنيسيا : إن لم يذهب صرختُ مستنجدةً !

نيكيتا : كفى ! آه ! يا لهؤلاء الناس ! هيا ، أسرعا ! يجب أن
ننتهيَ من ذلك بأسرع وقت .

(يذهب إلى القبو) .

ماتريونا : هذا هو الصحيح ، يا عزيزي ، أنت تسلّيت ، وعلياك
أن تمحو الآثار .

آنيسيا ، منفعلةً : طالما ازدراني هو وعاهرته ! وهكذا ، لن أكون
وحدي ، هو سيكون قاتلاً أيضاً ! سيعلم ما ذلك !

ماتريونا : مهلاً ، مهلاً ! ها هي ذي تثور ! لا تغضبي ، يابنتي ،
رويدَكِ ، رويدَكِ ! لنَعْمَلْ جهدنا . ابحثي عن آكولينا .
أما هو فسيشرع في العمل .

(يهبط نيكيتا إلى القبو . تتبعه بمصباحها حتّى مدخل القبو) .

آنيسيا : وسأعمل على خنق شخصه الكريه ! (منفعلة) . تعبتُ من تحريك عظام بطرس في قبره ! ليعلَمْ أيضاً ماذا يَعْني ذلك ! لن أراعي نفسي ، اؤكّد لك أني لن أراعي نفسي !

نيكيتا : في القبو اضيئي لي .

آنيسيا : ابقي معه . وإلاّ فقد ينصرفُ، الجبانُ . وأنا سآتي به .

ماتريونا : لا تنسَيْ أن تعمّديه ! وإلا عمّدته أنا . أمعك صليب ؟

آنيسيا : سأعثرُ على صليب . وأعرف كيف يتمُّ ذلك .

(تنصرف)

المشهد – ١٣ –

« ماتريونا وحدها ، ونيكيتا في القبو » .

ماتريونا : اوه ! كيف استشاطتْ غضباً ! صحيح أن في الأمر ما يُغضبُ ، لكننا سنُنْهي هذه القضية ونُزيل آثارها ، بفضل الله . وسيكون سهلاً بعد ذلك أن نتخلّص من البنت . وسيستطيع ابني أن يعيش قرير العين . والبيتُ ، بحمد الله ، حسنُ التجهيز ، ولن ينسوني . ماذا كان بوسعهم أن يفعلوا بدون ماتريونا ! ما كانوا ليحسنوا التخلص من المأزق ! (تنحني نحو القبو) . هل الحفرةُ جاهزة ، يابني ؟

نيكيتا ، مخرجاً رأسه من القبو : وماذا تفعلين ؟ هاتيه ! مالكِ تتراخين ؟ إذا بدأْنا شيئاً فيجب أن نُنهيه .

المشهد – ١٤ –

« نيكيتا ، آنيسيا ، ماتريونا تتجه نحو البهو لملاقاة آنيسيا التي تخرج ومعها المولد ملفوفاً بلفافات » .

ماتريونا : هل عمّدته ؟

آنيسيا : طبعاً . تعبتُ في انتزاعه منها . لم تكن تريد أن تُرخيه .

(تمدّ الوليد إلى نيكيتا) .

نيكيتا ، يرفض أخذه : أنزليه بنفسك .

آنيسيا : خذْ ! قالتُ لك : أمسكْ .

(ترمي عليه الوليد) .

نيكيتا ، آخذاً الوليد ، إنه حي ! يا أمي العزيزة ، إنه يتحرّك ! إنه يحيا ! ماذا أفعل به ؟

آنيسيا ، تنتزع الوليد وترميه في القبو : اخنقْهُ بسرعة ، فإن يعيش ! (تدفع نيكيتا إلى القبو) . هذا عملكَ ، فأنْهِهِ !

ماتريونا ، تجلس على أول درجة : قلبُه رقيق ! يصعبُ ذلك عليه ، المسكين ! لا بد من ذلك ، وهذه غلطتُه ، أيضاً !

(آنيسيا تظل واقفة وتنظر إلى القبو . تظل ماتريونا جالسة على الدرج ، تلقي بين الحين والحين بنظراتها عليها وتفكّر) . .

آه ! كم هو خائف ! يا عذراء ! مع أن ذلك قاسٍ فلا سبيل إلى غير ذلك . يا للعجب . كم من الناس يتمنّون أن يكون لهم أولاد ! فلا يرزقهم الله . ولا يأتيهم إلا الذين

يولدون أمواتاً . خذي زوجة الكاهن مثلا . . . وفي أحيان أخرى ، يولد الأطفال أقوياء عند من لا يحتاج إليهم . (تنظر إلى القبو) . لا بد أنه انتهى . (لآنيسيا) ماذا ؟

آنيسيا ، ناظرة في القبو : وضعه تحت لوح من الخشب . . . وجلس على اللوح . . . أعتقد أنه انتهى .

ماتريونا : اوه ! اوه ! نتمنى ألا نقع في الإثم ، لكن كيف يمكن أن نتصرف بطريقة أخرى ؟

نيكيتا ، خارجاً من القبو ، مرتجفاً بكل جسمه : إنه ما يزال حياً ! لا أستطيع . . . إنه حي !

آنيسيا : وإذا كان حياً فإلى أين تذهب ؟

(تريد أن توقفه)

نيكيتا ، يرتمي عليها : اذهبي وإلا قتلتك !

(يمسكها من ذراعها ، فتتخلص ؛ يتبعها بالرفش . تقي ماتريونا بنفسها في وجهه وتوقفه . تهرب آنيسيا إلى مطلع الدرج . تحاول ماتريونا أن تنتزع الرفش من نيكيتا) .

نيكيتا ، لأمه : سأقتلك أنت أيضاً ، انصرفي ! (ماتريونا تهرب إلى مطلع الدرج قرب آنيسيا . نيكيتا يقف) . سأقتلكم ، سأقتلكم جميعاً .

ماتريونا : هذا من الخوف الذي أصابه . لا أهمية لذلك . سيزول عنه .

نيكيتا : ماذا فعلْنَ بي ؟ ماذا فعلْنَ بي ؟ كيف كان يَصْأى ! وكيف كان يُطَقْطِقُ تحتي ! ماذا فعلن بي ؟ إنه حي ! إنه ما يزال حياً (يصيخ السمع) . إنه يَصْأى . هاهو ذا . يَصْأى !

(يركض إلى القبو) .

ماتريونا ، لآنيسيا : عاد إلى القبو . . . أظنُّ أنه سيدفنه . نيكيتا يجب أن تأخذ المصباح .

نيكيتا ، دون أن يجيب ، مصيخاً السمعَ أبداً : لا نَسْمَع . . . لقد حلمتُ (يخطو بضع خطوات ثم يقف مرة أخرى) . كيف كانت عظامُه تطقطق ! . . . ماذا فعلنَ بي ؟ (يصيخ السمعَ) . ما يزال يَصْأى ! نعم ، إنه يَصْأى ! يا أمي ! اوه ! ! يا أمي !

(يتقدّم نحو ماتريونا)

ماتريونا : ما بكَ ، يا صغيري !

نيكيتا : يا أمي العزيزة ، لم أعدْ أقوى على الاحتمال ! يا أمي العزيزة ، ارحميني !

ماتريونا : اوه ! أيّ خوف أصابك ، يا عزيزي ! اذهبْ واشربْ قليلاً من الخمر لتعودَ إليكَ قواك !

نيكيتا : اوه ! يا أمي العزيزة ، جاء دوري الآن ! أنا منُهك !

ماذا فعلتنّ بي ؟ كيف كانت عظامُه تُطقطقُ ! وكيف أخذ يَصْأى ! اوه ! يا أمي ، ماذا فعلتنّ بي ؟

(يجلس على الزحافة) .

ماتريونا : اذهب ، يا عزيزي ، واشرب جرعةً ! صحيحٌ ، في الظلمة نحسّ بالضيق ، لكن انتظرْ حتى يدخل النورُ . . . سيمرُّ يومٌ ... ثم يومٌ آخر ، ثم تكفّ عن التفكير في ذلك . انتظرْ قليلا ، سنزوّج البنتَ وستنتهي القضيّة . اذهبْ واشربْ جرعةً ، اذهبْ ! سأرتّب كل شيء في القبو .

نيكيتا ، ينتفض : وهل بقي خمرٌ ؟ سأحاول أن أنسى وأنا أشربُ !

(يخرج ، آنيسيا التي لم تفارق مطلع الدرج ، تتنحّى لتدعه يمرّ ، دون أن تقول كلمة) .

المشهد — ١٥ —

« ماتريونا ، آنيسيا » .

ماتريونا : اذهبي ، اذهبي ، يا فراولتي ! سأشرع في العمل . . . سأنزل وأدفنه . أين رمى بالرفش ؟ (تأخذ الرفش وتهبط إلى القبو حيث تتوارى نصفياً) . آنيسيا ، تعالي إلى هنا ، أضيئي لي !

آنيسيا : وهو ، مالَهُ ؟

ماتريونا : هزّه الخوف ... أنتِ عاملتِه بخشونة شديدة . دعيه ،

سيثوبُ إلى رشده ، حفظَه الله ! سأقوم بالعمل وحدي .
ضعي المصباحَ هنا كي أرى بوضوح ...

(تختفي ماتريونا في القبو) .

آنيسيا ، تلتفت إلى الباب الذي خرج منه نيكيتا : لقد لهوتَ ! وانتهى اللهوُ الآن ! كنتَ متعجرفاً ، انتظرْ ، ستعلم ما معنى ذلك! سوف تكفكف من غرورك .

المشهد - ١٦ -

« ماتريونا نيكيتا » .

نيكيتا ، واثباً نحو القبو : أمي العزيزة ، يا أمي العزيزة !

ماتريونا ، مُخرجةً رأسها من القبو : ما بكَ يا صغيري ؟

نيكيتا ، مصيخاً : لا تدفنيه ! إنه حي ! ألا تسمعين ! إنه حي ! ها هو ذا يَصْأَى ! ها هو ذا . . . ها هو ذا . . . بوضوح !

ماتريونا : وكيف يمكنه أن يَصْأى ، لقد رقّقْتَهُ كالفطيرة . وسحقْتَ رأسه الصغير .

نيكيتا : وما هذا إذن ؟ (يسدّ أذنيه) . إنه يَصْأى أبداً . فقدتُ حياتي ! فقدتها ! ماذا فعلْنَ بي ؟ وإلى أين أفرّ ؟

(يتهالك على درج القبو) .

ستار

الفصل الخامس

اللوحة الأولى

« مَرْجٌ . في المقدمة مكان خال يُقام عليه الكدسُ ؛ إلى اليسار البيدر ؛ إلى اليمين مخزن الغلال . أبواب مخزن الغلال مفتوحة ومغطاة بالقش . في الصدر فناءٌ . تُسمع الأُغنياتُ والجلاجل . فتاتان تسلكان الدرب المحاذي للمخزن والذي يؤدي إلى البيت الخشبي » .

المشهد — ١ —

بنتان وميترتيش نائماً على القش

البنت الأولى : أنتِ تَرَيْن أننا أحسنّا صنعاً بالمرور من هنا . بل إن حذاءينا لم يَتَلوّثا بالطين ، بينما لو مررْنا بالقرية ... أيّ وحل ! (تقفان وتنشفان اقدامهما بالقش . تنظر الفتاة الأولى إلى الداخل وتشاهد شيئاً) . عجباً ! ما هذا ؟

البنت الثانية : هذا ميترتيش ، عاملهم . كم هو سكران !

البنت الأولى : كنتُ أظنّ أنه لا يشرب .

البنت الثانية : نعم ، ما دامت الكأسُ بعيدة عنه .

البنت الأولى : انظري ! جاء يطلب القشّ ، وما يزال حبله بيده ، فنام !

البنت الثانية : تصيخ السمعَ : ما يزالون يغنّون مدائح العرس وكأن العريسين لم يُباركا بعد . يُقال إن آكولينا لم تَبْك ِ .

البنت الأولى : ماما تقول : إنها لا تتزوّج برضاها . وأن زوج خالتها هدّدها ، ولولا ذلك لما قباتْ أبداً . وتعامين جيدا ما كان يُقال عنها .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، مارينا تنضم إلى الفتاتين » .

مارينا : طاب يومكما ، يابنتيّ .

البنتان : طاب يومك ، يا خالة .

مارينا : أأنتما ذاهبتان إلى العرس ، يا عزيزتيّ ؟

البنت الأولى : العرسُ انتهى . ما جئنا إلا للتفرّج .

مارينا : نادي لي زوجي ، « سيميون » الذي من زويفو . أنتما تعرفانه ، فيما أظنّ ؟

البنت الأولى : بالتأكيد ! وأظن أنه قريبُ العريس .

مارينا : نعم ، العريس ابن أخي زوجي .

البنت الثانية : ولمَ لا تذهبين أنت ِ نفسك إلى هناك ؟ كيف لا تذهبين إلى العرس ؟ . .

مارينا : لا أشتهي ذلك ، يا بنتي ، وليس الوقت مناسباً أيضاً . يجب أن نسافر ، ولم نأت إلى هنا من أجل العرس ، وإنما

نحن ذاهبان إلى المدينة لنبيع الشوفان . وتوقّفنا هنا لنطعم الجياد ، فادَعَوْا زوجي .

البنت الأولى : وأين توقّفتما ؟ عند فيدوريتش ؟

مارينا : نعم ، عنده . سأنتظر هنا ، وأنتِ ، نادي لي زوجي . أخرجيه ، يا صديقتي ، وقولي له : « إن زوجتك مارينا تريد منك أن تأتي ، وأن الجياد تُرْبَطُ » .

البنت الأولى : طيّب ، بما أنكِ لن تذهبي بنفسك إلى هناك .

(تسلك الفتاتان الدرب . تُسمع الأغنياتَ والجلاجل) .

المشهد — ٣ —

مارينا ، وحدها : أأذهب إلى هناك . لمَ لا ؟ لكني لا أشتهي ذلك . لم أرَه منذ اليوم الذي تنكّر لي فيه . مضى عامٌ على ذلك . أودّ ، مع ذلك ، أن أعلم كيف يعيش مع آنيسيا . الناسُ يزعمون أنْ لا اتفاق بينهما . فهي امرأة قاسية ، مشاكسة ، لا بدّ أنه تذكّرني غيرَ مرة ؛ كان يتوق إلى هذه الحياة الميسورة ، وتركني للحياة الصعبة . ليَحفَظْهُ الله ! لستُ حاقدةً عليه ، لكنْ ، كم آلمني ذلك ! وقد هدأ كلُّ شيء الآن ، ونسيتُ كل شيء . ومع ذلك فأودّ لو أراه . (تنظر من جهة الفناء وتبصر نيكيتا) . اوه ! لماذا جاء ؟ لعل البنتين أخبرتاه ؟ . . . فترك مدعوّيه هكذا ! . . . يجب أن أنصرف .

المشهد — ٤ —

« مارينا ، نيكيتا » .

« يدخل ، خافض الرأس ، مهمهماً بين أسنانه » .

مارينا : اوه ! كم هو متجّهمٌ !

نيكيتا ، يعرف مارينا : مارينا ، يا صديقتي العزيزة ، يا صغيرتي مارينا ، ماذا تفعلين هنا ؟

مارينا : جئتُ أبحثُ عن زوجي .

نيكيتا : ولمَ لمْ تأتي إلى العرس ؟ كنتِ ستتفرّجين ، وكنتِ ستهزئين مني .

مارينا : ولمَ أهزأُ منك . جئتُ أبحث عن زوجي .

نيكيتا : آه ! ياصغيرتي مارينا !

(ينوى تقبيلها)

مارينا ، تتراجع بادية الغضب : إياكَ وهذه الأساليب ، يا نيكيتا ! مضى ما مضى . جئتُ ابحث عن زوجي . أهو عندكم ؟

نيكيتا : إذن يجب ألا نتذكّر الماضي ؟ وأنتِ لا تريدين ذلك ؟

مارينا : لا مجالَ لتذكّره . ما مضى فاتَ .

نيكيتا : ولا نستطيع إرجاعه ؟

مارينا : لا ، لانستطيع . لمَ خرجتَ ؟ ما أعجبك من رب منزلٍ ترك عرسَه .

نيكيتا ، جالساً على القش : لِمَ خرجتُ ؟ آه ! لو كنتِ تعلمين ! أنا حزين . مارينا ! اوه ! كم أنا حزين . اودّ لو أني لا أرى شيئاً . قمتُ عن الطاولة وذهبتُ لكي لا أرى أحداً .

مارينا : مقتربةً منه : ما بكَ إذن ؟

نيكيتا : ما بي ! . . . أنني آكل وأشرب وأنام ، ولا أستطيع أن أنسى أبداً . آه ! ما أتعسَني ! ما أتعسني ! وما أتعسني ، يا مارينا ، لأني وحدي ، ولأني لا أجد من يُقاسمني عذابي .

مارينا : لا يمكنُنا أن نُمضي حياتنا ، يا نيكيتا ، دون مشقّات . لقد بكيتُ كثيراً أنا ، ثم زال كل شيء .

نيكيتا : تتحدثين عن تلك القصة القديمة . . . عمّا مضى . آه ! يا صديقتي ، أنتِ أغرقتِ حزنَكِ في الدموع ، بينما أنا يخنقني الألمُ !

مارينا : مابِكَ إذن ؟

نيكيتا : ما بي أن الحياة تثير اشمئزازي ، وأنني أشمئزُّ من نفسي ! اوه ! مارينا ، لمْ تستطيعي أن تحتفظي بي ، فأضَعْتِني وأضعْتِ نفسكِ في آن واحد ! أهذه حياةٌ ؟

مارينا ، مستندة إلى مخزن الغلال ، محاولةً حبْسَ نحيبها : أنا ، لا أشكو من حياتي ، يانيكيتا . أتمنّى مثلَها لكل الناس . لا أشكو أبداً . قلتُ لزوجي ، فيما مضى ، كلّ شيء ، فغَفَرَ لي . وهو لا يلومُني على شيء . لستُ مستاءَةً

من حظي ، فزوجي وديعٌ . وهو لطيفٌ معي وأنا أُلبس أولاده ، وأغسلُ لهم ، وهو ممتنٌ لي على ذلك ولمَ أشكو ؟ الله أراد لي ذلك . وحياتُكَ ؟ أنتَ غنيٌّ . . .

نيكيتا : حياتي ؟ لا أريد أن أعكرّ العرس ، ولولا ذلك لأخذتُ حبلاً ، هذا (يتناول حبلاً عن القش) . ولألقيتُه فوق هذا الجسر ، ثم لعملت أنشوطةً محكمةً ، ولصعدتُ على العارضة ولَلَفَفْتُ الحبل على عنقي . هذه هي حياتي !

مارينا : مهلاً ! حفظكَ الله !

نيكيتا : تظنيّن أنني أمزح ، تظنين أنني سكران ، لم تعد الخمرُ تُسكرني ، الآن ! أكلّني الغمُّ ! حتى لم يبق شيءٌ يشدّني ! آه ! مارينا ! كلُّ وقتي الحلو كان معك ! . أتذكرين ليالينا عندما كنتُ في السكة الحديدية ؟

مارينا : لا تَنْكَأْ جرحاً قديماً . قبلتُ بالقانون وأنتَ أيضاً . وغُفِرَ لي ذنبي . لا تُنقّبْ في الماضي .

نيكيتا : لكنْ ماذا أفعلُ بقلبي ؟ وإلى أين أذهب ؟

مارينا : ما تفعلُ به ؟ لكَ امرأة فلا تَشْتَه نساءَ الآخرين . حافظْ عليها . كنتَ تحب آنيسيا ، حسناً ! أحبَّها !

نيكيتا : آه ! مَنْ آنيسيا هذه ! إني أكرهُها كما أكره عشبةً سامةً ! لقطتْني بساقيّ كما تلتقطنا خيوط النباتات المائية !

ماريتا : لكنها امرأتك . . . على كل حال لا فائدة من متابعة الحديث ، عُدْ إلى ضيوفك وأرسلْ لي زوجي .

نيكيتا : آه ! لو كنتِ تعلمين كلّ شيء ! . . . لكن ما جدوى ذلك ؟

المشهد — ٥ —

« نيكيتا ، ماريتا ، زوجها وآنيوتكا » .

زوج ماريتا ، خارجاً من البيت الخشبي ، سكران وشديد الاحمرار : ماريتا ! يا امرأتي ! أين أنتِ ؟

نيكيتا : هذا زوجُكِ يناديك ، اذهبي إليه !

ماريتا : وأنتَ ؟

نيكيتا : أنا باقٍ هنا !

(يضطجع على القش) .

زوج ماريتا : وأين هي ؟

آنيوتكا : هي هناك ، يا عم ، قرب المخزن .

زوج ماريتا : وماذا تفعلين هنا؟ تعالي إلى العرس . أصحاب الدار يرجونك أن تشرّفيهم . ستسافر العروسُ بعد قليل ، وسنُسافر نحن .

ماريتا ، تلاقي زوجها : لا أشتهي ذلك .

زوج ماريتا : قلتُ لكِ : تعالي ، تتناولين كأساً صغيرة ، وتُهنّئين

- هذا القذرَ « بيتروفكا » ! سيستاء أصحابُ الدار إن لم تذهبي ، ومعنا الوقتُ الكافي !

(يقبّلها ويخرج معها وهو يترنّح) .

المشهد — ٦ —

« نيكيتا ، آنيوتكا » .

نيكيتا ، يجلس : أنا أشدّ حزناً الآن ، بعد أن رأيتُها ! لم أسعدْ حقاً إلا معها . ومن أجل لا شيء ، لا شيء على الإطلاق ، أضعتُ نفسي ،وحطّمتُ حياتي ! (يعود إلى الاضطجاع) . إلى أين أذهب ! آه ! ليتَ الأرضِ تنفتح تحتي !

آنيوتكا ، ترى نيكيتا ، وتسرع إليه : يا أبي ، يا أبي العزيز ! إنهم يبحثون عنك . الجميع ، حتى الاشبين ، باركوهما ، نعم ، عسى أن أموت ، باركوهما ! غضبوا لغيابك .

نيكيتا ، بينه وبين نفسه : إلى أين أذهب ؟

آنيوتكا : ماذا ؟ ماذا تقول ؟

نيكيتا : لا أقول شيئاً . ماذا تريدين مني ؟

آنيوتكا : يا أبي ، هيّا ! (يسكت نيكيتا ، تشدّه آنيوتكا من يده). اذهب وباركهما ، يا أبي . لقد غضبوا حقاً ! وأخذوا يجدّفون !

نيكيتا ، ساحباً يده : دعيني !

آنيوتكا : مالكَ !

نيكيتا ، يهدّدها برسن الحصان : انصرفي ! أقول لك ! وإلا ضربتك . . .

آنيوتكا : سأرسل أمي ، إذن !

المشهد — ٧ —

نيكيتا ، وحده ، ناهضاً : كيف أذهب ؟ وكيف يمكن أن أمسك بالأيقونة المقدّسة(١) ؟ كيف أستطيع أن أنظر إليها في وجهها ! (يعود إلى الاضطجاع) . اوه ! لو أن هوة انفتحت أمامي لرميت نفسي فيها . . . لن يراني بعدها أحدٌ ولن أرى أحداً ! (ينهض مرة أخرى) . اوه ! لا ، لن أذهب ! ليبتعدوا عني ، لن أذهب ! (ينزع جزمته ويأخذ الحبل ويعمل أنشوطة ويلفّه حول عنقه) . سيكون الأمرُ هكذا .

المشهد — ٨ —

« نيكيتا ، ماتريونا »

« نيكيتا يرى أمه ، فيرفع الحبل من رقبته ويعود إلى الاضطجاع » .

ماتريونا ، لاهثة : نيكيتا ! ايه ! نيكيتا ! لا يُجيب ؟ نيكيتا ، هل أنت سكران ؟ اذهبْ ، يا نيكيتا ، اذهبْ ، يا فراولتي ، الجميع ينتظرونك .

نيكيتا : آه ! ماذا فعلتنّ بي ؟ لم أعدْ إنساناً .

---

(١) أمسك بالايقونة المقدسة : ليبارك العروسين باعتباره رئيس العائلة .

ماتريونا : ما بك ! هيا ، يا صديقي ، اذهبْ وباركْ بصورة لائقة ، ثم انصرفْ . الناسُ ينتظرونك .

نيكيتا : وكيف أستطيع مباركتها ؟

ماتريونا : بكل بساطة . ألا تعرفُ كيف تتمّ المباركة ؟

نيكيتا : أعرف ، أعرف ! لكنْ كيف أبارك بعدما فعلتُه بها .

ماتريونا : ما فعلتَه ؟ القصة القديمة ! لا أحد يعرفها ! ولا هرّ يتوهمّها . وقد تزوّجت البنتُ برضاها التام .

نيكيتا : نعم ، لكن كيف تزوّجت ؟

ماتريونا : لا شك أننا أجبْرناها قايلا ، لكنها كانت موافقة مع هذا .

وماذا تريد أن نفعل ؟ كان يجب أن تفكّر في ذلك من قبل . أما الآن فلا مجال للتراجع . أما أهل العريس فلم نغشّهم ؛ رأوا البنت مرتين ، ثم إن مالها معها . سوّي إذن كلّ شيء .

نيكيتا : والقبو ، ألم يمرّ ببالك ؟

ماتريونا : القبو ؟ وما في القبو ؟ في القبو مافوفٌ وبطاطا وفطور . لمَ التذكير بالماضي ؟

نيكيتا : أودّ ألا أتذكره ، فلا أستطيع . ما ان أتذكّر الماضي حتى اسمعه ، اسمعه أبداً ! اوه ! ماذا فعلتنّ بي ؟

ماتريونا : هيا ، اقبلْ مني ولا تتدلّلْ .

نيكيتا ، ينكفىء ويغطّي وجهه بيديه : اوه ! شكراً ، لا تعذّبيني ! لم أعدْ أحتملُ !

ماتريونا : لا بدّ من ذلك . أخذ الناس يثرثرون . وها إن الأب ينصرف ، ويأبى أن يعود . إنه لا يجرؤ أن يبارك ! سيحمل ذلك الناسَ على التفكير . فما ان يروك خائفاً حتى يبدؤوا بالتخمين . امشِ ورأسُكَ مرفوعٌ فينحني لك الناسُ جميعاً . إذا هربتَ من الذئب ، وقعتَ على الدبّ . لاتُمكّنْ أحداً من نفسك . لا تَخفْ ، يا فتاي ! وإلا ساءت الأمور .

نيكيتا : آه ! لقد فتلتُنّ لي رأسي .

ماتريونا : كفى ! هيّا ! اذهبْ وباركْ ، بصورة لائقة ، ثم ينتهي كل شيء .

نيكيتا ، محافظاً على وضعه : لا أستطيع .

ماتريونا ، بينها وبين نفسها : ماذا جرى له ؟ كان يبدو حتى الآن وكأنه نسيَ كل شيء ، وها إن ذلك يعود إليه . لا بد أنه مسحور . (بصوت عالٍ) . نيكيتا ! انهضْ ! انظرْ ، ها قد جاءت آنيسيا ، تاركةً ضيوفها .

المشهد — ٩ —

« نيكيتا ، ماتريونا ، آنيسيا » .

آنيسيا ، في ثياب الأحد ، محمرّة ، وثملة قليلاً : كل شيء يجري على أحسن ما يرام ، يا أمي ... على أحسن ما يرام ، وبشكل لائق جداً . وما أعظمَ سرورَ الناس ... وهو ، أين هو ؟

ماتريونا ، هو هنا ، يافراولتي ، هنا . نلم على القش ولا يريد أن يذهب .

نيكيتا ، ناظراً إلى زوجته : وها هي ذي أيضاً ثملة ! أنظرُ إليها فأتقزّز . هل يمكن العيشُ معها ؟ (يعود إلى الاضطجاع على بطنه) . سأقتلُها ذات يوم ! وسيكون ذلك أسوأ !

آنيسيا : آه ! ها هو ذا مضطجع على القش ! (تضحك) . هل دارت الخمرةُ برأسكَ ؟ اودّ لو أنام معك هنا ، لكنْ لا وقتَ لديّ . هيّا ، سآخذك . آه ! كيف يسيرُ كلُّ شيء سيراً حسناً في البيت . مُمْتِعٌ أن ترى ذلك ! فهناك آكورديون . والنساء يعزفْنَ . . . اوه ! ما أحسن ذلك ! كلهم سكارى ! لائقٌ جداً ، حلوٌ جداً . .

نيكيتا : ما الحلو ؟

آنيسيا : العرسُ ! عرس بهيجٌ جداً . كل الناس قالوا : مثل هذا العرس ، نادرٌ ! كل شيء يجري بشكل لائق ، حسن ! هيّا ! لنذهبْ معاً ! . . . أنا شربتُ ، لكني أستطيع أن آخذك .

(تمسك به من يده) .

نيكيتا ، ساحباً يده باشمئزاز : اذهبي وحدكِ ! سأتبعكِ .

آنيسيا : اقبلْ مني ولا تتدلّلْ . . . كل مصائبنا انتهت . . . المنافِسةُ صُفِّيَتْ ، ولم يبقَ علينا الآن إلا أن نحيا ونبتهج ... سُوِّي كل شيء بشكل مناسب ، وبحسب القانون . . .

أنا جدّ مسرورة ! لا أقدر على التعبير ! . . . كأني أتزوّج مرة ثانية ! آه ! كل الناس كانوا راضين أعظم الرضا ! الجميع شكرونا ! والمدعوون جميعاً من الناس المحترمين : ايفان موستيش ، السيد الدركي . الجميع هنئوا العروسين .

نيكيتا : ابقي إذنْ معهم ! لمَ جئتِ ؟

آنيسيا : يجب أن أعود ، هذا صحيح ! ليس هذا مناسباً . . . أصحاب الدار ينصرفون ويتركون مدعوّيهم ... وجميع مدعوّينا أناس محترمون جدا !

نيكيتا ، ينهض وينفّض القشّ العالق بثيابه : اذهبي ، وسأذهب في الحال !

ماتريونا : يبدو أن طائر الليل أحسن غناءً من طائر النهار ! لم يُصغ إلي ولحق بامرأته على الفور .

(ماتريونا وآنيسيا تتجهان إلى البيت الخشبي) .

ماتريونا ، ملتفتة : هل أنتَ آتٍ ؟

نيكيتا : سأذهب إلى هناك في الحال . اذهبا ، سألحق بكما . سأذهب . . . وسأبارك . (تقف المرأتان) . اذهبا ! سألحق بكما ، اذهبا !

(تذهب المرأتان . يتبعهما نيكيتا بعينيه ، متفكّراً) .

المشهد — ١٠ —

« نيكيتا وحده ، ثم ميتريتش » .

نيكيتا ، يعود إلى الجلوس ، وينزع حذاءه : تستطيعون أن تنتظروني !

آه ! لا ! ستجدونني . . . على الجسر إن لم أكن هنا ...
إذا ما أُحْكِمَتْ الأنشوطةُ ، فاذهبوا ، بعد ذلك ،
وفتّشوا ! من حسن الحظ ، أن الرسنَ ما يزال هنا !
(يظلّ متفكّراً) . كل عذاب غير هذا العذاب ، يمكن
التخلّص منه . . . أما هذا فهو هنا . . . في قلبي ! ...
مثل هذا العذاب لا يُنْتَزَعُ ! (ينظر إلى جانب الفناء) .
وهي تعودُ فوق ذلك ! (مقلّداً آنيسيا) . « آه ! ما أجمل
ذلك ! وكما هو لائق ! سأنام بقربك ! » آه ! يا لكِ من
عاهرة قذرة ! حسناً ! خذي ! قبّليني عندما يُنزلونني !
سينتهي كلُّ شيء ، مِنْ مرّةٍ !

(يمسك الحبل فجأةً ويسحبه إليه) .

ميتريليش ، ينهض دون أن يُرخي الحبل ، وهو سكران : لن أعطيك إياه ! لن أعطيه أحداً ! سأحمل القشّ بنفسي . إذا قلتُ : إنني سأحمل القش فسأحملُه . أهذا أنتَ ، نيكيتا ! (يضحك) . آه ! يا للشيطان ! جئتَ تطلب القشَّ ؟

نيكيتا : أعطني الحبلَ !

ميتريليش : آه ! لا ، انتظرْ ! الفلاحون ينتظرونني . . . سأُلمُّ ... (ينهض ليلمّ القش ، لكنه يترنّح ويقاوم وينتهي بأن يقع) . هذا ماءُ الحياة الذي هو أقوى ! انتصرَ ماءُ الحياة !

نيكيتا : أعطني الرسنَ .

ميترليش : قلتُ لكَ لا . . . آه ! نيكيتا ، أنتَ غبي كإوزّة !
(يضحك) أنا أحبّك ! . . . لكنك غبي . . . لستَ
مسروراً . . .لأنني عدتُ إلى الشرب ! آه ! طيب ! لا
أبالي بك ! تظنُّ أنني بحاجة إليك ؟ . . . انظرْ إليّ جيداً !
أنا ضابط صفٍّ ! يا غبي ، ألا تعرف كيف تقول :
ضابط صف في سرية رماة صاحبة الجلالة الامبراطورة ! »
خدمتُ القيصر ووطني بأمانة وشرف . ومَنْ أنا ؟ أتظنّني
محارباً ، لستُ محارباً ، أنا ! أنا أسوأ الرجال ، أنا يتيم ،
أنا خليع ! أقسمتُ ألا أشرب ، وها أنا سكران ! ...
أتظن أنني أخافك ؟ أبداً ، لا . أنا لا أخاف أحداً !
بدأتُ أشرب ! بدأت ! هذا كل ما في الأمر ! . . .
ولن انقطع عن الشرب الآن إلا بعد أسبوعين على الأقل ...
سأدبّر نفسي . . . وسأشرب بكل شيء حتى بصابيبي !
وسأشرب حتى بقبّعتي ! سأَرْهنُ أوراقي الشخصية !
لست أخاف أحداً ! . . . جلَدوني بالسياط في السرّية
كي لا أشرب . . . جلدوني ، جلدوني ! . . . وهم يقولون
لي : « هل ستتابعُ الشرب ؟ » . وكنت أجيب : « نعم ! »
ولمَ الخوف ؟ كذلك أنا ! أنا كما خلقني الله . كنتُ
قد أقسمتُ ألا أشرب ، ولم أكن أشرب ! والآن بدأت
أشرب ، وأنا أشرب . . . لستُ أخافُ أحداً . لستُ
أكذب . لمَ أَخافُهم ، هؤلاء الجمال ؟ انظروا ! ها
أنا ذا ! كان الكاهنُ يقول لي : « الشيطان أكبرُ متبجّح
على الأرض ، وحالما تبدأ بالتبجّح تفقدُ طاقتك ، وإذا

ما فقدتَ شجاعتك أمام الناس تسلّطه عليك وحملك إلى
حيث يشله » لكنْ بما أنني لا أخاف أحداً ، وأن ضميري
نقيّ ، فأنا مطمئن ! ولا أبالي به ! لن يفعل بي شيئاً !

نيكيتا ، راسماً علامة الصايب : وأنا ، ماذا أفعل ؟

(يرخي الحبل) .

ميترلتش : ماذا ؟

نيكيتا ، ينهض : قلتَ إننا لا يجب أن نخاف الناسَ ؟

ميتريليش : لا يجب أن نخاف هذه الطائفة من الجمال ! انظرْ إليهم
وهم يستحمّون . كلُّهم مصنوعون من الطينة نفسها :
بعضهم أكبر بطناً ، وبعضهم الآخر أصغر بطنا . هذا
هو الفرقُ كله . أوَ نخافُ منهم !

المشهد — ١١ —

« نيكيتا ، ميترتيش ، ماتريونا » .

ماتريونا ، خارجةً من البيت الخشبي : ماذا ، ألا تجيء ؟

نيكيتا : نعم ! هذا أفضل . سأذهب !

(يتّجه إلى البيت الخشبي) .

ستار

اللوحة الثانية

« يتغير المنظر . داخل البيت الخشبي في الفصل الأول . البيت مليء
بالناس جلوساً ووقوفاً . في صدر المجلس آكولينا وعريسها . على المائدة

الأيقونات المقدّسة والخبز . بين المدعوّين ، ملوينا ، وزوجها ، والدركي . النساء يغنّين . آنيسيا تسكب الشراب . يتوقّف الغناء » .

المشهد — ١ —

« آنيسيا ، مارينا ، زوجها ، آكولينا ، وعريسها ، حوذي ، الدركي ، الخطّابون ، وصيف العريس ، ماتريونا ، المدعوون » .

الحوذي : لا بدّ من الذهاب ! فالكنيسة بعيدة من هنا .

الوصيف : انتظرْ قليلاً ! سيأتي ربّ الدار ليباركها . لكن أين هو ؟

آنيسيا : سيأتي في الحال ، يا أعزّائي . زيدوا كأساً ... لا ترفضوا طلبي .

الخطّابة : لماذا لا يأتي ؟ طالَ انتظارُنا له .

آنيسيا : سيأتي ، سيأتي بعد قليل . سيكون هنا في وقت أقلّ مما يلزم للمرأة الصاعدة لأن تمتشط . (مقدّم الخمر) . أشربوا ، يا أعزائي . سيأتي في الحال غنّينَ ، يا حسان ، شيئاً ، ريثما يحضر .

الحوذي : غنّينَنا كل ما نعرفُه .

(تغني النساء . يدخل نيكيتا وآكيم) .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، نيكيتا وآكيم » .

نيكيتا ، يمسك آكيم بيده ويدفعه أمامه : هيّا ، يا أبي ! لا أستطيع أن أستغني عنكَ .

آكيم : لا أحبّ هذا . . . .

نيكيتا ، للنساء : كفى ، اسكُتْنَ (ينظر إلى الجميع) . مارينا ، أنتِ هنا .

الخطّابة : هيّا ، خذ الأيقونة وبارِكْ .

نيكيتا : انتظري قليلاً . (ينظر مرةً أخرى) . آكولينا ، أنتِ هنا ؟

الخطّابة : أنتَ تتفقّد الحضور ؟ وأين يمكن أن تكون ؟ هذا مضحك .

آنيسيا : آه ! يا أصدقائي ، لكنه حافي القدمين !

نيكيتا : أنتَ هنا ، يا أبي ، انظرْ إليّ . أيها المسيحيون ، يا إخوتي ! أنتم جميعاً هنا ، وأما أنا فها أنا ذا !

(يجثو على ركبتيه) .

آنيسيا : مالكَ ، يا نيكيتا ؟ يا رأسي !

الخطّابة : ما هذه الحماقات !

ماتريونا : قلتُ لكنّ ذلك . لقد أسرفَ في شرب الخمرة الفرنسية ! اصحُ . ماذا تفعل ؟

(تَنْوي أن تُنْهضه ، لكنه لا يَنْتبهُ إلى أحد ويشخص بنظره أمامه) .

نيكيتا : أيها المسيحيون ، يا إخوتي ، أنا مذْنبٌ ! وأريد أن أعترف !

ماتريونا ، تسحبُه من كتفه : أأنت مجنون ؟ يا أعزائي ، عقلُه مختلٌ ، ويجب اقتيادُه .

نيكيتا ، ينحيّها بدفعة من كتفه : دعيني ! وأنتَ ، يا أبي ، اصغِ !
وأنتِ أولاً ، يا مارينا ، انظري إلي ! (يسجد أمامها
وينهض) . أنا مذنب بحقك ! وعدتكِ بالزواج وغرّرتُ
بك ! خدعتُكِ وتخلّيتُ عنكِ ! سامحيني ، بجاه المسيح !
(ينحني مرةً أخرى) .

آنيسيا : ما هذه القصص كلها ؟ هذا لا يُناسبك على الإطلاق .
لم يطلبْ أحدٌ منك شيئاً . انهضْ ! وكفاك تهريجاً !

ماتريونا : اوه ! إنه مسحور ! ماذا جرى له ! خرّبوا له عقله !
انهضْ ! ولا تنطقْ بهذه الحماقات !

(تشدّه)

نيكيتا ، يهز رأسه: لا تَلْمسيني ؛ سامحيني يا مارينا ! لقد أذنبتُ
بحقّك ، سامحيني ، بجاه المسيح !
(تخفي مارينا وجهها بيديها ولا تجيب) .

آنيسيا : قالتُ لكَ : انهضْ ، ولا تختلقْ المشاكل ! ها قد بدأ
يتذكّر الآن . . . أناأحجاة ! يا لرأسي ! أهو مجنون ؟

نيكيتا ، منحنّياً زوجته ، وملتفتاً إلى آكولينا : إنما أكاتّمكِ أنتِ
الآن ، يا آكولينا ! اصغوا أيها المسيحيون ، يا إخوتي !
أنا هالكٌ ! آكولينا ، أنا مذنبٌ بحقّك ! فأبوك لم يمت
موتاً طبيعياً ، وإنما مات بالسم .

آينسيا ، مطلقة صرخةً : يا لرأسي ! ماذا يفعل !

ماتريونا : فَقَدَ عقله ! خذوه !

(يقترب بعضهم لا قتياده) .

آكيم ، مبعداً الناس عنه : انتظروا ! أنتم ، أيها الطيّبون . . . انتظروا ! . . .

نيكّيتا : آكولينا ، أنا دسستُ السمّ له ! سامحيني ، بجاه المسيح !

آكولينا ، تتقدّم : أنتَ تكذبُ ، وأنا أعرف المذنبَ .

الخطّابة : مالكِ ! ابقي جالسةً !

آكيم : اوه ! يا إلهي ، أية خطيئة هذه ، أية خطيئة !

الدركي : اقبضوا عليه ! أرسلوا في طلب كبير القرية ! سأحرّر محضراً . انهضْ ، وتعال إلى هنا !

آكيم ، للدركي : ايه ! ياذا الأزرار الفضية . . . انتظر ! سيتكلّم . . .

الدركي : وأنت ، لا تتدخّلْ في شيء . يجب أن أحرّر محضراً .

آكيم : آه ! ما هذا الرجل ! . . . قلتُ لكَ انتظرْ ! ودَعْك من المحضر . . . هذه قضية تخصّ الله هنا ! رجلٌ يعترف ! وأنتَ تأتي لتحدّثنا عن المحضر !

الدركي : كبير القرية !

آكيم : دع قضية اللهِ تَنْتهِ ! . . . وبعد ذلك أفعلْ واجبك !

نيكيتا : وفي ذمتي أيضاً ما أعترفُ به ، يا أكولينا ، ذنبي الأكبر بحقاك . لقد غررّتُ باكِ . . . سامحيني بجاه المسيح !

(ينحني)

آكولينا ، ناهضةً: دعوني ! لا أريد أن اتزوّج بعد الآن ! هو أمرني بذلك ! وأنا الآن أرفض الزواج .

الدركي : كرِّرْ ما قلتَ .

نيكيتا : انتظرْ ، يا سيدي الدركي ، دعني أُتمّمْ كلامي !

آكيم ، متحمّساً: قلْ ، يابني . قلْ كل شيء ؟ . . . ستتخفّف . . . اعترف أمام الله ! لا تخف الله ! الله ! الله ! هو ذا !

نيكيتا : سمّمتُ الأب . وغرّرتُ بالبنت . أنا ذلك الشقي . كانت لي سيطرةٌ عليها ، وقد جعلتُ ابنها !

آكولينا : هذه هي الحقيقة !

نيكيتا : في القبو ، سحقتُه تحت لوح خشبي . كان تحتي . . . سحقتُه وكانت عظامُه تُطقطقُ . (يبكي) . ودفنته في الأرض ! أنا فعلت ذلك . . . أنا وحدي !

آكولينا : إنه يكذب ! أنا أمرتُه بذلك !

نيكيتا : لا تدافعي عني ! أنا لا أخشى أحداً الآن ! أيها المسيحيون ، يا إخوتي ، سامحوني !

(يسجد . وقفة قصيرة) .

الدركي : قيّدوه ! انتهى عرسُكم ، أيها الأكارم !

(يدنون من نيكيتا ويربطونه بزنانير) .

نيكيتا : انتظروا ! ففي الوقت متّسعٌ !(يسجد أمام أبيه) . يا أبي الحبيب ، سامحْني ، أنا الهالك ! طالما حذّرتني ، عندما بدأتُ مجوني ، طالما قلتَ لي : « إذا كانت قدم الطائر مدبّقة فسرعان ما يُصاد » . وأنا ، ذلك الشقيّ ،

لم أصغِ إلى صوتك ، وما تنبّأتَ به قد وقع ! سامحني ، بجاه المسيح .

آكيم ، منتشياً : سامَحكَ الله ، يا بني الحبيب ! (يقبّله) . لم تُراعِ نفسك ! الله يُراعيك ! الله ! هو ذا !

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، كبير القرية » .

كبيرُ القرية ، داخلاً : الشهودُ ، كثيرون .

الدركي : سنستَجْوبه بعد قليل .

(يُربَطُ نيكيتا) .

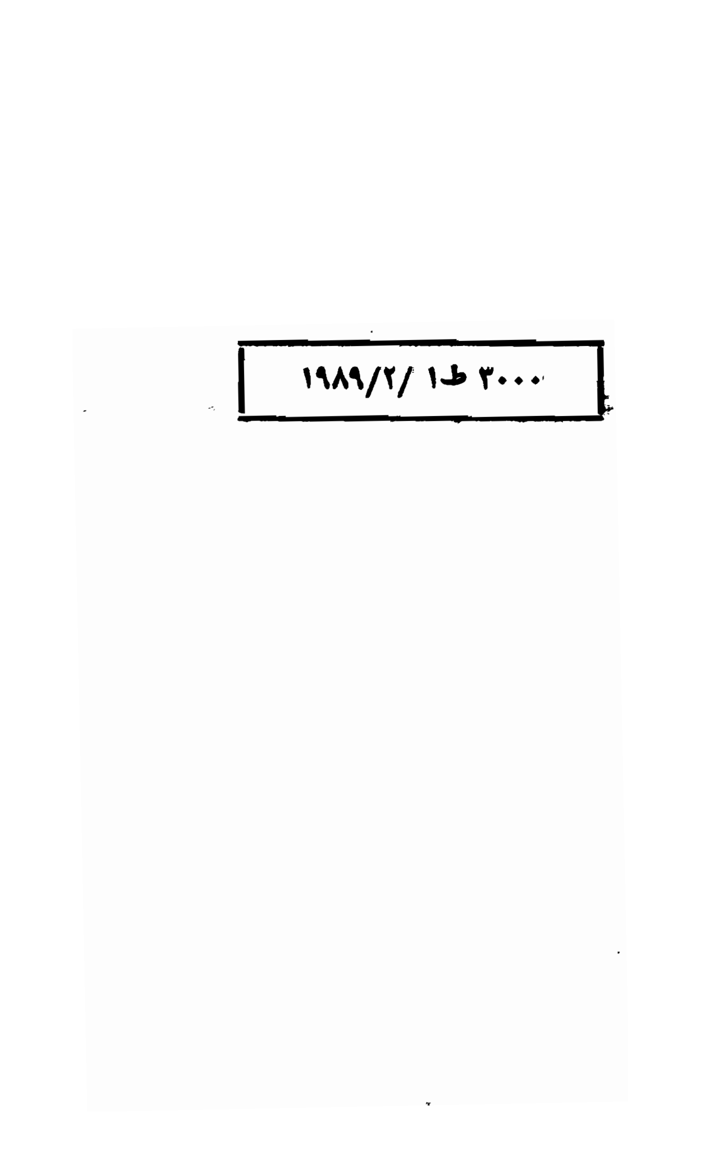
آكولينا ، تتقدّم إلى قرب نيكيتا : وسأقولُ الحقيقة كلها ، استجوبوني أنا أيضاً .

نيكيتا ، مربوطاً : لا داعي لاستجوابها . أنا الذي فعل كلّ شيء . كانت الفكرةُ فكرتي ونفّذتُها . خذوني إلى حيث تشاؤون .

فلن أقول شيئاً بعد الآن .

ستار

الفهرس



٣٠٠٠ ط١ /٢/١٩٨٩





منتدى مكتبة الاسكندرية www.alexandra.ahlamontada.com
ليون تولستوي
الأعمال الأدبية الكاملة
هذا هو المجلد الرابع عشر من
مؤلفات تولستوي الادبية الكاملة ،
والجزء الأول من الأعمال المسرحية
الكاملة ، نقلها عن طبعة Rencontres
في لوزان (سويسرا) الاستاذ صياح
الجهيم بأسلوب مشرق يجمع بين
الدقة العلمية ومتانة العبارة العربية .
سعر النسخة داخل القطر
١١٠ ل.س
في الأقطار العربية ما يعادل
٢٠٠ ل.س
الطبع وفرز الألوان في مطابع وزارة الثقافة
دمشق ١٩٨٩
علي مولا

ليون تولستوي

الأعمال الأدبيّة الكاملة

١٤

الأعمال المسرحيّة الكاملة

الجزء الثاني

ترجمة

صيّاح الجهيم

الاشراف الفني : زهير الحمو

الأعمال المسرحية الكامله

الجزء الثاني

كل ما كتب بخط اسود فقد ورد في النص الروسي
باللغـة الفرنســية

ليون تولستوي

الأعمال الأدبيّة الكاملة

١٤

الأعمال المسرحيّة الكامله

الجزء الثاني

ترجمة :

صياح الجهيم

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٨٩

العنوان الأصلي للكتاب :

LÉON TOLSTOÏ

Théâtre complet

Préface et notes
d Alexandre V Soloviev

الأعمال المسرحية الكاملة ـ THEATRE COMPLET / تأليف :
ليون تولستوي ؛ ترجمة صياح الجهيم . ـ ط. ١ . ـ دمشق
: وزارة الثقافة ، ١٩٨٩ . ـ ٢ ج. (٨٤٣ ص.) ؛ ٢٥ سم
. ـ (الأعمال الأدبية الكاملة ؛ ١٤) .

١ ـ ٨٩١٫٧٢ ت و ل أ ٢ ـ العنوان ٣ ـ تولستوي
٤ ـ الجهيم ٥ ـ السلسلة

مكتبة الأسد .

الإيداع القانوني : ع ـ ١٩٨٩/٢/١٣٧

ثمار الحضارة

ملهاة في أربعة فصول

١٨٩٠



الشخصيات

ليونيد فيودوروفيتش : ملازم في الحرس ، متقاعد ؛ ملاّك يملك أربعةً وعشرين ألف هكتار في ولايات مختلفة . في نحو الستين من عمره ، ما يزال نَضر العود ؛ وهو عالي التهذيب ، رقيق ، وأنيس . يؤمن باستحضار الأرواح ، ويُحبّ أن يُدهش الناسَ بقصصه .

آنا بافلوفنا زفيز دينتزيفا ، زوجته : وهي امرأة بدينةٌ تتصابى ؛شديدة الحرص على المواضعات الإجتماعية ؛ تحتقر زوجها وتؤمن بطبيبها إيماناً أعمى ؛ وهي سريعة الغضب .

بيتسي :ابنتهما ، في نحو العشرين من عمرها ؛محبّة للحياة الإجتماعية ، تصرّفاتها طائشةٌ ورجولية ؛ تضع نظارة بلا ساعدين . مغناجٌ وضحوك . تتكلّم بسرعة وبوضوح شديد ، وهي تزمّ شفتيها كالغريبة .

باسيل ليونيديتش ، ابنهما ، عمره خمسةٌ وعشرون عاماً ، مجاز في الحقوق ،بدون شغل محدّد ،عضو في جمعية أنصار الدراجات ، وجمعية أنصار الخيول ، وجمعية تشجيع كلاب الصيد . شاب ذو صحة ممتازة وثقة بالنفس لا تتزعزع ، يتكلّم ، بصوت عال وباقتضاب ،جاداً بل ومتجهّماً حيناً ،وحيناً آخر صاخباً ، مرحاً ، ضاحكاً بملء حنجرته .

الكسي فلاديميروفتش : أستاذ في الجامعة . عالمٌ في الخمسين من عمره ، هادىءٌ في تصرّفاته ، باعث بسلوكه على الطمأنينة المريحة ،

يتكلّم بهدوء ، راضياً مختاراً ، وبصوت رخيم . يعامل كل مَنْ ليسوا من رأيه برفق وازدراء . يدخّن كثيراً ، وهو هزيل الجسم ، حَرِكٌ .

الطبيب : في نحو الأربعين ، ضخم الجسم ، قويّ ، أحمر الوجه . وهو فظّ ، قوي الصوت . يبتسم دائماً ابتسامةَ الراضي عن نفسه .

ماريا كونستانتينوفنا : فتاة في نحو العشرين ، طالبة في المعهد العالي للموسيقا ، استاذة بيانو ؛ لها تجعيدات شعر على جبينها ، أما زينتها فهي تساير آخر البدع على نحو مسرف . لطيفة المدخل ، وجلة .

بيتريشتيف : في الثامنة والعشرين ، مجاز في الآداب ، يسعى إلى أن يَشْغل نفسه ، عضو في الجمعيات نفسها التي ينتسب إليها « باسيل ليونيديتش » . وهو ، فوق ذلك ، عضو في جمعية تنظيم الحفلات الراقصة(بالحرير المهتدي وبالكريتون). أصلع ، حيويّ الكلام والحركات ؛ مهذّب جداً .

البارونة ، سيدة ذات شأن . في الخمسين ، جامدة ؛ تتكلّم بدون نَبْر .

الأميرة : مدعوّة .

الأميرة الشابة : آنسة شابة اجتماعية ، متقزّزة ، مدعوّة .

الكونتيسة : مسنّة ، تتحرك بجهد ؛ أسنانها صناعية وشعرها مستعار .

غروسمان : رجلٌ أسمر ، نموذج يهودي ، شديد الحركة والعصبية ، يتكلم بصوت عالٍ جداً .

ماريا فاسيليفنا : تولبوخينا ، سيدة رزينة جداً ، غنية ، ملأى بالسذاجة ؛ تعرف جميع الأشخاص المرموقين أمس واليوم . ضخمة الجسم ، تتكلم بسرعة شديدة ، وتحاول أن تطغى بصوتها على الأصوات الأخرى . تدخّن .

البارون كلنجن : (كوكو) ، مجاز من جامعة بطرسبرج ، نبيل في البلاط ، ملحق بالسفارة . عظيم اللياقة ، ولذلك فهو راضٍ ومرح بهدوء .

سيدة : (شخصية صامتة) .

سيرج ايفانوفتش : ساخاتوف ، في الخمسين ، وكيل وزارة سابق ، رجل أنيق ، ذو معرفة أوروبية واسعة ، لا يشتغل بشيء ، ويهتم بكل شيء . يتحلّى بالوقار بل وبشيء من القسوة .

تيودور ايفانوفتش : كبير الخدم ، في نحو الستين . رجل متعلم ويحب التعليم ، يُسرف في استخدام نظارته ومنديله الذي ينْشره ببطء .

غريغوري : خادم ، في الثامنة والعشرين ، جميل ، منحرف وحسود ووقح .

يعقوب : خازن خمور في الأربعين ، شديد السذاجة ، دائم الانهماك ، لا يهتمّ إلا بشؤون أسرته وقريته .

سيمون : مساعد الخازن ، في العشرين ، ريفيّ قوي ، غضّ الإهاب ، أشقر وما يزال أمرد ، هادىء ومبتسم .

حوذي : في الخامسة والثلاثين ، أنيق ، له شارب ، وقحٌ وجرىء .

طاه عجوز : في الخامسة والخمسين أشعث الشعر واللحية ، منتفخ الوجه ، أصفره ، مرتعش اليدين ؛ يرتدي معطفاً صيفياً رثّاً ، وبنطالاً وسخاً ، وجزمةً متهرّئة . يتكلّم بصوت أجشّ ؛ تخرج الكلمات من حنجرته وكأنها تخرج من من خلال حاجز .

طاهية : ثرثارة ، مستاءة ، في الثلاثين .

حاجب : جندي متقاعد .

تانيا : خادمة ، في التاسعة عشرة ، فتاة قوية ، نشيطة ، مرحة ، متبدّلة المزاج ؛ ترسل صرخات حادة في لحظات الفرح العظيم .

الفلاح الأول : في الستين ، كان رئيساً لمجلس القرية ، وهو يظن أنه يُحسن مخاطبة السادة النبلاء . وهو يحب أن يتكلّم بأناة .

الفلاح الثاني : في الخامسة والأربعين ؛ رجل ميسور ، خشن ، وصادق ، لا يحب فضول الكلام ، والد سيمون .

الفلاح الثالث : في السبعين ، يحتذي حذاء من قشر الشجر المجدول ؛ رجل عصبي ومضطرب ، مبادر ، خجل . يسعى إلى تغطية خجله بالكلمات .

خادم الكونتيسة الأول : شيخ من الطراز القديم ، يفخر بأنه خادم

الخادم الثاني : رجلٌ ضخم ، سوقيّ ، موفور الصحة .

ساعٍ تجاري : في معطف أزرق بلا كمين . أبيض الوجه ، أحمر الوجنتين ، يتكلم بوضوح شديد وبطريقة مهيبة .

تجري الأحداث في العاصمة ، في منزل آل زفيز دنتريف .

الفصل الأول

يُمثِّل المسرحُ غرفة الانتظار في بيت ثري ، في موسكو . ولها ثلاثة أبواب . الباب الذي في مؤخّرة المسرح وهو يُفضي إلى مكتب ليونيد فيودوروفيتش وإلى غرفة باسيل ليونيدتيش . ويؤدّي الدرج إلى الطوابق العليا . وتحت الدرج باب يقود إلى غرفة الخدمة .

المشهد – ١ –

« غريغوري ، خادم شاب حسن الطلعة ، ينظرُ في المرآة ويُصلح شعره » .

غريغوري : آه ! أنا آسف على شاربي ! هي تقول : لا ينبغي أن يكون للخادم شارب ! ولماذا ؟ لكي يرى الناس أنك خادم . وإلاّ صرتَ أحسنَ من ابنها الرشيق ! آه ! مِنْ هذا ! هيهات أن يجاريني في الحسن وإنْ لم يكن لي شارب ! (ينظر إلى المرآة ويبتسم) . وما أكثر النساء اللواتي يُغازلنني ! لكنْ لا تُعْجبني واحدةٌ منهن مثلما تُعجبني تانيا هذه !... إنها مجرّد خادمة ! . . . نعم . ومع ذلك فهي أفضل من الآنسة . (يبتسم) ساحرةٌ ! (يُصغي) . ها هي ذي ! (يبتسم) كيف تُطَقْطق بكعبيها الصغيرين !

المشهد — ٢ —

« غريغوري وتانيا التي ترتدي معطفاً مبطناً بالفرو وحذاء نصفيّ الساق » .

غريغوري : احتراماتي ، يا « تاتيانا ماركوفنا » !

تانيا : لمَ تَنْظرُ في المرآة ؟ تظن نفسك إذن جميلاً جداً ! ...

غريغوري : ماذا ! ألنا قبيح المنظر ؟

تانيا : بين بين ، لا أنت بالحسن المنظر ولا أنت بالقبيح . لمَ تحتفظ دائماً بالمعاطف هنا ؟

غريغوري : سأرفعها ، يا آنسة . (يرفع معطفاً ويغطي به تانيا ويقبّلها) دعيني أقلْ لكِ ، يا تانيا . . .

تانيا : أوه ! دعني ! ما لَكَ ! (تخلّص نفسها ، وهي مغضبة جداً) . قلتُ لك : اتركْني !

غريغوري : ناظراً إلى جميع الجهات : قبّليني !

تانيا : ماذا أصابكَ ؟ انظرْ كيف سأقبّلكَ . . . (ترفع يدها ، يُسمَعُ صوتُ الجرس ، ثم نداء باسيل ليونيدتيش : غريغوري ! ثم يُسمع صوتُ جديد للجرس) . اذهبْ فباسيل ليونيدتيش يناديك . . .

غريغوري : يمكنه ان ينتظر . لم يَفتح عينيه إلا منذ برهة وجيزة . . . اسمعي ، لماذا لا تُحبّينني ؟

تانيا : ما هذا الحب الذي اخترعته ؟ إني لا احب احداً .

غريغوري : غير صحيح ، انت تُحبيّن سيومكا(١) . احسنتِ الاختيار ! فلاّحٌ يشتغل في غرفة الخدمة ، فلاح ثقيل الدم !

تانيا : ومع هذا فأنتَ تغار منه . . .

(باسيل ليونيديتش ينادي من خارج المسرح : غريغوري) !

غريغوري : اذهبْ عني ، لا داعي للعجلة ! . . باه ! ليس هناك ما يستحقّ الغَيْرة ! وانتِ ، التي لم تكدْ تتشذّبُ اخلاقُها بمَنْ تريدين ان تربْطي نفسكِ ؟ . . . سيكون الأمرُ مختلفاً لو أحْببتِني ، انا ، يا تانيا . . .

تانيا : مغضبة وجادة : قلتُ لك : إنك لن تنال شيئاً مني .

(باسيل ليونيدتيش من خارج المسرح : غريغوري !)

غريغوري : أنتِ قاسيةٌ جداً !

(باسيل ليونيدتيش يصرخُ من خارج المسرح بصوت واحد ، وبكل قواه : غريغوري ! غريغوري ! غريغوري ! تانيا وغريغوري يضحكان) .

غريغوري : ومع ذلك ، فلوترين النساء اللواتي أحْبَبْنَني !

(صوت الجرس)

تانيا : حسناً ! اذهبْ إلى لقائهن ، واغربْ عن وجهي !

---

(١) سيومكا : تصغير تحقيري لسيمون الذي سيرد ذكره .

غريغوري : أنتِ غبية ، فأنا غير سيمون !

تانيا : سيمون يَسْعى إلى الزواج بي لا إلى ارتكاب الحماقات .

المشهد — ٣ —

« غريغوري ، تانيا ، ساع تجاري ومعه كرتون كبير فيه ملابس » .

الساعي : صباح الخير !

غريغوري : صباح الخير ! . . . منْ قبل مَنْ ؟

الساعي : من محل بورديبه(١) ، ومعي فستان . وهذه رسالة للسيدة .

تانيا : تأخذ الرسالة : اجلسْ هنا . سأسلّمها إياها .

(تخرج)

المشهد — ٤ —

(غريغوري ، الساعي ، باسيل ليونيدتيش يشقّ الباب وهو بقميصه وخفّيه) .

باسيل ليونيديتش : غريغوري !

غريغوري : حاضر !

باسيل ليونيديتش : غريغوري ! . . . أأنت أصمّ ؟

غريغوري : لقد عُدت لتوّي .

باسيل ليونيدتيش : هات الماء الساخن والشاي .

---

(١) بورديبه : مخزن للأزياء الفرنسية في موسكو .

غريغوري : سيحملهما سيمون إليك .

باسيل ليونيلتيش : وهذا ، ما هذا ؟ من عند بورديه ؟

الساعي : نعم ، يا سيدي .

(يخرج باسيل ليونيدتيش وغريغوري ، ضَرْبة جرس)

المشهد – ٥ –

« الساعي ، تانيا »

تانيا ، تُهرَع على صوت الجرس وتذهب لتفتح الباب : انتظرْ

الساعي : أنا منتظر .

المشهد – ٦ –

« الساعي ، تانيا وساخاتوف الذي يدخل »

تانيا ، لساخاتوف : المعذرةَ ، لقد خرج الخادم قبل لحظة ، فتفضّلْ بالدخول . اسمحْ لي .

(تأخذ معطفه)

ساخاتوف ، يدخل وهو يُصلح ثيابه : هل ليونيدفيدوروفيتش هنا ؟ وهل نَهض من نومه ؟

(صوت الجرس)

تانيا : أوه ! نعم ؛ ومنذ وقت طويل !

المشهد – ٧ –

« الساعي ، تانيا ، ساخاتوف ؛ يدخل الطبيب »

الطبيب ، يبحث عن الخادم . يشاهد ساخاتوف فيحيّيه بلا كلفة :
آه ! احتراماتي !

ساخاتوف ، محدّقاً فيه : أنتَ الطبيب ، على ما يبدو لي .

الطبيب : وأنا ، كنتُ أظنّكَ في الخارج . جئتَ لترى ليونيد فيودوروفيتش ؟

ساخاتوف : نعم ، نعم . وأنت ؟ هل في المنزل مريض ؟

الطبيب ، مبتسماً : ليس هذا بالضبط . لكنك عالمٌ بأحوال هؤلاء السيدات ! فهن يَقْضين لياليهن حتى الساعة الثالثة يَلْعبن « الهويست » ، مشدودات الخصور ، رقيقات كالبلور . . . ومع هذا فالسيدةُ سمينةُ ولابأس بسنّها . . .

ساخاتوف : أبهذه الألفاظ تُعْلِمُ آنا بافلوفنا بتشخيصك ؟ لن يُرضيها ذلك ، على ما أتصوّر .

الطبيب ، ضاحكاً : لكنّ هذه هي الحقيقة . إنهن يَفْعلن كلّ ذلك ثم تأتي الاضطرابات الهضمية ، وتعب الكبد والأعصاب ، وحينذاك أُستَدْعى ، وعليّ أن أُصلحَ كل شيء . ما الحيلة ؟ (يضحك) وأنتَ ماذا جاء بك ؟ أنت أيضاً من مُسْتحضري الأرواح ، فيما أظن ؟

ساخاتوف : أنا ؟ لا ، لستُ كذلك . حسناً ! طاب صباحك !

(يهمّ بالانصراف ، لكن الطبيب يوقفه) .

الطبيب : وأنا أيضاً لستُ كذلك . ومع ذلك ، فعندما يتعاطى هذا

الاستحضارَ رجلٌ مثل كروغوسفيتاوف ، وهو أستاذ في الجامعة ، مشهورُ في أوروبا ، لا بد أن يكون في الأمر سرٌّ ما ! كنتُ أود أن أحضر جلسة من تالك الجلسات ، لكنْ لا وقتَ لدي ، فأنا مشغول بأشياء أخرى . . .

ساخاتوف : نعم ، نعم ، طبت صباحاً .

(يخرج وهو يحييه بانحناءة خفيفة من رأسه)

الطبيب ، مخاطباً تانيا : هل نهضتْ السيدةُ من نومها ؟

تانيا : السيدة في غرفتها . تفضّلْ بالدخول .

(يخرج ساخاتوف والطبيب كلٌ من جهته)

المشهد — ٨ —

« الساعي ، تانيا وتيودور ايفا نوفيتش الذي يدخل ممسكاً بالجريدة » .

تيودور ايفانوفيتش للساعي : ماذا تفعل هنا ؟

الساعي : أرسِلْتُ من محل بورديبه ومعي فستان ورسالة . وطلبوا إليّ الانتظار .

تيودور ايفانوفيتش : آه ! من عند بورديبه ؟ (لتانيا) . مَنْ الذي جاءَ قبل قليل ؟

تانيا : السيد ساخاتوف ، سيرج ايفانوفتش ، ثم الطبيب ، بقيا لحظةً هنا ، وتحدّثا عن استحدار الأرواح .

تيودور ايفانوفيتش ، مصحّحاً : استحضار .

تانيا : هذا ما قلتهُ ، استحدار الأرواح ، أتعلم ، ياتيودور

ايفانوفتش ، أن الأمور سارتْ سيراً حسناً ، في آخر مرة ؟
(تضحك) كانت تُسْمَع ضرباتٌ فتغيرُ الأشياءُ مكانَها .

تيودور ايفانوفيتش : وكيفَ عرفتِ ذلك ؟

تانيا : اليزابيت ليونيدوفنا(١) هي التي روتْ لي ذلك .

المشهد — ٩ —

« تانيا ، تيودور ايفا نوفيتش ، الساعي ؛ يركض يعقوب حاملاً فنجان شاي » .

يعقوب ، للساعي : صباح الخير .

الساعي ، بحزن : صباح الخير .

(يقرع يعقوب باب باسيل ليونيدتيش) .

المشهد — ١٠ —

الأشخاصُ أنفسهم وغريغوري .

غريغوري : هات .

يعقوب : أقداح البارحة لم تُعِدْها أنتَ لا هي ولا الصينيّة .
أنا المسؤول عنها .

غريغوري : الصينية ؟ أخذها باسيل ليونيدتيش لسيجاراته .

يعقوب : حسناً ! ضع السيجارات في مكان آخر ! لأن الصينية مطلوبةٌ مني .

---

(١) أي ابنة السيدة واسمها بيتسي .

غريغوري : طيّب ، سآتيك بها .

يعقوب : تقول لي دائماً هذا القول ، ثم لا تأتي بها . لقد بحثوا عنها منذ أيام ، ولم يجدوا صينية للشاي !

غريغوري : لكنّني سآتيكَ بها . . . ما هذه القضيّة ! . . .

يعقوب : الكلام سهلٌ ! أما أنا فهذه ثالثُ مرة أقدّم فيها الشاي ، وعليّ أن أُعدّ الغداء — إنّني لا أكفّ عن النطنطة طوال النهار ، هل في المنزل مَنْ هو أكثر شغلاً مني ؟ ثم لا يَستحسنُ أحدٌ شيئاً من ذلك ! . . .

غريغوري : بلى ، عمالك ممتاز ! أوه ! ما أطيبَ نفسه ! . . .

تانيا : أنت ، لا يعجبك أحدٌ ، ما عداك .

غريغوري ، لتانيا : لم أكلّمْكِ .

(يخرج)

المشهد — ١١ —

« تانيا ، يعقوب ، تيودور ايفانوفيتش ، الساعي »

يعقوب : على كل حال ، سيّان عندي . . . ألم تقلْ لكِ السيدةُ شيئاً بصدد ما حدث أمسِ ، ياتانيانا ماركوفنا ؟

تانيا : بصدد المصباح ؟

يعقوب : كيف أمكن أن يفلتَ من يديّ ؟ ألله أعلم ! ما كدت أبدأ بمَسْحه حتى أفلت مني ، وإذا به يتحطّم إلى ألف شظية ! لاحظّ لي ، في الحقيقة ! عبثٌ ما يقوله غريغوري

ميخايلوفتش ، فليس وراءه أحدٌ يَعْتني به غير نفسه ، أما عندما يكون للمرء أسرةٌ كأسرتي ، فلا بدّ من التفكير فيها وإطعامها . ولستُ أَنْفرُ من العمل . . . إذنْ لم تقلْ شيئاً ؟ الحمدُ لله ! كم ملعقة معلك ، يا تيودور ايفانوفتيش ، واحدة أم اثنتان ؟

تيودور ايفانوفيتش ، يقرأ الجريدة : واحدة ، واحدة .

(يخرج يعقوب)

المشهد — ١٢ —

« تانيا ، تيودور ايفا نوفيتش ، الساعي . يُسْمع الجرس . يدخل غريغوري حاملاً الصينية ، والحاجب » .

الحاجب ، لغريغوري : أَبْلغ المعلِّمَ أنّ ها هنا فلاحين من القرية .

غريغوري ، مشيراً إلى تيودور ايفانوفيتش : قلْ ذلك لرئيس الخدم ، أما أنا فلا وقت لديّ .

(يخرج)

المشهد — ١٣ —

« تانيا ، تيودور ايفانوفيتش ، الحاجب ،الساعي »

تانيا : من أين جاء هؤلاء الفلاحون ؟

الحاجب : من مقاطعة « كورسك » ، على ما أعتقد .

تانيا ، مطلقةً صرخة حادة : إنهم هم أنفسهم . هذا والد سيمون ، وهو آتٍ من أجل الأرض . سأذهب إلى لقائهم .

(تخرج راكضةً) .

المشهد — ١٤ —

« تيودور ايفانوفيتش ، الحاجب ، الساعي » .

الحاجب : ما رأيكَ : هل ينبغي أن أَدعهم يدخلون ؟ يقولون : إنهم جاؤوا بصدد الأرض ، وأن السيد يعلم ذلك .

تيودور إيفانوفيتش : نعم ، من أجل شراء الأراضي . طيّب ، طيّب ، إنه مشغول الآن . قلْ لهم أن ينتظروا .

الحاجب : وأين ينتظرون ؟

تيودور ايفانوفيتش : في الفناء وسأستدعيهم حين يلزم الأمر .

(يخرج الحاجب)

المشهد — ١٥ —

« تيودور ايفانوفيتش ، تانيا ، يتبعها ثلاثةُ فلاحين ، غريغوري والساعي »

تانيا : إلى اليمين ، من هنا ، من هنا !

تيودور ايفانوفيتش : لم أسمح بادخالهم . . .

غريغوري : تستأهلين ، يا طائشة ! . . .

تانيا : لا ضَرَر من ذلك ، ياتيودور ايفانوفيتش ، فسوف ينتظرون هنا في ركن من الغرفة .

تيودور ايفانوفيتش : سيوسّخون الأرض .

تانيا : مَسّحوا أقدامَهم . ثم إني سأنظف الأرض أيضاً . (للفلاحين) . طيّب ! قفوا هنا .

(يدخل الفلاحون ، يحملون في مناديلهم المربوطة ، هدايا ، وحلوى وبيضاً ، ومناشف مطرّزة . . يبحثون عن الأيقونة المقدّسة ليرسموا علامة الصليب . يرسمونها وهم يتّجهون صوب الدرج . يحيّون تيودور ايفا نوفيتش ، ويقفون بَحزْم) .

غريغوري ، ليتودور ايفانوفيتش : يا تيودور ايفانوفيتش ! يُقال : إن الأحذية التي في محل « بيرونيه»(١) بالغة الأناقة ، لكن ها هنا ما هو أفضل .

(يشير إلى الفلاح الثالث)

تيودور ايفانوفيتش : لا همّ لك إلا السخرية من الآخرين .

(غريغوري يخرج)

المشهد – ١٦ –

« تانيا ، تيودور ايفانوفتيش ، الفلاحون الثلاثة ، الساعي »

تيودور ايفانوفيتش ، ينهض ويتقدّم نحو الفلاحين : أنتم إذنْ من مقاطعة كورسك . . . وجئتم من أجل شراء الأراضي ؟

الفلاح الأول : نعم ، من أجل ذلك ؛ لإتمام عقد البيع ، مثلاً ؛ ليتلك تُعْلم السيّدَ . . .

---

(١) بيرونيه : مخزن للأحذية الأنيقة في موسكو .

تيودور ايفانوفيتش : نعم ، نعم ، أعْلَمُ ، أعلم . انتظروا هنا . سأُعْلمه بوجودكم ، في الحال .

المشهد – ١٧ –

« تانيا ، الساعي ، الفلاحون الثلاثة ، باسيل ليونيدتيش خارج المسرح . الفلاحون يتلفّتون ويحارون كيف يضعون هداياهم » .

الفلاح الأول : نودّ لو تعطينا . . . كيف أقول . . . شيئاً نضعُ عليه كلّ ذلك . . . أيْ شيئاً يمكننا أن نحطّ عليه ما في أيدينا . – كالصينية مثلا ؟ .

تانيا : في الحال ، في الحال . وفي هذه الأثناء ، أعطوني إياها ، هكذا .

(تضع الهدايا على المقعد) .

الفلاح الأول : مَنْ عساه يكون هذا السيد المحترم الذي كلّمنا قبل حين ؟

تانيا : هذا رئيس الخدم .

الفلاح الأول : آه ! نعم ! رئيس الخدم ؛ هو في الخدمة أيضاً .. (لتانيا) . وأنتِ ، لعلك في الخدمة أيضاً ؟

تانيا : أنا خادمةٌ هنا . أنا أيضاً من « دميانسلك » ؛ وأنا أعرفكَ ، وأعرفك أنتَ أيضاً ؛ هذا العجوز الطيب وحده هو الذي لا أعرفهُ .

(تشير إلى الفلاح الثالث)

الفلاح الثالث : عرفتِ الآخرينْ ولم تعرفيني أنا ؟

تانيا : أأنتَ « اينيم انتونيتش ؟

الفلاح الأول : بدون شك .

تانيا : وأنتَ ، أنت والد سيمون ، « زكريا تريفونيتش » ؟

الفلاح الثاني : صحيح !

الفلاح الثالث : وأنا ، « دميتري تشيليكين » . هل عرفتِني الآن ؟

تانيا : الآن عرفتكَ أيضاً .

الفلاح الثاني : وأنتِ ، مَنْ أنتِ ؟

تانيا : أمي أنيسيا ، امرأة الجندي ، أنا يتيمة .

الفلاح الأول والفلاح الثالث ، بدهشة : غير ممكن !

الفلاح الثاني : ليس خطأً قولُهم « اشتر الخنزير بفلس؛ واتركه في الشيلم يُصبحْ جميلاً » .

الفلاح الثالث : الأمرُ كما قاتَ ؛ وهو كذلك . . . اوه ! يا إلهي !

باسيل ليونيدتيش يدق الجرس وينادي من خارج المسرح : غريغوري ! غريغوري !

الفلاح الأول : مَنْ الذي يكدُّ نفسَه بهذا الصراخ ؟

تانيا : هذا المعلّم الشاب .

الفلاح الثالث : آه ! نعم ! لقد قاتُ لكم أن البقاء في الخارج أفضل من الانتظار !

الفلاح الثاني ، بعد وقت: أأنتِ التي سيتزوجها سيمون ؟

تانيا : هل كتبَ إلياكَ عن ذلك ؟

الفلاح الثاني : طبعاً كتَبَ إليّ . لكن فكرته كانت فكرةً سيئة ، أرى أن المدينة أفسدتْه .

تانيا ، بحدّة : أوه ! كلا ، على الإطلاق . أتريد أن أرسله إلياك .

الفلاح الثاني : لا داعي للعجلة ، سوف ننتظر .

باسيل ليونيديتش يصرخ بشدة : غريغوري ! لاردّكَ الله !

المشهد — ١٨ —

« الأشخاص أنفسهم ، يظهر في الباب باسيل ليونيدتيش بالقميص ، وهو يضع نظارته »

باسيل ليونيديتش : أأنتم أموات ؟

تانيا : غريغوري ليس هنا ، يا باسيل ليونيدتيش ، سوف أُرسله إليك في الحال .

(تتجه إلى الباب)

باسيل ليونيديتش : كنت أعلم أنكم تتحدّثون هنا . من أين جاءت هذه الفزّاعات ؟ مَنْ هم هؤلاء ؟ . . .

تانيا : هؤلاء فلاحون من مقاطعة كورساك ، يا باسيل ليونيديتش.

باسيل ليونيديتش : وهذا ، مَنْ هذا ؟ آه ! نعم ، من عند « بورديبه » ؟

(الفلاحون يحيّونه فلا يلتفت إليهم . غريغوري يلتقي تانيا على الباب . تانيا تظلّ في الغرفة) .

المشهد — ١٩ —

الأشخاص أنفسهم وغريغوري

باسيل ليونيديتش : قلتُ لكَ : إن الحذاء الآخر هو الذي يلزمني . لا أستطيع أن أحتذي هذا الحذاء .

غريغوري : لكنّ الحذاء الآخر أيضاً هناك .

باسيل ليونيديتش : هناك ، أين ؟

غريغوري : لكنه هناك .

باسيل ليونيديتش : أنتَ تكذب

غريغوري : ستَرَى

(يخرج باسيل ليونيديتش وغريغوري)

المشهد — ٢٠ —

« تانيا ، الفلاحون الثلاثة ، الساعي »

الفلاح الثالث : لعل هذا الوقت غيرُ مناسب بالنسبة إلينا . والأفضلُ أن نذهب إلى النزل لننتظر .

تانيا : كلاّ ، انتظروا هنا . سآتيكم بأطباق لتضعوا عليها هداياكم .

(تخرج)

المشهد — ٢١ —

« الأشخاص أنفسهم ؛ ساخاتوف ، ليونيد فيودوروفيتش يتبعهما تيودور ايفانوفيتش . يأخذ الفلاحون هداياهم ويصطفّون »

ليونيدفيودوروفيتش : للفلاحين : في الحال ، في الحال . انتظروا . (مشيراً إلى الساعي) . وهذا ، مَنْ هو ؟

الساعي : أنا من محل بورديبه .

ليونيدفيودوروفيتش : آه ! من محل بورديبه !

ساخاتوف ، مبتسماً : لستُ أنكرُ ، لكن يجب أن تعترف بأن من الصعب علينا ، نحن غير المطلّعين ، أن نؤمن بكل ما تَرْويه إذا كنا لم نَرَه . . .

ليونيدفيدوروفيتش : تقولون جميعاً : إنكم لا تستطيعون أن تؤمنوا ؛ لكننا لا نطلب الإيمان ، وإنما نطالب التجارب . وكيف تُريد ألاّ أومن بهذا الخاتم ، وقد جاءَني من هناك ؟

ساخاتوف : وأين ذلك ؟ . . . مِنْ هناك ؟

ليونيد فيودوروفيتش : من العالم الآخر . . .

ساخاتوف ، مبتسماً : مثيرٌ جداً ، مثيرٌ جداً ! . . .

ليونيد فيودوروفيتش : لعلّك تظنُ أنني أبالغ وأنني أتصور أشياء لا توجدَ . لكنْ انظرْ إلى الكسي فلاديميروفيتش كروجو سفيتلوف ، فهو ليس رجلاً كباقي الناس ، فيما أعتقد ، لأنه أستاذٌ في الجامعة ، ومع ذلك فهو يعترف

بهذه الظواهر . وهو ليس وحده في ذلك . . . فهناك كروكس ، ووالاس(1) .

ساخاتوف : أجل ، لستُ أنكر ؛ وإنما أقول : إنه من الممتع جداً ، من الممتع جداً أن نعلم كيف يفسِّر « كروغو سفيتاوف» ذلك .

ليونيد فيودوروفيتش : إن له نظريةً خاصة به ! تعال إذن هذا المساء ، فسوف يَحْضُرُ بكل تأكيد ، وسوف نبدأ بـ « غروسمان » ذلك القارىء الشهير للأفكار ، أتعرفه ؟ . .

ساخاتوف : نعم ، سمعتُ به ، لكنْ لم تتسنَّ لي رؤيتُه .

ليونيد فيودوروفيتش : حسناً ! تعال ، إذن . غروسمان هو الذي سيبدأ ، ويتلوه « كابتشيتش » بحاسة الوسيط . (مخاطباً تيودور ايفانوفتش) . هل عاد الرسولُ مِنْ عند كابتشيتش؟

تيودور ايفانوفيتش : لا ، لم يعدْ بعدُ .

ساخاتوف : كيف أستطيع أن أعرف ، إذن ؟ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : تعال ، على كل حال ، فاذا لم يأتِ « كابتشيتش » وجدْنا وسيطاً آخر . ماريا اغناتييفنا وسيط أيضاً ؛ ليست بقوة « كابتشيتش » ، بيد أنها . . .

---

(1) كروكس ، والا س : عالمان انكليزيان كبيران ، من المؤمنين المتحمسين باستحضار الأرواح – وليام كروكس (١٨٣٢ ١٩١٩) . كيميائي وفيزيائي معروف ؛ الفرد والا س (١٨٢٣ – ١٩١٣) عالم من علماء الطبيعة ،وقد نشر سنة ١٨٧٥ كتاباً عن عجائب النزعة الروحانية الحديثة .

« الأشخاص أنفسهم ؛ تدخل تانيا ومعها أطباق لتضع عليها الهدايا . تُصغي إلى الحديث » .

ساخاتوف ، مبتسماً : نعم ، نعم ، لكنّ هناك شيئاً : لماذا يَنْتمي الوسطاءُ دائماً إلى عالمنا ، مثل « كابتشيتش » وماريا اغناتييفنا ؟ فاذا كانت تلك القوة قوة خاصة فيجب أن نعثر عليها في كل مكان ، في الشعب ، لدى الفلاحين .

ليونيد فيودوروفيتش : وهذا ما يقعُ ، هذا ما يقعُ كثيراً حتّى إن عندنا ، في البيت ، فلاحاً انكشف أنه وسيط . وقد دعوناه ، في هذه الأيام الأخيرة ، أثناء جلستنا ؛ كان ينبغي تحريك الأريكة ونسيناه . ولعله نام . تصورَّ أن جلستنا انتهت ، وأن كابتشيتش أفاق ، فاذا بنا نلاحظ ، في الطرف الآخر من الغرفة ، قرب الفلاح ، بدايةَ مظاهر وسيطيّة : لقد أخذت الطاولة تتحرّك .

تانيا ، على حدة : عجباً ! كان ذلك عندما خرجتُ من تحت الطاولة .

ليونيد فيودوروفيتش : ومن البديهي أنه هو أيضاً وسيطٌ . ولا سيّما أنه يشبه « هوم » كثيراً بهيئته . . . أتَذْكرُ « هوم » ، الأشقر ، الساذج . . .

ساخاتوف ، هازاً كتفيه : هكذا إذن ! شائقٌ جداً . يجب إذن أن نجرّب .

ليونيد فيودوروفيتش : سنُجرّبُه . . . وهو ليس الوحيد ، فهناك

عددٌ هائلٌ من الوسطاء . لكننا لا نعرفُهم . هذا كل ما في الأمر . وهكذا استطاعت عجوزٌ مريضة ، أن تنقل جداراً من الحجر عن موضعه .

ساخاتوف : تنقل جداراً من الحجر عن موضعه ؟

ليونيد فيودوروفيتش : أجل ، أجل . كانت في فراشها . ولم تكن تعلم أنها وسيطة . أسندت يدها إلى الجدار فتراجَعَ الجدار .

ساخاتوف ، مبتسماً : وما انهارَ الجدار ؟

ليونيد فيودوروفيتش : لا لم يَنْهَرْ .

ساخاتوف : غريب . سآتي إذن هذا المساء .

ليونيد فيودوروفيتش : تعال ، تعال ؛ فسوف تُعْقَدُ الجاسة بكل تأكيد .

(يخرج ساخاتوف ويرافقه ليونيد فيودوروفيتش)

المشهد — ٢٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا ساخاتوف »

الساعي لتانيا : أَعْلمي السيدةَ بوجودي ؛ هل أنام هنا ؟

تانيا : انتظرْ . ستخرج مع الآنسة ؛ وهكذا فستمرُّ من هنا ، بعد قليل .

(تخرج تانيا)

المشهد – ٢٤ –

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا تانيا »

ليونيد فيودوروفيتش يتقدّم نحو الفلاحين الذين يحيّونه ويقدّمون له هداياهم : لا لزومَ . . .

الفلاح الأول ، مبتسماً: لكن هذا هو واجبنا الأول ! فبما أن مجلس قريتنا قرّر ذلك . . .

الفلاح الثاني : هذه هي العادة دائماً . . .

الفلاح الثالث : الأمرُ تافهٌ ولا يستحق الكلام ! فنحن مسرورون جداً . وكما أن آباءنا خدموا آباءك ، فكذلك نرغب نحن في خدمتك من كل قلوبنا ، لا على سبيل المجاملة .

(ينحني)

ليونيدفيودوروفيتش : لكنْ ، ماذا تريدون بالضبط ؟

الفلاح الأول : إلى منزل سعادتك ، يا ليونيد فيدوروفيتش ...

المشهد – ٢٥ –

« الأشخاص أنفسهم ، بيتّريشتييف »

بيتريتشييف : يدخل مُستعجلاً وهو يرتدي معطفه : هل استَيْقظ باسيل ليونيديتش ؟

(يُحيّي ليونيد فيودوروفيتش حين يراه ، بإيماءة من رأسه) .

ليونيد فيودوروفيتش : جئتَ لترى ابني ؟

بيتْريشتيف : أنا ؟ جئتُ لأرى « فوفو » لحظةً . . .

ليونيدفيودوروفيتش : ادخلْ .

(يخلع بيترَيتشتييف معطفه ويدخل على عجل)

المشهد — ٢٦ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا بيترَيتشتييف »

ليونيد فيودوروفيتش للفلاحين : حسناً ! فيمَ ترغبون ؟

الفلاح الثاني : اقبلْ أولاً هدايانا .

الفلاح الأول ، مبتسماً : هدايا من القرية ، كما ترى .

الفلاح الثالث : لا كلفة بيننا . نرغب ، وأنت كالأب الحقيقي . . .

ليونيد فيودوروفيتش : حسناً ! احملْ هذا ، ياتيودور .

تيودور ايفانوفيتش : هيّا هاتوا هداياكم .

(يأخذ الهدايا) .

ليونيد فيودوروفيتش : ما الموضوعُ ، إذن ؟

الفلاح الأول : إلى منزل سعادتكم إنما جئنا . . .

ليونيدفيودوروفيتش : أعلمُ أنكم جئتم إلى منزلي ، لكن ما حاجتكم ؟

الفلاح الأول : جئنا بشأن عقد بيع الأراضي ؛ للتعجيل أي . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أنتم إذن تريدون شراء الأرض ، أليس كذلك ؟

الفلاح الأول : بالتأكيد ، تماماً ، فبما أنك عرَضْتَ علينا ، في

الصيف الماضي ، شراء الأراضي ، منحنا مجلسُ القرية تعويضاً مطابقاً للتشاور معاك . . . وبما أن ذلك يتمّ ، بواسطة مصرف الدولة ، وبالطوابع الرسمية . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أي أنكم تريدون شراءَ الأراضي مني بواسطة المصرف ؟ أليس كذلك ؟

الفلاح الأول : وهو كذلك . كما عرضتَ علينا هذا الأمر ، في الصيف الماضي . والمبلغ الذي يمنحنا إياه المصرف هو ٣٢٨٦٤ روبلاً لشراء الأراضي لملكيتنا . . .

ليونيد فيودورفيتش : صحيح ؛ لكن كيف تدفعون الباقي ؟

الفلاح الأول : مثلما قلنا في السنة الماضية ، أنت تحدّد موعد الأقساط المستحقّة ، بحسب القانون ؛ أي أربعة آلافِ تتسلّمها في الحال . . .

الفلاح الثاني : أي أربعة آلاف تتسلمها في الحال ، أما الباقي فتَنْتظر . . .

الفلاح الثالث ، مقدماً المال : تستطيع أن تكون مطمئناً ، فنحن نفضّل أن نرهن أنفسنا على الإتيان بما يضرّك . . . ومهما يَحْدُثْ فليكنْ ، لِنقلْ . . . لائقاً . أما المال فخذْ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : لكني كتبتُ إليكم أني لن أوافق على البيع إلا إذا جمعتمْ المبلغ كاملاً . . .

الفلاح الأول : هذا أفضل ، بالتأكيد ، لكنه غير ممكن ، يعني أن . . .

ليونيدفيودوروفيتش : ما العمل ، إذن ؟

الفلاح الأول : كان مجلس القرية يأملُ ، بما أنك عرَضْتَ ، في الصيف الماضي ، تأجيل الدفع . . .

ليونيدفيودوروفيتش : كان ذلك في الصيف الماضي . . . كان العرضُ إذ ذاك مناسباً لي . أما الآن فلا أستطيع ذلك . . .

الفلاح الثاني : كيف نَفْعل ، إذن ؟ أنتَ قلتَ لنا ذلك ، فعملْنا هذه الورقةَ . . . وجمعْنا المال . . .

الفلاح الثالث : ارحمْنا ، أيها السيد ؛ فأرضُنا صغيرة لا مكان فيها لماشية ترعى ، بل ولا الدجاجة . . . (ينحني مُحيّياً) لا تَقْربْ الخطيئة ، يا سيّد .

(ينحني مرة ثانية)

ليونيد فيودوروفيتش : صحيحٌ أنني وافقتُ على التأجيل ، في السنة الماضية . لكنّ بعض الظروف . . . يَعْني . . . إن ذلك لا يلائمني الآن .

الفلاح الأول : لكننا سنَفْقد حياتنا ، بدون هذه الأرض .

الفلاح الثاني : بالتأكيد ، فبدون هذه الأرض ستَضْعُفُ حياتُنا ، وسيكون هلاكُنا .

تيودور ايفانوفيتش : ما القضيةُ ؟

الفلاح الأول : القضيّةُ ، أيها السيد المحترم ، أنه عرض علينا ، في الصيف الماضي ، أن يبيعنا الأرض . وبناءً على ذلك أبدى مجلس القرية رأيه وفوّضنا تفويضاً مطلقاً ؛ وها

إن ليونيدفيودوروفيتش يريد أن يقبض المبلغ دفعةً واحدة.
وهو أمرٌ غير ممكن على الإطلاق بالنسبة إلينا . . .

تيودور ايفانوفتش : أمعكم كثيرٌ من المال ؟

الفلاح الأول : جئنا بأربعة آلاف روبل . . .

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! اعملوا جهدكم واجمعوا الباقي . . .

الفلاح الأول : لقد تعبْنا كثيراً حتى لجمعْنا في جَمْع ما جمعناه ، ولا
طاقة لنا فوق ذلك ، يا سيدي . . .

الفلاح الثاني : لا يجودُ المرءُ بما ليس عنده . . .

الفلاح الثالث : لو كنا نستطيع لجمعْنا المبلغ كله بكل طيبة قلب ،
لكننا لم نجمع هذا المال إلا بشقّ النفس . . . يا سيدي ،
أرضنا شديدة الصغر ، لا مكان فيها لماشية ترعى بل ولا
لدجاجة . فاشفقْ علينا يا سيّدي واقبلْ المال .

ليونيد فيودوروفيتش ، ينظر إلى العقد الذي معهم : فهمتُ جيداً :
أود لو أتمكّن من إرضائكم . انتظروا ، ففي ظرف نصف
ساعة ، سأعطيكم الجواب . تيودور ، مُرْهم ألاّ
يُدخلوا أحداً . . .

تيودور إيفانوفيتش : نعم ، يا سيدي .

« يخرج ليونيد فيودوروفيتش »

المشهد – ٢٧ –

الأشخاص أنفسهم ما عدا ليونيد فيودوروفيتش . الفلاحون
حزينون .

الفلاح الثاني : إنه لمأزقٌ حقاً ! بعد أن أخذ يقول لنا الآن :

أَعْطوني المبلغ كله ؛ ومن أين نأتي به كله ؟

الفلاح الأول : وليته لم يُؤَمِّلْنا في الصيف الماضي . . . كنا نأمل كثيراً بالحصول على الأرض . . . طبعاً لأنه وَعَدنا في الصيف الماضي ! . . .

الفلاح الثالث : أوه ! يا إلهي ! وأنا الذي فاتَ صرّة المال ! (يُعيد لفّ الأوراق في خرقةٍ) . والآن ماذا سنفعل ؟

المشهد — ٢٨ —

« الأشخاص أنفسهم ؛ باسيل ليونيديتش وبيتريشتيبيف ، كلاهما في الباب والسيجارة في فمه » .

باسيل ليونيديتش : نعم ، لقد وعدتُ ، سأفعل كلَّ ما هو ممكن . إيه ماذا ؟

بيتريشتيبيف : افهمْ جيداً ، إذا لم تُفْلحْ في ذلك ، فالله أدرى بما ينتظرني .

باسيل ليونيديتش : لقد وعدتُ ، وسأفعل كل ما بوسعي فعلُه .

بيتريشتيبيف : اوه ! لا قيمة لذلك ، أقول لكَ فقط : حاولْ أن تنجح . وسأنتظر .

(يخرج وهو يغلق الباب) .

المشهد — ٢٩ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا بيتريشتيبيف »

باسيل ليونيديتش ، يشير بحركة من يده : الشيطان هو الذي يعلم ما هذا .

(ينحني الفلاحون ، باسيل ليونيدتيش ينظر إلى الساعي . مخاطباً تيودور ايفانوفيتش) .

لمَ لا تدعون الساعي الذي من عند بوردييه ينصرف . هل أقام عندنا ؟ انظرْ إليه قليلاً ، لقد أغفي . ايه ماذا !

تيودور ايفانوفيتش : لكننا سمنا رسالته ... وأمرنا بأن ينتظر حتى تمرّ آنا بافلوفنا .

باسيل ليونيديتش ، ناظراً إلى أحد الفلاحين وهو يجمّع الأوراق النقدية : آه ! ما هذا ؟ نقود ؟ لِمَنْ ؟ لنا ، هذا المال ؟ (لتيودور ايفانونيتش) مَنْ هؤلاء الناس ؟

تيودورايفانوفيتش : هؤلاء فلاحون من « كورسك » ؛ يريدون شراء الأراضي . . .

باسيل ليونيديتش : حسناً ! وهل بيعتْ لهم ؟

تيودور ايفانوفتش : كلا . لم يتّفقوا بعد . فهم متشدّدون .

باسيل ليونيديتش : آه ! ينبغي إذن إقناعهم . (للفلاحين) . إذن ستشترون ؟

الفلاح الأول : بالتأكيد ، ولقد تقدّمنا بعروض لنحصل على ملكية الأرض . . .

باسيل ليونيديتش : لكنْ لا تكونوا بخلاء إلى هذا الحد . تعلمون كم هي ضروريةٌ الأرضُ للفلاح . ايه ، ماذا ؟ إنها ضروريّةٌ جداً !

الفلاح الأول : طبعاً ، الأرض للفلاح هي الشيء الأول ؛ كذلك ...

باسيل ليونيديتش : حسناً ! فلا تتشدّدوا إذن ! ما الأرض ؟ يمكن زراعة القمح فيها ، ثلماً ثلماً ، ثم تجنْون منها ، لنقلْ ثلاثمائة « مدّ(١) » ، كل مدّ بروبل ، فيكون المجموعُ ثلاثمائة روبل . أيه ماذا ؟ أو تزرعون النعناع فتحصلون على ألف روبل تجنونها من الهكتار الواحد .

الفلاح الأول : طبعاً ، جميع محاصيل الأرض تُعطي مَنْ يعتني بها منتوجاً .

باسيل ليونيديتش : ازرعوا النعناع إذن . لقد قمتُ بدراسات على النعناع ؛ وهي مكتوبة في الكتب . وسأُريكم إياها . ايه ، ماذا ؟

الفلاح الأول : طبعاً ، كل ما في الكتب فأنت تعرفُه خيراً منا . تلك أشياء من شغل الدماغ .

باسيل ليونيديتش : اعقدوا الصفقةَ إذن ، وادفعوا المال ، ولا تكونوا أشحّاء (لتيودور ايفانوفيتش) أين بابا ؟

تيودور ايفانوفيتش : في غرفته . وقد طلبَ إلينا ألا نزعجه الآن .

باسيل ليونيديتش : آه ! لا شك أنه يسأل الأرواح إن كان يجب أن يبيع هذه الأرض أم لا . ايه ماذا ؟

تيودور ايفانوفيتش : هذا ما لا أعلمهُ . كلّ ما أعلمه هو أنه خرجَ من هنا متردّداً .

---

(١) ثلاثمائة مد : أي نحو ٥٠٠٠ كغ .

باسيل ليونيديتش : ما رأيكَ ، يا تيودور ايفانوفتش ؟ أمعه نقود الآن ؟

تيودور ايفانوفتش : لا أدري ؛ فذلك غير مُحتمل . ولمَ تَسأل عن المال ؟ فحتى الأسبوع الماضي أخذت مبلغاً محترماً .

باسيل ليونيديتش : اشتريت بهذا المال كلاباً . ايه ماذا ؟ . أتعرف جمعيتنا الجديدة ؟ لقد انتُخب بيتريتشتييف ، وأنا اقترضتُ منه مالاً ، والآن سأَدْفع الاشتراكات عن نفسي وعنه . أيه ماذا ؟

تيودور ايفانوفتش : ماهذه الجمعية الجديدة ؟ جميعة أنصار الدراجات؟

باسيل ليونيديتش : لا ، سأُعلمك ؛ هذه الجميعة الجديدة جمعية جادّة حقاً . أتعلم مَنْ رئيسُها ؟ ايه ماذا ؟

تيودور ايفانوفتش : لكنْ ، ما هذه الجمعية الجديدة ؟

باسيل ليونيلديتش : جمعيةٌ للتشجيع ، تشجيع نموّ الكلاب السلوقية الروسية الطويلة الشعر . ايه ماذا ؟ . وأحب أن أُعلمك أن الجلسة الأولى ستُعقد اليوم وسيتناولوها غداءُ . لكني لا أملك المال اللازم . سأذهب إلى غرفته . وسأحاول .

المشهد ـ ٣٠ ـ

« الفلاحون الثلاثة ، تيودور ، الساعي »

الفلاح الأول لتيودور ايفانوفيتش : من هذا ، أيها السيد المحترم ؟

تيودور ايفانوفيتش ، مبتسماً : السيّد الابن .

الفلاح الثالث : الوارث ، لِنقلْ . اوه ! يا إلهي ! (يُخفي المال) الأفضل أن نخفي المال ، في هذه الأثناء .

الفلاح الأول : لقد قيل لنا مع ذلك : إنه كان عسكرياً ، نشطاً في سلاح الفرسان .

تيودور ايفانوفتش : لا ، هو مُعْفى من الخدمة العسكرية ، باعتباره وحيداً .

الفلاح الثالث : لنقلْ انهم تركوه ليعيل أهاه . هذا عدلٌ .

الفلاح الثاني ، هازاً رأسه : بالطبع ، سيُحسن هذا إعالتهم . . .

الفلاح الثالث : آه ! يا إلهي ! . . .

المشهد — ٣١ —

« الأشخاص أنفسهم ، باسيل ليونيديتش ؛ وخادمه ، على عتبة الباب ليونيد فيودوروفيتش »

باسيل ليونيديتش : إني ألْقى الشيءَ نفسه دائماً ؛ حقاً ، هذا مدهش ! أحياناً ، أسْأَلُ لمَ لا تَفْعل شيئاً ؛ فاذا وجدتُ شُغلاً أشتغل به — مثل هذه الجمعية الجادة التي أُنْشِئَتْ بأهداف نبيلة — خوصمتُ من أجل مبلغ حقير ، مبلغ ثلاثمائة روبل .

(١) باعتباره وحيداً :كان الأولاد الوحيدون المعتبرون سنداً للأسرة معفيين من الخدمة.

ليونيد فيودوروفيتش : قلتُ لكَ : إني لا أستطيع . إذنْ أنا لا أستطيع ! ولا مال معي !

باسيل ليونيديتش : لكنك بعتَ أرضاً قبل قليل ؟

ليونيد فيودوروفيتش : أولاً أنا لم أبعْ شيئاً . وقبل كل شيء دعْني وشأني . لقد أخبروك : أنه لا وقتُ لديّ .

(يغلق الباب بعنف)

المشهد — ٣٢ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا ليونيد فيودوروفيتش »

تيودور ايفانوفيتش : لقد قلتُ لك إن الوقتَ غير ملائم .

باسيل ليونيديتش : الوضع محرجٌ حقاً . سأذهب إلى أمي فهي ملجئي الوحيد . أما هو فقد جُنَّ باستحضار الأرواح ، ونسي من جرّاء ذلك كلَّ شيء .

(يصعد الدرج ، ويجلس تيودور ايفانوفتش ليقرأ الجريدة) .

المشهد — ٣٣ —

« الأشخاص أنفسهم . تنزل الدرج بيتسي وماريا كونستانتينوفنا ، يتبعهما غريغوري » .

بيتسي : هل العربة جاهزة ؟

غريغوري : وتهيّأت للمسير .

بيتسي ، لماريا كونستانتينوفنا : هيّا ، هيّا ، رأيت بعيني أنه هو نفسه .

ماريا كونستانينوفنا : من ، هو ؟

بيتسي : تعامين جيداً أنه بيتر يتشتييف .

ماريا كونستانينوفنا : و أين هو ، إذن ؟

بيتسي : عند « فوفو » ، ستَريْن في الحال .

ماريا كونستانينوفنا : وإذا لم يكنْ هو ؟

(يُحييّهما الفلاحون والساعي).

بيتسي ، للساعي : آه ! أنتَ آتٍ من محل بوردييه بالفستان .

الساعي : نعم ، يا آنسة . تفضّلي وَأْمرُي بذهابي .

بيتسي : لا أعلم . . . فالأمرُ يتعلّق بماما . . .

الساعي : لا أعلم بمَنْ يتعلّق . لقد أُمِرْتُ أن أحمل الفستان وأقبض الثمن .

بيتسي : حسناً ! انتظر إذنْ .

ماريا كونستانينوفنا : أهو الثوب نفسه الذي تريدين الحفلة ؟

بيتسي : أجل ، وهو ثوب رائع ، وماما لا تأخذه ولا تريد أن تدفع ثمنه .

ماريا كونستانينوفنا : ولمَ ذاك ؟

بيتسي : اذهبي واسألي ماما . إنها تُعطي « فوفو » ثلاثمائة روبل لكلابه ولا تستكثرها ، أما أن تدفع مائة روبل ثمناً لفستاني ، فذلك كثير ! بيد أني بحاجة إلى ثوب للحفلة . (مشيرة إلى الفلاحين) . وهؤلاء ، مَنْ هم ؟

غريغوري : هم فلاحون ؛ جاؤوا ليشتروا أرضاً .

بيتسي : أظنهم صيادين . . . ألستم صيّادين ؟

الفلاح الأول : لا ، يا سيدتي . جئنا إلى منزل ليونيد فيدوروفيتش لابتياع . . . أرض .

بيتسي : كيف ذلك ؟ فمن المقدَّر أن يزور فوفو بعضُ الصيادين . أحقاً أنكم لستم صيادين ؟ (يسكت الفلاحون) . ما أغباهم ! (تمضي نحو الباب) . فوفو !

(تنفجر ضاحكةً)

ماريا كونستالينوفنا : لكننا التقيناه قبل قليل .

بيتسي : لطيفٌ منكِ أن تتذكري ذلك . فوفو أأنت هنا ؟

المشهد — ٣٤ —

« الأشخاص أنفسهم وبيتريتشتيبف » .

بيتريشتييف : فوفو ليس هنا ؛ لكنني مستعدٌ أن أفعل مكانه كلَّ ما يُطْلَبُ مني . صباح الخير ، صباح الخير .

(يهزّ طويلاً يدَ بيتسي ، ثم يد ماريا كونستانينوفنا)

الفلاح الثاني : أترى ، كأنه يضخّ ماءً .

بيتسي : لا تستطيع أن تحلّ محلّه . لكن هذا خيرٌ من لا شيء . (تنفجر ضاحكة) . ما شغلك مع فوفو ؟

بيتريشتييف : الأشغال ؟ . . . أشغال ما . . . ليّة ، أي انها أشغالٌ

ما . . . وهي أيضاً « ليّة » ، وهي فضلاً عن ذلك أشغالٌ مالية .

بيتسي : ما معنى « ليّة » ؟

بيتريشتييف : تلك هي المسألة . هذا لا يعني شيئاً بالضبط .

بيتسي : اوه ! ليست بارعة ، ليست بارعة ! .

(ينفجران ضاحكيْن) .

بيتريشتييف : لا يمكــن للنكتة أن تكــون دائمــاً بارعة . هي كاليانصيب : فالجوائز الكبرى قليلةٌ في اليانصيب .

(يدخل تيودور ايفانوفيتش مكتب ليونيد فيودوروفيتش) .

المشهد — ٣٥ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا تيودور ايفانوفتش »

بيتسي : أوه ! لم تنجح هذه المرة ! قُلْ لي : أكنتَ البارحة في منزل آل « أمّ غاسوف ؟ »

بيتريشتييف : لم أكنْ فقط عند أمّ غاسوف بل كنت أيضاً عند أبي غاسوف وعند أخي غاسوف .

بيتسي : أنتَ لا تستطيع أن تقول شيئاً دون اللعب بالألفاظ . أهو مرضٌ فيك ؟ أكان هناك غجرٌ ؟

(تضحك)

بيتريشتييف ، يدندن :

مئزرها مطرّز

بديوك صغيرة أعرافُها ذهبيّة !

بيتسي : لكم أنت سعيد ! ونحن يأكلنا الضجر عند فوفو .

بيتريشتييف ، مكمّلاً غناءه :

لقد عاهدتْني

وأقسمتْ أن تأتي إلى بيتي . . .

ما تتمّةُ الأغنية ، يا ماريا كونستا تينوفنا ؟

ماريا كونستاتينوفنا : لتَقْضي فيه ساعة .

بيتريشتييف : كيف ، كيف ، يا ماريا كونستا نتينوفنا ؟

(ينفجر ضاحكاً)

بيتسي : **كفَّ ، أصبحتَ لا تُطاق .**

بيتريشتييف : **كفَفْتُ ، ولَفَفْتُ ، وقفَقْتُ .**

بيتسي : أرى أنه لا سبيل إلى كفِّك عن مزاحك إلاّ بحَمْلِك على الغناء . تعال إلى غرفة فوفو ، ففيها قيثارة .

ماريا كونستاتينوفنا : هيّا .

(بيتسي ، ماريا كونستا نتينوفنا ، بيتريشتييف يخرجون)

المشهد — ٣٦ —

« غريغوري ، الفلاحون الثلاثة ، الساعي »

الفلاح الأول : وهاتان مَنْ هما ؟

غريغوري : إحداهما هي الآنسة ابنة السيّد ، الأخرى هي معلّمة الموسيقا .

الفلاح الأول : ما أعظم أناقتها ؟ كأنها صورةٌ حقيقية !

الفلاح الثاني : ولِمَ لا يزوّجونها ! فهي في سن الزواج .

غريغوري : أتظنون أن الناس هنا يتزوجون في الخامسة عشرة ، كما هي الحال عندكم .

الفلاح الأول : وهذا السيّد الآخر ، أهو موسيقي ؟

غريغوري ، يقلّده : موسيقي ! أنتم لا تفهمون شيئاً !

الفلاح الأول : بالطبع ، الحقُّ معك : وبسبب غباوتنا ، وعدم تعلّمنا . . .

الفلاح الثالث : آه ! يا إلهي .

(تُسْمَع ألحانٌ غجرية ترافقها القيثارة ، في غرفة باسيل ، ليونيدتيش) .

المشهد — ٣٧ —

« غريغوري ، الفلاحون الثلاثة ، الساعي ؛ يدخل سيمون تتبعه تانيا التي تلاحظ الطريقة التي بها يتلاقى الوالد والولد »

غريغوري ، لسيمون : ماذا تريد ؟

سيمون : أُرْسِلْتُ إلى منزل السيد كابتشيتش .

غريغوري : وماذا قال ؟

سيمون : بعثَ يقول : إنه لا سبيلَ إلى مجيئه هذا المساء للجاسة.

غريغوري : طيب ! سأخبر بذلك .

(يخرج)

المشهد — ٣٨ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا غريغوري » .

سيمون : صباح الخير ، يا أبي ! ايه ! العم ايفيم ، ايه ! العم دميتري ، مرحباً ! كيف صحةُ الأهل في البيت ؟

الفلاح الثاني : صباح الخير ، يا سيمون !

الفلاح الأول : صباح الخير ، يا صغيرّ !

الفلاح الثالث : صباح الخير ، يا بني ! أنتَ بخير ؟

سيمون ، مبتسما : أتريد شاياً ، يا أبي .

الفلاح الثاني : انتظرْ ، حتى نُنهي شغلنا . لا وقتَ لدينا الآن.

سيمون : طيب ! سأنتظركم أمام مطلع الدرج .

(يخرج)

تانيا ، راكضة وراءه : ولمَ لم تقلْ شيئاً ؟

سيمون : كيف أقول ذلك الآن أمام الجميع . انظري ، سوف يتناولون الشاي ، وحينذاك سأكلمّ .

المشهد — ٣٩ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا سيمون ؛ يدخل فيودور ايفانوفيتش ويجلس قرب النافذة مع جريدته »

الفلاح الأول : أيها السيد المحترم ، كيف تسير قضيتنا ؟

تيودور ايفانوفتش : انتظروا ؛ أوشكَ أن يفرغ ، وسيَخرج بعد دقيقة .

تانيا ، ليتودور ايفانوفيتش : وكيف عرفتَ ؟

تيودور ايفانوفيتش : أنه سيفرغ ؟ . . . أعلم أنه عندما ينتهي من طَرْح أسئلته ، يقرأ بصوت عالٍ الطلبات والردود.

تانيا : أصحيحٌ أنه يمكن محادثة الأرواح ، بواسطة الصحون ؟

تيودور ايفانوفيتش : أنتِ ترَيْن أن الأمر كذلك .

تانيا : لو قالت له الأرواحُ إذنْ وقِّعْ لوقّعَ .

تيودور ايفانوفيتش : بالتأكيد .

تانيا : لكنها لا تجيب بالكلام .

تيودور ايفانوفيتش : إنها تتكلم بواسطة حروف الهجاء ، إنها تقف أمام بعض الحروف ، وهو يسجّلها .

تانيا : لكن ما العمل ، أثناء الجاسة ، لو أنها . . .

المشهد — ٤٠ —

« الأشخاص أنفسهم ، ليونيد فيودورفيتش »

ليونيد فيودوروفيتش : حسناً ! يا أصدقائي ، لا أستطيع . كنتُ أودّ أن البّي طلبكم ، لكن ذلك غير ممكن . لو دفعتم المبلغَ كاملاً لتغيرّ الأمرُ .

الفلاح الأول : بالتأكيد ، كان ذلك سيكون أفضل . لكنا لم نَجمعْ المال الذي معنا إلا بكثير من الجهد .

ليونيد فيودوروفيتش : غير ممكن ، غير ممكن تماماً . خذوا ! هذا عقدُ بيعكم ! لا أستطيع أن أوقّعه .

الفلاح الثالث : اشفقْ علينا ، أيها السيد . كنْ رحيماً !

الفلاح الثاني : لا يجوز لك أن تتصرّف هكذا ! لقد أخطأت معنا .

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، لم أُخطئْ . وعدتكم بالبيع في السنة الماضية ، فلو قبلتُمْ لانتهى الأمر ؛ لكنكم لم تشاؤوا . والآن أنا الذي لا يَستطيع .

الفلاح الثالث : كنْ رحيماً ، أيها السيد . كيف نعيش الآن ؟ أرضُنا صغيرة . لا الماشية وحدها ، بل الدجاجة لا تجد مكاناً فيها .

(ليونيد فيودوروفيتش يتّجه إلى مكتبه ويقفُ على العتبة)

المشهد — ٤١ —

« الأشخاص أنفسهم ، السيّدة والطبيب ينزلان الدرج . وأمامهما باسيل ليونيدتيش يضع أوراقاً نقدية في محفظته ، وهو جذلان،فرح » .

السيدة ، وقد حزمتْ نفسها بمشدّ ، وعلى رأسها قبّعتُها : يجب أن أتناولها إذنْ ؟

الطبيب : إذا ظهرتْ الأعراضُ مرة أخرى فتناوليها . لكنْ كوني معقولة ! كيف تريدين أن يمرَّ سائلٌ كثيف عَبْرَ انبوب

شعري ، وبخاصة إذا ضيّقْتِ هذا الأنبوب ؟
غير ممكن ! والشيء نفسه مع القناة الصفراوية . . .

السيدة : طيّب . . . طيّب . . .

الطبيب : نعم ، نعم ، طيّب . . . ثم لا تلبثين أن تعودي إلى سابق أمرك . حسناً ! الوداع !

السيدة : لا تقلْ الوداع بل إلى اللقاء . سأنتظرك هذا المساء . لن أقرّر شيئاً بدونك .

الطبيب : طيّب ، طيب ، سآتي ، إذا كان لديّ وقت .

(يخرج)

المشهد – ٤٢ –

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا الطبيب »

السيدة ، وقد شاهدت الفلاحين : ما هذا ؟ ما هذا ؟ مَنْ هؤلاء الناس ؟

(الفلاحون يحيّونها)

تيودور ايفانوفيتش : هؤلاء فلاحون من مقاطعة « كورساك » جاؤوا ليشتروا أرضاً من ليونيد فيودوروفيتش .

السيدة : واضحٌ أنهم فلاحون ، لكن مَنْ الذي سمَحَ لهم بالدخول؟

تيودور ايفانوفيتش : ليونيد فيودوروفيتش هو الذي أمر ؛ وقد تحدّث معهم قبل قليل عن بيع الأراضي .

السيدة : أي بَيْع ؟ لا حاجة بنا ، على الإطلاق ، إلى البيع ، ثم كيف يُسْمَحُ لناسٍ من الشارع بدخول البيت ؟ كيف سمحتُمْ لناسٍ من الشارع بدخول البيت ؟ لا يجوز أن يُسْمَح بدخول البيت لأناس لا يعلم إلاّ الله أين باتوا لياتَهم ! . . . (محتدّة شيئاً فشيئاً) . كل ثنيّة من ثنايا ثيابهم ملأى بجراثيم الحمّى القرمزية ، والجدري والدفتيريا. وقد جاؤوا من كورساك ، من مقاطعة كورساك ، حيث وباء الدفتيريا . يا دكتور ! يا دكتور ! أَرْجعوا الدكتور .

(يخرج ليونيد فيودورروفيتش ويذهب غريغوري للبحث عن الطبيب) .

المشهد — ٤٣ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا ليونيد فيودوروفيتش وغريغوري » .

باسيل ليونيديتش ، مُرسلاً دخان سيجارته على الفلاحين : لا تُبالي ، يا ماما ! أتريدين أن أُدخّنهم بحيث أقتل جميع الجراثيم ! ايه ماذا ؟ (تصمت السيدة بقسوة ، وهي تنتظر عودة الطبيب ، باسيل ليونيديتش يخاطب الفلاحين) .

هل تربّون الخنازير ؟ تربيتُها مفيدة !

الفلاح الأول : بالطبع ، وأحياناً نتاجر بالخنازير .

باسيل ليونيديتش : وهي تَعْمل هكذا : غْرُوْنْ ! غْرُوْنْ !

السيدة : فوفو ! فوفو ! كفى .

باسيل ليونيديتش : هل هذا يشبه صوتَها ؟ ماذا تقول ؟

الفلاح الأول : طبعاً يُشبهه .

السيدة : فوفو ! قلتُ لكَ : كفى .

الفلاح الثاني : لمَ يَفْعل كذلك ؟

الفلاح الثالث : قلتُ لك : ليتنا نذهب إلى المنزل ريثما يُبَتّ الموضوع .

المشهد – ٤٤ –

« الأشخاص أنفسهم ، الطبيب ، وغريغوري » .

الطبيب : ما الأمر ؟ ما الأمر ؟

السيدة : انظرْ ! أنت تقولُ لي : لا تَنْفعلي ، وكيف تريد أن أظلّ هادئة ؟ منذ شهرين وأنا ممتنعةٌ عن رؤية أختي ، وأنا أحْذر كل زائر مشبوه ، وها إذ أناساً من « كورساك » ، يجيئون رأساً من « كورسك » التي انتشر فيها وباء الدفتيريا ، إلى منزلي .

الطبيب : تقصدين هؤلاء الرجال ، يا سيدتي ؟

السيدة : نعم ، نعم ، جاؤوا رأساً من البلد الموبوء .

الطبيب : لا شك أن هذه غلطة . لكن لا ينبغي مع ذلك أن تقلقي كثيراً .

السيدة : لكنكَ أنت نفسكَ تَنصحُ بالحذر !

الطبيب : نعم ، نعم ، لكنْ لا داعي للقلق .

السيدة : وكيف ذلك ؟ يجب تطهيرُ كل شيء .

الطبيب : كلاّ ! فهذا يكلّف غاليا . ثلاثمائة روبل ، إن لم يكن أكثر . سأُمكّنُكِ من ذلك بتكلفة زهيدة . . . خذي زجاجة كبيرة من الماء . . .

السيدة : المغليّ ؟

الطبيب : لا فرق . الماء المغلي أفضل . خُذي زجاجة ماء وضعي فيها ملعقةً من حامض الساليكليك وأْمري بغَسْل كل ما مسّوه . واطردي جميع هؤلاء الفلاحين . وعند ذاك طيبي نفساً . ثم بخّري الهواء بهذا المزيج ، بمقدار كأسين أو ثلاث ، وسترين مدى نفعه . لن يبقى هناك أي خطر .

السيدة : أين تانيا ؟ استدعوا لي تانيا .

المشهد — ٤٥ —

« الأشخاص أنفسهم وتانيا » .

تانيا ، تدنو : فيمَ ترغبُ سيدتي ؟

السيدة : تعرفين الزجاجة الكبيرة في غرفة الزينة ؟

تانيا : التي رششْنا بها أمس الغسّالة ؟

السيدة : نعم ، نعم ، بالطبع ! خذيها واغسلي المكان الذي وقفوا فيه بالصابون أولاً ، ثم بما في الزجاجة . . .

تانيا : حاضرةٌ ، يا سيدتي . سأستخدمها .

السيدة : ثم خذي المرشّ . . . على كل حال ، سأفعل ذلك بنفسي حين أعود .

الطبيب : طيّب ! افعلي ما قلتُهُ لك ولا تَخْشَيْ شيئاً . إلى اللقاء إذن ، في هذا المساء .

(يخرج)

المشهد — ٤٦ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا الطبيب »

السيدة : أمّا هؤلاء الأشخاص فلْيخرجوا ! لِيَخْرجوا ! لا أحب أن أرى حتى ظلّهم . امضوا ! اخرجوا ! اخرجوا ! ماذا تنتظرون ؟

الفلاح الأول : بالطبع ، هذه نتيجةُ غبائنا ! فكما قيل لنا . . .

غريغوري ، يدفعهم إلى الباب : طيّب ، طيّب ! امضوا ، امضوا !

الفلاح الثاني : أعِدْ إليّ منديلي .

الفلاح الثالث : آه ! يا إلهي ! قلتُ لكم إنه كان من الأفضل لنا أن نذهب إلى النزل ريثما يُبَتّ الموضوع .

(غريغوري يُخرجُهم)

المشهد — ٤٧ —

« السيدة ، غريغوري ، تيودور ايفانوفتش ، تانيا ، باسيل ليونيدتيش ، الساعي » .

الساعي ، الذي يحاول مراراً أن يتكلّم : أمّا مِنْ جواب ؟

السيدة : آه ! هذا الرجل من محل بورديبه ؟ (غاضبة) . لا ، لا جواب ، لا جراب ! خُذْ ثوبك معك ! لقد قلتُ له انني لم أطلب مثل هذا الثوب ، وان أسمح لابنتي بارتدائه .

الساعي : لا علم لي بذلك ، وهم أرسلوني .

السيدة : امضِ ، امضِ ! واحملْ ثوبك . سأمرّ . . .

باسيل ليونيديتش ، بلهجة رسمية : أيها السيد سفير محلّ بورديبه ، انصرفْ !

الساعي : كان يمكنكم أن تقولوا لي ذلك منذ وقت بعيد ؛ فأنا انتظرُ منذ خمس ساعات .

باسيل ليونيديتش : يا سفير محلّ بورديبه ، اذهبْ !

السيدة : اسكتْ ، أرجوكَ .

(يخرج الساعي)

المشهد — ٤٨ —

السيدة : بيتسي ! . . . أين هي ؟ . . . لا بدّ من انتظارها دائماً !

باسيل ليونيديتش ، يصرخ بملء حنجرته : بيتسي ! بيترّيشتشيف ! تعالا ، بسرعة ، بسرعة ! ايه ماذا ؟

المشهد — ٤٩ —

« الأشخاص أنفسهم ، بيتريشتييف ، بيتسي ، ماريا كونستنتينوفنا » .

السيدة : لا بدَّ من انتظارها دائماً !

بيتسي : على العكس ، أنا التي كانت تنتظركِ !

(بيتريشتيف يُحيّي برأسه ويلثم يد السيدة) .

السيدة : صباح الخير ! (لبيتسي) . جوابكِ حاضرُ دائماً .

بيتسي : إن لم تكوني منشرحة الصدر ، يا ماما ، فأنا أفضّل أن أبقى !

السيدة : أنذهب أم نبقى ؟

بيتسي : لنذهبْ ، إذا شئتِ .

السيدة : هل رأيتِ إرسالية بوردييه ؟

بيتسي : رأيتها ؛ وأنا مسرورةٌ . أنا طلبتُ هذا الثوبَ .

السيدة : لن أدفعَ ثمنه ، ولن أسمح بارتداء ثوب غير لائق .

بيتسي : ولمَ هو غيرُ لائق ؟ قبل قليل كان ممتازا فاذا بي الآن أمام نوبةٍ من الاحتشام المفرط !

السيدة : ليس هذا من الاحتشام المفرط ؛ يجب إعادة الصدر ، وحينئذٍ تستطيعين ارتداءه .

بيتسي : أؤكّد لكِ ، يا ماما ، أن هذا غير ممكن .

السيدة : البسي ، هيّا !

(تجلس السيدات ويضع غريغوري في أرجلهن أحذية واقية طويلة الساق) .

باسيل ليونيديتش : انظري ، يا ماريا كونستا نتينوفنا ، كيف غدتْ غرفةُ الانتظار خالية .

ماريا كونستانتينوفنا ، ضاحكةً سلفاً : لماذا ؟

باسيل ليونيديتش : لأن ساعي بوردييه قد انصرف . ايه ماذا ؟ حلوةٌ هذه النكتة ؟

(يضحك)

السيدة : حسناً ، هيّا ! (تخرج ثم تعود أدراجَها) تانيا !

تانيا : بمَ تأمُرُ سيدتي ؟

السيدة : إياك أن تتركي « فيفي » تُصاب بالزكام ، في غيابي ؛ إذا نبحتْ لتخرج ، فتستطيعين تركها ؛ لكن يجب أن تلبسيها رداءَها الاصفر الصغير . فصحتُها ليست حسنة .

تانيا : نعم ، يا سيدتي .

(السيدة وبيتسي وماريا كونستا نتينوفنا ، يخرجن) .

المشهد — ٥٠ —

« بيتريشتييف ، باسيل ليونيديتش ، تانيا ، تيودور ايفا نوفتش »

بيتريشتييف : هل أفْلحتَ ؟

باسيل ليونيديتش : نعم ، لكنْ بعد لأْيٍ . طلبتُ من أبي أولاً ، فزعق وطرَدَني ؛ حينذاك قَصَدْتُ أمي ، فأَفْلحتُ . المبلغُ هنا . (يضرب جيبه) . لم يكن الأمرُ سهلاً . ايه ماذا ؟ اليوم ستأتيني كلابي الحارسة .

(ببتريشتييف وباسيل ليونيديتش يرتديان ثيابهما ويخرجان . تخرج تانيا وراءهما) .

المشهد — ٥١ —

تيودور ايفانوفتش ، وحده : نعم ، إنّ لهم دائماً متاعبهم . يُدهشني أنهم لا يستطيعون أن يعيشوا في وفاق تام . والحقّ أن الجيل الجديد غير هذا . ومملكة النساء ! قبل قليل أراد ليونيد فيددور وفيتش أن يتدخل ، لكنه عندما رأى زوجته ثائرةً ، عاد فأَغْلق الباب . إنه رجلٌ نادر الطيبة ؛ نعم ، نادر الطيبة ! . . . مَنْ هذه ؟ . . . هذه تانيا تعود بهم ؟

المشهد — ٥٢ —

« تيودور ايفانوفتش ، تانيا ، الفلاحون الثلاثة » .

تانيا : تعالوْا ، تعالوا ، يا أصحابي ، ولا تبالوا !

تيودور ايفانوفتش : لماذا تعودين بهم ؟

تانيا : لكنْ ما العمل ، يا تيودور ايفا نوفتش ؟ لا بدّ من التدخّل لأجلهم ! وسوف أغسلُ مرة أخرى .

الفلاح الأول : كيف العملُ إذنْ ، أيها السيد المحترم ، لتَمْشية قضيتنا ؟ هلاّ كلّفتَ نفسك ، أيها المحترم ، مساعدتنا في ذلك . الناحية كلها ستقدّر مساعيك وستقدّم لك هديتَها .

الفلاح الثالث : ابذلْ شيئاً من الجهد ، أيها السيد الكريم ! لا سبيل

لنا إلى العيش : فأرضُنا صغيرة . وهي لا تتسع لدجاجة فكيف للماشية !

(ينحني)

تيودور ايفانوفتش : رقَّ قلبي لكم ، أيها الأصدقاء ! لكني لا أعلم حقاً . . . إني أفهم جيداً . . . لكنه رفَضَ . ما العمل إذن ؟ ثم إن السيدة غير موافقة . النجاح مشكوك فيه . ومع ذلك أعطوني العقد . سأحاول ؛ سأرجوه .

(يخرج)

المشهد — ٥٣ —

« تانيا ، الفلاحون الثلاثة ، يتنفّسون الصعداء »

تانيا : قولوا لي ، ما القضيّة ؟

الفلاح الأول : القضيّة أننا نريد حَمْلَه على التوقيع بيده !

تانيا : أن يوقّع السيّد ، على العقد أليس كذلك ؟

الفلاح الثاني : نعم ، هذا كلُّ شيء . أنْ يضع توقيعه ويتسلّم المال : وتنتهي القضية .

الفلاح الثالث : يكفي أن يكتبَ . . . كما يريد الفلاحون ، ولنقلْ ، كما أردنا أيضاً ! القضيّةُ كلها هنا ؛ إن وقّع أصبحت القضيةُ في الكيس .

تانيا : لا شيءَ سوى التوقيع ؟ ليس على السيّد إلا أن يضع اسمَه على الأوراق ؟

(تَبْقى متفكّرة) .

الفلاح الأول : طبعاً ، هذا كل ما عليه أن يفعله . أن يوَقّع وهذا كل شيء .

تانيا : انتظروا ردَّ تيودور ايفا نوفيتش . فاذا لم يَنْجح حاولتُ شيئاً آخر .

الفلاح الثاني : ستُدبِّرين الأمرَ ؟

تانيا : سأحاول .

الفلاح الثالث : آه ! يا بنتي ، تنوين أن تقومي بمساعيك من أجلنا ؟ انجحي على الأقل ؛ فاذا نجحتِ تعهدتْ الناحية باعالتك مدى الحياة .

الفلاح الأول : مَنْ يدبّر هذه القضية فلا شك أننا سنعبده من رأسه إلى أخمص قدميه !

الفلاح الثاني : بكل تأكيد .

تانيا : لا أعدكم بشيء . لكنّ المحاولة جائزة دائماً .

الفلاح الأول : لن يجازفَ بشيء مَنْ يُحاول . ذلك مؤكد .

المشهد — ٥٤ —

« الأشخاص أنفسهم وتيودور إيفا نوفتش » .

تيودور ايفانوفيتش : لا ، يا أصدقاء ، قضيتكم لم تَمْشِ حالُها . فهو لم يوافقْ ولن يوافق . . . خذوا عقدكم وانصرفوا ! ..

الفلاح الأول ، متناولاً العقد ومخاطباً تانيا : إذن ، نحن نضع آمالنا فيكِ . أترين ؟

تانيا : على الفور ، على الفور ! اخرجوا إلى الشارع ، وانتظروا . فسأخرج بعد قليل وسأُخْبركم بشيء .

(يخرج الفلاحون)

المشهد — ٥٥ —

« تيودور ايفا نوفيتش ، تانيا » .

تانيا : تيودور ايفا نوفتش ، يا عزيزي ، قل للسيد أن يأتي إلى هنا . فعندي كلمة صغيرة سأقولها له .

تيودور ايفانوفتش : ما معنى هذه التصرّفات ؟

تانيا : هذا ضروري ، يا تيودور ايفا نوفيتش ؛ قُلْ له ذلك ، أرجوك . لا ضرر فيما سأقوله له .

تيودور ايفانوفيتش ، مبتسماً : ما الخدْعةُ التي تدبّرينها . لستُ أفهم . حسناً ! سأُخبرُه بذلك ، سأخبرُه به .

(يخرج)

المشهد — ٥٦ —

تانيا ، وحدها : لا شك أني سأفعل ذلك ! فقد صرّح هو نفسه أن في سيمون تلك القوة . وأنا أدْرَى بكل ما يجب فعلُه . ففي آخر مرة لم يشكّ أحد بشيء . وسأدرّب سيمون الآن . وإذا لم تَنْجحْ فلا ضرر من ذلك . . . أهي خطيئةٌ ؟

المشهد – ٥٧ –

« تانيا ، ليونيد فيودوروفيتش ، يتبعه تيودور ايفا نوفتش »

ليونيد فيودوروفيتش : ها هي ذي ، التي تطلب مقابلتي ! حسناً ! ماذا يلزمُكِ ؟

تانيا : عندي سرٌ صغير ، يا ليونيد فيودوروفيتش ؛ اسمحْ لي أن أُبلغَه إياك على انفراد .

ليونيد فيودوروفيتش : ما ذلك السر ؟ تيودور ، اتركْنا لحظةً .

(يخرج تيودور ايفا نوفتش)

المشهد – ٥٨ –

« ليونيد فيودوروفيتش ، تانيا »

تانيا : بما أني كَبرْتُ في بيتك ، يا ليونيد فيودوروفيتش ، وبما أنني معترفة بفضلك في كل شيء ، فقد أردت أن أبوح لك بسري كما أبوح به لأَبي . إن سيمون في خدمتك ، وسوف أتزوّجه .

ليونيد فيودوروفيتش : عجباً !

تانيا : إنني أتكلّم أمامك كما أتكلم أمام الله . . . فأنا يتيمة ولا أجد مَنْ يُعطيني النصيحة .

ليونيد فيودوروفيتش : ولمَ لا ؟ فهو ،فيما أعتقدُ ، فتى طيّب .

تانيا : هذا صحيح . ولا مَأْخذَ عليه من هذه الناحية . لكنّ

هناك شيئاً جعلني أترددُ ، وأودّ أن أسألك . . . هناك
شيءٌ لم أفهمهُ ... بشرط ألا يكون ذلك الشيءُ سيّئاً !

ليونيد فيودوروفيتش : وما ذاك ؟ أهو يشرب ؟

تانيا : لا ، معاذ الله ! ولكن بما أنني أعلم أن استحضار الأرواح
موجود . . .

ليونيد فيودوروفيتش : آه ! أتعلمين ذلك ؟

تانيا : وكيف لا ؟ إنني أفهم جيداً . صحيحٌ أن هناك أناساً لا
يفهمون ذلك ، بسبب جهلهم . . .

ليونيد فيودوروفيتش : طيب ! وبعد ذلك ؟

تانيا : أنا في ريبةٍ من أمر سيمون . فقد يقعُ له . . .

ليونيد فيودوروفيتش : ماذا يقعُ له ؟

تانيا : شيءٌ يشبه استحضار الأرواح . اسألْ الآخرين على الأصح .
. . . فما يكاد ينامُ أمام الطاولة حتى تَشْرع الطاولة
في الاهتزاز ، وفي الطقطقة ، هكذا : طَقْ ، طَقْ !
جميعُ الذين في غرفة الخدم سمعوه .

ليونيد فيودوروفيتش : هذا بالضبط ما كنتُ أقوله هذا الصباح لسيرج
ايفانوفتش . ثم ماذا ؟

تانيا : ثمّ إنه . . . متى جرَى ذلك ؟ . . . نعم ، الاربعاء ،
بَدأ الغداءُ ، وما أن جلس إلى الطاولة ، حتى وثبَتْ
الملعقةُ وحدها إلى يده ، هُبْ !

ليونيد فيودوروفيتس : آه ! هذا مثيرٌ للاهتمام . . . وَثَبَتْ إلى يده ؟
حسناً ! وهل نامَ ؟

تانيا : أمّا هذا فلم ألاحظه . لكني أظن أنه أغفى .

ليونيد فيودوروفيتش : وبعد ذلك ؟

تانيا : من أجل ذلك أنا خائفة ، وهذا ما أردتُ أن أسألكَ عنه . أليسَ من ضررٍ في ذلك . لأننا إذا تزوجنا فسأقضي حياتي كلها معه !

ليونيد فيودوروفيتش ، مبتسماً: لا ، لا تَخْشَيْ شيئاً . لا ضررَ في ذلك . هذا يُثْبتُ أنه وسيط ، أنه وسيط لا أكثر ؛ كنتُ أعلمُ ذلك من قبل .

تانيا : آه ! وأنا التي كانت تَخْشى ذلك !

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، لا ، لا تَخْشَيْ شيئاً (بينه وبين نفسه) . إنها لمصادفة حسنة . لن يأتي كابتشيتش وسنجربُه في هذا المساء بالذات . (لتانيا) . لا ، يا عزيزتي ، لا تخشيْ شيئاً .سيكون زوجاً صالحاً . . . أما ما ذكرتهِ فهو قوةٌ خاصةٌ موجودة لدى جميع الناس ، لكنها أشدّ فعالية عند هذا الشخص ، وأقلّ فعاليةً عند ذاك . . .

تانيا : أشكرك بكل خضوع . ولن أفكرّ في ذلك بعد الآن . كنت خائفة جداً من ذلك قبل الآن ! هذا ما يجرُّه علينا جهلُنا . . . .

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، لا ، لا تَخْشَيْ شيئاً (يُنادي) تيودور !

المشهد – ٥٩ –

« ليونيد فيودوروفيتش ، تانيا ، تيودور ايفانوفيتش »

ليونيد فيودوروفيتش : أنا خارجٌ ، يا تيودور ؛ أَعِدُوا كل شيء من أجل جاسة هذا المساء .

تيودور ايفانوفيتش : لكن السيد كابتشيتش لن يتمكّن من المجيء .

ليونيد فيودوروفيتش : لا أهميةَ لذلك . (يرتدي معطفه) سنجاسُ جلسةً تجريبيّةً مع وسيطنا الخاص .

(يخرج ، ويتبعه تيودور ايفا نوفيتش)

المشهد – ٦٠ –

تانيا ، وحدها : صدّقَ ذلك ! صَدّق ذلك ! (تُطاق صرخات الفرح وتَثبُ سروراً) . صدّق ذلك . أقسمُ أنه صدّق . (تُطلق صرخات الفرح) . الآن ، بشرط ألا يخاف سيمون !

المشهد – ٦١ –

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! أقلْتِ سرّك ؟

تانيا : قلتُه ، وسأقوله لك ، لكنْ فيما بعد . عندي أيضاً رجاءٌ آخر لك .

تيودور ايفانوفيتش : وما هذا الرجاء ؟

تانيا ، بوقاحة : كنتَ لي أباً ثانياً ؛ وسأعترف لك كما أعترف لله .

تيودور إيفانوفتش : احكي لي بصراحة .

تانيا : ذلك أن سيمون يريد الزواج بي .

تيودور ايفانوفتش : آه ! لا حظتُ شيئاً من هذا القبيل . . .

تانيا : لكن لماذا أُخفي نفسي . أنا يتيمةٌ ، وأنت أدرى بأخلاق المدينة ، الجميعُ يزعجونني بملاحقتهم . خذْ مثلاً ، غريغوري ميخايلوفتش ، إنه يُضايقني عند كل خطوة ، ثم الآخر أيضاً ؛ يظنون أنه لا روحَ لي ، وأنني خُلقْتُ فقط لإرضاء شهواتهم ! . . .

تيودور ايفانوفيتش : أنت فتاةٌ عاقلة ، أهنّئك على ذلك ! حسناً ! وبعد ذلك ؟

تانيا : لقد كَتَبَ سيمون لأهله ، ولم يكَدْ الأبُ يراني اليوم حتى قال لي : « لقد فَسدَ ! » . يقصد ابنَه . . . تيودور ايفانوفيتش . (تنحني أمامه) . قُمْ مقام أبي ! كَلِّمْ الشيخَ ، والد سيمون . سآخذهم إلى المطبخ . فاذهب أنتَ إلى هناك ، وحَدِّثْ الشيخ .

تيودور ايفانوفيتش ، مبتسماً : سأكونُ الخطّابَ إذنْ ؟ طيّب ! هذا جائز . . .

تيودور ايفانوفيتش، يأخذ الجريدة : طيّب ! طيب ! سأذهب ، وأعدُكِ بأنني سأفعل ذلك .

تانيا : ستكون أباً ثانياً لي .

تيودور ايفانوفيتش : طيّب ! طيّب !

تانيا : أستطيع أن آملَ إذن ؟

(تخرج تانيا)

المشهد — ٦٢ —

نيودور ايفانوفتش ، وحده : بنتٌ طيّبة ، ودودةٌ ! وما أكثرَ مثيلاتها اللواتي يَسْقطنَ ! عندما تفكّر في ذلك ! يكفي أن تزلّ قدمُ الواحدة منهن مرةً واحدة فاذا بهن يغصْن في الوحل ، ثم لا نَعثرُ عليهن بعد ذلك ! . . مثل ناتالي ، البنت المسكينة ! . . . هذه أيضاً كانت بنتاً طيّبة دلّلتْها أمُّها وأحسنتْ تغذيتها ! . . . (يتناول جريدته) . حسناً ! ماذا يفعل صاحبنا فرديناند(١) ؟ كيف يتدبّرُ أموره ؟

ستار

---

(١) فرديناند : امير بلغاريا ١٨٨٧ — ١٩١٨ وكانت الجرائد تتحدث عنه بسبب خلافاته مع وزرائه .

الفصل الثاني

« يُمثّل المسرحُ المطبخَ من الداخل ، يجاس الفلاحون للذين خلعوا ملابسهم قرب الطاولة ، ويشربون الشاي . تيودور ايفا نوفيتش في الطرف الآخر من المطبخ ، يدخّن سيجاراً . على الموقد يجاس الطاهي العجوز ، وهو لا يُرى أثناء المشاهد الأربعة الأولى » .

المشهد — ١ —

« الفلاحون الثلاثة ، تيودور ايفا نوفيتش » .

تيودور ايفانوفيتش : نعم ، هذا هو رأيي ، فلا أُعارضْهُ . إذا كانت هذه رغبتهما ، فعلى بركة الله ! البنتُ عاقلة وشريفة . لا تُلْقِ بالاً إلى غُنْجها ، فتلك عادة المدن ؛ الأمورُ دائماً هكذا . لكنّ البنت ذكيّةٌ . . .

الفلاح الثاني : إذا كانت هذه هي رغبتُها فَلْيكنْ . هو الذي سيعيش معها لا أنا . لكنها شديدةُ الأناقة ! فكيف يمكننا استقبالها في كوخنا الخشبي ؟ لن تسمح لحماتها حتى بمسِّها !

تيودور ايفاوفتش : ما تقولُه لا يتعلّق باللباس بل إنه يتعلّق بالطبع . وبما أن طبعها خيّرٌ فسوف تكون ممتثلةً للأوامر ، طيّعة .

الفلاح الثاني : طيب ! سآخذها إن كان ابني يَحْرِص عليها هذا الحرص ! الحقّ أنه ليس حسناً أن يعيش الرجل مع امرأة لا يُحبّها . سأشاور العجوز . وعلى بركة الله .

تيودور ايفانوفيتش : وافقْتَ ، إذن ؟

الفلاح الثاني : نعم ، واضحٌ أنه لا بدّ من ذلك .

الفلاح الأول : أنت محظوظ ، يا زاخار ! جئتَ إلى المدينة لتعقد صفقةً تجارية ، ماذا بك تعثر على هذه الكنّة الجميلة ! لم يبق إلا أن نَشْربَ نخبهما حتى يكون ذلك بحسب الأصول .

تيودور ايفانوفيتش : لا فائدة من ذلك (صمتٌ يُعبّر عن الضيق) . إني أعرف حياتكم ، حياةَ الفلاحين وأتفهمّها جيداً . وأحبّ أن أقول لكم : إنني أنا نفسي أفكرّ في شراء قطعة من الأرض ، وسأَبني فيها بيتاً ، وسأغدو فلاّحاً : عندكم ، مثلاً .

الفلاح الثاني : هذه تجارة رابحة .

الفلاح الأول : من دون شك ، فعندما يملك المرءُ المال ، يمكنه أن يجد في القرية جميع المسرّات .

الفلاح الثالث : ماذا أقول ! إن عمل الحقول ، في جميع الأحوال ، أكثرُ حرّيةً . لا كالعمل في المدينة .

تيودور ايفانوفتش : حسناً ! أتقبلونني في ناحيتكم ، إن أقمتُ بينكم ؟

الفلاح الثاني : ولمَ لا نَقبلُ ؟ قدّم الخمر للكبار وستُقبل فوراً ...

الفلاح الأول : افتحْ خمّارةً مثلاً ، أو نُزلاً ، وستغدو حياتكَ متعةً ! كأحد الملوك ، لا أقلّ .

تيودور ايفانوفيتش : سنرى ذلك . أودّ فقط أن أحيا آخر أيامي حياةً هادئة . لستُ متضايقاً في هذا البيت ، بل أنا آسف على فراقه ؛ ذلك أن ليونيد فيودور وفيتش رجل ذو طيبة نادرة !

الفلاح الأول : بكل تأكيد ! ولكنْ قضيتنا ، هل ستبْقى حتماً حيث هي ؟

تيودور ايفانوفيتش : هو يريدُ من قلبه .

الفلاح الثاني : واضحٌ أنه يخافُ امرأته .

تيودور ايفانوفيتش : لا ، إنه لا يخافها . والحقيقة أنهما غيرُ متفقين تماماً .

الفلاح الثالث : عليك أن تهتمّ بنا ، أيها الصديق ! وإلاّ فكيف نستطيع أن نعيش ؟ إن أرضنا صغيرةٌ . . .

تيودور ايفانوفيتش : لِنَرَ أولاً ما الذي سيَنْتج عن مساعي ثانيا . لقد أخَذتْ الأمرَ على عاتقها إذن !

الفلاح الثالث ، يشرب الشاي : ارحمْنا ، أيها الصديق ! فأرضُنا صغيرة ، لا نستطيع أن نجد فيها مكاناً لماشيتنا ، بل ولدجاجنا !

تيودور ايفانوفيتش : آه ! لو كانت القضيّة في يدي ! (الفلاح الثاني) . اتّفقْنا إذن ، يا صاحبي ، وتصاهَرْنا ؟ انتهتْ قضية تانيا !

الفلاح الثاني : إذا وعدتُ وعداً لم أتراجعْ عنه حتّى لو لم أحتفلْ به ، على أن تَنْجحَ قضيتُنا . . .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ؛ تدخلُ الطاهية . تمدّ رأسها فوق الموقد ، وتُشير بيديها وتوميءُ برأسها ؛ ولا تلبثُ أن تكلّم تيودور ايفانوفيتش بحدّة » .

الطاهية : منذ لحظة ، دُعيَ سيمون إلى غرفة الاستقبال من مطبخ السادة ؛ وأجلَسَه السيدُ والآخر الذي يَسْتحضِرُ الأرواح معه، الأصلع ، وأمَرَاهُ أن يَعْمل مكان كابتيشيتش .

تيودور ايفانوفيتش : ماذا تَرْوين ؟

الطاهية : لكن هذا صحيح ، يعقوب أخبَر تانيا بذلك قبل قليل .

تيودور ايفانوفيتش : غريب !

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، الحوذيّ »

تيودور ايفانوفيتش : هذا أنتَ ، ما وراءَك ؟

الحوذي : يُمكنك أن تقول له : إنني لم أدْخل الخدمة ، هنا لأعيش مع الكلاب ! ليعشْ غيري مع الكلاب ! أما أنا فلا أقبل أن أعيش مع الكلاب ! . . .

تيودور ايفانوفيتش : مع أي كلاب ؟

الحوذي : لقد جيء بثلاثة كلاب إلى غرفتنا من عند باسيل ليونيديتش، وملأتها بالأوساخ . وهي تَنْبح ، ولا سبيل إلى الاقتراب منها ! إنها تعضّ ، وهي شريرة كالشياطين ؛ ولولا قليل لافترستْنا ! وقد خطر لي أن أحطّم أرجلها بالمراوة .

تيودور ايفانوفيتش : ومتى وقعَ ذلك ؟

الحوذي : اليوم ، جيء بها من المعرض . ويبدو أنها غالية الثمن ؛ كلاب سلوقية ، على حدّ علمي . لاردّها الله ! هل ينبغي أن تسكن الكلابُ في مسكن الحوذيين ، أم الحوذيون أنفسُهم ؟ وهكذا . . .

تيودور ايفانوفيتش : نعم ، هذا غير مقبول . . . سأكلّمه في ذلك .

الحوذي : لعلّ من الأفضل أن تُوضَع هذه الكلاب هنا عند لوكيريا .

الطاهية ، ثائرةً : كيف هنا ؟ الجميع يأتون إلى هنا ليأكلوا ، وتريد أن تضعَ فيها الكلاب . . . فحتّى دونها . . .

الحوذي : وأنا عندي قفطانات ، ووزرات ، وعدد الخيل . . . ويُطلَب مني المزيدُ من النظافة ! . . . أوْ لتوضَعْ عند البوّاب . . .

تيودور ايفانوفتش : يجب أن تقول ذلك لباسيل ليونيديتش .

الحوذي مُغضباً : لِيُعلّقْها في رقبته ، هذه الكلاب ، وليتنزّهْ معها ! فهو يحبّ امتطاء الجياد مثلاً ، ولقد أنهك « كراسافتشيك » ذلك الجواد الجميل ! . . . آه ! يا لها من عيشة !

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا الجوذيّ »

تيودور إيفانوفيتش : نعم ، هذا لا يجوز ، هذا لا يجوز ! (مخاطباً الفلاحين) القضية منتهية ، أليس كذلك . حسناً ، الوداع ، يا أصحاب .

الفلاحون : لِيحفظْك الله !

(يخرج تيودور ايفا نوفيتش) .

المشهد — ٥ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا تيودور ايفا نوفيتش . بدأ الطاهي العجوز على الموقد ، يتذمّر) .

الفلاح الثاني : أهو سكران ! كأنه جنرال .

الطاهية : نعم ! إن له غرفة مستقلّة ثم إن ملابسه تُغْسَلُ له ؛ وكذلك شايه وسكره ، كل ذلك على نفقه السادة ! أما طعامُه فهو يأتيه من مائدتهم .

الطاهي العجوز : وكيف لا تكون عيشة هذا الشيطان حسنةً ؟ وهو يَسْرق كثيراً ! . . .

الفلاح الثاني : ما هذا الذي على الموقد ، هناك ؟

الطاهية : لا شيء : هذا رجل .

(صمت)

الفلاح الأول : رأيتُ قبل قليل ماعلى المائدة عندكم من أصناف ! لا شك أنهم أثرياء هنا !

الطاهية : لا مجال للشكوى من هذه الناحية . فالسيدة ليست بخيلة . ونحن نحصل على الخبز الأبيض أيام الآحاد ، والسمك أيام الصوم ، ومن شاء ألا يصوم أكل اللحم .

الفلاح الثاني : كيف ؟ وهل بينكم مَنْ لا يصوم ؟

الطاهية : ايه ! جميعهم تقريباً لا يصومون . لا يصوم سوى الحوذي ، لا الذي جاء قبل قليل بل العجوز ، ثم سيمون وأنا ، وأيضاً الخادمة ، أما الآخرون فيأكلون اللحم .

الفلاح الثاني : حسناً ! والمعلّم ؟

الطاهية : هو ؟ لقد نسي حتى معنى الصوم !

الفلاح الثالث : أوه ! يا إلهي !

الفلاح الأول : هذا شأنُهم ، السادة . وجدوا ذلك في الكتب . وهو يأتي من التعليم . . .

الفلاح الثالث : أنا متأكد أنهم يأكلون في الأيام كلها خبزاً أسمر . . .

الطاهية : اوه ! الخبز الأسمر ! لعلهم لم يروه . خبزك الأسمر ! ليتك ترى فقط طعامهم !

الفلاح الأول : من المعروف أن طعام السادة خفيفٌ كالهواء !

الطاهية : خفيف ، خفيف ، لكنهم قادرون أيضاً على حشو بطونهم !

الفلاح الأول : شهيتُهم مفتوحةٌ ، إذن ؟

الطاهية : ذلك لأنهم يشربون على الطعام . وما أكثر ما عندهم من هذه الخمور المعتّقة ، وماء الحياة ، والشراب المحلّى ! ولكل صنف خمرُه الخاصة به . إنهم يأكلون ويشربون فوق الأكل ، ثم يأكلون ويشربون بعد ذلك . . .

الفلاح الأول : الشرابُ يُمرّرُ الطعامَ .

الطاهية : قدرتُهم على الأكل لا تُصدَّق .

فليس من عاداتهم أن يَجْلسوا ،وأن يأكاوا ما هو ضروري، وأن يرسموا علامةَ الصليب وأن ينهضوا . إنهم يأكاون أبداً . . .

الفلاح الثاني : هم كالخنازير إذن التي تضع أرجلها في معلفها ؟

(الفلاحون يضحكون) .

الطاهية : لا يكادون يفتحون أعينهم – ليُسامِحْني الله ! – حتى يطلبوا السماور ، الشايوالقهوة والشوكولاته . ثم يأتي الغداء ، ثم العشاء ؛ ثم القهوة أيضاً . ثم يستلقون على ظهورهم ليهضموا ما أكلوه . ثم لمجة المساء ، والسكاكر والبسكويت . لا نهاية لذلك كله . حتى في الفراش يأكلون .

الفلاح الثالث : يا عيني ! يا عيني !

الفلاح الأول والفلاح الثاني : ما بكَ ؟

الفلاح الثالث : ليتني أستطيع أن أقْضي يوماً واحداً فقط على هذا المِنْوال .

الفلاح الثاني : لكنْ متى ينصرفون لأعمالهم ؟

الطاهية : أيّ أعمال ؟ ورق اللعب والبيانو ، هذه كلُّ أعمالهم !
الآنسة هذه ، ما إن تفتح عينيها حتّى تجلس إلى البيانو ،
وتخذْ ما شئت من العزف ! أما الآنسة الأخرى ، تلك
الّتي تعيش عندهم ، استاذة البيانو ، فهي تنتظر أن تفرغ
تلك من البيانو . فما تكاد الآنسة تفرغ حتّى تبدأ هذه
عزفَها عليه . وقد يأتون بآلتين ؛ فيجلس اثنان إلى كل
بيانو ، ويعزف الأربعة معاً بسرعة وبقوة حتّى ليُسْمَعُ
العزفُ هنا .

الفلاح الثالث : آه ! يا إلهي !

الطاهية : فهذه أعمالُهم كلّها ! البيانو أو الورق . ما يكادون
يجتمعون حتّى يبدأ لعبُ الورق ، والخمر ، والتدخين ،
وهكذا إلى آخر الليل ! فلا ينهضون إلا ليأكلوا ، وليبدؤوا
من جديد .

المشهد — ٦ —

« الأشخاص أنفسهم وميمون »

ميمون : هنيئاً !

الفلاح الأول : اجلسْ معنا .

ميمون : شكرا جزيلاً !

(يتقدم إلى الطاولة ، يصبُّ له الفلاح الأول شاياً) .

الفلاح الثاني : أين كنتَ ؟

سيمون : كنتُ فوق .

الفلاح الثاني : ولماذا ؟

سيمون : لستُ أفهم شيئاً ممّا جرى ؛ ولا أدري كيف أقوله لكم . . .

الفلاح الثاني : وما الذي يفعلونه فوق ؟

سيمون : لا يمكنني حتى أن أقوله لكم . لقد حاولوا معي ما يسمّونه قوة . أما أنا فلم أفهمْ شيئاً من ذلك . قالت لي تانيا : إن ذلك يساعد على بيع الأرض للفلاحين .

الفلاح الثاني : لكنْ ما الطريقة التي ستسلكها إلى ذلك ؟

سيمون : هذا ما لم أفهمْه ؛ إنها لا تقول شيئاً . قالت فقط : « افعلْ ما آمرك به ! » .

الفلاح الثاني : وما الذي طُلِبَ منك فعلُه ؟

سيمون : لا شيء ، حتى الآن . أجْلسوني ، وأطفؤوا الأنوار ، وأمروني أن أنام . واختبأتْ تانيا أيضاً فوق ؛ هم لم يَرَوْها ، لكنني أنا رأيتُها . . .

الفلاح الثاني : ولمَ اختبأتْ .

سيمون : الله أعلم ! لا يُمكن فهمُ السبب . . .

الفلاح الأول : من المؤكد أن ذلك للتسلية وقطع الوقت .

الفلاح الثاني : هذه قضايا أرى أننا لا نفهمها لا أنتَ ولا أنا . قلْ لي : هل تسامتَ مبلغاً كبيراً من أجرتاكَ ؟

سيمون : لم أتسلّمْ شيئاً . كلُّ شيء في ذمّتهم ؛ بقي لي ثمانية وعشرون روبلاً .

الفلاح الثاني : جيّد ! لكن إن شاءُ الله ودبّرنا الأرضَ فسآخذك إلى المنزل .

سيمون : أتمنّى ذلك . . .

الفلاح الثاني : لا بدّ أنك فسدْتَ هنا ، فيما أظنْ . فان نستطيع حراثة الأرض . . .

سيمون : الحراثة ! أتريد أن أجرّب في الحال ؟ الحراثة والحصاد ، سترى أنني لم أفقد مهارتي فيهما .

الفلاح الأول : لكن ذلك لن يبدو مسلّياً لك ، بعد حياة المدينة .

سيمون : لا قيمة لذلك ، فالحياةُ حسنة في الريف أيضاً .

الفلاح الأول : وهذا هو العم دميتري الذي يود لو جرّب هنا هذه الحياة الناعمة .

سيمون : اوه ! يا عم دميتري ؛ سينتهي بك الأمر إلى الانزعاج . العمل يبدو سهلاً في البداية ؛ لكن لا بد من الركض الكثير الذي يَفْتِل رأسك .

الطاهية : ما يجبُ أن تراه ، يا عم دميتري ، هو الحفلة الراقصة عندهم ! هذا ما سيُدهشك !

الفلاح الثالث : وهل يأكلون فيها كلَّ الوقت ؟

الطاهية : ليسَ الأمرُ كذلك ، لكن يجب أن ترى ماهي ، لقد أتاحَ لي تيودور ايفا نوفيتش رؤيتها . ونظرتُ . النساء فيها يلبسن ثياباً عجيبة . . . لم ترَ مثلها قط ! عاريات حتى هنا . والذراعان عاريتان أيضاً .

الفلاح الثالث : يا إلهي !

الفلاح الثاني : يا للفظاعة !

الفلاح الأول : ذلك لأن الطقس يسمح لهم بذلك .

الطاهية : عندما رأيت ذلك ، قلتُ في نفسي : « ما هذا ؟ » . عاريات تماماً ! أتصدّق ؟ العجائز اللواتي لعل لهن أحفاداً عارياتٌ أيضاً !

الفلاح الثالث : اوه ! يا إلهي !

الطاهية : وليس هذا شيئاً يذكرَ .فما أن تبدأ الموسيقا حتى يتقدّم الرجال ، كل واحدٍ نحو سيدة فيطوّقها ويشرع في الدوران .

الفلاح الثاني : والعجائز أيضاً ؟

الطاهية : والعجائز أيضاً .

سيمون : لا ، العجائز يَبْقَيْن جالساتٍ .

الطاهية : كلاّ .

الطباخ العجوز، يهزّ رأسه ويقول بصوتٍ أجش :تلك رقصة البولكا مازوركا ؛ الغبيّة لا تعرفها ! يرقصون هكذا . . .

الطاهية : أنتَ ، أيها الراقص ، الأفضل لكَ أن تسكت ! فهمتَ! هناك شخصٌ آتٍ .

(الطاهي العجوز يختبىء على عجل)

المشهد — ٧ —

« الأشخاص أنفسهم وغريغوري » .

غريغوري للطاهية: هاتي شيئاً من الكرنب المخلّل .

الطاهية : صعدتُ من القبو لتوّي ،ولا بدّ من النزول إليه أيضاً ! لِمَنْ الكرنب ؟

غريغوري : الآنستان تريدان أن تأكلا منه أسرعي. وأرْسليه مع سيمون ، فلا وقتَ لديّ أنا .

الطاهية : يتخمّنَ بالحلوى حتى يَعَفْنَها ،حينذاك يشتهين المخلّل

الفلاح الأول : هذا لإسهال البطن .

الطاهية : نعم ، لكي يَخْلو البطنُ ، ثم يبدؤون من جديد .

المشهد — ٨ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا الطاهية » .

غريغوري ، للفلاحين : أراكم جالسين إلى الطاولة ! خذوا حذَرَكم لو علمتْ السيدةُ ذلك لوبّختكم ، كما فعلتْ هذا الصباح !

(يضحك ويخرج) .

المشهد — ٩ —

« الفلاحون الثلاثة ، سيمون ، الطاهي العجوز ، على الموقد » .

الفلاح الأول : لا شك أنها هاجت وماجت هذا الصباح كالعاصفة ؛ كان ذلك رهيباً !

الفلاح الثاني : أظنّ أن السيّد كان يريد الدفاعَ عنا ؛ لكنه عندما رأى العاصفة تَقْتلع سقفَ المنزل صَفَقَ الباب ، وكأنه قصَد أن يقول : لا باركَ الله بها !

الفلاح الثالث ، ماوّحاً بيده : الشيء نفسه دائماً . فعجوزي تحتدُّ أحياناً إلى حدّ رهيب ! فأخرج من البيت . الأفضل أن أدعها وشأنَها ! وإلاّ لقتلتني بحديدة النار . أوه ! يا إلهي !

المشهد — ١٠ —

« الأشخاص أنفسهم ويعقوب »

يعقوب : يركض ومعه وَصْفَةُ الطبيب : سيمون ، أركضْ إلى الصيدلية ، أسرعْ ؛ وهات المساحيقَ للسيدة .

سيمون : لكنني أُمِرْتُ بعدم الخروج .

يعقوب : سيكون لديك متّسعٌ من الوقت ؛ لن يهتموّا بك إلا بعد الشاي . هنيئاً !

الفلاح الأول : اجلسْ معنا .

(يخرج سيمون) .

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا سيمون »

يعقوب : ليس لديّ وقت ؛ لكن صُبَّ لي مع ذلك فنجاناً من الشاي حرصاً على صحبتكم .

الفلاح الأول : اسمعْ ، كنا نتحدّث عن سيّدتك : عن أنها تصرّفت بتكبّر .

يعقوب : اوه ! هذه تثور إلى حدٍّ رهيب . إنها تحتدّ حتى تَفقد رشدَها ! وأحياناً تبكي من جرّاء ذلك . . .

الفلاح الأول : وبهذه المناسبة ، أودّ أن أسألك : ما هذا «المكروت(١)» الذي تحدّثتْ عنه ؟ كانت تقول : المكروت ، المكروت الذي تَحمْلونه إلى هنا ! ما المقصود بهذا المكروت ؟

يعقوب : آه هذا « مَكْروب » . يقولون : إنها حشراتٌ صغيرة هي سبب كل الأمراض . وهي ، مثلاً ، عليكم . وكم غسلوا وغسلوا وراءكم . وكم رشّوا ورشّوا المكانَ الذي كنتم فيه ! هناك دواءٌ خاص يَقْتل هذه الحشرات .

الفلاح الثاني : لكنْ أين هذه الحشرات علينا ؟

يعقوب ، يشرب شايه : يقولون إنها صغيرة جداً بحيث لا تُرى حتى بالنظّارة .

---

(١) المكروت : تشويه لكلمة «مكروب» : الجراثيم .

الفلاح الثاني : وكيف علمت أن عليّ مثل هذه الحشرات ؟ ربما كان عليها من هذه الأوساخ أكثر ممّا عليّ ؟

يعقوب : نعم ، لكنْ أسألْها هي !

الفلاح الثاني : أنا أعتقد أن ذلك كله حماقات .

يعقوب : بالتأكيد ، حماقات ! لكنْ لا بدّ للأطباء من أن يخترعوا شيئاً ، وإلاّ فما جدوى إعطائهم المال ؟ هناك طبيبُ يأتي إلى هنا كل يوم ؛ إنه يأتي ، ويتحدث قليلا ، ويقبضُ أجرته على ذلك عشرة روبلات .

الفلاح الثاني : لا يُصدَّق هذا ؟

يعقوب : وهناك آخر أيضاً ، يقبض ورقة بمائة روبل .

الفلاح الأول : اوه ! ورقة بمائة روبل !

يعقوب : ورقة بمائة ! ألا تصدّق ؟ بل إنه يقبض ألف روبل إذا خرج خارجَ المدينة ! يقول لك : أعطني ورقةً بألف روبل ، فاذا لم تُعطِ ، مُتْ ! . . .

الفلاح الثالث : اوه ! يا إلهي !

الفلاح الثاني : وما معرفتُه ؟ أيَعْرفُ كلاماً سحرياً ؟

يعقوب : لا شك أنه يعرف . كنتُ أخدُمُ عند جنرال ، قربَ موسكو . كان رجلاً غضوباً ، شديد الافتخار بنفسه ، ذلك الجنرال . وإذا بابنته تَمْرض ، فيرُسل مَنْ يُحضر الطبيبَ . قال الطبيب : « ادفعوا ألف روبل وسأذهب » .

فقبلوا وسُوِّي الأمرُ ، وجاء الطبيب ، لكن شيئاً ساءه فأخذ يصرخ على الجنرال : أوه ! يا أصدقائي ! أوه ! أهكذا تعامِلني ! هكذا ! حسناً ! لن أعالجها ! » حينئذ أضاع الجنرالُ كبرياءَه ، وتملَّق الطبيب بألف طريقة وطريقة ، قائلاً : « يا صاحبي ، لكَ كلُّ ما تريد ، لكن لا تتركْها ! »

الفلاح الأول : وورقة الألف ، هل دُفِعَتْ له ؟

يعقوب : هل دُفعت . . . وكيف لا ؟

الفلاح الثاني : يا له من مال مفيد ! ما أكثر ما يستطيع الفلاح أن يفعل بهذا المال ! . . .

الفلاح الثالث : أعتقد أن ذلك كله حماقات . فمنذ خمس سنوات تقيّحت قدمي ، وعالجتُها ، وعالجتها ! ولعلي أنفقت عليها خمسة روبلات . فلما توقفتُ عن معالجتها شفيتْ من ذاتها .

(الطاهي العجوز يتّسْعل على الموقد) .

يعقوب : هذا البائس ما يزال هنا !

الفلاح الأول : مَنْ هذا الرجل ؟

يعقوب : كان طاهياً لسيّدنا ؛ وهو يأتي هنا ليرى « لوكيريا » .

الفلاح الأول : كان طاهياً ، فهل يعيش هنا ؟

يعقوب : لا ، لا يُسْمَح له بالعيش هنا ؛ يومٌ هنا ،وليلةٌ هناك .

اذا حصل على ثلاثة كوبيكات ذهب إلى الملجأ ؛ فاذا شرب بها عاد إلى هنا .

الفلاح الثاني : لكن كيف وصل إلى هذه الحالة ؟

يعقوب : هكذا . ثم ارتخت أخلاقه . ومع ذلك فأيّ رجل كان ! . . . كان كأنه السيّد . كان يحمل ساعة ذهبية ، ويقبض أربعين روبلاً في الشهر . أما الآن فلولا « لوكيريا » لمات منذ زمن بعيد من الجوع .

المشهد — ١٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، ثم الطاهية حاملةً المخلّل »

يعقوب ، للوكيريا : أرى أن بول بيتروفيتش ما يزال هنا ؟

الطاهية : وأين تريد أن يذهب ؟ليموت من الجوع ، أليس كذلك ؟

الفلاح الثالث : هذا ما تفعله الخمر ! الخمر ، لِنقلْ . . .

(يضرب سقف حلقه بلسانه بشفقة ويهزّ رأسه) .

الفلاح الثاني : لاشك أن الإنسان إذا قَوِيَ صار أقوى من الحجر ؛ لكنه إذا ضَعفَ صار أضعف من الماء !

الطاهي العجوز ، ينزل عن الموقد ، يداه وساقاه ترتجفان : لوكيريا ، قلتُ لكِ ، أعطيني قدحاً صغيراً !

الطاهية : إلى أين تذهب ؟ سأُعطيك قدحاً صغيراً !

الطاهي العجوز : أتخافين الله ؟ إني أموت ! يا أصدقائي ، أعطوني قطعة خمسة كوبيكات !

الطاهية : قلتُ لك اصعدْ إلى الموقد .

الطاهي العجوز : يا طاهية ، أعطيني نصف قدح صغير ، أرجوك ، بجاه المسيح ! أتفهمين ، أسألكِ ذلك باسم المسيح ! . . .

الطاهية : هيّا ، هيّا . . . خذ ، أشربْ الشايَ !

الطاهي العجوز : ما هذا الشاي ؟ ما هذا الشاي ؟ شرابٌ لا يَصْلح لشيء ، لا قوة فيه . . . أريدُ خمراً . . . جرعة واحدة فقط . . . يا لوكيريا ! . . .

الفلاح الثالث : آه ! البائس ، كم يتألم !

الفلاح الثاني : لكنْ ، أعطيه شيئاً .

الطاهية ، تتناول من الخزانة زجاجةً وتصب له قدحاً صغيراً : خذْ ، ولن أعطيكَ غيره !

الطاهي العجوز ، يمسك القدح بحدّة ويشرب وهو يرتجف : لوكيريا ! . . . سأشرب . . . وأنتِ . . . تفهمين . . .

الطاهية : كفى ، كفى كلاماً ! اصعدْ إلى الموقد ، ولا تُسْمِعْ أحداً أنفاسَكْ بعد الآن .

(يصعد الطاهية العجوز وهو يتمتم بشيء دون انقطاع)

الفلاح الثاني : ما أَعْجبَ حالَ الإنسان إذا ضعفَ !

الفلاح الأول : طبعاً . . . الضعف البشري .

الفلاح الثالث : نعم ، لا جدالَ في ذلك .

(يستلقي الطاهي العجوز وهو يتمتم طول الوقت . صمت) .

الفلاح الثاني : اسمعْ ، أحببتُ أن أسألك عن سلوك تلك الفتاة ، ابنة « أكزينيا » التي تعيش عندكم والتي هي من عندنا .
عَنَيْتُ : هل هي شريفة ؟

يعقوب : فتاة طيبة ، لا جدال في ذلك . . .

الطاهية : سأقول لكَ الحقيقة الخالصة ، أيها العم ، لأنني خبيرة بالأخلاق هنا : إذا كنت تُريد تاتيانا لابنك ، فخذْها بأسرع ما يمكن قبل أن تفسد أخلاقها . وإلا فان تُفلت من الفساد . . .

يعقوب : نعم ، هذا صحيح . ففي الصيف الماضي ، كانت عندنا فتاة ، وكم كانت طيّبةً ! لقد سقطتْ بلا مبّرر ، مثل هذا . . .

(يشير إلى الطاهي العجوز) .

الطاهية : كم يسقط هنا ، من جنسنا ! تستطيع أن نصنع منهن سدّاً . كل واحدة تريد العمل الهيّن ، والغذاء الحاو ، ثم لا تلبث بفضل هذا الطعام الحاو ، أن تَضلّ سبيلها ، فاذا ضلّتْ سبيلها لم يلزمها أكثر من ذلك لتُطرد مباشرة ، ولتحل محلها فتاةٌ أكثر نضارةً ، هكذا زلّتْ قدمُ ناتالي المسكينة وسرعان ما طُردتْ . لقد وَضَعَتْ ، ومرضتْ ، وفي الربيع الماضي ، ماتت في المستشفى . ومع ذلك فكم كانت طيبةً !

الفلاح الثالث : أوه ! يا إلهي ! هؤلاء ناس ضعفاء ، ويجب أن نشفق عليهم .

الطاهي العجوز : آه ! نعم ! يشفقون علياك ؛ هؤلاء الشياطين ! (يُسقط رجليه من الموقد) . شَوَيْتُ نفسي ثلاثين عاماً قربَ الفُرن ، فلما صرتُ عديمَ الفائدة قالوا لي : مُتْ كالكلب ! نعم ، كلُّهم شفقة !

الفلاح الأول : نعم ، بلا شك ، هذا موقف معروف . . .

الفلاح الثاني : بينما كانوا يأكلون ويشربون كانوا ينادونك : أيها الفتى الجميل ؛ وعندما انتهوا من شرابهم وطعامهم قالوا لك : وداعاً أيها الأجرب !

الفلاح الثالث : اوه ! يا إلهي !

الطاهي العجوز : وكم عندهم من صنوف الطعام ! هل سمعتَ بالمقلي على طريقة بومون ، وبالشوكولاته المصنوعة بالزبدة المعطرة . . . آه ! ما أكثر الأصناف التي كنت أُحسنُ صُنعَها ! فكرّوا قليلاً ! . . . الامبراطور كان يأكل من صنعي ، وأنا الآن لا أصلح إلا للجحيم ! لكنني لن أستسلم ، أنا !

الطاهية : آه ! آه ! لقد بدأ يتحدّث ! أتريد أن تسكت ! البُدْ في الزاوية حتى لا يراك أحدٌ ! وإلاّ طَردوني معك ، إنْ دخل تيودور إيفانوفيتش أو غيرُه .

(صمت)

يعقوب : أتعرفون بلدي ، فوسنيسنكوي ؟

الفلاح الثاني : وكيف لا أعرفه ! هو على سبعة عشراً فرسخاً منا ،

لا أكثر ، وإذا ذهبنا عن طريق مَعْبر القناة غدت المسافة أقرب . أعندك أرض ؟

يعقوب : أبي عنده أرضٌ ، وأنا أرسلُ إليه المال . لأنني وإن عشتُ هنا عيشةً حسنة إلا أنني أذوب شوقاً إلى البيت .

الفلاح الأول : لا شك .

الفلاح الثاني : أخوك ، إذن ، هو أنيسيم ؟

يعقوب : آه ! نعم ! هذا أخي — في آخر البلدة

الفلاح الثاني : ايه ! نعم ! وكيف لا أعرف البيت الثالث .

المشهد — ١٣ —

« الأشخاص أنفسهم وتانيا مسارعة »

تانيا : يعقوب ايفاينتش ، فيم تتبالّدُ هنا ؟ إنها تدعوك .

يعقوب : أنا ذاهب على الفور ! ما الأمر ؟

تانيا : فيفكا تنبح ، وهي جائعة، والسيدة غاضبةٌ عليكَ . . . تقول : « ما أَخْبثه ، وما أقل شفقته ! كان يجب أن تتعشّى فيفي ولم يأْتِها بشيء » .

« تانيا تضحك »

يعقوب ، يهم بالخروج : هي غاضبة ! ستسوء الحال .

الطاهية ، **ليعقوب** : خُذْ معك إذن المخالّل .

يعقوب : هاته ، هاته .

المشهد – ١٤ –

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا يعقوب » .

الفلاح الأول : دَوْرُ مَنْ للعشاء الآن ؟

تانيا : دور الكلب ؛ كلبها هي . (تجلس وتتناول غلاية الشاي) . أعندكم شاي ؟ لا يُهمّ . جئت معي بالشاي .

(تضع شاياً في الغلاّية)

الفلاح الثاني : عشاء لكلبٍ ؟

تانيا : بالتأكيد ، تُقْلى له ضاعةٌ قصداً لكي لا يَسْمن كثيراً . بل إني أغسل له غسيله ، الكلب . . .

الفلاح الثالث : أوه ! يا إلهي !

تانيا : مثلُها مثل ذاك السيّد الذي قام بدَفْن كلبه .

الفلاح الثاني : وكيف ذاك ؟

تانيا : هكذا ! حدّثني رجلٌ أن كلباً هَلَكَ عند ذاك السيّد ، فاذا به يخرج في عربته ، شتاءً ليدفنه . فلمّا انتهى الدفنُ عاد وهو يبكي . كان الوقت صقيعاً ، وكان الحوذي يمسح أنفه الذي سال . . . اسمحوا لي أن أسكب لكم (تصبّ الشاي) . كان أنفه يسيل وهو يمسحه . فلما شاهده السيّد سأله : لمَ تبكي . فقال له الحوذي : وكيف لا أبكي ، يا سيدي ! ما كان أروعه بين الكلاب !

(تضحك)

الفلاح الثاني : وأظنّ أنه كان يفكّر بينه وبين نفسه : « حتى لو هلكتَ أنت نفسك لما بكيتكَ ! »

(يضحك)

الطاهي العجوز ، من فوق الموقد : صحيح ! . . . صحيح !

تانيا : طيب ! ويعود السيّدُ إلى بيته . وسرعان ما يذهب إلى السيدة ، ويقول لها : « ما أطيبَ حوذيّنا ! لقد بكى طوال الطريق ، لفَرْط ما أسِفَ على كلبنا . » فتقول ليُؤتَ به . تعال ! اشربْ جرعةً ، وهذا روبل مكافأة لك . معاملتُنا شبيهة بها . لكن يعقوب لا يشفق على كلبها .

الفلاح الأول : حلوةٌ هذه !

الفلاح الثاني : حلوة حقاً .

الفلاح الثالث ، ضاحكاً : آه ! كم أضْحكْتِنا ، يا بنتي !

تانيا ، تصبّ الشاي: اشربوا شاياً أيضاً . الحياةُ في الظاهر فقط جميلةٌ هنا ، لكن من المقزّز أحياناً تنظيف الأوساخ الموجودة ! الحياة في القرية أفضل .

(الفلاحون يقلْبون فناجينهم) .

تانيا ، ساكبةً الشاي : اشربوا أيضاً . على صحتكِ ، يا ايفيم انتونيتش ! أأصبُّ لك مزيداً من الشاي ، يا دميتري فلاسيفيتش ؟

الفلاح الثالث : طيب ! صُبّي ، صُبّي ! . . .

الفلاح الأول : وقضيتُنا ؟ هل هي ماشية في طريقها ؟

تانيا : لابأس ، هي ماشية .

الفلاح الأول : قال لنا سيمون . . .

تانيا ، بحدّة : قال لكم ؟ . . .

الفلاح الثاني : ولم نستطعْ أن نفهم شيئاً . . .

تانيا : لا أستطيع أن أقول لكم شيئاً الآن . لكني سأبذل وسعي .
هذا هو عقدكم (تريهم ورقة العقد تحت مئزرها .)
على شرط أن يَنْجح ذاك الشيء ! آه ! كم سيكون ذلك رائعاً !

الفلاح الثاني : إياكِ أن تضيعي العقد ، فقد كلّفنا كثيراً !

تانيا : اطمئنّوا ، يجب أن يوُقّع فقط ، أليس كذلك ؟

الفلاح الثالث : ماذا نريدُ أكثر من هذا ؟ إذا وُقّع العقد انتهى كلُ شيء . . .(يقْلب فنجانه) آه ! كفى .

تانيا ، محدّثةً نفسها : سيوقّع ، ستَروْن أنه سيوقّع ! خذوا مزيداً من الشاي .

الفلاح الأول : دبّري فقط قضيّة بيع هذه الأراضي ؛ افعلي ذلك وستُزوجكِ الناحيةُ نفسها .

(يرفض الشاي)

تانيا ، تصبّ الشاي وتقدّمه : اشربوا ، من فضلكم .

الفلاح الثالث : توصّلي إلى ذلك وسوف نزوّجكِ . وسآتي لأرقص في عرسك . سأرقص هذه المرة مع أني لم أرقص قط .

تانيا ، ضاحكة : أملي ، إذن ، كبير .

الفلاح الثاني ، فاحصاً تانيا : جيّد ، جيّد ! لكنك لست صالحةً لعمل الحقول .

تانيا : أنا ؟ أتظنّني ضعيفة القوى ؟ لو رأيتَ فقط كيف أشدّ السيدة ! لا يستطيع فلاحٌ أن يشدّها خيراً مني .

الفلاح الثاني : وأين تشدّينها ؟

تانيا : إن لها شيئاً كهذا ، مع نوابض ، هو نوع من القميص الذي يصل إلى هنا . ونحن نشدّها بأربطة كما يُحزَم الجواد ، عندما يَبْصق فارسُه في يديه ليُحسن شدّ الأحزمة .

الفلاح الثاني : أنتِ تسرجينها إذن ؟

تانيا : أنا أسرُجها ، نعم ، ولا أستطيع أن أستند بقدمي عليها .

(تضحك)

الفلاح الثاني : ولمَ تشدّينها ؟

تانيا : لكن لكيْ . . .

الفلاح الثاني : هل كانت قد نذرتْ نذراً ؟

تانيا : لا ، من أجل الجمال .

الفلاح الأول : أنتِ إذن ترقّقين بطنها لتغدو شكلاً جميلاً ؟

تانيا : إنني أحزمها بقوة شديدة حتى لتخرج عيناها من رأسها وهي لاتني تقول : « شدّي ، شدّي ! . . . » وحتى

تحترق يداي من جرّاء ذلك . وتقولون بعد ذلك إنني ضعيفة القوى . (الفلاحون يضحكون ويهزّون رؤوسهم) . لكنني أضيع وقتي !

(تخرج وهي تضحك) .

الفلاح الثالث : إنها لفتاة رائعة ! كمْ أضحكتْنا !

الفلاح الأول : نعم ، إنها حسنة المظهر .

الفلاح الثاني : نعم ، لابأس .

المشهد — ١٥ —

« الفلاحون الثلاثة ، الطاهية ، الفلاح العجوز على الموقد . يدخل ساخاتوف وباسيل ليونيديتش . يمسك ساخاتوف بيده ملعقة شاي » .

باسيل ليونيديتش : لم يكن عشاءً بالضبط ، لكنه كان غداءً عشائياً . وسأقول لك شيئاً : لقد كان هذا الغداء ممتازاً . لحم الخنزير المدهش الذي يحسن « رولبيه » صنعه . أنا عائد من هناك للتوّ . (يشاهد الفلاحين) آه الفلاحون ما يزالون هنا ؟

ساخاتوف : نعم ، نعم ، كل هذا رائع ، لكننا جئنا إلى هنا لنخفي هذه الملعقة . فأين يجب أن نُخفيها ؟

باسيل ليونيديتش : عَفْوَكَ . (للطاهية) . والكلاب ، أين هي ؟

الطاهية : في غرفة الحوذيين . وهل نستطيع أن نضعها في غرفة الخدمة ؟

باسيل ليونيديتش : آه ! في غرفة الحوذيين ! ايه ماذا ؟

ساخاتوف : أنا انتظر .

باسيل ليونيدتيش : عفواً ، عفواً . ماذا ؟ أين نخبّئها ؟

ساخاتوف : اسمعْ ما أقوله لك . . . ضَعْها في جيب أحد هؤلاء الفلاحين . في جيب هذا مثلاً . قل لي ، أنتَ ، أين جيبُك ؟

الفلاح الثالث : وما حاجتُك إلى جيبي ؟ هذا جيبي ، وفيه نقودٌ . . .

ساخاتوف : حسناً ! أين كيس نقودك ؟

الفلاح الثالث : هل يخصّك هذا ؟

الطاهية : ماذا تقول ! هذا هو السيّد الشاب .

باسيل ليونيديتش ، ضاحكاً : أتعلم لمَ يخاف هذا الخوف ؟ أأقوله لك؟ إن معه مبلغاً كبيراً من المال . ايه ماذا ؟

ساخاتوف : نعم ، نعم ، فهمتُ . اسمعْ إذن : اشغلْهم لحظة وأنا سأخبئها ، أثناء ذلك ، في هذا الكيس بحيث لا يعلمون أين هي ولا يستطيعون أن يدلّوه عليها . تحدّثْ معهم .

باسيل : في الحال ، في الحال . ماذا ، يا أولاد ، أتريدون شراء الأرض ؟ ايه ماذا ؟

الفلاح الأول : نحن نَوَيْنا ذلك من كل قلوبنا ، لكن القضية لا تسير كما نريد . . .

باسيل ليوتيديتش : لكنْ ، لا تكونوا بخلاء أنتم . فالأرض شيءٌ مهم جداً . لقد قلتُ لكم . النعناع أو حتّى التبغ . . .

الفلاح الأول : طبعاً ، نستطيع أن نزرع فيها جميعَ أنواع المحاصيل .

الفلاح الثالث : وأنتَ ، يا سيدي ، كَلِّمْ أباك في ذلك . العيشُ مستحيل . فأرضُنا صغيرة ، ولا مكان فيها لدجاجة !

ساخاتوف : وقد أخفى الملعقة في كيس الفلاح الثالث : تمّ الأمرُ . هيا .

باسيل ليوتيديتش : وأنتم ، لا تكونوا بخلاء . حسناً ! إلى اللقاء

(يخرجان)

المشهد — ١٦ —

« الفلاحون الثلاثة ، الطاهية ، الطاهي العجوز على الموقد » .

الفلاح الثالث : قلتُ لكم : لنذهبْ إلى النزل . كنا سننفق ، لنقلْ ، قطعةَ من عشرة كوبيكات ، لكننا كنا سنرتاح على الأقل !
أما هنا فنعوذ بالله ! يقول : هات المال . لم ذاك ؟

الفلاح الثاني : لعله قد شربَ .

(يقلْب الفلاحون فناجينهم ، ينهضون ، ويرسمون علامةَ الصليب) .

الفلاح الأول : وأنتَ ، أتذكر ما قاله ؟ . كيف خطَر على باله أن يقترح علينا زراعةَ النعناع ؛ لا بدّ من فهْم . . .

الفلاح الثاني : نعم ، زراعة النعناع ، أرأيتَ ! اذهب إذن ، واكدحْ بنفسك ! عند ذاك ستعرف كيف تطلب زراعة النعناع !
وأنت أيتها الصديقة الحلوة ، قولي لنا : أين يمكن أن ننام ؟

الطاهية : لينمْ أحدُكم على الموقد ، والآخران على المقاعد .

الفلاح الثالث : ليحفظْكِ المسيح !

(يصلّي)

الفلاح الأول ، مصطجعاً : إذا شاء الله وتمتْ الصفقةُ استطعنا أن نسافر في القطار ، غدا بعد الظهر ، ووصلنا نهار الثلاثاء .

الفلاح الثاني : هل ستُطفئين الأنوار ؟

الطاهية : ولم أطفئها ؟ فهناك حركةُ ذهاب وإياب مستمرّة . هم يَطْلبون هذا الشيء تارةً ، ويطلبون غيره تارةً أخرى ... لكنْ ناموا . . . وسأخْفضُ النور .

الفلاح الثاني : أيمكننا العيش إذا لم نملك ما يكفي من الأرض ! لقد بدأتُ أشتري القمحَ في هذه السنة ، منذ عيد الميلاد ؛ وتبنُ الشوفانِ مشرفٌ على نهايته . لو كان عندي أرضٌ لبذرتُ اربعة هكتارات ، ولأخذت سيمون إلى المنزل . . .

الفلاح الأول : أسرتُك كبيرةٌ ، أنت ؛ وتستطيع أن تَحْصد دون صعوبة ، على شرط أن يكون هناك ما يُحْصَد . ليت هذه الصفقة تتمّ فقط .

الفلاح الثالث : يجب أن نتشفّع بسيّدة السموات . فربما تحنّنتْ علينا .

المشهد — ١٧ —

« صمتْ وتنهدات . ثم يُسْمَعُ وقعُ خطوات ، وأصوات ، ثم يُفْتح الباب على مصراعيه أمام الأشخاص المسارعين . غروسمان ،

معصوب العينين ، يمسك بيد ساخاتوف ، **الأستاذ** ، الطبيب ، السيدة البدينة وليونيد فيودوروفيتش ، **بيتسي** ، **بيتريشتييف** ، باسيل ، ليونيديتش ، وماريا كونستانينيوفنا ، السيدة البارونه ، تيودور ، ايفانوفيتش ، تانيا ، الفلاحون الثلاثة ، الطاهية ، والطاهي العجوز الذي لا يُرى . يدخل غروسمان بخطوات حثيثة ثم يقف فجأة » .

السيدة البدينة : لا تخشَوْا شيئاً ! فأنا أراقبُه . لقد تعهدتُ بذلك ، وأنا أؤدي واجبي بدقّة . سيرج ايفانوفيتش ألست تقودُه ؟

ساخاتوف : كلا ، كلا !

السيدة البدينة : يجب ألاّ تقوده ، لكن يجب أيضاً ألا تقاومه . (لليونيد فيودوروفيتش) . أعرفُ هذه التجارب . جربّتها بنفسي . كنتُ أحسّ بتيّار ، وسرعان . . .

ليونيد فيودوروفيتش : اسمحي لي أن أرجوك أن تلازمي الصمتَ .

السيدة البدينة : اوه ! إني أفهم جيداً ، خَبِرْتُ ذلك بنفسي ما إن ينصرفُ الانتباه حتى أعجز عن . . .

ليونيد فيودوروفيتش : صه !

(يمشون ويتجهون إلى الفلاحيْن الأولين ، ثم يتقدّمون نحو الثالث. ويصطدم غروسمان بالمقعد) .

البارونة : **لكنْ قولي لي ، هل هو مأجور ؟**

السيدة : **لا أعْلم شيئاً من ذلك .**

البارونة : **لكنه سيّد نبيل ؟**

السيدة : **أوه ! نعم !**

البارونة : **إن ذلك لا يخلو من معجزة ، أليس كذلك ؟ إذْ كيف يجد ما هو مخبّأ ؟**

السيدة : لا علمَ لي بذلك ، **سيَشْرحُ لكِ زوجي الأمرَ** (تشاهد الفلاحين ، وتلتفت فترى الطاهية) **عفواً !** ما هذا ؟ **عفواً .** (تقترب البارونة من الجماعة) . من سمحَ للفلاحين بالدخول إلى هنا ؟

الطاهية : يعقوب هو الذي أدْخلَهم .

السيدة : ومَنْ أمر يعقوب بذلك ؟

الطاهية : لا يمكنني معرفة ذلك . لقد رآهم تيودور ايفانويتش هنا .

السيدة : ليونيد ! (ليونيد فيودوروفيتش لا يسمعها ، لانصرافه كلياً إلى بحث غروسمان) . تيودور ايفانوفيتش ، ما معنى هذا ؟ ألم تَرَ أنني طهّرتُ غرفةَ الانتظار ، فاوّثتُمْ لي الآن المطبخَ والخبز الأسود والخمر . . .

تيودور ايفانوفيتش : ظننتُ أنه لا خَطَرَ من ذلك . لقد جاء هؤلاء الأشخاص من أجل عملٍ لهم ؛ جاؤوا من بعيد ، من الريف . . .

السيدة : لكنهم جاؤوا بالضبط من قرية في مقاطعة كورسك حيث يموت الناس كما يموت الذبابُ من الدفتيريا ! وأمرتُ بعدمِ إبقائهم في المنزل . أقلتُ هذا ، نعم أم لا ؟ (تتقدّم

نحو الجماعة التي تشكّلتْ حول الفلاحين) . احذروا ، لا تمسّوهم ، فهم ملوّثون بالدفتيريا !

(لا يصغي أحد إليها ؛ تبتعد بوقار وتنتظر بلا حراك) .

بيتريشتييف ، يتشمم : لا أدري إن كانت هذه هي عدوى الدفتيريا ، لكنّ في الجوّ عدوى الدفتيريا . أتحسّون بذلك ؟

بيتسي : لا تخترعْ الأشياء ! فوفو ، في أي كيس ؟

باسيل ليونيديتش : في الكيس الآخر ، في الكيس الآخر ! إنه يقترب منه ، إنه يقترب منه . . .

بيتريشتييف : من أين تأتي هذه الرائحة ؟ من روحٍ ؟

بيتسي : هذا هو الوقت الذي أصبحتْ فيه سيجاراتك مناسبةً . دَخِّنْ ، دخِّنْ ، على مقربةٍ أكبر مني .

(ينحني بيتريشتييف ويتغطّى بالدخان) .

باسيل ليونيديتش : إنه يقترب ، قلتُ لكم إنه يقترب ! ايه ماذا ؟

غروسمان ، متلمّساً بقاقٍ ما حول الثالث : هي هنا ، هي هنا !

السيدة البدينة : أتحسّ بالتيّار من جديد ؟

(ينحني غروسمان ويعثر على الملعقة . حماسة عامة) .

الجميع معاً : مرحى !

باسيل ليونيديتش : آه ! هنا كانت ملعقتي إذن ! (للفلاح) . آه ! أهكذا أنت ؟

الفلاح الثالث : ماذا ؟ ماذا تقول ؟ لم آخذ ماعقتك ! ماذا يختلق ! لم أمْسَسْها ! الحقّ أني لا أعرف شيئاً عن ذلك ! ليقلْ ما شاء ! كنت واثقاً من أنه لم يأت إلى هنا بنية حسنة . قال لي : أعطني كيسَ نقودك ! أما أنا فلم آخذ الملعقة . يشهد المسيحُ أني لم آخذها .

(يحيط به الشباب ويضحكون) .

ليونيد فيدوروفيتش ، وقد بدا عليه الغضبُ ، لابنه : أنت لا تكفُّ عن الحماقات أبداً . (للفلاح الثالث) . لا تقلقْ ، يا صاحبي . فنحن نعلم جيداً أنك لم تَسْرقها . كان ذلك تجربةً .

غروسمان ، يرفع العصابة عن عينيه ويتظاهر بأنه أفاقَ : أعطوني ماءً من فضلكم .

(الجميع يسارعون إليه) .

باسيل ليونيديتش : لِنَذْهبْ إلى غرفة الحوذيين ، وسأُريكم الساوقيّ الذكر الجميل الذي عندي . **مذهل** ؟ ايه ماذا ؟

بيتسي : ما أقبحَ هذه الكلمة . ! أما كنتَ نستطيع أن تقول « كلب » فقط .

باسيل ليونيديتش : لا ، فكما أني لا أستطيع أن أقول عنكِ : أيّ رجل مذهل بيتسي ! بل يجب أن أقول أية فتاة ! » فكذلك الأمر هنا ، ماذا ؟ أليس ذلك جميلاً ، يا ماريا كونستانتينوفنا ؟

(يضْحك)

ماريا كونستاتينوفنا : حسناً ! هيّا .

(ماريا كونستا نتينوفنا ، بيتسي ، بيترتشتييف ، باسيل ، ليونيديتش يخرجون) .

المشهد – ١٨ –

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا ماريا كونستانتينوفنا ، بيتسي ، بيتريشتييف ، وباسيل ليونيديتش »

السيدّة البدنية ، لغروسمان : ماذا ! هل استرحْتَ ؟ (غروسمان لا يجيب . لساخاتوف) . هل أحسستَ بالتّيار ، يا سيرج ايفانوفيتش ؟

ساخاتوف : لم أحس بشيء على الإطلاق ؛ لكن التجربة كانت ممتازة ، وقد نجحتْ تماماً .

البارونة : رائع ! ألا يُؤلِمُهُ ذلك ؟

ليونيد فيودوروفيتش : أبداً .

الأستاذ ، لغروسمان : اسمحْ لي ، من فَضْلك (يقدّم له ميزان حرارة) في بداية التجربة كانت حرارتك ٣٧,٢ . (للطبيب) أليس كذلك ؟ تَكَرَّمْ بجسّ نبضة ، أرجوك . إن نقصان القوة لا مفرّ منه .

الطبيب : حسناً ! لنتحقّقْ ، ياسيدي ، لنتحقّقْ . (لغروسمان) . أعْطني نبضك .

(يخرج ساعته ويمسك بيده) .

السيدة البدينة ، لغروسمان : عفواً ، لكن الحالة التي كنتَ فيها لا يمكن أن تُسمّى نوماً ؟

غروسمان ، متعباً: هي مع ذلك النوم المغناطيسي . . .

ساخاتوف : يجب أن يُفْهَمَ إذن ، أنك نوّمت نفسَك بنفسك ؟

غروسمان : ولمَ لا ؟ فاليوم المغناطيسي لا يمكن أن يحدث فقط بالتداعي أو بأصوات الطنطنة كما هي الحال عند شاركو (١) مثلاً ، بل بمجرد الدخول إلى المنطقة الباطنية .

ساخاتوف : صحيح . لكنّ من المرغوب فيه ، مع ذلك ، تعريف النوم المغناطيسي تعريفاً أدقّ .

الأستاذ : النوم المغناطيسي ظاهرةُ تحويل طاقة إلى أخرى .

غروسمان : شاركو لا يعرّفها هكذا .

ساخاتوف : عفواً ، عفواً ، هذا رأيكَ . . . لكن ليبو قال لي أنا نفسي . . .

الطبيب ، مُرْخياً يد غروسمان : كفى ، لكن يجب أن نقيس الحرارة الآن .

السيدة البدينة ، تُشارك في الحديث : آه ! لا ! عفواً . . .أنا أوافق الكسي فلاديمير وفيتش . ودونك أَسْطعُ البراهين ! فعندما كنتُ أغيبُ عن الوعي ، بعد مرضي ، كنتُ

---

(١) شاركو : « شاركو » ، وكذلك « ليبو » استاذا طب الأمراض النفسية في باريس حيث يزعم غروسمان أنه انهى دراسته .

أحسّ في هذه اللحظة بالحاجة إلى الكلام، ثم إلى الكلام! وقد قيل لي إنني كنتُ أُسرفُ في الكلام حتى كان الجميع يدهشون من ذلك . (لساخاتوف) . على كل حال ، لقد قاطعتكَ ، فيما أظن .

ساخاتوف ، بوقار : لا . أرجوك .

الطبيب : النبض اثنان وثمانون . وارتفعت الحرارةُ ثلاثة أعشار .

الأستاذ : حسناً ! هذه هي الأدلّة ؛ هذا ما لا بدّ من حدوثه . (يُخرج دفتراً صغيراً ويسجّل) . اثنان وثمانون ، تماماً ، و ٣٧,٥° ... ما إن يحصل النوم المغناطيسي حتى تتسارع دقات القلب . . .

الطبيب : أستطيع أن أشهد ، بصفتي طبيباً ، أن توقعكم قد تأكّد كليّاً .

الأستاذ ، لساخاتوف : ماذا كنتَ تقول ؟

ساخاتوف : كنت أريد أن أقول : إن « ليبو » نفسه قال لي : إن النوم المغناطيسي ليس سوى حالة نفسية عادية تضخّمت بسبب انتباه غير عادي . وإذنْ . . .

الأستاذ : صحيح ، لكن قانون التعادل بخاصة . . .

غروسمان : وفضلاً عن ذلك ، فهيهات أن يكون « ليبو » حجّةً ؛ لكن شاركو درس المسألة من وجوهها كافةً ، وبرهنَ على أن النوم المغناطيسي الذي تُحدثُه صدمةٌ . . .

ساخاتوف ، يتحدث في الوقت الذي يتحدّث فيه الآخرون : لا شك أني لا أُنكرُ عمل « شاركو » ، وأنا أعرف هذا العمل . لكني أكرّرُ فقط ما قاله ليبولي .

غروسمان ، محتدّاً : في مستشفى « السالبيتريير » ثلاثة آلاف مريض ، وقد حضرتُ الدروسَ الكاملة . . .

الأستاذ : عفواً . . . يا سيّدي ، ليس هذا هو الموضوع .

السيدة البدينة ، مشاركة في الحديث : سأشرح لكم ذلك في كلمتين : عندما كان زوجي مريضاً ويَئِس الأطباءُ منه . . .

ليونيد فيودوروفيتش : هيّا ، اندخلْ قاعة الاستقبال ، يا بارونة ، إذا شئتِ .

(السيدة البدينة ، غروسمان ، الأستاذ ، الطبيب ، البارونة ، ساخاتوف ، يخرجون وهم يتحدثون ويقاطع بعضُهم بعضاً) .

المشهد — ١٩ —

« الفلاحون الثلاثة ، الطاهية ، تيودور إيفا نوفتش ، تانيا ، الطاهي العجوز (على الموقد) ، ليونيد فيودور وفيتش والسيدة »

السيدة ، تسحب ليونيد فيودوروفيتش من كمّه : كم مرةٍ رجوتُكَ ألا تُصدر أوامرك في البيت ! اشتغلْ بحماقاتك ، ودعْ المنزل لي ! ستُعْدي الناسَ جميعاً .

ليونيد فيودوروفيتش : مَن ؟ ماذا ؟ لا أفهم شيئاً ممّا تقولين .

السيدة : كيف ! هؤلاء الناس مرضى بالدفتيريا ، وهم ينامون في المطبخ حيث يكونون على تماس متصل بخدمنا .

ليونيد فيودوروفيتش : لكني أنا . . .

السيدة : أنا ، ماذا ؟ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أنا لا أعلم شيئاً . . .

السيدة : عندما يكون الرجلُ أباً لأسرة فيجب أن يعلم ؛ لا يجوز له أن يفعل ذلك !

ليونيد فيودوروفيتش : لكني لم أكن أظن ، كنتُ أظن . . .

السيد : من المُثير أن يَستمع الإنسانُ إليك !

(يسكت ليونيدفيودوروفيتش) .

السيدة ، لتيودور ايفا نوفيتش : اطردْهم على الفور ! يجب ألا يبقوا في مطبخي ! شيء رهيب ! ألاّ تجد من يُصغي إليك ! يفعلون ذلك عمداً . كلما طردتُهم أدخلوهم . (تهتاج شيئاً فشيئاً وتأخذ بالبكاء) . يفعلون ذلك عمداً ليعاكسوني ! وأنا المريضة ! يادكتور ! يا دكتور ! بيير بيتروفتش ! انصرفَ هو الآخر !

(تتباكى وتخرج . يتبعها ليونيد فيودوروفيتش)

المشهد — ٢٠ —

« الفلاحون الثلاثة ، تانيا ، تيودور ايفانوفتش ، الطاهية ، الطاهي العجوز على الموقد . لوحة . يظل الجميع صامتين بعض الوقت »

الفلاح الثالث : لِيحرُسهم الله ! هؤلا الناس يريدون أن يسلّموك إلى الشرطة . وأنا الذي لم أدخلْ في دعوى طوال حياتي . لِنذهبْ إلى المنزل ، يا أولادي !

تيودور ايفانوفيتش ، لتانيا : ما العمل الآن ؟

تانيا : لا شيء ، يا تيودور ايفانوفيتش ، لِنضعْهم في غرفة الحوذيين .

تيودور ايفانوفيتش : كيف ذاك ؟ والحوذي قد اشتكى من أن غرفته ملأى بالكلاب !

تانيا : حسناً ! عند البواب إذن .

تيودور ايفانوفيتش : وإذا عُلِمَ ذلك ؟

تانيا : لن يُعْلَم شيءٌ من ذلك . اطمئنّ ، يا تيودور ايفا نوفتش. هل يجوز لنا أن نطردهم في الليل ؟ لن يجدوا مأوىً .

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! افعلي كما تشائين ، على شرط ألاّ يَبْقوا هنا !

(يخرج)

المشهد — ٢١ —

« الفلاحون الثلاثة ، تانيا ، الطاهية ، الطاهي العجوز . الفلاحون يعلّقون أكياسهم » .

الطاهي العجوز : اوه ! لهؤلاء الشياطين الحقراء ! الغيظ يملأ جلودهم ، هؤلاء الشياطين !

الطاهية : اسكتْ ، أنتَ ! من حسن الحظ أنهم لم يَرَوْكَ !

تانيا : هيّا ، يا أعمامي ، إلى غرفة البواب .

الفلاح الأول : وقضيّتنا ، أين صارت ؟ وما مصيرُ توقيع العقد ؟
هل يجب أن نحتفظ بشيء من الأمل .

تانيا : في ظرف ساعة ، سنعرفُ كلّ شيء .

الفلاح الثاني : هل ستكونين شاطرةً بما فيه الكفاية ؟

تانيا ، ضاحكة : على مشيئة الله !

ستار

الفصل الثالث

« تجري الأحداث في مساء اليوم نفسه ، في غرفة استقبال صغيرة ، حيث تُقام عادةً تجاربُ ليونيد فيودوروفيتش » .

المشهد — ١ —

« ليونيد فيودوروفيتش والأستاذ » .

ليونيد فيودوروفيتش : ما رأيكَ إذنْ ؟ أنجازف بالجلسة مع وسيطنا الجديد ؟

الأستاذ : حتماً . لا جدال في أن هذا الوسيط قويٌّ جداً . ومن المرغوب فيه أن تُعْقَد جلسةُ الوسيط في منزلك ، وفي هذا اليوم نفسه ، ومع الأشخاص أنفسهم . يجب أن يتلقى غروسمان حتماً تأثير الطاقة الوسيطيّة ، وحينئذٍ ستغدو رابطة الظواهر ووحدتها أشد وضوحاً . وسترى أن الوسيط إذا ظلّ قوياً كما كان قبل قليل ، فسوف يَهتزّ غروسمان !

ليونيد فيودوروفيتش : حينذاك سأُحْضِرُ سيمون ، وسأدعو الذين يرغبون في حضور الجلسة .

الأستاذ : طيّب ! طيبّ ! أريد أن أسجّل فقط بعض الملاحظات

(يُخرج دفتره الصغير ويكتب)

المشهد – ٢ –

« الأشخاص أنفسهم وساخاتوف »

ساخاتوف : شُرِعَ بلعبة الهويست عند آنا بافلوفنا ، فجئت إلى هنا . ماذا ؟ هل ستُعْقَد الجلسة ؟

ليونيد فيودوروفيتش : سيكونُ هناك جلسةٌ ؛ سيكون هناك جلسة !

ساخاتوف : وكيف ذلك ، بدون قوة السيد كابتشيتش الوسيطية ؟

ليونيد فيودوروفيتش ، **وجهك سعدٌ علينا !** تصوّرْ أن الفلاّح الذي حدّثتك عنه وسيطٌ متميّز .

ساخاتوف : حقا ! اوه ! هذا امر مثيرٌ للاهتمام .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، نعم . لقد عملنا معه ، **بعد العشاء** ، تجربةً صغيرة للاختبار .

ساخاتوف : ونجحتم في عملها وفي إقناع انفسكم ؟

ليونيد فيودوروفيتش : تماماً ، وتبيّن انه وسيط ذو قوة خارقة .

ساخاتوف ، بتشكك : آه ! حقاً ؟

ليونيد فيودوروفيتش : يبدو ان الجميع ، في غرفة الخدمة ، لاحظوه منذ وقت طويل . . . إنه يجلس ، مثلاً ، امام فنجانه ، فتقفز الملعقة من ذاتها إلى يده . (للأستاذ) هل سمعتَ بذلك ؟

الأستاذ : الحقيقة انني لم اسمعْ بذلك .

ساخاتوف ، للأستاذ : لكنْ هلْ تسلّمون بامكان حدوث مثل هذه الظواهر ؟

الأستاذ : اية ظواهر ؟

ساخاتوف : ظواهر استحضار الأرواح ، والظواهر الوسيطيّة ، الظواهر فوق الطبيعية ، على العموم .

الأستاذ : المسألةُ هي ان نعلم حقيقة ما نَدْعوه فوق الطبيعي ؟ فعندما تجذبُ قطعةٌ من الحِجر – لا الإنسانُ الحي – مسماراً، فهل تُعْتَبَرُ هذه الظاهرةُ طبيعيةً أو فوق الطبيعية ؟

ساخاتوف : نعم ، بدون شك ، لكن بعض الظواهر مثل جذب المغناطيس ، مثلاً ، تتكرّرُ دائماً .

الأستاذ : الشيءُ نفسُه هنا ؛ تتكرر الظاهرة ونحن ندرسُها ! واكثر من ذلك ، فنحن نصنف الظواهر التي ندرسها ضمن قوانين عامة تنطبق على ظواهر اخرى . لأن الظواهر لا تبدو فوق الطبيعة إلا إذا عُزِيَ سببُها إلى الوسيط نفسه . لكن هذا غير صحيح فالظواهر لا تحدث بالوسيط بل بالطاقة النفسية التي تتجلّى في الوسيط . والفرق كبير . كل شيء يكمن في قانون التعادلات .

ساخاتوف : نعم ، بدون شك ، لكن . . .

المشهد – ٣ –

« الأشخاص أنفسهم ، وتانيا التي تختبىء وراء الستارة »

ليونيد فيودورفيتش : اعلموا فقط هذا الشيء : هو اننا لسنا واثقين من شيءٍ سلفاً سواء مع هرم وكابتشيتش ام مع هذا

الوسيط ، فربما لم نحصل على شيء ، وربما حصلنا على تجسيد كامل .

ساخاتوف : ماذا تعني بالتجسيد الكامل ؟

ليونيد فيودوروفيتش : اعني الشيءَ التللي ، قد يأتي شخصٌ ميتٌ ، أبوك أوجدك ، ليأخذ يدك وليعطيك شيئاً ما ، أو قد يرتفع شخصٌ فجأةً في الهواء ، كما حدث عندنا ، في آخر مرة ، مع « الكسي فلا دميروفيتش » .

الأستاذ : بالتأكيد ، بالتأكيد ! لكن الأمرَ الأساسي هو تفسير الظواهر وتصنيفها ضمن قوانين عامة .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، السيدة البدينة »

السيدة البدينة : لقد سمحتْ لي آنا بافلوفنا بالمجيء إلى هنا .

ليونيد فيودوروفيتش : يسرّنا ذلك !

السيدة البدينة : آه ! كم كان غروسمان مُتعَباً ! لم يكن يستطيع ان يمسك بفنجانه . (للأستاذ) هل لاحظتَ كيف شَحبَ في اللحظة التي اقترب فيها من الفلاح ؟ لاحظتُ ذلك على الفور ، واخبرتُ بذلك آنا بافلوفنا قبل غيري .

الأستاذ : بدون شك ، وذلك من نقص الطاقة الحيويّة .

السيدة البدينة : هذا ما قلتُه . ويجب الا نُسيء استخدام هذه الأشياء ! . وهكذا فإن منوّماً مغناطيسياً أوحى لإحدى صديقاتي ،

وهي فيروتشكا كونشينا — لكنك تعرفها — ان تنقطع عن التدخين . فبدأت كليتاها تؤلمانها .

الأستاذ ينوي الكلام : إن قياس الحرارة والنبض يبرهن بوضوح ...

السيدة البدينة : عفواً ! سأنتهي من كلامي في الحال . فقلتُ لها : « الأفضل أن تدخني وألا تتألّمي هذا الألمَ في الأعصاب » . لا شك ان التدخين مؤذٍ ، واود لو أتخلى عن هذه العادة ، لكن ما العمل ؟ إني لا استطيع . لقد انقطعتُ مرةً عن التدخين لمدة اسبوعين ، ثم لم استطع بعد ذلك أن أمنع نفسي .

الأستاذ ، محاولاً الكلام : يبرهنون ، مثلا . . .

السيدة البدينة : كلاً ، اسمح لي ! بكلمتين . . . أنت تقول إذن أن هناك صرفاً للقوى ؟ احببتُ أن أقول : إنني عندما كنتُ أسافر في عربة البريد . . . كانت الطرقُ فظيعة — أنت لا تذكر ذلك ، أما أنا . . — لاحظتُ ، واعتقدْ ما تشاء في ذلك ، ان عصبيتنا مردها إلى السكك الحديدية . انا ، مثلاً ، لا يمكنني أن أنام في عربة القطار . لو قتلْتني لما نمتَ !

الأستاذ : إن صَرْفَ القوى . . .

ساخاتوف ، مبتسماً : نعم ، نعم .

(ليونيد فيودوروفيتش يدق الجرس) .

السيدة البدينة : ومهما يبلغ بي الأرق ، ليلةً أو ليلتين أو ثلاث ليال ، فاني لا اتمكّن من النوم مع ذلك .

المشهد — ٥ —

« الأشخاص أنفسهم ، وغريغوري » .

ليونيد فيودوروفيتش : قلْ ، من فضلك ، لتيودور ان يُهيّءَ كل ما يلزم للجلسة ، وأن يدعو إلى هنا سيمون ، الخادم في غرفة الخدمة ، سيمون ، **أتَسْمعُ ؟**

غريغوري : نعم يا سيدي .

(يخرج)

المشهد — ٦ —

« الأستاذ ، ليونيد فيودوروفيتش ، السيدة البدينة ،تانيا مختبئة ، ساخاتوف » .

الأستاذ ، لساخاتوف : إن قياسات الحرارة والنبض برهنت على صَرْف الطاقة الحيوية . الشيء نفسه سيحدث خلال الظواهر الوسيطية ، فقانون المحافظة على الطاقة .... .

السيدة البدينة : نعم ، نعم ! أحببتُ أن أقول لكم فقط إنني مسرورةٌ جداً إذ تبيّن أن مجرّد فلاح يصلح وسيطاً . هذا ممتازٌ . لقد كنت أقول دائماً إن انصار السلافيّة . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أتريدونَ أن ننتقل إلى غرفة الاستقبال ريثما تُعقد الجلسة ؟

السيدة البدينة : عفواً ! بكلمتين : أنصار السلافية على حق ؛ لكنني كنت أقول دائماً لزوجي : ينبغي ألا نُبالغَ في شيء .

خيرُ الأمور الوسط . وإلا فكيف نُثبت أن كل شيء في شعبنا كاملٌ ، وانا قد رايتُ بعينيّ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أتريدون الانتقال إلى غرفة الاستقبال ؟

السيدة البدينة : . . . صبيّاً بهذا الطول يشرب خمراً . فوبّختُه فوراً ! كان ممتناً لي : اولئك أطفالُ ، وكنتُ أقول دائماً ، لا بدّ ، مع الأطفال من الحب والصرامة .

(يخرجون وهم يتحدّثون) .

المشهد — ٧ —

« تانيا وحدها ، تخرج من وراء الستارة » .

تانيا : ليتنا ننجح على الأقل !

(تمد خيوطها) .

المشهد — ٨ —

« تانيا وبيتسي داخلةً على عجل » .

بيتسي : بابا ليس هنا ؟ (**تشاهد تانيا**) . ماذا تفعلين هنا ؟

تانيا : لا شيء ، يا آنسة . جئتُ إلى هنا ، هكذا . . . كنت اودّ . . .

(ترتباك)

بيتسي : لكن الجلسة ستُعقد بعد قليل ؟ (**تلاحظ ان تانيا تلفّ خيطاً ، فتنظر إليها بحدّة ، وفجأةً تنفجر ضاحكةً**) . تانيا ، أأنتِ التي تفعل ذلك كله ؟ لا تُنكري ! في آخر مرة ، كنتِ انتِ ! اعترفي ، كنتِ انت ؟

تانيا : يا آنسة . . . اوه ! يا آنسة ! . . .

بيتسي ، متحمّسةً : آه ! ما أحسن هذا ! ما كان ذلك ليخطر ببالي ! لمَ تفعلين ذلك ؟

تانيا : يا آنستي الطيبة ، لا تَشي بي .

بيتسي : كلا ، أبداً ! أنا مسرورة جداً . وكيف تفعلين ذلك ؟

تانيا : الأمر بسيط جداً : أختبىءُ . وما أن يُطفئوا الأنوار حتى أخرج وأفعل ما أشاء .

بيتسي ، مشيرةً إلى الخيط : وهذا ؟ لا تقولي شيئاً ! . . . فهمت ؛ أنتِ تلمسينهم به ؟

تانيا : لن أعترف إلا لك ؛ لم أكن أفعل هذا من قبل إلا لأتسلّى ؛ أما اليوم فاني أفعله لقضية جادة . . .

بيتسي : كيف ؟ ماذا ؟ أية قضيّة ؟

تانيا : القضية هي التالية : هل رأيتِ الفلاحين الذين أتوا : إنهم يريدون شراءَ الأرض ، وأبوكِ لا يريد أن يبيعهم ، ولا يريد توقيع العقد الذي أعادَه إليهم . يقول تيودور ايفانوفيتش : إن الأرواح هي التي منَعتْه من ذلك . حينئذ خطَرتْ لي هذه الفكرةُ .

بيتسي : آه ! ما أذكاكِ ! هذا حسن ! لكن كيف ستَفْعلين ؟

تانيا : انظري ما الذي تصوّرتُه : عندما يُطفئون الأنوار سأبدأ بالنقر ، وبرَمْي الأشياء ، وبملامسة رؤوسهم بالخيط ؛

وفي النهاية ، سأرمي عقد البيع على الطاولة ، وهو معي هنا .

بيتسي : ثمّ ماذا ؟

تانيا : وكيف ! سيدهشون . كان العقدُ مع الفلاحين فاذا به هنا ! ثم سآمرُ . . . سيمون . . .

بيتسي : لكن سيمون وسيطُ اليوم !

تانيا : نعم ، لكنْ أنا أمرتُه بذلك . (تنفجر ضاحكةً) . سآمره أن ينقر على كل ما قد يجده حوله . لا على أبيك مثلاً ، إنه لا يجرؤ . . . لكنْ على الآخرين ، على أيّ منهم ، حتى يوقّع السيّد .

بيتسي ، ضاحكة : لكن ذلكِ غير جائز هكذا ؛ فالوسيطُ نفسه لا يفعل شيئاً .

تانيا : لا قيمة لذلك ، سيان ؛ ربما سارت الأمورُ سيراً حسناً هكذا .

المشهد — ٩ —

« تانيا ، تيودور ايفانوفيتش ، بيتسي ، التي تُومىء إلى تانيا وتخرج » .

تيودور ايفانوفيتش : ماذا تفعلين هنا ؟

تانيا : أنا . . . كنت ذاهبة إليك ، يا تيودور ايفا نوفيتش .

تيودور ايفانوفيتش : ماذا تريدين ؟

تانيا : بشأن القضية التي حدثتك عنها . . .

تيودور ايفانوفيتش ، ضاحكاً : تم الأمرُ ! وعقدنا الخطبة !

تانيا ، مرسلةً صرخة الفرح : صحيح ؟

تيودور ايفانوفيتش : بدون شك ! لقد قال : سأشاور العجوز ، وعلى بركة الله . . . »

تانيا : هو قال ذلك ! (ترسل صرخةً جديدة من الفرح) . آه ! ما أحسن هذا ، يا تيودور ايفا نوفيتش العزيز ! سأصلّي من أجلك طوال حياتي .

تيودور ايفانوفيتش : طيّب ، طيّب ! لا وقتَ لديّ الآن . قالوا لي أن أهيّىء كل شيء للجاسة .

تانيا : دعني أساعدك . ما الذي يجب أن تفعله ؟

تيودور ايفانوفيتش : يجب وضعُ الطاولة وسط الغرفة . وكذلك الكراسي ، والقيثارة ، والاكورديون ، والشموع لا المصباح .

تانيا ، تساعد تيودور ايفا نوفيتش : القيثارة في هذه الجهة ؛ والمجرة هنا . (تضع الأشياء) . هكذا ؟

تيودور ايفانوفيتش : أحقاً سيأخذون سيمون وسيطاً ؟

تانيا : طبعاً ؛ وقد أخذوه من قبل .

تيودور ايفانوفيتش : هذا مدهش ! . . . (يضع نظارته) . هل هو نظيفٌ على الأقل ؟

تانيا : لا أدري !

تيودور ايفانوفيتش : إذن ، اسمعي . . .

تانيا : ماذا ، يا تيودور ايفا نوفيتش ؟

تيودور ايفانوفيتش : اذهبي وأحضري فرشاة للأظافر ، وصابون « تريداس » تستطيعين أن تأخذي ذلك من عندي . . . وقصّي أظافره ، واغسلي يديه حتى تنظفا .

تانيا : سيغتسل وحده .

تيودور ايفانوفيتش : طيّب ! قولي له ذلك . وقولي له أيضاً أن يلبس ثياباً داخلية نظيفة .

تانيا : سأفعل ذلك ، يا تيودور ايفا نوفيتش !

المشهد – ١٠ –

تيودور ايفانوفيتش ، وحده ، يجلس على أريكة . مهما يكونوا علماء ، مثل الكسي فلاديميروفيتش الذي هو أستاذ مثلا ، فان الشك يساورني أحياناً . إنهم ماضون في إلغاء العقائد الشعبية ، الخرافات كما يقال . . . لكن عندما نفكّر فيما يفعلون فان ذلك يبدو كالخرافات حقاً . وإلاّ فهل من الممكن أن تأتي أرواحَ الموتى لتتحدث ولتعزف على القيثارة ؟ . . . لا شك أن هناك من يَضْحك عليهم . . . أو أنهم يضحكون على أنفسهم . أما قصة سيمون فاست أفهم منها شيئاً . . . (يتصفّح ألبوم استحضار الأرواح) . هذا هو البوم استحضار الأرواح ، أمن الممكن أن تُصوّر

الأرواح ؟وهذه هي صورة التركي مع ليونيد فيودوروفيتش!
غريب !

المشهد – ١١ –

ليونيد فيودوروفيتش ، داخلاً : كل شيء جاهز ؟

تيودور ايفا نوفيتش ، ينهض دون استعجال : جاهز ! (مبتسماً) لكني أخشى أن يعرّضك الوسيطُ الجديد للفشل ، يا ليونيد فيودوروفيتش !

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، جرّ بناه مع الكسي فلاديميروفيتش . . إنه وسيط ذو قوّة مدهشة .

تيودور ايفانوفيتش : لا أدري ؛ لكنْ هل هو نظيف ؟ لم يخطر لك أن تأمره بغَسْل يديه ؟ . . . فليس من اللائق مع ذلك أن . . .

ليونيد فيودوروفيتش : يداه . آه ! نعم ! أنت ترى أنهما غير نظيفتين ؟

تيودور ايفانوفيتش : وكيف تريد أن يكون ؟ فلاح . . . وهناك سيدات وماريا فاسيلييفنا . . .

ليونيد فيودوروفيتش : إذن ، كلامك في محله . . .

تيودور إيفانوفيتش : بهذه المناسبة ، أحبّ أن أقول لك : إن ، « تيموثيه » الخوذي جاء واشتكى لي ، قال إنه لا يستطيع أن يحافظ على الجياد نظيفة بسبب الكلاب .

ليونيد فيودوروفيتش ، شارد اللب ، وهو يضعُ الأشياء على الطاولة : أيّةُ كلاب ؟

تيودور ايفانوفيتش : أَحْضِرتْ اليوم ثلاثة كلاب سلوقية لباسيل ليونيدتيش ، فوُضعتْ في غرفة الحوذيين .

ليونيد فيودوروفيتش ، متضايقاً : أخبرْ بذلك آنا بافلوفنا ، ولتصنعْ ما تشاء ! أما أنا فلا وقتَ لديّ .

تيودور ايفانوفيتش : أنت تعرف جيداً ضعفَ السيدة . . .

ليونيد فيودوروفيتش : طيّب ! لتفعلْ كما تشاء ! أما هو فليس لنا منه سوى المكدّرات . . . ولا وقتَ لديّ . . .

المشهد – ١٢ –

« الأشخاص أنفسهم ، وسيمون الذي يدخل مرتدياً معطفاً طويلا بلا كميّن ، ويبتسم » .

سيمون : أَمَرْتَني بالمجيء ؟

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، نعم ! أرني يديك . جيّد ! هيا ، يا صديقي ، افعل ما فعلْته قبل قليل ، اجلسْ ولا تفكّرْ في شيء .

سيمون : ما جدوى التفكير ؟ التفكير أسوأ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : صحيح ! صحيح ! كلما تناقصَ شعورنا قويَ سلطاننا . لا تُفكّر في شيء وأسلمْ نفسَكَ لهواها ؛ نمْ إذا اشتهيتَ أن تنام ؛ وامشِ إذا اشتهيت أن تمشي . أتفهم ؟

سيمون : وكيف لا أفهم ؟ ليس الأمر بالصعب على الإطلاق . . .

ليونيد فيودوروفيتش : وعلى الخصوص ، لا تَضْطربْ من شيء ، لأنك قد تدهش أنت نفسك . وأعلم أن عالم الأرواح اللامرئيَ يعيش كما نعيش نحن .

تيودور ايفانوفيتش ، مصحّحاً له : إحساساتٌ لا مرئيةٌ ، أتفهم ؟

سيمون ، ضاحكاً : وكيف لا أفهم ؟ الأمرُ ، بحسب ما تقولون ، بسيطٌ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : قد يقعُ لك أنِ ترتفع في الهواء أو أي شيء آخر ، فلا تَخَفْ شيئاً . . .

سيمون : ولمَ الخوف ؟ كل ذلكِ ممكن . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أذن سأحضِرُ الجميعَ . كل شيء جاهز ؟

تيودور ايفانوفيتش : كل شيء ، على ما أرى .

ليونيد فيودوروفيتش : وألواح الاردواز :

تيودور ايفانوفيتش : هِي تحت ، وسآتي بها .

(يخرج)

المشهد — ١٣ —

« ليونيد فيودور وفيتش وسيمون » .

ليونيد فيودوروفيتش : مَليحٌ ! أذنْ لا تضطربْ ؛ واعملْ على راحتك.

سيمون : أأستطيع ان أخلع معطفي ، فذلك أرْوَحُ لي .

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، لا ! لا تَفعلْ هذا !

(يخرج)

المشهد — ١٤ —

سيمون ، وحده : قالت لي أيضاً ان أفعلَ الشيءَ نفسه وهي ، من جهتها ، ستَرْمي بالأشياء . كيف لا تخاف هي ؟

المشهد — ١٥ —

« سيمون وتانيا التي تدخل بغير حذاء ، وفي فستان بلون الستائر . سيمون يضحك » .

تانيا ، تأمره بالصمت : كفى ! اسكتْ ؛ قد يسمعوننا . خُذْ ! هذه أعواد الكبريت التي ستفرك بها أصابعَك ، مثل المرة السابقة . (تفرك له أصابعه) . ألم تَنْسَ شيئاً ؟

سيمون ، يعدّ على أصابعه : بَلّ الفوسفور وتحريك اليدين أولا ؛ وثانياً ، صَرْف الأسنان ؛ وثالثاً . . . نسيتُ .

تانيا : لكنّ هذا هو أهم شيء ! تذكّرْهُ جيدا . حالما يقع العقد على الطاولة سأَدق الجرس ؛ فامدُدْ حينئذ ذراعَيْك هكذا ، وحرّكْهما دون أن تبالي بمعرفة مَنْ تَضْرب . (تضحك) . وفي الوقت نفسه دَمْدِمْ هكذا . واضربْ وكأنك تفعل ذلك وأنت تحلم . وحينما أبدأ بالعزف على القيثارة ، تظاهرْ بأنك تستيقظ ، وتَمَطّ هكذا ، عرفتَ ؟ ألن تَنْسى ذلك ؟

سيمون : لا ! ولكن هذا مضحكٌ جدا .

تانيا : وإياك أن تَضْحك . وإذا ضحكتَ فليس ذلك كارثة ،

على كل حال . سيظنّون أنك تضحك في نومك . لكن لا تنم حقيقةً ، عندما يطفئون الأنوار !

سيمون : لا تخشي شيئاً ، سأقرص أذنيّ ! . . .

تانيا : انتبه إذن ، يا عزيزي سيمون ! افعل ذلك كله ولا تخشَ شيئاً ، وسيوقّع العقدَ . سترى . ها هم .

(تختبىء تحت الأريكة) .

المشهد — ١٦ —

« سيمون ، تانيا ، غروسمان ، الأستاذ ، ليونيد فيودوروفيتش ، السيدة البدينة ، الطبيب ، ساخاتوف ، السيدة ، سيمون يقف قرب الباب » .

ليونيد فيودوروفيتش : تفضّلوا يا جميع المتشكّكين ، فمع أن وسيطنا جديدٌ إلا أنني أعوّل اليوم على ظواهر عظيمة الدلالة .

ساخاتوف : هذا شائق ، شائق جدا !

السيدة البدينة : لكنه حسن الهيئة !

السيدة : حسن كخادم في المطبخ ، نعم ؛ لكن هذا كل شيء . . .

ساخاتوف : النساءُ لا يؤمنّ أبدا بأعمال أزواجهن ! ألا تُعْجَبين بشيء إطلاقاً ؟

السيدة : بالتأكيد ، لا ! كابتيشيتش ، في الحقيقة ، يملك شيئاً خاصاً ، أما هذا ، يا إلهي ! فماذا يطلعُ منه ؟

السيدة البدينة : لا ، عفوا ، آنا بافلوفنا ! لا يجوز أن نتكلّم هكذا عن هذه الأشياء . عندما لم أكنْ متزوجّةً بعد ، حامت ، ذات مرة ، حلماً مثيرا ، تعلمين أن من الأحلام ما لا يُعْرَفُ أين يبدأ وأين ينتهي . ولقد حامت بالضبط حاماً مشابهاً . . .

المشهد – ١٧ –

« الأشخاص أنفسهم ، باسيل ليونيديتش وبيتّريشتييف يدخلان » .

السيدة النبيلة : وانكشفت لي أشياء كثيرة في هذا الحام . الشبابُ الآن (تشير إلى باسيل ليونيديتش وبيتّريشتييف) . ينكرون كل شيء !

باسيل ليونيدتيش : أنا ، أبدا . . . لا أنكرُ شيئاً ! أيه ماذا ؟

المشهد – ١٨ –

« الأشخاص أنفسهم ، تدخل بيتسي وماريا كونستا نتينوفنا . وتشرعان في الحديث مع بيتّريشتييف » .

السيدة البدينة : أيمكننا أن ننكر ما فوق الطبيعي ؟ يُقال إن ذلك لا يتّفق مع العقل . لكن العقل قد يكون أحمق . ماذا ؟ لقد سمعتم بما جرى في شارع « سادوفايا » كان ذلك يظهر في كل مساء . إن أخا زوجي – ماذا يقولون في الروسية ؟ هناك كامة غير اخي الزوج » في الروسية ، ولست أفلح أبدا في تذكّر الأسماء الروسية(١) – ذهبَ

(١) في اللغة الروسية كلمات خاصة لتمييز أخي الزوج من أخي الزوجة ، وهو مالم تستطع السيدة البدينة أن تحفظه .

إذن ثلاث ليالٍ متوالية ، ورغم ذلك فانه لم يستطعْ أن يرى شيئاً . ولذلك أقول . . .

ليونيد فيودوروفيتش : مَنْ يَبْقى إذنْ هنا ؟

السيدة البدينة : أنا ! أنا !

ساخاتوف : أنا .

آنا بافلوفنا ، للطبيب : أتَبْقى هنا ؟

الطبيب : لا بدّ من أن أرى ولو مرةً واحد ما الذي يجده الكسي فلاديميروفتش في ذلك كله . ولا يمكننا أيضاً أن ننكر شيئاً دون براهين .

السيدة : إذن ، يجب حتماً أن آخذ منه في هذا المساء بالذات .

الطبيب : تأخذينَ ماذا ؟ آه ! نعم ، المسحوق . نعم ، خذي منه إذا شئت . خذي منه . على كل حال ، سآتي لزيارتك .

السيدة : نعم ، أرجوك ! (بصوت عالٍ) . عندما تنتهون ، سادتي وسيداتي ، فأنا أدعوكم لتستريحوا من انفعالاتكم عندي ، وفي الوقت نفسه سنُنهي لعبة « الهويست » .

السيدة البدينة : موافقة !

ساخاتوف : نعم ! نعم !

(السيدة تخرج) .

المشهد — ١٩ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا السيدة » .

بيتسي ، لبيتريشتييف : قلتُ لكَ : ابق : إني أعدكَ بأشياء خارقة للعادة . أتراهن ؟

ماريا كونستاتيننوفنا : أتؤمنين بذلك ؟

بيتسي : اليوم أؤمن به .

ماريا كونستاتينوفنا : وأنتَ أتؤمن بذلك ؟

بيتريشتييف : لا ، لا أؤمن به .

ينشد : لا أثق بالوعود الكاذبة .

لكن إن أمرتني بذلكِ اليزابيت ليونيدوفنا . . .

باسيل ليونيدتيش : لنبقَ ، يا ماريا كونستا نتينوفنا ! ايه ماذا ؟ سأبتكر شيئاً مُذْهلاً !

ماريا كونستاتينوفنا : لا ، لا تُضْحكْني ؛ أنت تعلم أنني لا أستطيع أن أتمالك نفسي .

باسيل ليونيدتيتش ، بصوت عالٍ : أنا باقٍ !

ليونيد فيودوروفيتش ، بقسوة : لكني أرجو الذين يبقون ألاّ يحوّلوا ذلك إلى مزاح ؛ فهذه أشياء جادّة .

بيتريشتييف : أتسمعُ ؟ إذن ، لنبقَ ! فوفو ، اجلسْ قربي وانظرْ ، ولا تخفْ .

بيتسي : أنت تضحك ، لكنك سترى ما الذي سيجري .

باسيل ليونيديتش : وإذا كان هناك ، بالفعل ، شيء ما . ايه ماذا ؟

بيتريشتييف ، يرتجف : أوه ! أنا خائف ، أنا خائف ، يا ماريا كونستانتينوفنا ؛ أنا خائف وساقاي الصغيرتان ترتعدان .

(بيتسي تضحك)

ليونيد فيودوروفيتش : اجلسْ ، اجلسْ ! اجلس ، يا سيمون .

سيمون : بأمركَ .

(يجلس على طرف كرسيّ) .

ليونيد فيودوروفيتش : اجلسْ جيدا .

الأستاذ : اجلسْ كما يجلس الناس ، في وسط الكرسي ، وعلى راحتك تماماً .

ليونيد فيودوروفيتش ، رافعاً صوته : أرجو الذين يبقون أن يلزموا الهدوءَ وأن ينظروا إلى المسألة بجدّ ! فقد يكون لذلك نتائج مزعجة . أتسمعَ ، يا فرفو ؟ إذا لم تبق هادئاً فالأفضلُ أن تخرج .

باسيل ليونيديتش : امرك ، سيدي .

(يختبىء وراء ظهر السيدة البدينة) .

ليونيد فيودوروفيتش : الكسي فلاديمير وفيتش : أأنت الذي ينوّمها ؟

الأستاذ : لا ، لماذا أنا ؟ ما دام انطون بوريسوفيتش هنا . وهو أكثر خبرةً عملية ، وأكثر قوةً مني بهذا الصدد .

غروسمان : يا سادة ، الحق أنني لستُ من مستُحضري الأرواح ؛ درستُ النوم المغناطيسي فقط ، صحيح أنني درستُ النوم المغناطيسي في كل تجلّياته ، لكنّ ما يُسمّى استحضار الأرواح أجهلُه جهلاً كلّياً . فعندما أنوّم شخصاً أستطيعُ أن أتوقع ظواهر النوم المغناطيسي التي

أ عرفها : السُبات ، الخمول ، الخَدَر ، فقد ان الألم ، التخشّب . أما هنا فيُطلب منا دراسة ظواهر من نوع آخر . ولذلك يكون من المرغوب فيه أن نعرف ما الظواهر المنتظرةَ وما قيمتُها العلمية .

ساخاتوف : إنني أشاطر السيد غروسمان الرأيَ كلّياً ، فمثل هذه التفسيرات ستكونُ مثيرةً للاهتمام .

ليونيد فيودوروفيتش ، للأستاذ : أنا واثق ، يا الكسي فلاديميروفيتش أنك لن تبخل علينا بهذه التفسيرات .

الأستاذ : موافق . يمكنني أن أعطي هذه التفسيرات إذا رغبتم في ذلك . (للطبيب) في أثناء هذا الوقت ، أتريد بأن تسجل حرارة الشخص ونبضَه ؟ سيكون تفسيري سطحياً ، ومقتضباً بالضرورة .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، مقتضبٌ .

الطبيب : على الفور ! (يخرج ميزان حرارة ويعطيه سيمون) هيا ! يا فتاي ! (يضع ميزانَ الحرارة) . هكذا ، شدّ عليه تحت ذراعك .

سيمون : نعم ، يا سيدي .

الأستاذ ، ينهض ، ويلتفتُ إلى السيدة البدينة ثم يعود إلى الجلوس : يا سادتي ، الظاهرة التي سندرسها تُعْرَض ، على العموم باعتبارها جديدةً من جهة ، وباعتبارها ، من جهة ثانية ، متجاوزةً لحدود القوانين الطبيعية . وهذا غير صُحيح . إن هذه الظاهرة قديمة قدمَ العالم ، وهي ليست فوق

الطبيعة وإنما تخضع لنفس القوانين الخالدة التي تحكم كل ما هو موجود . وقد كانت هذه الظاهرة تُعَرَّف عادةً على أنها اتّصال بعالم الأرواح . وهذا التعريف غيرُ صحيح أيضاً . إذ ان عالم الأرواح ، بحسب هذا التعريف يعارضُ العالم ، المادي ؛ وليس هذا صحيحاً . فهذا التعارضُ غيرُ موجود . ذلك أن هذين العالمين مترابطان ترابطاً وثيقاً جدا بحيث يغدو من المستحيل أن نرسم خطّ الفصل بينهما . نحن نقول إن المادة مؤلّفة من جزئيات . . .

بيتريشييف : هذه المادة مُضْجرةٌ جدا .

(همسٌ وضحاك) .

الأستاذ ، يتوقّف ثم يتابع : . . . والجزئيات من ذرات : لكن بما أن الذرات ليس لها مساحة ، فهي ليست سوى نقاط تطبيق القوى ؛ أو بالأحرى ، نقاط تطبيق الطاقة لا القوى ، تلك الطاقة التي هي واحدة ولا تقبل الدمار . شأنها شأن المادة . وبما أن المادة واحدة ، وإنْ تعدّدتْ أشكالُها ، فكذلك الأمرُ بالنسبة إلى الطاقة . ونحن لا نعرف ، حتى هذه الأزمنة الأخيرة ، سوى أربع حالات من حالات الطاقة المتعادلة والتي يمكن أن تتحوّل إحداها إلى الأخرى . نحن نعرف الطاقات : الحركية والحرارية والكهربائية والكيميائية . لكنّ هذه الحالات أبعدُ من أن تستنفد تنوّعَ أشكال الطاقة . وهذه الأشكال متعدّدة ، وما ندرسهُ هنا هو شكلٌ من أشكالها ثبتَ حديثاً . عَنَيْتُ الطاقةَ الوسيطية .

(همس وضحك في الركن الذي جلس فيه الشبّانُ . يتوقف الأستاذ ويرقي بنظرة صارمة صَوْبهم ، ثم يتابع) :

والطاقة الوسيطية تَعْرفُها الإنسانيةُ ، على كل حال ، منذ الأزمنة السحيقة : فالتنبؤات ، والحدوسات ، والرؤى ، وكثيرٌ من الظواهر الأخرى ، ليست سوى تجلّيات لهذه الطاقة . وهذه التجلّيات كانت معروفةً في كل الأزمنة ؛ لكن الطاقة نفسها لم يُعْتَرَفْ بها قبل هذه الأزمنة الأخيرة . كان لا بدّ لذلك من اكتشاف هذا الوسيط الذي تتجلّى عن طريقه الطاقةُ الوسيطية تجلياً طبيعياً جدا . وكما أن الظواهر المضيئة ظلّتْ بلا تفسير حتى الزمن الذي اعتُرِفَ فيه بوجود الأثير ، فكذلك الظواهر الوسيطيةَ بقيتْ غامضةً حتى الزمن الذي اعتُرِفَ فيه بهذه الحقيقة التي لا يُنكِرها أحدٌ اليوم وهي أن الأثير مختلطٌ بمادة أدق وأخفّ من الأثير ، مادةٍ تُفلتُ من قانون الأبعاد الثلاثة .

(يغدو الهمسُ والضحكُ أشد صخباً ، فيرسلُ الأستاذُ نظرةً صارمةً) .

وكما أن الحسابات الرياضية أكّدتْ بما لا يدع مجالاً للنقاش ، وجودَ الأثير الذي لا وزن له والذي يُحدث ظواهر الضوء والكهرباء ، فكذلك أكّدتْ سلسلة من تجارب العبقري « هرمان » وشميت ، وجوزيف شيما تزوفين(١) ، بما لا يدع مجالاً للشك ، وجودَ مادة

(١) هرمان ، شميث ، شما تزوفين : أسماء من اختراع تولستوي .

تملأ الكونَ ويمكن أن تُسمّى الأثير الروحي . . .

السيدة البدينة : نعم ، الآن ، فهمتُ . كم أنا ممتنةٌ لـ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، لكن ألا يمكنُ . . . الاختصار قليلاً ، الكسي فلاديميروفيتش ؟

الأستاذ ، دون أن يجيب : وإذن فكما تشرّفتُ وقلتُ لكم : إن سلسلةً من الأبحاث والتجارب العلمية بالمعنى الدقيق قد عرّفتنا بقوانين الظواهر الوسيطية . وقد أظهرت هذه التجاربُ أن بعض الأشخاص عندما يكونون في حالة النوم المغناطيسي (وهي حالةٌ تتميّز فقط عن النوم العادي بأن النشاط الفيزيولوجي لا يتناقص كما هو في النوم ، بل يزيد دائماً كما رأينا قبل قليل) ، قلتُ عندما يكون الشخصَ في حالة النوم المغناطيسي ، ينتجُ عن ذلك بعضِ الاضطرابات في الأثير الروحي — اضطرابات شبيهةٌ تماماً بالاضطرابات التي نحدثُها عندما نغطّس جسماً صلباً في جسم سائل . هذه الاضطرابات هي ما نسمّيه الظواهر الوسيطية .

(ضحك وهمس من جديد) .

ساخاتوف : هذا واضحٌ جدا . لكنْ اسمحْ لي أن أطرحَ عليكِ سؤالاً . إذا كان أثرُ تغطيس الوسيط في النوم ، يُحدث ، كما قلت لتوّكَ ، اضطرابات في الأثير الروحي ، فلم تتجلّى هذه الاضطراباتُ دائماً عن طريق العلاقات

بأرواح الموتى ، كما يحدث في جميع جلسات استحضار الأرواح .

الأستاذ : لأن جزئيات هذا الأثير مكوّنةٌ من أرواح الأحياء والأموات ، وأرواح الذين لم يولدوا بعدُ ؛ وكل اهتزاز في هذا الأثير الروحي يُثير بالضرورة حركةً ما في هذه الجزئيات . وبما أن هذه الجزئيات ليست سوى الأرواح البشرية ، فمن الطبيعي أن يتّصل بعضُها ببعض .

السيدة البدينة ، لساخاتوف : لكنْ ما الذي يمكن أن يُربكاكَ ؟ الأمرُ بسيطٌ جدا . (للأستاذ) شكراً جزيلاً .

ليونيد فيودوروفيتش : أعتقد أن كل شيء غدا واضحاً الآن ، وأنه يمكننا أن نبدأ .

الطبيب : هذا الفتى في ظروف عادية تماماً : الحرارةُ هي ٣٧,٢° ، والنبض ٧٤ .

الأستاذ ، يتناول دفتره الصغير ويسجّل : تأكيداً لما تشرّفتُ وقلته لكم ، لاحظوا أن حالة النوم المغناطيسي تُحدث ، كما سنرى على الفور ، ارتفاعاً في الحرارة وتسارعاً في النبض .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ! لكن اسمحوا لي . أود أن أجيب فقط عن سؤال سيرج ايفانوفيتش : كيف نَعْرف أننا على اتّصال بأرواح الموتى ؟ إننا نعلم ذلك بطريقة بسيطة جداً ، لأن الروحَ عندما تأتي تقول لنا ، كما أكلّمك الآن ، مَنْ هي ، ولماذا جاءت ومن أين جاءَت . وهكذا ففي آخر جلسة اتّصلنا بروح أسباني يُدعى دون كاستياوس ،

وقالت لنا كل شيء ، مَنْ كان دون كاستيلوس ، ومتى مات ، كما تحدثتْ عن ندمها لاشتراكها في محاكم التفتيش ! وأخبرتْنا فجأة أنها ستتجسّد مرة ثانية على الأرض ، وأنها لا تستطيع أن تتابع الحديث .

السيدة البدينة ، تقاطعه : آه ! ما أطرَفَ هذا ! ربما وُلد الإسباني في منزلنا وهو الآن صغيرٌ جداً .

ليونيد فيودوروفيتش : هذا ممكنٌ جداً .

الأستاذ : أعتقد أنه قد آن لنا أن نبدأ .

ليونيد فيودوروفيتش : أحببتُ فقط أن أقول . . .

الأستاذ : تأخّر الوقت .

ليونيد فيودوروفيتش : حسناً ! نستطيع أن نبدأ . أتريد أن تنوّم الوسيط ، يا أنطون بوريسوفيتش(١) ؟ . . .

غروسمان : كيف تريد أن أنوّم الشخص ؟ هناك عدةُ طرقٍ . هناك طريقة « بريدا » ، وطريقة الرمز المصري ، وطريقة شاركو .

ليونيد فيودوروفيتش ، للأستاذ : لا فرق بينها ؟

الأستاذ : قطعاً ، لا .

غروسمان : إذن ، سأستخدم طريقتي التي جرّبتُها في اوديسا .

ليونيد فيودوروفيتش : تفضّلْ ، أرجوك .

غروسمان ، يحرّك يديه فوق سيمون الذي يغمض عينيه ، ويتثاءب .

---

(١) بوريسوفيتش : هو غروسمان نفسه ، لعله يهودي من أوربا .

يفحصه غروسمان عن قرب : إنه ينام . . . لقد نام . لقد حدث النومُ بسرعة عظيمة . من الواضح أن الشخص دخَلَ في حالة الخدر . الجدير بالملاحظة أن هذا الوسيط حسّاسٌ إلى حدٍّ غير عادي . (يجلس وينهض ، ويعود إلى الجلوس) . نستطيع الآن أن نَحزه في يديه إذا شئتم .

الأستاذ، لليونيد فيودوروفيتش: هل لاحظتَ أن نوم الوسيط يؤثّر في غروسمان . لقد بدأ يهتزّ .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، نعم ! نستطيع أن نُطفىء الآن ؟

ساخاتوف : وهل الظلمة ضرورية ؟

الأستاذ : الظلمة ؟ لأن الطاقة الوسيطية إنما تتجلّى في الظلمة ، كما أن درجةً معيّنةً من الحرارة هي الشرط لبعض تجليّات الطاقة الكيميائية والحركية .

ليونيد فيودوروفيتش : ليس هذا دائماً . رأيت ظواهر تحدث مع وجود شموع مضاءة ، وحتى في ضوء الشمس .

الأستاذ ، يقاطعه : أيمكن أن نطفىء الأنوار ؟

ليونيد فيودوروفيتش : نعم . (تُطفْأ الشموع) . أيها السادة ، الآن أطلبُ منكم الانتباه .

(تخرج تانيا من تحت الأريكة وتتناول الخيط المعلّق بمصباح جداري) .

بيتريشتييف : لا ، إن ما يُعجبني هو هذا الإسباني الذي اختفى أثناء حديثه ، ورأسُه إلى الأسفل . هذا ما يُسمّى :

« شاك برأسه » .

بيتسي : لا ، انتظرْ . سترى ما سيحدث .

بيتريشتييف : لستُ أخشى سوى شيء واحد هو أن يشرع فوفو بالمهمة كالخنزير .

باسيل ليونيديتش : أتريد ذلك ؟ سأشرع به ...

ليونيد فيودوروفيتش : يا سادة ، أطابُ إليكم المحافظة على الصمت !
(صمت . سيمون يحك أصابعه بأعواد الكبريت ويحرّكها) .
الضوء ، أترون الضوءَ ؟

ساخاتوف : الضوء ، نعم ، رأيته ، لكن اسمحْ ...

السيدة البدينة : أين ؟ أين ؟ آه ! لم أرَ ! آه ! رأيت ، ايه ! ...

الأستاذ ، بصوت خافت لليونيد فيودوروفيتش : انظرْ كيف يهتزّ (يشير إلى غروسمان الذي يتحرك) . هذا هو التأثير الثنائي !

(يرُى الضوء أيضاً)

ليونيد فيودوروفيتش ، للأستاذ : لكنْ ، هذا هو !

ساخاتوف : مَنْ هذا ؟

ليونيد فيودوروفيتش : اليوناني نيكولا . هذا ضوءُه . أليس كذلك يا الكسي فلاديميروفتش ؟

ساخاتوف : ومَنْ هو هذا اليوناني نيكولا ؟

الأستاذ : هو يوناني كان راهباً في عهد قسطنطين ، في بيزنطة ، وقد زارنا في هذه الأزمنة الأخيرة .

السيدة البدينة : وأين هو ؟ أين هو ؟ لستُ أراه !

ليونيد فيودوروفيتش : لا تمكنُ رؤيتُه بعدُ . . . وهو حسن الاستماع إليك ، يا الكسي فلاديمير وفيتش ، فاسألْهُ .

الأستاذ ، بصوت متغيرّ : نيكولا ، أهذا أنتَ ؟

(تضرب تانيا الجدارَ مرتين) .

ليونيد فيودوروفيتش ، فرحاً : هو نفسه ، هو نفسه !

السيدة البدينة : يا إلهي ! أريدُ أن أنصرف !

ساخاتوف : لكنْ كيف عرَفْتَهُ ؟

ليونيد فيودوروفيتش : الضربتان ردٌ إيجابي ، وإلا فان يُسْمَع شيءٌ .

(صمت ، ضحك متصل ، في ركن الشبان . تَرْمي تانيا على الطاولة كمّة المصباح وقاماً وممسحة للريش) .

ليونيد فيودوروفيتش ، بصوت خفيض : لاحظوا ، يا سادة : انظروا إلى كمّة المصباح ، وشيء آخر ! يا الكسي ، فلاديمير وفيتش ، هو القلم !

الأستاذ : طيب ، طيب ! إني أراقب ذلك وأراقب غروسمان أيضاً . هل لاحظتَ ؟

(ينهض غروسمان وينظر إلى الأشياء التي وقعتْ على الطاولة) .

ساخاتوف : اسمحوا لي ! اسمحوا لي ! أحب أن أرى إن لم يكن الوسيط نفسه هو الذي يفعل ذلك ؟

ليونيد فيودوروفيتش : أتظنّ ذلك ؟ حسناً ! اجلسْ بجنبه ... وأمساك بيديه . لكن ثقْ بأنه ينام . . .

ساخاتوف يتقدّم ، يلامس برأسه الخيط الذي تمساك به تانيا ، وينحني خائفاً : نعم ، هذا غريب ! غريب !

(يدنو من سيمون ويمساك بذراعه ، سيمون يهمهم) .

الأستاذ ، لليونيد فيودوروفيتش : أرأيتَ الأثر الذي يُحدثه فيه وجود غروسمان ؟ هذه ظاهرة أخرى يجب تسجيلُها .

(يخرج لحظة ليسجّل ملاحظاته ثم يعود من فوره) .

ليونيد فيودوروفيتش : لكن يجب أن نرد على نيكولا !

غروسمان ، يدنو من سيمون ويرفع ذراعه ويخفضها : من الشائق الآن أن نُحدثَ التقاّص ، فالمنوَّم الآن في أعمق نومه .

الأستاذ ، لليونيد فيودو روفيتش : أترى ، أترى ؟ ...

غروسمان : اسمحوا لي . . .

الطبيب : يجب أن تُتْرُك إدارة الجلسة لألكسي فلاديميروفيتش . لأن الأمر صار جِداً .

الأستاذ : دَعْهُ ، ها هو ذا يتكلّم وهو نائم .

السيدة البدينة : ما أعظم سروري لأني بقيتُ ! هذا يخيفني ، ولكنني مع ذلك مفتونةُ اللب ؛ لأنني كنتُ أقول دائماً لزوجي ...

ليونيد فيودوروفيتش : القليلَ من الصمت !

(تانيا تمسّ بالخيط رأس السيدة البدينة) .

السيدة البدينة : آي !

ليونيد فيودوروفيتش : ماذا ؟ ماذا ؟

السيدة البدينة : أمسكني بشعري .

ليونيد فيودوروفيتش ، بصوت خافت : لا تخشيْ شيئاً ! أعطيه يدكِ . يده في هذه الحالة باردة ؛ لكني أحبّ هذا .

السيدة البدينة : مخفيةً يدها : لن أعطيه إياها أبداً .

ساخاتوف : نعم ، هذا غريب ! هذا غريب !

ليونيد فيودوروفيتش : الروح هنا ! مَنْ يريد أن يطرح عليها سؤالاً ؟

ساخاتوف : أنا ، إذا شئتَ .

الأستاذ : قلْ !

ساخاتوف : أأنا مؤمنٌ أم لا ؟

(تانيا تضرب ضربتين) .

الأستاذ : الرد إيجابي .

ساخاتوف : اسمحوا لي ! أحب أن أسأل أيضاً . هل في جيبي ورقة عشرة روبلات ؟ (تانيا تضربُ عدة ضربات وتلامس بالخيط رأسَ ساخاتوف) . آه !

(يمسك بالخيط ويقطعه) .

الأستاذ : أرجو الحضور ألا يَطْرحوا أسئلةً مبهمةً أو مازحةً ، فهذا غير مُستحبّ عنده .

ساخاتوف : لكن اسمحوا لي ! في يدي خيطٌ .

ليونيد فيودوروفيتش : خيط ؟ احتفظْ به . هذا ما يقعُ غالباً . لا الخيوط فقط بل وأيضاً أشرطة من الحرير عتيقة كأعتق ما تكون .

ساخاتوف : آه ! لا ! اسمحوا لي ! من أين جاء هذا الخيط ؟ (تانيا ترميه بوسادة) . اسمحوا لي ! اسمحوا لي ! ضربني شيءٌ ليّن على رأسي . تكرّموا باشعال النور ...

الأستاذ : نرجوك ألا تشوّش التجسّد . . .

السيدة البدينة : أرجوك ، ألا تقاطعه ، بحق السماء ! عندي شيء أريد أن أسأل عنه ، أأستطيع ؟ .

ليونيد فيودوروفيتش : بكل تأكيد !

السيدة البدينة : أحب أن أطرح سؤالاً بخصوص معدتي . أحب أن أسأل ما الذي يجب أن آخذه ، هل آخذ الآكونيت أم بيتّ الجبين ؟

(صمت ، همس في جهة الشبّان . وفجأة يصرخ باسيل ليونيدتيش كما يصرخ الطفل على ثدي أمه . ضحكات صاخبة . الشبان يكموّن أنوفهم وأفواههم بأيديهم ليكتموا ضحكهم . تخرج الفتاتان وبيتريشتييف وهم يركضون) .

آه ! لا شك أنه الراهبُ اللذي انبعث قبل قابل .

ليونيد فيودوروفيتش ، ثائراً ، بصوت خافت وبغضب : أنت لا

تفعل سوى الحماقات ! إن كنت لا تستطيع أن تجلس
جلسة لائقةً فاخرجْ !

(يخرج باسيل ليونيديتش) .

المشهد — ٢٠ —

« ليونيد فيودو روفيتش ، الأستاذ ، السيدة البدينة ، ساخاتوف ، غروسمان ، الطبيب ، سيمون ، تانيا ، ظلمةٌ وصمت » .

السيدة البدينة : آه ! يا للخسارة ! هل ذهبَ نيكولا ؟ بدا لي أنني سمعتُ صراخَ وليدٍ ؟

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، أبداً ! هذه حماقات « فوفو » ، لكن الروح هنا فاسأليها .

الأستاذ : هذا ما يقع غالباً ! فقد ألفنا هذا التهريج وذاك الهزء . وأظنّه موجوداً هنا ، يا ليونيد فيودوروفيتش ، أتحب أن تسأله عن ذلك ؟

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، اسأله أنتَ ! . . . فهذه الوقاحة هزّتني هزّا !

الأستاذ : طبيب ! نيكولا ، أما زلتَ هنا ؟

(تانيا تضرب مرتين وتحرك الجرس ، عاد سيمون إلى الهمهمة وملامسة ساخاتوف والأستاذ الذي يشدّه) .

يا لها من ظاهرة غير متوقّعة ! تأثيرٌ مباشر في الوسيط نفسه !
لم يقع هذا قط . راقبْه ، يا ليونيد فيودوروفيتش ،

فليس ذلك مريحاً لي ، إنه يشدّ علي كثيّاً . وانظرْ إن كان غروسمان يهتزّ ! يلزمنا الكثير من الانتباه الآن .

(ترمي تانيا على الطاولة عقد الفلاحين) .

ليونيد فيودوروفيتش : وقعَ شيءٌ على الطاولة .

الأستاذ : انظر ، ماذا وقع ؟

ليونيد فيودوروفيتش : ورقة مطويّة !

(ترمي تانيا بمحبرة)

ومحبرة !

(ترمي تانيا بريشة)

وريشة !

(يتابع سيمون همهمته وخربشته) .

الأستاذ : اسمحوا لي ، اسمحوا لي ! هذه ظاهرة جديدة تماماً ، فليست الطاقة الوسيطية هي التي تعمل بل الوسيط نفسه . ومع ذلك افتحوا الدواةَ وضعوا الريشة قرب الورقة ، فسيكتبُ .

(تانيا ، وراء ليونيد فيودوروفيتش ، تضربه بالقيثارة على رأسه) .

ليونيد فيودوروفيتش : ضربتني على رأسي . (ينظر إلى الطاولة) . الريشة لا تكتب ، والورقُ ما زال مطوياً .

الأستاذ : انظر بسرعة إلى الورقة . لا شك أن قوة غروسمان أحدثت اضطرابات .

ليونيد فيودوروفيتش ، يخرج لحظةً ويعود مباشرةً **:** غريب . فهذه

الورقة هي العقد الذي رفضت هذا الصباح أن أوقّعه للفلاحين والذي أعَدْتُه إليهم . لعله يريد أن أوقّعه .

الأستاذ : بالتأكيد ، بالتأكيد . لكن اسأل : نيكولا ، أتريد ذلك ؟

(تانيا تضرب ضربتين) .

أتسمعُ ، الأمرُ واضح !

(يتناول ليونيد فيودوروفيتش الريشةَ ويخرج ، تانيا تضرب وتعزف على القيثارة والاكورديون وتندسّ تحت الأريكة . يعود ليونيد فيودوروفيتش . يتمطّى سيمون ويسعل) .

ليونيد فيودوروفيتش : لقد استيقظ ، نستطيع أن نضيء الشموع .

الأستاذ ، بحيوية : دكتور ! دكترر ! أرجوك ، الحرارة والنبض ! سترَوْن أن الحرارة ارتفعتْ !

ليونيد فيودوروفيتش ، مضيئاً الشموع : ما رأيكم ، أيها السادة المتشككّون ؟

الطبيب ، يدنو من سيمون ويضع له ميزان الحرارة : هل نمتَ يا فتى؟ ضَعْ هذا ، وأعطني يدك .

(ينظر إلى ساعته) .

ساخاتوف ، هازاً كتفيه : أستطيع أن أؤكّد أن الوسيط لم يَفْعل كل ما وقَعَ . والخيط ؟ أريد تفسيراً للخيط ! ...

ليونيد فيودوروفيتش : الخيط ! الخيط ! لقد صادفْنا هنا من قبل ظواهر أكثر خطورة من ذلك .

ساخاتوف : لا أدري . وعلى كل حال ، فأنا أحتفظ برأيي .

السيدة البدينة ، لساخاتوف : آه ! لا ! كيف يجوز لك أن تقول : أنا أحتفظ برأيي . والطفل الصغير بجناحيه ، ألم تَرَه ؟ في البداية ظننته وَهْماً ، ثم رأيت بوضوح بعد ذلك ...

ساخاتوف : لا أستطيع الكلامَ إلا على ما رأيت ، ولم أرَ ذلك .

السيدة البدينة : اوه ! مالَكَ ؟ كان واضحاً ، مع ذلك ! وإلى اليسار ، راهبٌ بلباس أسود انحنى عليه !

ساخاتوف ، يدير لها ظهرَه : أية مبالغة هذه !

السيدة البدينة ، للطبيب : لا بدّ أنك رأيته ! كان من جهتك .

(يتابع الطبيب جسَّ النبض دون أن يُصغي إليها . لغروسمان) . وهذا الضوءُ حول الوجه ... وذلك التعبير البالغ العذوبة والرقّة ، شيءٌ سماويّ ...

(تبتسم بحنان) .

غروسمان : رأيتُ وميضاً فوسفورياً ... ورأيتُ الأشياءَ تغيّر مواضعَها ... ولم أر شيئاً غير ذلك .

السيدة البدينة : أوه ! مالَكَ ؟ أنت تقول هذا لأنك من مدرسة شاركو ولأنك لا تؤمن بالحياة بعد الموت ! أما أنا فلا أحد ، لا أحد يستطيع أن ينتزع مني إيماني بالحياة الأخرى ! (غروسمان يدير لها ظهره) . لا ، لا ! قولوا ما تشاؤون ، لكني قد قضيت لحظة من أسْعد لحظتين قضيتهما في حياتي :

اللحظة التي سمعتُ « سارازات(١) » يعزف فيها ، وهذه اللحظة . نعم ! (لا أحد يُصغي إليها ، تدنو من سيمون) . قلْ لي ، يا صديقي ، بماذا كنتَ تحسّ ؟ أكان ذلك مؤلماً .

سيمون، ضاحكاً : هكذا !

السيدة البدينة : لكن ذلك على كل حال ، مُحتملٌ ؟

سيمون : هكذا (لليونيد فيودوروفيتش) . هل يجب أن أنصرف ؟

ليونيد فيودوروفيتش : امضِ ! امضِ !

(يخرج سيمون) .

الطبيب، للاستاذ : النبض هو ذاته ، لكن الحرارة هبطتْ .

الأستاذ : هبطتْ ؟ (يبقى متفكّراً ، ثم يحزر السبب) . نعم ، طبعاً ! إن التأثير المضاعف لا بدّ أن يحدث بعض التداخل .

ليونيد فيودوروفيتش، يتكلم في الوقت نفسه الذي يتكلّم فيه الآخرون : لستُ آسفاً إلا على شيء ، هو أنه لم يكن هناك تجسّدٌ كامل . لكنْ مع ذلك ... تفضّلوا ، أيها السادة ، إلى غرفة الاستقبال .

السيدة البدينة : ما أدهشني أكثر من غيره هو أنني رأيته يرفع جناحيه ويصعد في الهواء .

غروسمان : لو اقتصرنا على النوم المغناطيسي وحده لأمْكننا أن نحدث صَرَعاً تاماً ، ولكان النجاحُ مطاقاً .

---

(١) سارازات : لاعب الكمان الإسباني المشهور (١٨٤٤ – ١٩٠٨) وقد لقي نجاحاً عظيماً أثناء جولاته في روسيا وأمريكا .

ساخاتوف : هذا شائقٌ لكنه ليس مقنعاً تماماً . هذا كل ما أستطيع أن أقوله .

(يخرج الجميع ، ما عدا تانيا وليونيد فيودوروفيتش ، وهم يتابعون حديثهم) .

المشهد — ٢١ —

« ليرنيد فيودوروفيتش ، يدخل تيودور ايفانوفيتش والعقد بيده » .

ليونيد فيودوروفيتش : ليتك رأيتَ ، يا تيودور ! أية جاسة ! مدهشة ! وقد نتجَ عنها أنه يجب أن أتنازل عن الأرض للفلاحين بالشروط التي يَعْرِضونها .

تيودور ايفانوفتش : آه !

ليونيد فيودوروفيتش : طبعاً (يريُه العقد) . تصوّرْ أن العقد الذي أعدتُه لهم قد وُجدَ على الطاولة ! ووقّعْتُه .

تيودور ايفانوفيتش : لكنْ كيف جاءَ إلى هنا ؟

ليونيد فيودوروفيتش : آه ! كما ترى عيناك ! لقد جاء !

(يخرج ويتبعه تيودور ايفانوفيتش) .

المشهد — ٢٢ —

تانيا ، وحدها ، تخرج من تحت الأريكة وتنفجر ضاحكة : آه ! يا أصدقائي ! كم خفت عندما قبَضَ على الخيط . (تُطاق

صرخةً) . لكن اللعبةَ نجحتْ مع ذلك ؛ لقد وقّع !

(يدخل غريغوري) .

المشهد — ٢٣ —

« تانيا وغريغوري . »

غريغوري : أنتِ اذنْ التي كانت تضحكُ عليهم ؟

تانيا : هل يخصُّك هذا ؟

غريغوري : أتظنّين أن السيدة ستُثْني علياكِ من أجل ذلك ؟ آه ! لا ! الآن قبِضَ عليكِ ! وسأروي جميع ألاعيبك إذا لم تفعلي ما أريدُه !

تانيا : لن أفعل ما تريد ، ولن تستطيع شيئاً .

ستار

الفصل الرابع

منظر الفصل الأول

المشهد — ١ —

« خادما تشريفات ، بالثوب الرسمي ، تيودور ايفانوفيتش وغريغوري » .

الخادم الأول ، وهو أشيب السالفين : هذه هي الزيارة الثالثة التي نقوم بها اليوم . ومن حسن الحظ أن يسكن الأشخاصُ الذين يستقبلون في اليوم ذاته ، الحيِّ ذاته . كان يوم الاستقبال عندكم ، في الماضي ، هو يوم الخميس .

تيودور ايفانوفيتش : ثم غيرناه إلى يوم السبت حتى يقع في يوم استقبال آل غولوفكين وآل « غرادي فون غرابيه » ...

الخادم الثاني : الجميلُ عند آل شيرباكوف أنه عندما يكون هناك حفلة راقصة ، تُقَدَّم للخدم وليمتُهم .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، الأميرة ، الأميرة الشابة وبيتسي ينزلْنَ الدرجَ . تنظر الأميرة إلى دفترها الصغير وإلى ساعتها ، ثم تجلس على الصندوق . يضع غريغوري في قدمها الحذاء الواقي » .

الأميرة الشابة : لا ، أرجوكِ ، تعالي . وإلاّ ، إذا رفضْتِ أنتِ ، وإذا رفضَ دودو ، فإن نستطيع إذ ذاك أن نفعل شيئاً .

بيتسي : لا أدري ؛ إذ يجب أن أذهب حتماً إلى منزل آل شوبين . ثم هناك التدريبات .

الأميرة الشابة : سيكون لديك متّسعٌ من الوقت ؛ لا ، أرجوك . لا تُخلّي بوعدك . ستحضر فيديا ، وسيحضر كوكو .

بيتسي : عفْتُ كوكو هذا .

الأميرة الشابة : ظننتُ أني سأجدهُ هنا . فهو عادةً دقيقٌ دقةً ...

بيتسي : اوه ! سيأتي بالتأكيد .

الأميرة الشابة : عندما أراه معك يُخَيّلُ إلي أنه طالباك للزواج قبل هنيهة ، أو أنه سيطلباك بعد هنيهة .

بيتسي : نعم ، أكبرُ الظنّ أنني سأُحْمَلُ على ذلك حملاً . وهذا أمرٌ غيرُ مستحبّ !

الأميرة الشابة : مسكين كوكو ، فهو عاشق !

بيتسي : اسكتي ! فالناس . . .

(تجلس الأميرة الشابة على ديوان وتتهامس هي وبيتسي ، في حين يضع غريغوري في قدمها حذاءها الواقي) .

الأميرة الشابة : إلى اللقاء إذن ، هذا المساء !

بيتسي : سأحاول .

الأميرة : قولي لوالدك : إنني لا أصدّق شيئاً ، لكني سآتي مع ذلك لأرى وسيطَه الجديد . لِيُعْامنْي . إلى اللقاء ، يا حلوتي .

(يتعانَقْنَ . تخرج الأميرة وابنتُها . تصعد بيتسي الدرجَ عائدةً) .

المشهد ـ ٣ ـ

« خادما التشريفات تيودور ايفانوفيتش ، غريغوري »

غريغوري : لا أحبّ أن أُنْعِلَ العجائزَ أحذيتهن ! فهن لا يستطعْنَ أن يَنْحنين ولا يرين الأرض بسبب بطونهن ، وهن يدسسْن دائماً أقدامهن جانباً . الأمر مختلف عندما تكون المرأة شابةً ! بل إنه من المستحبّ أن يمسك المرءُ بيده قدمها الصغيرة !

الخادم الثاني : وهذا أيضاً يميّز بين النساء .

الخادم الأول : ليس لنا نحن ،أن نميّز بينهن .

غريغوري : ولمَ لا ؟ ألسنا بشراً ؟ هنّ اللواتي يتصوّرن أننا لانفهم شيئاً . فعندما كانتا تثرثران قبل قليل رَمَتاني بنظرةٍ وقالتا : الناس !

الخادم الثاني : وما معنى هذا ؟

غريغوري : آه ! معناه : « لا تتكلّمي فهم يفهمون ! » وأثناء الغداء أيضاً ،وأنا قد فهمتُ . أنت تقول : إن بيننا وبينهم فرقاً ... لا فرقَ بيننا .

الخادم الثاني : الفرقُ كبيرٌ لمن يفهم . .

غريغوري : لا فرقَ بيننا : أنا اليوم خادم وربما أصبحتُ غداً خيراً منهم . وهؤلاء السيدات يتزوجن أيضاً بالخدم ؛ ألم يحدثْ هذا ؟ أودّ أن أدخّن .

(يخرج)

المشهد — ٤ —

الأشخاص أنفسهم ما عدا غريغوري .

الخادم الثاني : هذا الشاب جريء !

تيودور إيفانوفيتش : هو فتى تافه ! لا يملك الاستعدادات اللازمة للخدمة : كان خادماً في مكتب ففسد . وقد نصحتُ بعدم استخدامه . لكنه أعجب السيدة . فهو حسن الهيئة عندما يُرى في العربة . . .

الخادم الأول : لو شاورني لشغّلتُه عند معلّمنا الكونت ، فهذا سيضعه عند حدّه . إنه لا يحب المتعجرفين . إذا كنتَ خادماً فابقَ خادماً ! الزمْ طبقتك . أما هذا التكبّر فهو لا يلائمنا .

المشهد — ٥ —

« الأشخاص أنفسهم بيتر يشتيبف ينزل الدرج على عجل ويسحب سيجارة » .

بيتريشتيبف ، متفكّراً : نعم ، نعم ، جزئي الثاني يشبه « لك » ؛ واالكل . . . نعم نعم ، نعم . (يُقبل عليه كوكو

كانجن ؛ وهو يضع نظّارة بلا ساعد) . آه ! يا صغيري كوكو من أين جئتَ ؟

كوكو : من عند آل شيرباكوف . وأنتَ أما تزال في حماقاتك .

بيتريشتييف : لا اسمعْ الأحجية . . جزئي الأول يشبه « كين » ؛ وجزئي الثاني يشبه « لك » والكل يطرد العجول .

كوكو : لا أدري . ليس لديّ وقتٌ .

بيتريشتييف : وإلى أين أنت ذاهب ؟

كوكو : كيف ،إلى أين أنا ذاهب ؟ يجب علي أن أذهب إلى منزل آل ايفين ، وفيها سنتدرّب على الغناء ؛ ثم إلى منزل آل شوبين ، ثم إلى التدرّيبات . وأنتَ أيضاً ، ستحضر التدريبات .

بيتريشتييف : بالتأكيد ، لن أغيب . عنها . احزرْ هذه : أنا كنت المتوحش والآن أنا متوحّش وجنرال .

كوكو : وجلسة الأمس كيف جرَتْ ؟

بيتريشتييف : هلكْنا من الضحك ! استخدموا أحدَ الفلاحين وسيطاً ، وجرى ذلك في الظلمة خاصة . كان « فوفو » يصرخ كالطفل والأستاذ يقدّم شروحاته ، وماريا فاسيلييفنا تعلّق على ذلك . هلكْنا من الضحك ! خسارة أنك لم تحضرْ . . .

كوكو : أنا أخاف ، يا عزيزي ! أنت تستطيع أن تتخلّص بنكاتك ؛ أما أنا فيكفي أن أقول كلمة واحدة حتى

تُؤَوّلُ تأويلاً يُظهرني كأني أطلب الزواج ! وهذا لا يلائمني على الإطلاق . على الإطلاق ، على الإطلاق !

بيتريشتييف : وأنتَ تَقَدّمْ إلى الزواج بِفعلٍ ،فهذا لا يُلزمك شيئاً . اذهبْ إلى « فوفو » ثم نذهب معاً إلى التدريبات .

كوكو : لا أفهم كيف تنسجم مع أحمق كهذا ؟ ما أغباه ! أبله حقيقي .

بيتريشتييف : أما أنا فأحبه . أحب فوفو .

(يدخل غرفة باسيل ليونيديتش) .

المشهد — ٦ —

« خادما التشريفات . تيودور ايفانوفيتش . كوكو كلنجن بيتسي ترافق سيدة . كوكو ،يحييها تحية ذات معنى » .

بيتسي : تمدّ يدها إلى كوكو ثم تخاطب السيدة : ألستما متعارفين ؟

السيدة : لا .

بيتسي : البارون كلنجن . (لكوكو) . لمَ لمْ تأتِ أمس .

كوكو : كان ذلك مستحيلاً. ماكنتُ أستطيع الوصول في الوقت المناسب.

بيتسي : خسارة ، كان ذلك ممتعاً ! (تضحك) كنتَ سترى ما التجليات التي حدثتْ ! وأحجيتُنا هل هي بخير ؟

كوكو : اوه ! نعم ! أشعار « جزئي الثاني » جاهزة . « نياك » نظم الأشعار ،وأنا ألّفتُ الموسيقا .

بيتسي : ما هذه الأشعار ؟ أنشدْها لي !

كوكو : عفواً ! كيف ؟ . . . آه ! نعم ! الفارسُ يغنّي لنانا :

(يغني)

ما أجْملَ الطبيعةَ !

نانا الحلوةُ

تَسْكبُ الأمل في نفسي

نا ، نا ، نا ، نا ، نا ، نا .

السيدة : الجزء الثاني هو « نا » . وما الجزءُ الأول ؟

كوكو : وجزئي الأول ، جزئي الأول « آري » ، وهو اسم متوحّشة .

بيتسي : « آري » متوحشة تريد أن تفترس حبيبَها .

(تنفجر ضاحكةً . تمشي . ثم تقف وتغنّي) :

آه ! الشهيّة . . .

كوكو ، مقاطعاً: تعذّبني !

بيتسي ، مستأنفةً : أودّ لو آكل أحداً ،

وأنا أمشي ، وأطوف . . .

كوكو : دون أن أعثر على شيء .

بيتسي : ولا أعلم مَنْ آكُلُ .

كوكو : وأرى في الأفق شراعاً .

بيتسي : يَدْنو حاملاً جنراليْن .

كوكو : نحنُ جنرالان

جَمعَ بيننا الشقاء ،
ورمى بنا فوق هذه الجزيرة .

السيدة : رائع .

بيتسي : أترينَ كم هي سخيفة !

كوكو : كل روعتها هنا .

السيدة : من قامَ بدور « آري » ؟

بيتسي : أنا . وقد فصّلْتُ ثوباً . ولكن ماما قالت لي : إنه غير محتشم لكن فستان الحفلات الراقصة لا يزيد احتشاماً عنه . (لتيودور ايفانوفيتش) . هل ساعي « بوردييه » هنا ؟

تيودور ايفانوفيتش : نعم ، يا آنسة ، وهو في المطبخ .

السيدة : والآربنا ؟

بيتسي : سترينَ ذلك ، لا أريد أن أُفسد عليكِ متعتك . إلى اللقاء .

السيدة : إلى اللقاء .

(يتبادلون التحية ، تخرج السيدة) .

بيتسي ، لكوكو : تعال إلى غرفة ماما .

المشهد — ٧ —

« تيودور إيفا نوفيتش ، خادما التشريفات ، يعقوب خارجاً من غرفة الخدمة يحمل صينيّة ملأى بفناجين الشاي والحلوى ، ويجتاز غرفة الانتظار لاهثاً » .

يعقوب ، لخادمي التشريفات ، ثم لتيودور ايفانوفيتش : طاب يومكم ، طاب يومكم ! (يحييه الخادمان) . يجب أن تطلب إلى غريغوري ميخايلوفيتش أن يساعدني قليلاً ، فأنا مرهق .

(يخرج)

المشهد — ٨ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا يعقوب » .

خادم التشريفات الأول : هذا واحد يُجهد نفسه .

تيودور ايفانوفيتش : إنه فتى طيب . لكنه لا يُعجب السيّدة . وهي ترى أنه لا يظهر بالمظهر الحسن . ومن سوء حظه أن الجميع حملوا عليه أمس بالذات ، لأنه ترك الفلاحين يدخلون المطبخ . أخشى أن يصرفوه من العمل . ومع ذلك فهو فتى طيّب .

الخادم الثاني : أي فلاّحين ؟

تيودور ايفانوفيتش : فلاحون جاؤوا من قريتنا ، من مقاطعة كورساك ليشتروا أراضي . كان الوقت متأخّراً . ثم إنهم من موطن خازن الخمور وأحدهم أبو خادم غرفة الخدمة . فأدخلوا حينئذ المطبخ . ولسوء الحظ كان الحضورُ هنا ، أمس ، مشغولين بقراءة الأفكار : لقد خُبّىء شيءٌ في المطبخ وجاء جميع السادة إلى المطبخ ورأتْ السيدةُ الفلاحين . كان ذلك رهيباً ! قالت : « كيف

يجيء هؤلاء الناسُ من الشارع حاملين جميع أنواع الأمراض المعدية . وتُدخلونهم المطبخ ؟ » إنها تخاف العدوى خوفاً عظيماً .

المشهد — ٩ —

« الأشخاص أنفسهم غريغوري » .

تيودور ايفانوفيتش : غريغوري ، اذهبْ وساعد يعقوب ايفانوفيتش. وسأبقى وحدي هنا ؛ إنه لا يستطيع الاستغناء عن مساعدتك.

غريغوري : إنه لا يُحسن العمل .

(يخرج)

المشهد — ١٠ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا غريغوري » .

الخادم : إنها لبِدْعةٌ جديده تلك العدوى ! سيّدتكم ، اذن ، تخاف منها أيضاً ؟

تيودور ايفانوفيتش : أكثر من النار ! فلا عملَ لدينا ، في هذا الوقت سوى الغسيل والتدخين والرشّ !

الخادم الأول : ومن أجل ذلك إذن كان الهواء ثقيلا إلى هذا الحدّ هنا . (بحرارة) . أين سنصلُ مع جنون العدوى هذه ؟ لقد نسوا الله من جرّائها ! وهكذا فعندنا ، مثلاً ، عند أخت سيّدنا ، الأميرة « موسّولوفا » ، أشرفت الفتاة على الموت . فماذا كان ! أبى والداها وأمها أن يدخلا

غرفتها . لم يقولا لها وداعاً . مع أن ابنتهما كانت تبكي وتناديهما لتقول لهما وداعاً فلم يدخلا غرفتها ! لقد وجد الطبيب علةً معدية لا أدري كنهها . لكن الخادمة والممرّضة عالجتاها مع ذلك ، ولم يُصبْهما سوءٌ : فما تزالا حيّتين تُرزقان .

المشهد – ١١ –

« الأشخاص أنفسهم . باسيل ليونيديتش وبيتريشتييف يدخلان والسيجارةُ بين الشفتين » .

بيتريشتييف : هيّا ، إذن ! سآتي بكوكو !

باسيل ليونيديتش : صاحبُك كوكو أباه . إنه فتى تافه ! وهو لا يهتّم بشيء . لا همّ له سوى التنزّه . إيه ماذا ؟

بيتريشتييف : انتظرْني مع ذلك . سأستأذن .

باسيل ليونيديتش : طيّب ! سأنظر إلى الكلاب في غرفة الحوذيّ . فبينها ساوقي ضارٍ قال الحوذي عنه : إنه أوشك أن يفترسه ! ايه ماذا ؟

بيتريشتييف : مَنْ الذي افترسَ الآخر ؟ هل الحوذي هو الذي أكل الكلب ؟

باسيل ليونيديتش : أوه ! أنتَ دائماً . . .

(يرتدي ثيابه ويخرج) .

بيتريشتييف ، متفكّراً : ما . . . كذ . . . . توش . نعم ! . . . نعم ! .

(يصعد الدرجَ) .

المشهد — ١٢ —

« خادما التشريفات تيودور ايفا نوفيتش ؛ يعبر يعقوب غرفة الانتظار راكضاً في بداية المشهد وفي نهايته » .

تيودور ايفانوفيتش ، ليعقوب : وماذا هنالك أيضاً ؟

يعقوب : هناك نقصٌ في قطع الخبز المدهونة بالزبدة . توقعتُ ذلك .

(يخرج)

خادم التشريفات الثاني : أو ان الولد هو الذي يمرضَ عندنا . فيرُسلُ على الفور إلى الفندق مع مربّياته فيموت فيه وأمه غائبة .

الخادم الأول : صحيح ، إنهم لا يخافون الخطيئة ! أعتقدُ أنا ، أننا لا يمكن أن نختبىءَ من وجه الله ، اينما كنّا .

تيودور ايفانوفيتش : وأنا أعتقد ذلك أيضاً .

(يصعد يعقوب الدرج وهو يركض ، حاملا الخبز والزبدة) .

الخادم الأول : لاحظْ أيضاً أن الإنسان إذا خاف العدوى من الجميع ، فما عليه ! إلا أن يحبسَ نفسه بين أربعة جدران ، وكأنه في سجن !

المشهد — ١٣ —

« الأشخاص أنفسهم تانيا ثم يعقوب » .

تانيا تُحيّي الخادمين : طاب يومكما ! (الخادمان يُحيّيانها) . أحب أن أقول لك كلمتين تيودور ايفا نوفيتش .

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! ماذا تريدين أن تقولي ؟

تانيا : ما يزال الفلاحون هنا يا تيودور ايفا نوفيتش .

تيودور ايفانوفيتش : لكنْ لماذا ؟ لقد سلّمتُ سيمون العقدَ .

تانيا : بالنسبة إلى العقد ، لقد سلّمتُهم إياه . وهم لا يطلبون إلا شيئاً : هو أن يدفعوا المالَ الذي معهم .

تيودور ايفانوفيتش : وأين هم ؟

تانيا : هم ينتظرون تحت ، قرب مدخل الدرج .

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! سأخبرُ بذلك .

تانيا : ثم إن لي طلباً عندكَ يا تيودور ايفا نوفيتش ؟

تيودور ايفانوفيتش : وما هو ؟

تانيا : لم أعدْ أقوى على البقاء هنا ، يا تيودور ايفا نوفيتش ، أطلبْ لي من السيدة أن تَدَعني أسافر .

(يدخل يعقوب راكضاً) .

تيودور ايفانوفيتش : ما بكَ ؟

يعقوب : يلزمُهم أيضاً سماور وبرتقال .

تيودور ايفا نوفيتش : اطلبْ هذا من الخادمة (يتوارى يعقوب وهو يركض) . لماذا تريدين ذلك إذن ، ياتانيا ؟ هذا غير ممكن الآن .

يعقوب ، مسارعاً : لا يوجد ما يكفي من البرتقال .

تيودور ايفانوفيتش : خذْ ما بقي . (يخرج يعقوب) . لم تُحْسني اختيار اللحظة المناسبة . أنت تَـرَيْن البابلة !

تانيا : لكنك تعلم جيداً يا تيودور ايفا نوفيتش ، أن هذه البلبلة لا تنتهي أبداً ؛ والقضية مهمة بالنسبة إليّ . فبما أنك أحسنتَ إليّ من قبلُ كنْ لي يا تيودور ايفا نوفيتش أباً ثانياً ، واختْر اللحظةَ المناسبة ، واطاب منها ذلك . وإلا فسوف تغضب ولن تعيدَ إليّ جواز سفري .

تيودور ايفانوفيتش : لكِنْ لمَ أنتِ مستعجلة إلى هذا الحد ؟

تانيا : ماذا تريد مني أن أفعل يا تيودور ايفا نوفيتش . فالقضية منتهية الآن وسأبحث عن اشبينة لي ، وسأخبرها بالأمر وسأستعد ، وسنحتفل بالعرس في نهار الأحد الذي يلي عيد الفصح . كاتمْها بشأني أيها الأب الثاني ، تيودور ايفا نوفيتش .

(تخرج تانيا . ينزل من فوق سيّدٌ مسنّ ، ويخرج دون أن يقول شيئاً مع الخادم الثاني) .

المشهد — ١٤ —

« تيودور ايفا نوفيتش خادم التشريفات الأول ، يعقوب » .

يعقوب : آه ! يا تيودور ايفا نوفيتش ، الأمر لا يُطاق ! إنها تريد أن تَـصْرفني الآن ! قالت لي : « أنت تكسر كل شيء ولم تعتنِ بفيفي ، وتركتَ الفلاحين يدخلون المطبخ بالرغم من أوامري ! » وأنت تعلم جيداً أن الغلطةَ

ليست غاطتي ! تانيا هي التي قالت لي : « خُذْهم إلى المطبخ » ؛ وكيف كان يُمكنني أن أعلم أن ذلك ممنوع .

تيودور ايفانوفيتش : أهي قالت لك ذلك ؟

يعقوب : قالتْه لي للتوّ . أنقذْني يا تيودور ايفا نوفيتش ! . . . لقد أخذت أسرتي تنتعش وإذا فقدتُ عملي فمَنْ يدري متى أجد غيره ؟ أرجوك إذن ! . . .

المشهد — ١٥ —

« تيودور ايفا نوفيتش ، خادم التشريفات الأول . السيدة ، تقود كونتيسة عجوزاً تضع شعراً مستعاراً وأسناناً صناعية . الخادم الأول يُلبس الكونتيسة ثيابَها » .

السيدة : قطعاً ، بكل تأكيد ! لقد تأثرتُ تأثّراً عميقاً !

الكونتيسة : لولا صحتي ، لأكثرتَ من زياراتي لك .

السيدة : أحثّكِ على استشارة « بيير بيتروفيتش » . إنه فظّ . لكنْ لا أحد يُلاطفك مثله . بالنسبة إليه كل شيء بسيط جداً واضح جداً !

الكونتيسة : لا تعوّدت طبيبي .

السيدة : انتبهي لنفسك !

الكونتيسة : شكراً ، ألف شكر .

المشهد — ١٦ —

« الأشخاص أنفسهم ، غريغوري ينطلق إلى خارج غرفة الخدمة ، مشوّشاً ، منفعلاً ؛ ووراءَه يركضَ سيمون » .

سيمون : خُذْ . . . كان عليك أن تدعَها وشأنَها !

غريغوري : سأعلّمك ، يا نذل ، كيف تضربني ! آه ! يا حقير !

السيدة : ما هذا ؟ لعلكما في حانة ! . . .

غريغوري : هذا الخسيس جعل حياتي لا تُطاق !

السيدة ، متضجّرة : لكنْ ، هل جُننتما ! (للكونتيسة) **شكراً ، ألف شكر ! اللقاء نهار الثلاثاء .**

(الكونتيسة وخادم التشريفات الأول يخرجان) .

المشهد — ١٧ —

« تيودور ايفا نوفيتش ، السيدة ، غريغوري ، سيمون »

السيدة : ما الأمر ؟

غريغوري : مع أنني لستُ سوى خادم ، فان لي كبريائي ، ولن أسمح لفلاح تافه أن يُهينني .

السيدة : ماذا جرى ؟

غريغوري : ما جرَى هو أن سيمون أخَذ يتكبّر منذ أن صارَيَجْلس مع السادة ، وأخَذ يضربني .

السيدة : كيف ؟ لماذا ؟

غريغوري : لا أدري لماذا ؟

السيدة لسيمون : ما معنى هذا ؟

سيمون : ما عليه إلا أن يكفَّ عن ملاحقتها .

السيدة : ماذا تَقْصد ؟

سيمون ، مبتسماً : يريد أن يقبّل تانيا ، الخادمة ، وهي ترفض ذلك . فنحّيتُه عنها ، هكذا ، برفق .

غريغوري : آه ! طيّب ! يسمّي فعْلَه « تَنْحية » . ! كاد يهشم أضلاعي . ومزّق لي ثيابي . لو تعلمين ما الذي قاله لي . . قال : إن القوّة التي تملّكتني أمس ، تتملكني اليوم » وأخذ يشدّ علي .

السيدة ، لسيمون : كيف تجرؤ على المقاتلة في بيتي ؟

تيودور ايفانوفيتش : اسمحي لي أن أعرض الأمرَ عليك ، يا آنا بافلوفنا . يجب أن أقول لك إن سيمون يحبّ تانيا ؛ وأنها خُطِبتْ إليه ؛ وبما أن غريغوري ، والحقُ يقال ، لا يتصرف تصرّفاً لائقاً . . . فلا بد أن سيمون شعر بالإهانة .

غريغوري : أبداً لا . بل من الحنق علي ، لأنني كشفتُ حيلَهم .

السيدة : أية حِيَل ؟

غريغوري : أثناء الجلسة . كل ألاعيب الأمس عملتْها تانيا ، لا سيمون . رأيتها بعيني تَخْرجُ من تحت الأريكة .

السيدة : ماذا ؟ تخرج من تحت الأريكة ؟

غريغوري : أستطيع أن أقسم على ذلك بشرفي ! وهي أيضاً التي حملتْ العقد ورَمَتْهُ على الطاولة . ولولاها لما وُقّع العقد ، ولما تمَّ بيعُ الأرضِ للفلاحين .

السيدة : رأيتَها أنت نفسك ؟

غريغوري : بعينيّ هاتين . تفضّلي وادعيها . فلن تُنْكر .

السيدة : ادْعُها .

(يخرج غريغوري) .

المشهد -- ١٨ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا غريغوري . ضجةٌ خلف المسرح . صوت الحاجب : « لا يمكن ! لا يمكن ! » ثم يُشاهَدُ الحاجبُ والفلاحون الثلاثة الذين يقتحمون غرفة الانتظار . يدخل أولاً الفلاح الثاني ، ثم الأول ، وأخيراً الثالث الذي يتعثّر ، ويقع ويُخفي أنفه بيده » .

الحاجب : لا يُمكن ، انصرفوا !

الفلاح الثاني : آه ! ما جئنا نرتكب شراً ؛ جئنا لندفع المبلغ .

الفلاح الأول : طبعاً ! . . . لأن الصفقة تمّتْ بعد التوقيع ، فلا نريد شيئاً سوى أن ندفع ، ومع كل امتناننا .

السيدة : انتظروا ، انتظروا ، قبل أن تشكروا ! لم يكن الأمرُ سوى خدعة ، ولم تنته القضيةُ بعدُ ، ولم يتمّ البيعُ . ليونيد ! ادعُ لي ليونيد فيودوروفيتش .

(يخرج الحاجب) .

المشهد — ١٩ —

« الأشخاص أنفسهم ، يدخل ليونيد فيودوروفيتش ، لكنه يهمّ بالانسحاب حين يرى زوجته والفلاحين » .

السيدة : لا ، لا ! تفضّلْ إلى هنا . قلتُ لك : إنه لا ينبغي بيع الأرض بلا دَيْن ، والجميع قالوا لكَ ذلك ! لكنك انخدعتَ كأَبله البَلْه .

ليونيد فيودوروفيتش : يعْني ؟ . . . ماذا ؟ لا أفهم . أية خدعة ؟

السيدة : يجب أن تَستحي من ذلك ! شعرُك أشيب وتنخدع كما ينخدع الصبي ، وتدع الناس يهزؤون منك !

تأبى أن تعطي ابنك ثلاثمائة روبل ليحافظ على مكانته في المجتمع ، وتُغَش ، كما يُغَش الغبي ، بالآلاف .

ليونيد فيودوروفيتش : لكن اهدئي ، يا آنيت .

الفلاح الأول : نريدُ فقط أن نسلّم المبلغ ؛ أي . . .

الفلاح الثالث : مخرجاً المال : دعونا نذهب بجاه المسيح !

السيدة : انتظروا ! انتظروا !

المشهد — ٢٠ —

« الأشخاص أنفسهم ، غريغوري ، تانيا » .

السيدة ، بقسوة ، لتانيا : هل كنتِ أمسِ مساءً ، أثناء الجلسة ، في غرفة الاستقبال الصغرى ؟

(تتنهد تانيا ، وتنظر إلى تيودور ايفا نوفيتش ، وليونيد فيودوروفيتش وسيمون) .

غريغوري : لا مجال للإنكار مادمتُ قد رأيتُكِ !

السيدة : قولي ، أكنتِ فيها ؟ اعترفي ! لن أمسّك بسوء ؛ أريد

فقط أن أفحم هذا (تشير إلى ليونيد فيودوروفيتش) .
أنت رميتِ العقدَ على الطاولة ؟

تانيا : لا أدري بِمَ أجيب . لا أبْغي إلا شيئاً واحداً : أن تَدَعوني أذهب إلى بيتي .

السيدة ، لليونيد فيودوروفيتش : أرأيت ! إنهم يضحكون عليك !

المشهد — ٢١ —

« الأشخاص أنفسهم . تدخل بيتسي في بداية المشهد : وهي لا تُرى في أول الأمر » .

تانيا : دعيني أذهب ، يا آناباڤلوفنا !

السيدة : لا ، يا عزيزتي ! ربما خسّرتنيا عدة آلاف من الروبلات ! لقد بيعت أرضٌ لا ينبغي أن تُباعَ .

تانيا : دعيني ، يا آنا بافلوفنا !

السيدة : لا ! ستتحمّلين مسؤولية ذلك ! فليس الغشّ مُباحاً . سأشتكي إلى قاضي الصلح .

بيتسي ، تتقدّم : دعيها تذهب ، يا ماما ؛ وإذا شئتِ أن تُلاحقيها فلاحقيني أنا أيضاً في الوقت نفسه . أنا دبّرتُ كل شيء معها البارحة مساءً .

السيدة : إن كنتِ مشتركة ، فلا يمكن أن ينتج عن ذلك سوى السوء .

المشهد — ٢٢ —

« الأشخاص أنفسهم والأستاذ » .

الأستاذ : طاب يومكِ ، آنا بافلوفنا ! طاب يومكِ ، يا آنسة ! جئتُ إليكم ، يا ليونيد فيودوروفيتش ، حاملاً تقرير المؤتمر الثالث عشر لمستحضري الأرواح ، في شيكاغو . خطبة « سميث » فيه مدهشة .

ليونيد فيودوروفيتش : آه ! هذا مشوّق !

السيدة : وأنا ، سأروي لكم شيئاً أكثر تشويقاً ! أعلمُ أنك أنت وزوجي قد ضحكت عليكما هذه الصبيّةُ ! بيتسي تُلقي اللومَ على نفسها ، لكنها لا تفعل ذلك إلا لكي تَغيظني . ضحكتْ عليكما صبيّةٌ لا تعرف القراءة والكتابة ، ومازلتما مؤمنيْن — لم يكن ،أمس، أية ظاهرة ، وهي التي عملتْ كلَّ شيء .

الأستاذ ، خالعاً معطفه : وكيف ذلك ؟

السيدة : بكل بساطة : هي التي كانت تعزف على القيثارة في الظلمة ؛ هي التي كانت تضرب زوجي على رأسه ، والتي عملت كل حماقاتكم . لقد اعترفت لتوّها بذلك !

الأستاذ ، مبتسماً : لكنْ علام يدلُ هذا ؟

السيدة : يدلّ على أن وسيطيّتكم أكذوبة ؛ على ذلك يدلّ .

الأستاذ : ألأنّ هذه الفتاة أحبّت أن تخدعنا ، يَنْتج عن ذلك أن علم الوساطة أكذوبة ، كما أردت أن تقولي ؟ (مبتسماً) .

نتيجة غريبة ! ربما كان بنيّة هذه الفتاة أن تخدعَ . وهو ما يقع غالباً . بل لعلها قد فعلتْ شيئاً من ذلك . لكن ما فعلتْهُ هي التي فَعَلَتْهُ ، وما كان تجلياً للطاقة الوسيطية كان تجلياً للطاقة الوسيطية . بل من المحتمل جداً أن ما فعلته هذه الفتاة حرّض وآثار ، إن أمكنني القول ، تجلّيّ الطاقة الوسيطية ، وأعطاها شكلها النهائي .!

السيدة : محاضرة أخرى !

الأستاذ ، بقسوة : تقولين . إن لهذه الفتاة ، وربما لهذه الآنسة الفاتنة ، يداً فيما جرى ؟ لكنْ ما الضوء الذي رأيناه جميعاً ؟ وانخفاض الحرارة في حالةٍ ، وارتفاعها في حالةٍ أخرى ؟ واضطراب غروسمان واهتزازه ؟ ماذا ؟ هل هذه الفتاة هي التي صنعتْ ذلك كله ؟ هذه وقائع ! لا ، يا آنا بافاوفنا ، هناك أشياء يجب أن تُدرَسَ وأن تُفهم فهماً جيداً قبل الكلام عليها .

ليونيد فيودوروفيتش : والطفل الصغير الذي رأتْه بوضوح ماريا فاسيلييفنا ؟ وأنا أيضاً رأيتُه ! لا ، لا يمكن لهذه البنت أن تفعل ذلك !

السيدة : تظنُّ نفسَكَ ذكياً ، وما أنتَ سوى أحمق !

ليونيد فيودوروفيتش : طيّب ! سأنصرف . تعال إلى مكتبي ، يا الكسي فلاديمير وفيتش .

(يتّجه إلى مكتبه ، يتبعه الأستاذ ويهزّ كتفيه) .

الأستاذ : آه ! ما أبْعدَنا حتى الآن عن أوروبا !

المشهد – ٢٣ –

« السيدة ، الفلاحون الثلاثة ، تيودور ايفا نوفيتش ، تانيا ، بيتسي ، غريغوري ، سيمون ؛ يدخل يعقوب » .

السيدة ، خلف ليونيد فيودوروفيتش: خُدِع كما يُخدَع الغبي ، وهو لا يرى شيئاً . (ليعقوب) . ماذا تريد ؟

يعقوب : كم مدعواً تأمرين أن تُعَدَّ لهم المائدةُ ؟

السيد : كم مدعواً ؟ تيودور ايفا نوفيتش . خذْ منه هذه الأواني الفضيّة ، واطردْه حالاً ؛ فهو سببُ مصائبي جميعاً . سيقبرني هذا الرجل ! لقد كاد يقتل كلبي أمس ، مع أن هذا الكلب لم يفعل به شيئاً ! وهو أيضاً الذي أدْخل الفلاحين الملوّثين إلى المطبخ ! وها هم ما يزالون هنا ! هو الذي فعل كل شيء ! ليخرجْ ليخرج في الحال ! ليُعْطَ حسابه . (لسيمون) . وأنت ، إذا سمحتَ لنفسك بعد الآن أن تُثير الضوضاء في بيتي فسأعاتِبُكَ . . . أيها الفلاح الحقير !

الفلاح الثاني : إذا كان فلاحاً حقيراً فلا داعي للاحتفاظ به . أعطيه حسابه وكفى !

السيدة ، تصغي ، وتحدّق في الفلاح الثالث : انظرْ إليه ، فعلى أنفه بثور ! بثور ! هو مريض ، هو بؤرة عدوى ! لقد أمرتُهم البارحة ألا يسمحوا لهم بالدخول ! وما يزالون هنا ! اطردْهم !

تيودور ايفانوفيتش : لن تأمري إذن بقبول المال ؟

السيدة : المال ؟ خذ المال ! لكن اطردْهم ، وخصوصاً هذا المريض ! اطردهم فوراً ! إنه متعفّن كلياً !

الفلاح الثالث : أنت مخطئة ، يا سيدتي ، أقسم لكِ ! اسألي عجوزي إن كنتُ متعفّناً . بل أنا كالبلور .

السيدة : ويجرؤ على الكلام ! اخرجْ ! اخرجْ ! يفعلون كلّ شيء عن عمد ! لا ، أنا مرهقة ! أحضروا بيير بيتروفيتش !

(تخرج على عجل وهي تتأوه ؛ يخرج يعقوب وغريغوري) .

الفصل – ٢٤ –

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا السيدة ويعقوب وغريغوري » .

تانيا ، بيتسي : يا آنسة ، يا حمامتي ، ماذا أفعل الآن ؟

بيتسي : لا أهمية لذلك ، لا أهمية كذلك ! تستطيعين أن تسافري معهم ؛ وسأدبّر الأمر .

(تخرج)

المشهد – ٢٥ –

« تيودور ايفا نوفيتش ، الفلاحون الثلاثة ، تانيا ، الحاجب » .

الفلاح الأول : لكنْ كيف نفعل الآن ، أيها المحترم ، من أجل دفع المبلغ ؟

الفلاح الثاني : دعنا نسافر .

الفلاح الأول ، وهو لا يعلم أين يضَع المال: لو كنتُ أعلمُ ذلك لما قبلتُ أبداً . . . فما يجري يهدّ الجسم أكثر من المرض .

تيودور ايفانوفيتش ، للحاجب : خُذْهم إلى غرفتي . ففيها آلةٌ للحساب . وسأتسلّم المالَ فوق .

الحاجب : هيّا ، هيّا !

تيودور ايفانوفيتش : اشكروا تانيا ، فلولاها لما حصلتُمْ على الأراضي .

الفلاح الأول : لا شك ! وعدتْ ووفتْ بوعدها .

الفلاح الثالث : هي جعلتْنا على ما نحن عليه ؛ وإلا فماذا كنّا ؟ كانت أرضنا صغيرة ، ولا مكان فيها للدجاجة ! إلى اللقاء يا حلوة ! إذا جئتِ القرية فتعالي لتأكلي عسلاً !

الفلاح الثاني : انتظرْ ريثما أعود إلى منزلي ؛ سأبدأ بالإعداد للعرس وبصنع الجعة ! على أن تأتي .

تانيا : سآتي ، سآتي ، (تطلق صرخة الفرح) . سيمون ، ما أجمل ذلك !

(يخرج الفلاحون) .

المشهد — ٢٦ —

تيودور ايفانوفيتش : ليحفظْكِ الله ! وبعدُ يا تانيا ، إذا ما تزوجتِ وزرتُكِ في بيتكِ ، فهل تَستقبلينني ؟

تانيا : يا عزيزي تيودور ايفا نوفيتش ، سنَستقبلكَ مثل والدنا الحبيب .

ستار

بطرس العشّار (١)

دراما في خمسة فصول

١٨٩٤

(١) العشار : في العنوان دعي « العشار » ؛ وهو عشار الإنجيل (لوقا ١٨ : ٩ — ١٤) ؛ وفي النص دعي « الخباز » . ومن الصعب التوفيق بين هاتين الصفتين ؛ ولعل تولستوي قد فهم « العشار » بالمعنى الأوسع ، أي : الخاطىء التائب .

الفصل الأول

« تجري الأحداث في القرن الثالث ، في سورية » .

المشهد — ١ —

« ساحة أمام منزل سرياني ثريّ . المتسوّلون : امرأتان وثلاثة رجال ؛ يمرّ سكان المدينة ؛ المتسوّلون يتسوّلون فيُعْطَوْن دراهم ؛ ينضمّ حاجٌ إلى المتسوّلين » .

الحاج : طابَ يومكم ، أيها الرفاق .

المتسوّل الأول : من أين أنت قادمٌ ؟

الحاج : من القاهرة ، وهل الناسُ هنا من ذوي الإحسان ؟

المتسوّل الأول : اوه لا ! الحالُ سيئة ! الأغنياء قلّة قليلة .

الحاج : كيف « قلّة قليلة » ؟ وهذه المساكن البديعة ؟ (يشير بيده إلى بيت جميل) . لا بدّ أن يكون صاحبُه غنياً ؟ .

المتسوّل الأول : نعم ! صحيح ! هذا غنيّ جداً . لكنه يُؤْثرُ أن يَشْنق نفسه على أن يُعطي صَدَقةً .

المتسوّل الثاني : كلُّ الناس هنا يَعْرفون بطرس الخبّاز ؛ منذ أن سكنتُ هذه المدينة — أي منذ ثلاثين سنة — لم أسمعْ أنه أعْطى كسرةَ خبز . لا ! حتى ولا كسرةَ خبز .

المتسوّل الثالث: وزوجتُه ؟ وابنتُه ؟ أهما يشبهانه ؟

المتسوّلة الثانية : لا ، ابنتُه مع ذلك أفضل ؛ خادمتهم قالت لي ذلك .

المتسوّلة الأولى: ليس على الأرض مَنْ هو أبخلُ من بطرس هذا ؛ إنه لا يعطي أحداً درهماً .

الحاج : كيف ؟ لا يعطي شيئاً أبداً ؟ من عَرَفَ كيف يسأل فهو يَحْصل دائماً على ما يريد .

المتسوّل الأول : حاولْ قليلاً وسترى !

الحاج : سأُحاولُ بالتأكيد . ليس من إنسانٍ لا يعطيني عندما أتشبّثُ به وأُلحفُ في السؤال .

المتسولتان والمتسولون ، جميعهم في آن واحد : لن تَنْجح .

الحاج : أتريدون أن تراهنوا ؟

المتسوّل الأول : إذا شئت ! لكنْ ما الرهان ؟

(يتجمّع الجميع حول الحاج) .

الحاج : أُراهنُ بثلاثة دراهم .

المتسوّل الأول : قبلتُ الرهان ، اضربْ يدَك هنا ! (يضربُ كل منهما يدَ الآخر وهما يضحكان) . هات الدراهم .

(يُخرج كل من الحاج والمتسول الدراهمَ ويسلّمانها إلى المتسوّلة الأولى) .

المتسوّلة الثانية : انظروا ! ها هو ذا بعينه ! إنه يَحْمل أرغفةَ الخبز للأمير .

(يصل بطرس ووراءه عبدٌ يحمل سلةً مملوءة بالأرغفة الذهبيّة الشهيّة ؛ يتّجه الحاجُ نحو بطرس) .

الحاج : بجاه المسيح ! أعْطِ الحاجَ المسكين ! ارحمْني بجاه المسيح ؛ أكاد أموتُ جوعاً .

بطرس ، يكلّم خادمَه دون أن يتوقّف ، يتبعُه الحاج ويتشبّث . بقدمه وبطرف ردائه . يدفعه بطرس بقسوة ويلتفت إليه : ارجعْ ، يا كلب !

الحاج : أيها السيّد المبجّل ! اوه ! يا مطعمَ الفقراء ! ارحمْني !

بطرس : ارجعْ ! انصرفْ !

الحاج ، يعود من الجهة الثانية ويرتمي على قدميه : أوه ! يا مطعمُ الفقراء ! بجاه السماء ! أتوسّل إليك أن ترحمني .

بطرس : ارجعْ ! افسح الطريق ! وإلا قتلتكَ !

(ينحني ويلتقط حجراً كبيراً من الأرض . ويهمّ بضرب الحاج) .

الحاج ، بصوت مؤثر : ارحمنْي ! ارحمني ! ارحمني ! ارحمني ! أرجوك ! ارحمنْي !

بطرس : دعْني أمرّ . ارجع ! حذارِ ! انْصرفْ !

(يَعْيا ، فيتناول بحركة غاضبةٍ رغيفاً من السلة ويرميه إليه . يأخذ الحاج الرغيفَ ويجري نحو المتسولين وقد بدا عليه الفرح) .

الحاج : آه ! آه ! رأيتمُ ! نجحتُ ! ربحتُ الرغيف ! هذه هي صدقةُ بطرس . (يُري الرغيفَ الجميل) . هاتي الدراهم .

المتسوّل الثاني : أنتَ محظوظٌ ! لقد ربحتَ ! يجب أن نشرب نخبك .

ستار

الفصل الثاني

المشهد – ١ –

داخل منزل . في المقدّمة تجاس زوجةُ بطرس وابنتُه . في صدر المسرح سريرٌ ينام عليه بطرس ؛ هو يَهْذي » .

بطرس : آه ؟ مَنْ هؤلاء اللصوص ! خَرّبوا بيتي ! أسرفوا في الطحين ! ادفعْ هذا المبلغَ ! ادفع المالَ ! اذبَحْ لي هذا الملاكَ ! الزهورُ تَعزْف الموسيقا ! وداعاً ، أنا أموت .

زوجةُ بطرس: مرّ عليه حتى هذا المساء ثلاثةُ أيام وهو في هذه الحالة ؛ يبدو أنه لا يتحسّن ؛ على ألاّ تكون هذه هي النهاية .

(تدْخل من الباب مُلْهَمَةٌ ، صاحبةُ رؤيا) .

المُلهمة : طاب يومُكِ ، يابنتي ! أنتِ تبكين دائماً ؟ تظنين أنك ستدفنين زوجك ؟ لا تَخْشي ! لا تخافي ! لا خَطَر عليه من الموت ! لن يموت ، لم يَجْهزْ بعد . جمَع المالَ أثناء ثلاثين سنةً من حياته ؛ ولا بدّ له من ثلاثين سنة حتى يُنفقه . في هذه اللحظة فقط يغدو جاهزاً للموت !

زوجة بطرس : أنت تَنْطقين بحماقات ، يا ايدوسيا ! أأنتِ جائعة ؟ أتريدين أن تأكلي ؟

الملهَمة : أنا بغنى عن الأكل ! لستُ جائعةً ! أنا بغنى عن الجوع ! يا عجوز ، أنتَ نائمٌ ؟ أأنت نائم ؟

(تدخل ابنةُ بطرس . ينهض بطرس لحظةً على فراشه ويُصيخ السمع) .

المُلْهِمة : لا يمكن للغني أن يدخل الجنّة . أنتَ لا يمكنك أن تَدْخلها ؛ عبثاً تتشبّث وتُلحف في السؤال ! لن تمرّ ! ستَهْبط إلى الجحيم !

المشهد — ٢ —

« يدخل طبيب ؛ الزوجة والملهمة ؛ يَنْقز بطرس على سريره ويصرخ » .

بطرس : جئتَ لتَخْنقني ! ماذا تريد ؟ لا أحبّ أن أراك !

الطبيب : اهدأْ ، يا بطرس ، سيزول السوءُ عنكَ ! ستشفى .

(يمسك به من يده ويُجلسه على سريره) .

الملهمة : يا له من أحمق ! يا له من أحمق ! أحمق ! استَ تفعل سوى الحماقات ! ستُفسد عليّ عملي ! أُفضّلُ أن أنصرف على أن أرى هذا !

(تهربُ راكضة) .

الطبيب ، مخاطباً زوجة بطرس : أمسكيه ! (يتسمّع إلى صدر بطرس ويتكلّم بينه وبين نفسه) . هنا ، لا شيء ! عجباً ، هو يبدأ هنا ! آه ! هذا هو ! هذا هو ! إني أسمعُ شيئاً ، يجب أن يكون هنا ! هو هنا حقاً ! سأطرد ذلك كله . (يخاطب بطرس) . ستشفى ، اهدأ ، واطمئنّ ! ستشفى عمّا قريب ! (يُخرج من جيبه قارورة صغيرةً ، ويُمسك

برأس بطرس ، ويسقيه من القارورة ، ويريها قارورةً أخرى يُعطيها إياها) . وبهذه افركي جسمَه كلّه .

(يخرج الطبيب بعد أن انتهى ؛ تتبعه زوجةُ بطرس) .

المشهد — ٣ —

« بطرس وحده مضطجع ؛ لايُسمَعُ شيء ؛ صمتٌ ؛ وفجأة ينهض بطرس ويجلس على سريره » .

بطرس : لكنْ ما هذا ؟ أحسّ أنني سأموت ! هذا هو الموت ! أحسّ أنني أموت . هوذا الملاكُ الذي جاء يطلب روحي ! قالَ لي الساعةَ : إنني سأشفى . لكنْ أيَّ شفاءٍ قَصَدَ ؟ هذا هو الموت ! الموتُ الذي يَنْتظرني ! يا إلهي ! ما الذي يَنْتظرني فوق ؟ ما الذي تُخبئُه لي السماءُ ؟ أصحيحٌ أن الأغنياء لا يجوز لهم أن يَدْخلوا ملكوت السموات ؟ أصحيح أنني سأُكرَه على دَفْع ثمن قسوتي وبخلي ؟ إني لم أرحمْ قطّ الأرامل واليتامى والمرضى والبائسين ! أهذا صحيح ؟ أهذا ممكنٌ حقّاً ؟ وكيف أ مكنَ أنني لم أفهمْ ذلك قط . كان الأفضل أن أوزّع مالي كله بدلاً من أن تحماني شياطينُ الموت السود . ها هي آتية ! إني أسمعها ! صارت هنا ! إنها تُنشبُ مخالبها كلها في روحي (يرفع رأسه وينظر إلى الأعلى) . ها أنا ألمح الميزان العظيم الذي ستُوزن عليه سيئاتي وحسناتي . عجباً ! إني أراها ! ها هي تضعُ في كِفّةٍ كلَّ المال الذي سرقتُه ، الذي أخذْتُه من الأراملَ واليتامى ؛ وها هي أيضاً الأجرة التي لم

أدْفَعْها للعمال ، والإهانات والشتائم والضربات التي أذنبتُ بها . انتهى الأمرُ ! قُضِيَ عليّ ! طفحتْ كفّةُ الميزان ؛ وها هي الكفة تنخفض وتَهْبط وتسقط ، وتبلغ الحضيضَ . إني أرى الشياطين فرحةً ! الشياطين تبتهج ؛ قُضي الأمر ، لقد هلكتُ ! آه ! آه ! آه ! أراها تبحث عمّا تضعُه في الكفّة الأخرى ؟ ماذا ! ما هذا ؟ ماذا أرى ؟ لا ، هذا غيرُ ممكن ؟ هذا سخيف ! تريدُ أن تهزأ بي ! ماذا ، رغيفٌ ؟ رغيفٌ لا غير ؟ لا شيء إلا هذا الرغيف الحقير ! عرفتُه : إنه الرغيف الذي رمَيْتُه لذلك المتسوّل الذي أخرجني عن طوري . يا للسماء ! ماذا جرى ؟ ماذا أرى ؟ الكفّةُ التي وُضعَ فيها هذا الرغيف البسيط تَميلُ ؛ إن الخبزَ هو الأثقلُ ، إنه أثقل من كل سيئاتي ! فهمتُ الآن معنى الرحمة . فهمتُ الآن وَزْنَ الرحمة . يا إلهي ، رُدَّ عني الموتَ ، الآن بعد أن فهمتُ . فأنا أعرف ما يَنْبغي أن أفعله ، وما سأفعلُه . سأقسم أموالي كلها بيني وبين الفقراء . لن أحتفظ بشيء .

(يرتمي على فراشه وينام) .

ستار

الفصل الثالث

المشهد — ١ —

« يمثّل المسرح واجهةَ بيت بطرس . على مطاع الدرج ، يُرى بطرس وقد أحاط به جمهورٌ غفير من المتسولين ومن الناس المختلفي الأنواع . يوزّع ويقسم بطرس المال الذي يُخرجه من كيس كبير . »

المتسوّل الأول : يارجل أنتَ أخذتَ نصيبَك ! هذه هي المرة الثانية التي تأخذُ فيها نقوداً ! رأيتُكَ بعيني !

(يهجم على المتسول الآخر ويدفعه .)

المتسول الثاني : أنت تكذب . وقد رأيتك ، أنتَ نفسك : هذه هي المرة الثالثة التي تأخذ فيها .

امرأة : دَهَسْتموني !

صوتٌ في الجمهور : أنتَ ! أخذتَ ! لا تَبْقَ هنا .

المتسوّل الثالث مخاطباً بطرس وهو يتباكى : أَعطِني ، من فضلكَ ، أعطني أنا ! أنا ! لي خمسة أطفال صغار ! ارحمْ صغاري !

(تسمع شكاوي شتّى واحتجاجات .)

بطرس : خذوا ! خذوا ! ها أنا أُعطيكم كلَّ شيء ! خذوا ! عندي ما يكفي الجميع ! ما يكفي الناس جميعاً ! لا تتخاصموا ، من

فضلكم ! أطلبُ إليكم ألا تتشاجروا ، ألا يَشْتم بعضُكم بعضاً ! شدّ ما نشرتُ السوء من حولي ! شدّ ما شتمتُ الناس ! فلا تَفْعلوا ، أنتم ، ذلك بعد الآن . سامحوني بجاه المسيح !

المشهد — ٢ —

« تصل زوجةُ بطرس راكضةً ؛ تقف ، وتنتزع الكيسَ من يديْ بطرس وتتشبثّ به ، وباليد الأخرى تهز بطرس وتصرخ به »

زوجة بطرس : ماذا تَفْعل هنا أيها اللص ؟ قبضتُ عليك بِفَعْلتكَ ! تُريد أن تُلجئنا إلى الفاقة ! تريد أن تجعل منا متسوّلين ؟ أمس كنتَ شحيحاً مُفرطَ الشح ! كنتَ بخيلا خسيساً ! وإذا بك تَنْتقل من الضدّ إلى الضدّ ! أصبحتَ الآن مبذراً مسرفاً . يالص ! أنتَ ما تزالُ مريضاً ! قسماً ، لقد جُننتَ !

(بعد أن انتزعتْ منه كل النقود التي حاولتْ أن تجمعها ، تُهينُه وتدفعه إلى بابّ مدخل بيتهما ؛ وتَزْعق بالجمهور أن ذلك انتهى وأن عليه أن ينصرف . وما ان يُغْلَق الباب ، حتى يتهامس الناس وهم ما يزالون منذهلين ،ويتفرّقون .)

المشهد — ٣ —

« بطرس الخبّاز يخرج وهو يتكلّم مع اليعازر، عبده الأمين »

بطرس : هل سمعتَ ؟ عِدْني بأنك ستفعل ما سأطلبُه منك ؟

اليعازر : سأفعلُ كلَّ شيء ! كلّ ما طلبْتَه مني لأنني أحبك ،

في الوقت الحاضر ، أكثر مما أحبُ أبي وأمي . أُحبُّك
لأنني أرى فيك روحَ الله .

بطرس : هذا وَعْدٌ مناكَ ؟ وعدْتَني بذلك ؟ أتقسم ؟

اليعازر . مؤدياً القسم وراءه : بعقيدتي ! بشرفي ! أعدك بذلك ،
وأقسم عليه !

بطرس : طيّب ، صدّقْتُكَ ! أنا أثقُ بك ! وهذا هو الموضوع :
أنت تعرفُ أسرتي . تعرفها جيداً ، وتعلم أنها تمنعني من
توزيع أموالي على الفقراء . ليس لي أن أحكم عليهم وقد
أذعنتُ لحُججهم . ليس لي الحق في أن أعتدي على مصالحهم
العائلية . ليس لي أن أناقض مشيئتهم أو أعمل ضدّها ، ومع
ذلك فليس بوسعي أن أستمرّ في الوضع الذي أنا فيه . لم أعدْ
أحتملُ ! أعرفُ أين واجبي . أدركتُ ذنوبي . انفتحت عيناي .
يجب أن أفتدي نفسي ! أن أكفّر عن ذنوبي . يجب أن
أخدم الله ! يجب أن أطيع الله ! الله هو الحقيقة ! الحقيقة
الوحيدة ! جاء في الكتاب المقدّس : « بعْ أملاكك ، ووزّعها
على الفقراء » . لكني لا أستطيع أن أفعل ذلك . أودّ أن
أتبع كلامَ الكتاب المقدّس ، لكنّ ذلك غيرُ مسموحٍ لي ،
هم يمنعونني من ذلك ، ويحظرونه علي . أسرتي تحرّم علي
أن أبيع أملاكي وأوزّع أموالي . ليس بوسعي أن أتصرّف
بثروتي . لم تعد ثروتي ملكاً لي . لكن لي الحقّ في أن
أتصرّف بنفسي — (بنظر إلى اليعازر كالملهَم .) ولمّا
لم يَبْقَ لي شيء أعطيه من مالي أو أراضيّ ، لم يبقَ لي سوى

هذا الحل : أن أبيعَ نفسي للناس . هذه هي مشيئتي . ستذهبُ بي إلى سوق النخاسة . فاربطْ يديّ . (يمد بطرس يديه لا ليعازر .) خُذْني إلى سوق النخاسة وبِعْني كما لو كنتَ عبداً لك . بِعْني كأنني مالٌ لكَ . فاذا بِعْتني وَزِّعْ المال الذي تتسلّمُه على الفقراء .

اليعازر : يامعلم ! يامعلم ! لايمكنني أن أفعل هذا أبداً !

بطرس : لقد أقسمتَ ، مع ذلك ، يا اليعازر ! فماذا تفعل بقسمك ؟ وَعَدْتَني بذلك وأقسمتَ عليه .

اليعازر : يامعلم ! لا تطلبْ ذلكَ مني ! لا تَجرحْني . أتألّمّ ! أعتِقْني من قسمي ! ما تطلبُه مني مُرعبٌ .

أنا أسامحك ! واشفقُ عليك ! فسامِحني واشفقْ عليّ !

بطرس : أهذا وقتُ الشفقة ! لمَ لمْ تشفقْ عليّ من قبل ، عندما كنتُ أسيء ، وعندما كنتُ أرتكبُ السيئات ، عندما كنتُ أسير مباشرة إلى هلاك نفسي ، عندما كنتُ أمضي إلى هلاكي الأبدي ، دون أية معونة ؟ في هذا اليوم جئتَ تشفق علي ؟ اليوم الذي اخترتُه لافتداء نفسي ، لخلاصي .

اليعازر ، مُرْهَقاً ، خامد العزم ، راضخاً للواقع ، وهو يطلق زفرة عظيمة : لتكنْ مشيئتُكَ ، يا معلم !

زوجة بطرس تدخل : عودا ، عودا ! حسبكما ثرثرة ! عودا بسرعة !

(تخرج)

ستار

الفصل الرابع

سوق النخاسة

المشهد – ١ –

« عبيد رقيق مقيدون في كل مكان : رجالٌ ونساء يمسكهم أصحابهم بالسلاسل : المالك الأول مع عبدين ، المالك الثاني مع عبدٍ عجوز وفتى . ووسط هؤلاء يبدو اليعازر مع بطرس مقيداً . يتناقش المشترون فيما بينهم ، ويجسّون العبيد ليقدّروا أثمانهم »

المشتري الأول : كم تطلبُ بتلك ؟ ما آخرُ سعرٍ عندك ؟

(يشير إلى فتاة حسناء باصبعه ذات الخاتم الثمين .)

التاجر الأول : مئتا درهم .

المشتري الأول : وماذا تُحْسِنُ لقاء هذا المبلغ ؟ فأنتَ لا تُعطيها بمبلغ زهيد !

التاجر الأول : تُحسن الرقصَ والغناء .

المشتري الأول : هذا غيرُ كافٍ . أتُحسن الطبخَ ؟

تاجر الرقيق الأول : إن كنتَ تبحثُ عن طاهيةٍ فهي لا تُناسبُك ! الأصحّ أن تختار عجوزاً .

المشتري الأول : في هذه الحالة ، أنا في غنىً عنها . وأنا أتركها لكَ .

المشتري الثاني ، مقتربا من الشيخ والفتى الذي يجسّه ويقلّبه ويخاطب بائع الرقيق الثاني كم تطالبُ بهذين ؟

التاجر الثاني : مئة وثلاثين درهماً .

المشتري الثاني : مَنْ تريد أن يُعطيك هذا المبلغ ؟ اللعنةُ عليهما . فلستَ تبيعهما بالرخص . (يلمس بيده يد الشيخ وذراعه .) لم يَبْقَ في هذا قوىً ، أما ذاك فليس له بعدُ شيءٌ منها . إنه فتى صغير . هذا آخرُ سعرٍ عندك . (يداعب العبد الشاب) كنْ معقولاً لنتّفقَ . الصفقةُ تتوقّف عليك . ما قولُكَ؟

بائع الرقيق الثاني : هذا آخر سعرٍ عندي . قلتُ كلمتي . ولستُ أكاسر أبداً . إذا كنتَ لا تقبل به فاتركهما لمشترٍ آخر .

المشتري الثاني : في هذه الحالة ، ليس هذان هما ما أنْشُد . أنا في غنى عنهما . (يدنو من بطرس واليعازر وهو يتكلم ويخاطب بطرس بعجرفة ظاهرة .) وأنتَ ، ما العمل الذي يمكنك القيامُ به ؟ أأنت قويّ البنية ؟ أنا بحاجة إلى واحد قويٍّ ، شديد المراس ، مقاوم لجميع أنواع التعب . أأنت ذلك الرجل ؟

(يتجادل اليعازر وبطرس في هذه الأثناء ؛ ويُسْمَعَ اليعازر وهو يهمس بصوت خفيض .)

اليعازر : لا أستطيع ، سامحْني ؛ لا أستطيع ، هذا فوق طاقتي . بطرس ، وباللهجة نفسها ، يُجيبه موبّخاً : تذكّر قسمَكَ ! لقد أقسمتَ ! (ويجيب هو نفسه المشتري الثاني .)

أنا صالح لكل شيء ، وبوسعي أن أفعل كلَّ شيء ، وأن
أقوم بأشقّ الأعمال ، بحسب مشيئتك المطلقة . وفوق ذلك ،
فأنا أعرف الكتابة والحساب .

المشتري الثاني ، مخاطباً اليعازر : كم تَطْلُبُ به ؟ ما سعرُك ؟

بطرس ، يهمس في أذن اليعازر : قلْ له : إنك تَنْوي بيعي بمئة
درهم .

اليعازر ، مردداً بجهد : أبيعُه ، أتنازل عنه بمئة درهم ! مئة درهم !

المشهد — ٢ —

« يُرى مصريان يقتربان »

المصري الأول ، مخاطباً المشتري الثاني : لأيّ عمل تطلبُ رقيقاً .

المشتري : أطلب واحداً لعمل قاسٍ وشاق . أطلب رجلاً يتحمّل
المصاعبَ فيُقَدِّم لي هذا الرقيق الذي يَعْرف القراءة والكتابة ؛
إن رجلاً من هذا النوع لا يمكن أن تكون له أية فائدة عندي ؛
هذا لا يُحسن احتمال عناء التعب .

المصري الأول : هذا يناسبني تماماً . هذا يلائمني . ففي مهنتي كبائع
للأحجار الكريمة ، أنا بحاجة إلى رجلٍ يكون نظيفاً
وأميناً في الوقت نفسه .

بطرس للمصري الأول : خُذْني ، يامعلم ، فستكون راضياً
كلَّ الرضا . خُذْني . اشترِني . سأخدمك كابنك ،
كما يخدم الابنُ اباه .

المصري الأول لبطرس : أعجبتني . وسأشتريك . (مخاطباً اليعازر) .
أعجبني هذا . قُلْ لي : ما ثمنُه ؟

اليعازر ، يُذعن ، مُضْنىً ، يَمدُّ يده ويَخْفض رأسه : مئة درهم .
ليستْ مئةُ الدرهم كثيرةً بمثل هذا الرجل . (ينهار اليعازر ويبكي وهو يُمْسك المال بيده :) لا أستطيع . هذا فوق طاقتي . لم أعد أحتملُ . ماذا فعلتُ ؟

بطرس ، مقبّلاً اليعازر : الوداع . لا تَنْسَ . وَزِّعْ المالَ كلّه كما قلتُ لك : لا تَنْسَ : المال كله ! كلّه ! لقد أقسمتُ على ذلك !

اليعازر : ياسيّدي ، اغفرْ لعبدك المتواضع ! اغفرْ لخادمك ! اغفر لي ما فعلْتُ ! اغفرْ لي ، يامعلّم ! سأفعل بحسب مشيئتك.
سأفعل كلّ شيء لترْتاحَ نفسُك . وداعاً ، يامعلّمي العزيز .

بطرس : اسكتْ ! كفى نحيباً . الوداع ، اليعازر ! الوداع !

(يبتعد بطرس ، يقتاده المصري ، بينما يظل اليعازر وحده مع ألمه يَنْتحبُ)

ستار

الفصل الخامس

المشهد — ١ —

« تجري الأحداث في مصر . البوابُ الأخرسُ يُدخل الطبيب والتجار من باب الدخول ، ويُفهمهم بالإشارات أن معلّمه سيأتي بعد قليل »

الطبيب : يريد أن يقول لي : إن معلّمه في البيت ، وأنه سيأتي ، ولذلك أشار إلينا بالدخول . هيّا ! ليس لنا إلا أن نَصبِرْ ! فَلْندخُلْ !

المشهد — ٢ —

« لا يلبث أن يصل المصريُّ الأول الذي يخاطب التّجار »

المصري الأول : يُفْرِحُني أن أراكم عندي . وأنا أستقبلكم بأعظم السرور . اجلسوا أرجوكم . لا بدّ أنكم تعبتُم ، وجُعتُم . ولن ترفضوا لي وجبةً سريعةً متواضعة ؟

تاجر : شكراً ، وتشرّفْنا . شكراً لضيافتك ! نشكركَ لفضلكَ علينا . صديقي ، وهو طبيب سوري ، وأنا نفسي وصلنا من سورية وجئنا لمسألةٍ عاجلةٍ في هذه المدينة . نحن سعداء جداً أن يكون مضيفنا بهذا اللطف ، ويُفرحنا أن نتعرّف بك.

المصري الأول ، ينادي ويصفق بيديه : ميثودا . ميثودا . ! تعال ، تعال بسرعة ! (يخاطب ضيوفه) تفضّلوا واجلسوا .

المشهد — ٣ —

« يدخل بطرس ، في لباس الرقيق الخادم ؛ وإذْ لمحَ الطبيب وعرفه يَرتعب لحظةً ويشيح بوجهه . »

بطرس : ماهي أوامركَ ، يامعلّم ؟

المصري الأول : هاتِ لضيوفنا الأعزاء خبزاً ونبيذاً وعنباً . هم قادمون من سورية ، من بلدك ! أتعرفُهم ؟

بطرس ، مرتبكاً : لا ، لستُ أعرفُهم ، ولم أرهم قط .

(يتشاغل حولهم ثم يتوارى .)

الطبيب ، يخاطب المصريَّ الأول ، صاحب البيت : هل زرتَ سورية ؟ أتعرفُ مدينتنا ؟

المصري الأول : نعم ، أعرف سورية ؛ ذهبتُ إلى مدينتكم منذ نحو ثماني سنوات . نعم ، منذ نحو ثماني سنوات . والواقع أنني حصلتُ على هذا العبد الذي رأيتموه الساعة ، في الوقت الذي كنتُ فيه هناك .

الطبيب : إن هذا لمثيرٌ ! مصادفة عجيبة ! حدثٌ غريب ! وهذا يتوافق مع شيء مُذهل حدث في مدينتنا ، في هذا التاريخ بالذات . نعم ، في هذا التاريخ بالتحديد ، حَدَثَ حدثٌ لم يستطعْ أحدٌ ، حتى الآن ، أن يفهمه أو يفسّره .

المصري الأول : أيمكن أن نَعرف هذا الحدث ؟ وفيمَ كان هذا

الحدثُ الذي ذكرتَه لي شديدَ الغرابة بحيث ترك مثل ذلك الانطباع في مدينتكم ، ارو لي هذه القضيّة . ماذا جرى ؟ إني أتحرّق شوقاً إلى سماعها .

الطبيب : القضيّة ، هذه هي : في ذلك الزمان ، كان بطرس الخبّاز أحد أغنى الناس في المدينة — في مدينتنا — وأحد كبار الأثرياء في سورية ، ومن أغنى أصحاب الأملاك والأراضي الشاسعة ، لكنه كان في الوقت نفسه أبخلَ رجل في البلاد . وفجأة آمن — آمن بحسب الشريعة المسيحية — واستولتْ عليه حماسةٌ عجيبة ، فأخذ يوزع أمواله على الفقراء . ولما عارضتْ أسرتُه هذا التبذير الذي لم تعرف سببه ، خططّ لبيع نفسه كما يُباع الرقيق وتوزيع ثمن شخصه على فقراء مدينته التي ولد فيها . ثم لم يسمع أحدٌ عنه شيئاً ، لقد اختفى بسرعة غريبة .

التاجر : ولقد بحثتْ زوجتُه عنه ، لكن دون جدوى ؛ إذ لم يره أحدٌ . وهي تُرسل كلّ يوم الرسل للعثور عليه . لكن هذا الجهد يذهب سدى لإن جميع الرسل يعودون صِفْر الأيادي . ولا يستطيع أحد أن يعلم ما الذي أصابه .

المصري الأول : يالها من قصة مُدهشة ! يالهذا الإخلاص الرفيع ! يالإنكار الذات ! وكم عمرُه ، ياترى ؟ وماهيئته ؟ قولوا لي تقريباً لكي أتمكّن من مساعدتكم . ارسموا لي صورتَه ، أعطوني أوصافَه ؛ وهكذا سيكون ذلك أسهلَ عليّ .

(عند ذلك يظهر بطرس حاملاً وجبةً خفيفةً تتألّف من

الخمر والفواكه .)

الطبيب : عمرُه في نحو الخمسين ، قامتُه متوسّطة ، وبدانته متوسطة أيضاً . وكان أقرب إلى النحافة منه إلى السُمنة . إنه يُشبه هذا العبد .

(يشير بيده إلى بطرس . في هذه اللحظة يُصاب بطرس بالذهول ، فيغطّي وجهه بيديه ويخرج على عجل .)

ما أوسَمَ وجهَ هذا العبد . لا شك أنك مسرور منه .

المصري الأول : ليس هذا عبداً عادياً . هذا العبدُ من ذهب ، بالنسبة إلي! إنه صديقٌ ، على الأصح . فمنذ أن جئتُ به إلى بيتي ، إلى خدمتي ، ازدهرت أعمالي ، ووفّقْتُ في كل شيء . وقد عَرَضْتُ عليه ، غير مرة ، أن أُعتقه ، أن يفتدي نفسه ، لكنه رفض . ولم أفهمْ لماذا ، لكني لم أسألْه قط عن ذلك . إنه عبدٌ لكني لا أعتبره كذلك . إنه خادم أمين . وهو أفضل من عَرَفْتُ وأشرفُ مَنْ عرفتُ . (ينادي .) ميثودا . ميثودا ! تعال ! تعال حتى أقدّمك لهم .

(يعود بطرس ولا يجرؤ على أن يتقدّم .)

الطبيب ، يخاطب التاجر : انظرْ ، انظرْ إليه جيّداً ما أشبهه ببطرس الخبّاز .

(عندما يسمع بطرس هذه الكلمات واسمَهُ ، وعندما يرى أنهم عرفوه ، يندفع إلى الباب)

الأخرس : كان قديساً ! كان قديساً ! رأيت ذلك بعيني . رأيت إشعاعَ النور الذهبي يلفّه كأنّه بهالةٍ عندما خرج إلى الشارع .

المصري الأول : هذه معجزة ! ها هو الأخرس يتكلّم !

التاجر والطبيب ، يهتفان معاً : لقد عرَفْناه ! هذا هو ! هذا هو بعينه ! لقد ذهب لكي لا يكرّمه أحدٌ .

ستار

الجثة الحية

دراما في ستة فصول واثنتي عشرة لوحة

١٩٠٤

فيدور فاسيليفيتش بروتاسوف

ليزا ، زوجته

ميشا ، ابنهما

آنا بافلوفنا راحمانوفا ، أم ليزا

ساشا ، أخت ليزا

آنا دميتريفنا كارينين

فيكتور ميخايلوفيتش كارينين ، ابنها

الأمير سيرج ابريسكوف

افريموف

ستاهوف

بوتكفيتش — أصدقاء فيديا

كوروتكوف

ايفان بيتروفيتش الكسندروف

بيتوشكوف

الغجري ، ايفان ماكاروفيتش

ناستازيا ايفانوفنا ، زوجته

ماشا ، ابنتهما

آرتمييف

قاضي التحقيق

بيتروشين : محام

غجر ، موسيقيون ، ضباط

محامون عامون في قصر العدل

خدم الخ

الفصل الأول

اللوحة الأولى

« شقّة بروتاسوف ، في بطرسبرج ، صالة طعام صغيرة » .

المشهد — ١ —

« آنا بافاوفنا ، المرضع » .

« آنا بافلوفنا ، سيّدة مسنّة ، على شيء من القوة ، بيضاء الشعر . تجلس وحدها وتتناول الشاي ؛ والسماور على الطاولة . تدخل المرضع وفي يدها غلاّية » .

المرضع : أيمكنني أن أطلب منكِ شيئاً من الماء للشاي ؟

آنابافلوفنا : طبعاً ، خذي . وكيف حالُ الطفل ؟

المرضع : هو مضطرب جداً ، من غير شك . ماذا تريدين ! عندما تُرضع الأمهات أطفالهن بأنفسهن ، فلا بدّ أن تكون الأمورُ هكذا دائماً . الأم لها همومها والطفلُ يُعاني منها . وكيف يكون الحايبُ سليماً إذا كانت السيدة لا تنامُ الليل ولا تكفّ عن البكاء ؟

أنا بافاوفنا : لكنْ ، ألم تغدُ أكثر هدوءاً الآن ؟

المرضع : أوه ! الهدوءُ بعيدٌ عنها ! منظرهُا يُرثى له ! منذ هنيهة أخذت تبكي وهي تكتب .

المشهد — ٢ —

« المرأتان وساشا » .

ساشا ، داخلة ، للمرضع : ليزا تناديك .

المرضع : أنا ذاهبة إليها ، أنا ذاهبة إليها .

(تخرج)

آنا بافلوفنا : قالت لي المرضع : إن ليزا لا تكفّ عن البكاء . فمتى سنراها هادئةً من جديد ؟

ساشا : أنت غريبة ! يا ماما ! لقد انفصلتْ قبل حين عن زوجها ، والد ابنها . . . وتريدينها هادئة ؟ . . .

آنا بافلوفنا : ليس هذا ما عَنَيْتُه . . . لكن ما كان قد كان . . . وإذا كنتُ ، وأنا أمّها ، لم أوافق فقط أن تترك ابنتي زوجها ، بل كنت سعيدة أيضاً بذلك ، فلأنه يستحقّ ذلك الترك ويجب ألاّ تحزن ، بل على العكس يجب أن تفرح ، لأنها تخلّصت من مثل هذا الزوج السيّء ... من مثل هذا الكنز !

ساشا : لمَ تتكلّمين هكذا ، يا ماما ! أنتِ تعلمين أن هذه ليست الحقيقة . و « فيديا » ليس زوجاً سيئاً ، على العكس ! إنه رجلٌ مدهشٌ ، رائع بالرغم من جميع عيوبه .

آنا بافلوفنا : مدهشٌ ، بالفعل . فما أن يقع المالُ بين يديه ، سواء أكان ماله أم مال الآخرين . . .

ساشا : هو لم يمسّ مال الآخرين قط . . .

آنا بافلوفنا : لا فرق ! . . . مال امرأته ! . . .

ساشا : لكن بما أنه تنازل عن ثروته كلها لامرأته . . .

آنا بافلوفنا : كان مضطراً لأن يفعل ذلك ، لأنه كان يعلم أنه سيبدّدها كلها . . . كانت ستَضيعُ كلها من يديه .

ساشا : بدّدها أم لم يبدّدها . . . أقول إن المرأة لا يجب أن تنفصل عن زوجها ، ولا سيما عن زوج مثل فيديا .

آنا بافلوفنا : إذن ، برأيك أنه كان يجب الإنتظار حتى يبدّد كل ثروته ، وحتى يأتي إلى المنزل بعشيقاته الغجريات ؟

ساشا : ليس له عشيقات . . .

آنا بافلوفنا : من المؤلم أنكن جميعاً ، ما عداي ، قد خضعتنّ لسحره . أما أنا فاني أعرفه وهو يعلم ذلك . لو كنت مكان ليزا لتركته قبل سنة ، لا الآن .

ساشا : بأي ابتهاج تَحكْين عن ذلك ! . . .

آنا بافلوفنا : بابتهاج ؟ . . . أبداً ، صدّقيني . ومن الشاقّ على الأم أن ترى ابنتها مطلّقة . لكنْ أليس كل شيء أفضل من أن تتحطّم حياتُها الفتيةُ ؟ ولذلك أحمد الله على أن ليزا صمّمت في نهاية الأمر ، وأن كل شيء قد انتهى .

ساشا : لعل كل شيء لم ينْتهِ بعد . . .

آنا بافلوفنا : بشرط أن يوافق على الطلاق !

ساشا : وما الفائدة من ذلك ؟

آنا بافلوفنا : ما الفائدة من ذلك ؟ الفائدة أنه سيكون من الممكن ، باعتبارها شابة ، أن تُبني حياتها من جديد .

ساشا : اوه ! ماما ، كيف يجوز لك أن تقولي هذا ؟ ياللفظاعة ! لا ، لن تحبّ ليزا رجلاً آخر !

آنا بافلوفنا : ولماذا ، بما أنها ستغدو حرّةً ؟ إن الكثير من طالبي الزواج ، ممّن هم أفضل ألف مرة من فيديا ، سيعتبرون أنفسهم سعداء بأن يتزوّجوا منها .

ساشا : اوه ! كيف يجوزُ لكِ أن تتكلّمي هكذا ، يا أمي ! أعلمُ أنك تفكّرين في فكتور كارينين .

آنا بافلوفنا : بالطبع أفكّر فيه . إنه يحب ليزا منذ عشر سنوات ، وهي تبادلُه هذا الحبَّ !

ساشا : نعم ، إنها تحبه ؛ لكن لا لتتزوّج منه . إنها صداقة الطفولة.

آنا بافلوفنا : نحن أدرى بهذا النوع من الصداقة . . . لكن إذا لم يكن بينهما عائق . . . .

(تدخل الخادمة) .

المشهد — ٣ —

« آنا بافلوفنا ، ساشا ، الخادمة » .

آنا بافلوفنا : ما الأمر ؟

الخادمة : أرسلتْ السيدةُ مع أحد الخدم رسالة إلى فيكتور ميخايلوفيتش فبعث يقول : إنه سيأتي بعد لحظة .

آنا بافلوفنا ، مندهشة : عجباً ! في اللحظة ذاتها التي كنا نتحدث فيها عنه ! لا أعلم لمَ استدعتْه . (لساشا) . وأنتِ ، أتعلمين ذلك ؟

ساشا : أعلم ذلك . . . أو لا أعلمه .

آنا بافلوفنا : بينكما أسرارٌ دائماً ؟

ساشا : ليزا ستأتي ، وستُخْبِرك .

آنا بافلوفنا ، هازّةً رأسها ، للخادمة : يجبُ تسخينُ السماور . خذيه ، يا دونياشا .

(تأخذ الخادمةُ السماور وتخرج) .

آنا بافلوفنا ، لساشا التي نهضت وتهيّأت للخروج : أرأيتِ ، الحقُّ معي ؛ أرسلتْ فوراً تستدعيه .

ساشا : نعم ، لكنْ لعل ذلك لشيءٍ آخر ؟

آنا بافلوفنا : لأي سبب إذن ؟

ساشا : لكنها لا تهتمّ الآن بكارينين أكثر مما تهتم بالمرضع العجوز .

آنا بافلوفنا : سنرى ؛ إني أعرفها ، فاذا كانت تطلب حضوره فذلك لأنها تَشْعر بالحاجة إلى العزاء .

ساشا : آه ! ماما ، ما أسوأ معرفتك بها إذا كنتِ تظنين . . .

آنا بافلوفنا : سترينْ . . . على كل حال أؤكّد لك أنني جدُّ مسرورة .

ساشا : حسناً ! لِننتظرْ

(تخرج وهي تدندن) .

آنا بافاوفنا ، وحدها ، هازّة رأسها : هذا حسنٌ . . . كل شيء يسير سيراً حسناً . نعم . . .

المشهد — ٥ —

« آنا بافلوفنا ، الخادمة ؛ ثم فيكتوركارينين » .

الخادمة ، داخلةً : وصَلَ فيكتور ميخايلوفيتش .

آنا بافلوفنا : حسناً ! أدْخليه ، وأخبري السيدة .

(تخرج الخادمة من الباب الذي يؤدّي إلى الشقّة) .

كارينين ، داخلاً ومحيّياً آنا بافاوفنا: أرسلتْ إلي اليزا فيتا اندريفنا بطاقة ترجوني فيها المجيء ؛ وقد سُررتُ كثيراً بذلك ، ولا سيّما أني كنتُ عازماً على المجيء هذا المساء . أرجو أن تكون صحة اليزافيتا اندريفنا حسنة !

آنا بافلوفنا : أجلْ ،صحتُها حسنة ، وستأتي على الفور ؛ لكن الطفل هو المتوجّع قليلا . (بحزن) اوه ! لقينا الكثير من المشقات . . . على كل حال أنت تعرف كل شيء ؟ .

كارينين : نعم ، كنتُ حاضراً أمس الأول ،عندما وصلتْ رسالتُه . . . لكن هل هذا نهائيٌّ حقا ؟

آنا بافلوفنا : نعم ، بالتأكيد ! فمن المؤلم جداً معاناة هذه الأحزان من جديد .

كارينين : تعرفين المثل : « يجب أن نقيس سبع مرات قبل أن نقطع ...» وخصوصاً هنا حيث يجب القطعُ في اللحم الحي .

آنا بافلوفنا : صحيح ،لكن بما أن وحدتهما كانت متفككةً منذ زمن بعيد، فقد حدثَ التمزّق بصورة طبيعية . فيديا ذاتُه يعترف أن من المستحيل عايه التراجع بعد أن جرى ما جرى .

كارينين : ولماذا ؟

آنا بافلوفنا : وكيف يمكنه ذلك بعد كل تلك النذالات ؟ لقد أقسم انه إن عاد إلى حياة التهتّك فهو مستعد للتنازل عن جميع حقوق الزوج ، ولإعادة الحرية الكاملة إلى زوجته .

كارينين : لكن ، ما معنى حُرية المرأة التي ارتبطت بالزواج ؟

آنا بافلوفنا : والطلاق ؟ . . . وَعَدَ بالطلاق ونحن نصرّ على أن يفي بوعده .

كارينين : نعم ، لكن اليزافيتا اندريفنا كانت تحبّه كثيراً .

آنا بافلوفنا : لكنّ حبها أبْلَتْهُ التجاربُ حتى لم يبق منه إلا القايل! كان يَجْمع الرذائلَ كلها : السكرَ والغدر والخيانة . . . أيمكن لامرأةٍ أن تحبّ مثل هذا الزوج ؟ . . .

كارينين : الحبُ قادرٌ على كل شيء .

آنا بافلوفنا : تقول : الحب ! لكن هل يمكن للمرأة أن تحب كائناً ضعيفاً لا تشعر بأية ثقة فيه . إليكَ ماحَدَثَ : (تلقي بنظراتها نحو الباب وتسارع إلى الكلام حتى تتسنى لها روايةُ كل شيء) . كانت أعماله متردّيةً ، وكانت جميع ممتلكاته مرهونةً ، ولم يكن يملك فلساً واحداً ... ولا ما يدفع به الفوائد . حينئذٍ أرسل إليه عمتُه ألفي روبل

لدفع تلك الفوائد ، فاذا به يمضي بذلك المال ولا يعود .
وتظل زوجتُه مع ابنها المريض تنتظر . . . وتصل أخيراً
رسالةٌ يطلب فيها أن تُرْسَلَ إليه ثيابُه .

كارينين : نعم ، نعم ، أعلم . . .

(تدخل ليزا وساشا) .

المشهد — ٥ —

« آنا بافلوفنا ، ليزا ساشا ، كارينين » .

آنا بافلوفنا : ها إن فيكتور ميخايلوفيتش استجاب لدعوتك .

كارينين : نعم . . . وقد أوقفني بعضُهم قليلاً . . .
(يُحيّي الأختين) .

ليزا : أشكركَ . أنا بحاجة إلى خدمة كبيرة . ومنك وحدك
أستطيع أن أطلب ذلك .

كارينين : سأفعل كلَّ ما أستطيعُه .

ليزا : أنتَ على علمٍ بكل شيء ، أليس كذلك ؟

كارينين : نعم ، أعلمُ كل شيء .

آنا بافلوفنا : أنا أدعكما . (لساشا) . لندعْهما وحدهما .

(تخرج هي وساشا) .

المشهد — ٦ —

(ليزا ، كارينين » .

ليزا : نعم ، كتب إلي رسالةً يقول لي فيها : إنه يعتبر كل شيء

منتهياً . (تحبس دموعها بجهد) . وقد جُرِحتُ كثيراً،
كثيراً . . . وبالاختصار قبلتُ فسخ الزواج . . . وأجبته
أني قبلت الانفصال .

كارينين : وأنتِ الآن نادمةٌ على ذلك ؟

ليزا : نعم ، أدركتُ أنني أسأتُ التصرف . كلُّ شيء ولا فسخ
الزواج . على كل حال ، أتريد أن تسلّمه هذه الرسالة
أرجوك ، يا فيكتور ، أعْطِه هذه الكلمة . . . و ...
قل لي . . . جِئْني به ! . . .

كارينين : مندهشاً : لكنْ كيف ؟

ليزا : اشرحْ له أني أتوسّل إليه آن ينسى كل شيء وأن يعود ! ...
ستقول لي : تستطيعين أن توصلي الرسالة بالبريد ؛ لكنني
أعرفُه . ستكون بادرتُه الأولى لطيفةً ، كما كانت
دائماً ؛ ثم إنه سيتأثر وسيغيرّ رأيه ، وسيَعْدل عمّا
عزَمَ عليه في بداية الأمر .

كارينين : سأفعل كلّ ما يسعني فعلُه .

ليزا : أنت مندهش لأنني توجهتُ إليك من أجل » .

كارينين : لا ! لكن ، مع ذلك . . . الحقيقة . . . أني مندهش ...

ليزا : ألستَ حاقداً عليّ ؟

كارينين : وهل يمكن أن أحقد عليك من أجل أي شيء ؟

ليزا : إنما توجّهتُ إليك لأنني أعرف حبّك له .

كارينين : له ولكِ . إن حبي كما تعلمين ، لا يبتغي إلا سعادتك ، لا

سعادتي . . . إذن ، أنا أشكركِ لأنك وثقْتِ بي . .
وسأبذل وسعي .

ليزا : أعلمُ ذلك . وسأقول لكَ كلَّ شيءُ . كنتُ اليوم عند آل أفريموف لكي أكتشف المكان الذي فيه زوجي . قيل لي إنه ذهب إلى بيوت الغجر . أنا خائفة من هذا الجموح . . . فاذا لم نكبح من هذا الجموح في اللحظة المناسبة ضاعَ الرجلُ . . . ولذلك فان التدخل ضرورة ملحة . . . إذن ، قل لي ، سوف تذهب لإحضاره ، أليس كذلك ؟

كارينين : بكل تأكيد . . . وعلى الفور .

ليزا : امضِ وابحثْ عنه وقلْ له : إني نسيتُ كل شيء وإني أنتظره .

كارينين ، ينهض : لكنْ أين أبحثُ عنه !

ليزا : هو عند الغجر . . . لقد ذهبتُ إلى هناك . . . وصلتُ إلى المدخل ، وكدتُ أعطيه رسالتي ، لكني عزمْتُ ، بعد التفكير ، على أن أطلب منكَ هذه الخدمة الكبيرة . . . وهذا هو العنوان . احملْه على العودة ، وعلى نسيان الماضي . . . افعل هذا حباً به وصداقة لنا .

كارينين : سأفعل كل ما هو ممكن .

(يُحييّ ويخرج) .

المشهد — ٧ —

« ليزا وحدها ، ثم ساشا » .

ليزا : لا ، لا ، لا أقدر على ذلك . . . لا . . . . أبداً . . .

ساشا، داخلة : وبعدُ ، هل أرسلتِه ؟ (تومىء ليزا برأسها إيماءة الإيجاب) . وقَبل ؟

ليزا : طبعاً . . .

ساشا : ولمَ توجّهت إليه ؟ لستُ أفهم . . .

ليزا : وإلى مَنْ غيره كان يمكن أن أتوجّه ؟

ساشا : لكنك تعامين أنه مُغْرمٌ باكِ ؟

ليزا : لعله كان كذلك فيما مضى ، لكنه لم يعدْ كذلك ... ثم لم يكن لي خيارٌ . أتظنين أن فيديا سيعود ؟

ساشا : أنا واثقة من ذلك ، لأن . . .

المشهد — ٨ —

« ساشا ، ليزا ، آنا بافلوفنا ، تدخل آنا بافلوفنا فتسكت ساشا ».

آنا بافلوفنا : أين فيكتور ميخايلوفيتش ؟

ليزا : لقد ذهبَ .

آنا بافلوفنا : كيف ، ذهب ؟

ليزا : نعم ، طلبتُ منه خدمةً .

آنا بافلوفنا : ما تلك الخدمة ؟ . . . أهي سرٌ أيضاً ؟

ليزا : أبداً لا ! طلبتُ إليه أن يُسلّم بنفسه فيديا رسالتي .

آنا بافلوفنا : كنتُ أظن أن كل علاقة بينكما قطعتْ إلى الأبد . . .

ليزا : لا ، لا أستطيعُ الانفصالَ عنه . . .

آنا بافلوفنا : كيف ؟ كل شيء سيبدأ من جديد ؟

ليزا : لقد حاولتُ ، وبذلت مجهوداً ؛ لا أستطيع ؛ أنا مستعدة لقبول كل شيء بدلاً من أن أترك زوجي .

آنا بافلوفنا : تريدين إذن أن تُرْجعيه ؟

ليزا : نعم .

آنا بافلوفنا : تَنْوين أن تُدخلي منزلَك من جديد هذا الكائن الكريه ؟

ليزا : أرجوك ، يا ماما ، ألاّ تتكلّمي هكذا على زوجي .

آنا بافلوفنا : على مَنْ كان زوجك .

ليزا : لا ، على زوجي الآن .

آنا بافلوفنا : مبذّر وسكيرٌ وفاسقٌ ! ولا تستطيعين أن تنفصلي عنه ؟

ليزا : لماذا تعذّبينني ؟ يكفيني ما لقيتُ من الألم . . . كأنك تتعمّدين إزعاجي .

آنا بافلوفنا : آه ! أنا أعذّبك ؟ حسناً ! سأنصرف ؛ ليس بوسعي أن أكون شاهدةً على ذلك كله (تسكت ليزا) آه ! فهمتُ ! أنا أضايقك ، أنا زائدة عن اللزوم ؛ ولست أفهم شيئاً من طريقتك في التصرف ، ومن أساليبك اليوم . . . . فقبل قليل كنتِ عازمةً على فصم الزواج ، ثم إذا بك تَسْتقدمين رجلاً يحبّك . . .

ليزا : كلاّ ، أنت مخطئة . . .

آنا بافلوفنا : كيف ، كارينين طلب يدكِ ، وهو الذي أرسلته ليأتي بزوجك ! . . . ألكي تثيري غَيْرتَه ؟

ليزا : مهلاً ، يا ماما ، يا للفظاعة ! من فضلك ، دعيني !

آنا بافلوفنا : عظيم . اطردي أمك واستبدلي بها زوجك الفاسق . لكني لن انتظر حتى يعود إلى هنا. الوداع . . . وليباركك الله ! تصرّفي كما يحلو لك .

(تخرج وهي تصفق الباب) .

ليزا ، متهالكة على مقعد : ما كان ينقصنا سوى هذا ! . . .

ساشا : لا قيمة لذلك ! سيُسَوّى كل شيء . . . لا بد أن ننجح في تهدئة خاطر ماما . . .

آنا بافلوفنا ، ماضية: دونياشا ! . . . حقائبي ! . . .

ساشا ، تابعة أمها ، موجهة إلى أختها : ماما ، اصغي إليّ . . .

اللوحة الثانية

غرفة عند الغجر

المشهد — ١ —

« فيديا ، افريموف ، موسيقي ، ضابط ، ماشا ، الغجر ، الجوقة تغني « كون افيلا »(١) . فيديا بالقميص ، مستلق على الأريكة ، على بطنه . افريموف يجلس على الكرسي مفرشحاً تجاه المغنّي الأول في الفرقة . يجلس ضابط قرب الطاولة التي وُضعت عليها زجاجات الشمبانيا والأقداح ، وعند الطاولة نفسها يجلس موسيقي ينقل موسيقا الغجر ويضع علامات موسيقية لها .

(١) كون افيلا : أغنية غجرية فرحة .

افريموف : فيديا ، هل نمتَ ؟

فيديا ، ينهض : لا تتكلم . . . والآن ، « لم يكنْ نجمةَ المساء (١) .

غجرية : مستحيلة ، يا فيدور فاسيليفيتش ، ستغني الآن ماشا وحدها .

فيديا : ليكنْ ! . . . وبعدها « لم يكن نجمة المساء » .

(يعود إلى الاضطجاع) .

الضابط ، للغجر : « ساعة الموت (٢) !

غجرية ، تخاطب افريموف : أتقبلُ ؟

افريموف : ليكنْ .

الضابط للموسيقي : ماذا ؟ هل نقلتَ اللحنَ ؟

الموسيقي : غريب ! ففي كل مرة تغيِّر المفتاح الموسيقي وتغني بطريقة مختلفة . انظري قليلاً (يرى الغجرية ورقته فتنظر إليها) اهذا هو اللحن ؟

الغجرية : نعم ، هذا هو ! . . . ممتاز ! . . .

فيديا ، ناهضاً : لن يُفلح في تسجيل علامات هذه الموسيقا ! . . . أو إذا اتّفق له ونجح في نقل اللحن وأدخله في الاوبرا

---

(١) لم يكن نجمة المساء : أغنية غجرية باكية أولها : « اه لم يكن نجمة المساء ، ذلك الفجر المنطفىء » .

(٢) ساعة الموت : أغنية حب غجرية .

فسيفسدُ كل شيء . . . هيا يا ماشا ، تقدّمي ! . . . خذي قيثارتك لساعة الموت . . (ينهض ويجلس قبالتها ، ويحدّق فيها . ماشا تغني) . مرحى ! آه ! يا لماشا ! والآن : « لم يكن نجمة المساء » .

افريموف : لا ، انتظرْ قليلاً . . . أغنيتي أنا أولاً ، المأتميّة . . .

الضابط : ولمَ مأتميّة ؟

افريموف : لانني إذا متُّ ، أتفهمُ ، إذا متّ حقاً وسُجِّيتُ في نعْشي . . . عند ذاك سيؤتى بالغجر ، أتفهم ، وسوف أطلب ذلك ، في الوصيّة ، من زوجتي . وفي اللحظة التي سيبدؤون فيها بغناء « شيل مي فيرستا »(١) فسوف أثِبُ من نعشي . . . أرأيت هذا ؟ (الموسيقي) . هذا ما يجب أن تنقله . حسناً ! هيّا ! (يغنّي الغجر) . ماذا ؟ كيف تجد هذا ؟ والآن : « يا فتياني الطيبين » ! .

(يغنيّ الغجر ، يخطو افريموف بعض الخطوات الراقصة ، يتابع الغجر غناءهم مبتسمين ويصفّقون بأيديهم على ايقاع الغناء . وحين تنتهي الأغنية يجلس افريموف) .

الغجر لأفريموف : مرحى ، يا ميخائيل اندريفيتش ! أنت غجري حقيقي .

فيديا : والآن ، « لم يكن نجمة المساء ! » (يأخذ الغجر في الغناء)

---

(١) شيل مي فيرستا : أغنية غجرية تبدأ على النحو التالي : سرت مائة فرسخ ، أنا الفتى الطيب فلم أجد السعادة في أي مكان .

آه ! ها هي ذي ! أليست عجيبة ؟ . . . إني أتساءل في أي عالم يجري كل ما يُعبّرُ عنه في هذه الأغنية ؟ وهل هذا جميل ! ولماذا يستطيعُ الإنسان أن يبلغ مثل هذه النَشْوةَ دون أن يتمكن من المحافظة عليها ؟

الموسيقي ، يكتب : نعم ، هذا طريفٌ جداً .

فيديا : لا ، ليس طريفاً ، هذا هو الحقيقي .

افريموف : حسناً ! استريحوا قليلاً الآن .

الموسيقي : هذا بسيط من حيث الموضوع ، لكن الايقاع . . .

فيديا ، يُشير بيده ، يدنو من ماشا ويجلس قربها : اوه ! ماشا ماشا ، كم تهزّين روحي !

ماشا : حسناً ! وماذا طلبتُ منك ؟

فيديا : ماذا ؟ . . . نقوداً ! . . . (يخرج حفنة من القطع النقدية ، من جيبه) . دونكِ النقود : خذي !

(تأخذ ماشا النقود وتدسها في داخل صدرها) .

فيديا ، للغجر : انظروا ! إنها تفتح السماءَ لي ، وهي لا تفكّر بغير الهدايا . . . . .. (لماشا) أنّى لك أن تفهمي ما تفعلين !

ماشا : ولمَ لا أفهمُ ؟ ليس ذلك صعباً : إذا أحببْتُ أحداً ، بالغتُ في إرضائه ، وغنّيتُ غناءً أفضل .

فيديا : أنتِ إذن ، تحبينني ؟

ماشا : لا شك .

فيلديا : رائع ! (يقبّلها . يخرج الغجر رجالاً ونساءً ، تاركين الأزواج معا . افريموف مع كلاتيا ، الضابط مع غاشا . يتابع الموسيقيّ كتابة موسيقاه ؛ ينقر غجري على قيثارته موسيقا « الفالس ») . لكنني متزوج ، وأنتِ ، أنتِ من الفرقة . . .

ماشا : الفرقة ، لا شك ، أنا منها ، لكن قلبي لي . . . أُحبُّ مَنْ أشاء . . . وأكرهُ الذين لا يعجبونني .

فيلديا : آه ! ما أسعدني ! وأنتِ هل أنتِ سعيدة ؟

ماشا : بالتأكيد ! فعندما يكون الزبُنُ لطفاء نتسلّى نحنُ أيضاً !

(يدخل غجري) .

الغجري ، لفيلديا : هناك سيّدٌ يسأل عنك .

فيلديا : مَنْ ذلك السيد ؟

الغجري : لا أعلم . . . سيدٌ حسن الهيئة ، وعليه معطف من فرو السمور . . .

فيلديا : سيّد عظيم الشأن ؟ أَدْخِلْه !

افريموف : مَنْ تراه الذي يبحث عنكَ هنا ؟

فيلديا : أنّى لي أن أعلم ! من تراه يهتم بي ؟

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم . كارينين الذي يدخل وينظر حوله » .

فيلديا : عجباً ! فيكتور ! أنت الشخص الذي ماكنت أتوقّع

بمجيئه . اخلعْ معطفك . ما الأبله السارة التي جاءت بك إلى هذا المكان ؟ حسناً ! اجلسْ ، هذه : « لم يكن نجمة المساء » .

كارينين : أحب أن أحدّثك على انفراد ..

فيديا : عمّ ؟

كارينين : أنا آت من عندك ، كلفتني زوجتك حمل هذه الرسالة . ثم . . . .

فيديا ، يأخذ الرسالة ، يقرؤها ، يقطّب حاجبيه ، ثم يبتسم برقة : اسمعْ ، يا كارينين ، أتعرف ماذا تحتويه الرسالةُ ؟

كارينين : أعتقد أنني أعرف محتواها وأحب أن أقول لك بهذه المناسبة . . .

فيديا : طيب ! طيب ! لا تتصوّرْ أني سكران وأني لا أشعر بالمسؤولية . . . ربما كنتُ كذلك ، لكنني أرى بوضوح شديد في هذه القضية ! وما الذي كُلِّفتَ قولَه لي ؟

كارينين : طُلبَ إليّ أن ألقاك وأن أقول لك : إنها تنتظرك وترجوك أن تنسى كل شيء وأن تعود .

فيديا ، يُصغي دون أن يقول كلمة ناظراً إلى كارينين في وجهه : لستُ أُدرك مع ذلك لم كنتَ أنتَ . . .

كارينين : ارسلتْني اليزافينا اندريفنا لأبحث عنك وقالت لي . . .

فيديا : نعم .

كارينين : وأنا أتوسل إليك لا باسم زوجتك فقط بل باسمي أيضاً : تعال معي . . . . . .

فيديا : أنتَ خيرٌ مني ! سخيفٌ ما قلتُه . . . فليس من الصعب أن يكون المرءُ خيراً مني . . . أنا بائسٌ ! في حين أنك أنتَ نبيل ، نبيل القلب جداً . ولذلك اتخذتُ قراري . . . ثم ليس هذا هو السبب الحقيقي . . . لا أريد ولا أستطيع ، بكل بساطة . . . ثمّ كيف أعود إلى هناك ؟

كارينين : تعال أولا إلى بيتي . . . وسأنبىءُ بعودتك القريبة ، وغداً . . .

فيديا : وماذا يكون في غدٍ ؟ ستظل أبداً كما هي وسأظلّ كما أنا (يتّجه إلى المائدة ويشرب) . عندما يؤلمك سنّك فالأفضل أن تقتلعه فوراً . كنتُ قد قلتُ لها : إنني إذا لم أفِ بوعدي مرة أخرى ، فينبغي أن تتركني ، ولم أفِ بوعدي . . . فانتهى كلُّ شيء !

كارينين : انتهى بالنسبة إليك ، لا بالنسبة إليها .

فيديا : كيف ، أنتَ الذي يحاول الإبقاءَ على وحدتنا ؟ (يهمّ كارينين بأن يقول شيئاً ، لكن ماشا تدنو في هذه اللحظة ، فيقطع عليه فيديا كلامه) . أتريد أن تستمع إلى ماشا وهي تغني « الكتّان » ؟

(يتجمّع الغجر)

ماشا ، بصوت خافت : يجب أن نحتفل به . ما اسمُه ؟

فيديا ، ضاحكاً : افعلي ! اسمه فيكتور ميخايلوفيتش . (الغجر يغنون ، كارينين يصغي وهو متضايق جداً ؛ ثم يسأل كم ينبغي أن يعطيها) . أعطها خمسة وعشرين روبلا . (يعطيها كارينين) . ممتاز . والآن ، « الكتان»(١) . (يغنّي الغجر ، ينظر فيديا إلى الجهات كلها) . عجباً . انسلّ كارينين ؟ ... اوه ! لا ردّه الله !

(يبتعد الغجر) .

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا كارينين » .

فيديا ، جالساً بجنب ماشا : أتعلمين من هو ؟

ماشا : سمعتُ اسمه .

فيديا : هذا رجلٌ ممتاز . جاء يبحث عني ليردّني إلى بيتي ، إلى زوجتي . إنها تُحبنّي على ما أنا فيه ، يا للجنون ! وانظري ما الذي فعلتُه بحبها !

ماشا : هذا سيّء ! يجب أن تعود إليها ، يجب أن تشفق عليها .

فيديا : أتظنين ذلك واجباً ؟ أنا لا أعتقد ذلك .

ماشا : بالتأكيد ! إذا كنتَ لا تحبّها فلا واجب عليك .

فيديا : كيف تعرفين ذلك ، أنتِ ؟

---

(١) الكتان : أغنية شعبية روسية مرحة .

ماشا : صدقني أنني أعرف .

فيلديا : قبّليني إذن ! ... (مخلطباً الغجر) . « الكتان » مرةً أخرى ، وهذه آخر مرة ! (يغني الغجر) . آه ! ما أسعدني ! ما أحلى ألا يصحو الإنسان ! أن يموت هكذا !

ستار

الفصل الثاني

اللوحة الأولى

« في منزل ليزا بعد خمسة عشر يوماً .

المشهد — ١ —

« كارينين ، آنا بافلوفنا ، ساشا ، كارينين وآنا بافلوفنا جالسان في صالة الطعام . تدخل ساشا »

كارينين : ما الخبر ؟

ساشا : قال الطبيب : إن الخطر زال ، بشرط ألاّ يَبْرُد . . .

آنا بافلوفنا : لكن ليزا فاقدةٌ قواها .

ساشا ، متابعةً : وقال إنه مصاب بخناق كاذب غير مؤذ (مشيرة إلى السلة) . ما هذا ؟

آنا بافلوفنا : هذا عنب جاء به فيكتور .

كارينين : ألا تريدين أن تذوقيه ؟

ساشا : نعم ، ليزا تحبه كثيراً . لقد غدتْ عصبيةً جداً . . .

كارينين : يا عذراء ! . . . لم تنم طوال ليلتين ، ولم تأكل شيئا . . .

ساشا ، بابتسامة : لكنكَ ، أنتَ نفسكَ . . .

كارينين : اوه ! ! أنا « شيءٌ آخر !

(تدخل ليزا والطبيب) .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم . ليزا والطبيب » .

الطبيب ، بتعاظم : هذا كل شيء ! . . . غيّروا الكمادة كل نصف ساعة ، إنْ لم يكنْ نائماً . . . وإذا كان نائماً فلا تُزْعجوه . . . . لاتدهنوا حنجرته . واحرصوا على أن تكون الحرارة مناسبة في الغرفة .

ليزا : وإذا أُصيبَ بالاختناق ، مرة أخرى ؟ . . .

الطبيب : غير ممكن ، غير ممكن إطلاقاً ! . . . لكنْ إنْ وقع ذلك فما عليكم إلا العودة إلى الرش وإلى المسحوق . . . مرة صباحاً ومرةً مساءً . سأكتبُ وَصفتي . . .

آنا بافلوفنا : دكتور ؟ . . . ألا تقبل منا فنجان شاي ؟

الطبيب : لا ! شكراً جزيلاً . فالمرضى يطلبونني .

(يجلس إلى الطاولة بينما تأتيه ساشا بورقة وريشة) .

ليزا : ليس هذا خناقاً إذن ، بالتأكيد ؟

الطبيب : اوه ! بكل تأكيد لا .

كارينين ، لليزا : والآن ، خذي قليلاً من الشاي ، أو الأفضل أن تستريحي بسرعة . انظري قليلاً إلى وجهك .

ليزا : أنا الآن مرتاحة — وذلك بفضلك يا صديقي ، يا صديقي الحقيقي . (تشدّ على يده ، تنهض ساشا وتبتعد وهي متكدّرة) كم أشكركَ !

كارينين : علامَ ، يا إلهي ! . . . لستُ أستحقُّ الشكر ! . . .

ليزا : الذي بقي ليلتين كاملتين دون أن ينام ؟ الذي جاء بهذا الطبيب العظيم من الكلّية ؟

كارينين : أحسنُ مكافأة لي أنّ ميشا نجا من الخطر . . . . وهي ، على الخصوص ، طيبتُك معي .

(يشدّ على يدها من جديد ويضحك حين يرى أنها تركتْ في يده شيئاً من المال) .

ليزا ، مبتسمة : آه ! هذه أجرة الطبيب . . . يضايقني دائماً أن أدفع للطبيب أجرته .

كارينين : ويضايقني أنا أيضاً . . .

آنا بافلوفنا : ما الموضوع ؟ ماذا يضايقكما ؟

ليزا : أن أعطي الطبيبَ أجرته ؛ إنه يُنقذ لي مَنْ هو أغلى من حياتي ، وأعطيه في مقابل ذلك بعض القطع النقدية ؛ هذا يضايقني .

آنا بافلوفنا : هاتي ، سأعطيه أنا أجرته . . . أنا أُحسنُ القيام بهذه المهمة . . . الأمر جدُّ بسيط !

الطبيب ، ينهض ويُناولها وصفته : هذا المسحوق إذن في ملعقة من الماء المغلي ، وحرّكيه جيداً و . . .

(يتابع كلامه ، كارينين قرب الطاولة يشرب الشاي . تنزل آنا بافلوفنا وساشا إلى مقدّمة المسرح) .

ساشا : أشمئزٌ عندما أراهما معاً ! كأنها مغرمةٌ به !

آنا بافلوفنا : أما أنا فلا يدهشني ذلك .

ساشا : هذا مُقْرِفٌ ! . . .

المشهد — ٣ —

« ليزا ، كارنيين ، ساشا » .

ليزا : يا لمجنوني المسكين ! . . . ما ألطفه ! . . . ما ان تحسّن قليلاً حتى عاد إلى الابتسام والتثاؤب . . . سأعود إليه . . . سأترككما على مضض .

كارينين : لكن خذي على الأقل فنجان شاي ؛ كُلي شيئاً .

ليزا : اوه ! لست بحاجة إلى شيء الآن ، أحسّ أنني أعود إلى الحياة ، بعد كل ذلك القلق . . .

كارينين : أنت تَرَيْن الحالةَ العصبية التي وصلت إليها ! . . .

ليزا : لا ، أنا سعيدة ! . . . أتريد أن ترى المريض الصغير ؟

كارينين : بالتأكيد . . .

ليزا : اتبعْني إذن .

(يخرجان) .

المشهد — ٤ —

« آنا بافلوفنا ، ساشا ؛ ثم ليزا وكارينين » .

آنا بافلوفنا ، عائدةً إلى الغرفة ، ومخاطبةً ساشا : لم هذا التجهّم ؟ لقد دسست المال برفق في يده فأخذه دون تردد . . .

ساشا : هذا مشين ! . . . أخذَتْه إلى غرفة الطفل كأنه زوجها أو خطيبها .

آنا بافلوفنا : ماذا يضيرُك من هذا ؟ لم تَظْهرين بهذا المظهر ؟ لعلك تنوين الزواج منه ؟

ساشا : أنا ، أتزوج هذا الطويل ! لم يَخْطرْ لي ذلك ببال ! أتزوّج من أي شخصٍ كان ولا أتزوجه ! لكنّ الذي يثير اشمئزازي هو أن أراها تتعلق بغريب هذا التعلّقَ بعد حبّها لفيديا .

آنا بافلوفنا : غريب ؟ . . . لكنه صديق الطفولة !

ساشا : إن نظراتهما ، والبسمات التي يتبادلانها تشيران بما يكفي إلى أن كلاً منهما يعشق الآخر . . .

آنا بافلوفنا : وما المدهشُ في ذلك؟ هذا رجل أدّى لها خدماتٍ كبيرة أثناء مرض ابنها ، وشاركها همومها ، وأبدى عطفه تجاهها . . . وهي ممتنّة له ؛ ثمّ لماذا لا تحب فيكتور ، لماذا لا تتزوّجه ؟

ساشا : لكن ذلك سيكون فظيعاً ! . . . كريهاً ، كريهاً حقاً !

(يعود كارينين وليزا . يُحيّي كارينين المرأتين ويودّع بصمت . تنصرف ساشا وقد استولى عليها الغضبُ الشديد) .

ليزا ، لأمها : لكنْ ، ما بها ؟

آنا بافلوفنا : لا أدري .

(ليزا تتنهّد تنهداً عميقاً) .

اللوحة الثانية

مكتب عمل أفريموف .

المشهد — ١ —

« أفريموف ، فيديا ، ستاهوف ، عظيم اللحية ؛ بوتكيفيتش ، أمرد ، كوروتكوف ، فضولي » .

كوروتكوف : وأنا أقول لكم إنه لن يكون مُجلِّياً . . . أما «حُسناء الغابة(١) » فهي فريدةٌ في أوروبا ! أراهن ! . .

ستاهوف : دَعْنا ، يا شيخ . أنت تعلم أن لاأحد يُصدّقك ، ولا أحد يراهنك . . .

كوروتكوف : أكرّرُ عليك ما قلتُه : إن « بارود » لن يكون مجلّياً !

افريموف : أما آن لكم أن تنتهوا من نقاشكم ! هيا ، اتّفقوا وخذوا رأي فيديا ؛ يمكننا أن نثق به .

فيديا : الجوادان جيّدان ؛ كل شيء يتوقّف على الفارس .

ستاهوف : « غوسيف » نذلٌ . تجب مراقبتُه .

كوروتكوف ، بصوت عالٍ : لا !

فيديا : حسناً ، سأوفّق بينكم . مَنْ الذي ربح السباق ؟

كوروتكوف : نعم ، ربحه مصادفة . لكنْ لا خير فيه . ولو لم يُصَبْ « كراكوس » بالمرض . . . لرأيتَ .

(يُريه الخادم الذي دَخَلَ) .

افريموف : ما الأمر ؟

---

(١) « حسناء الغابة » النائمة : جواد من جياد السباق .

الخادم : جاءت سيدة تطلب رؤية فيدور فاسيليفيتش .

افريموف : مَنْ تلك السيّدة ؟

الخادم : لا أدري ، يا سيدي ، لكنها سيدة حقيقية !

افريموف : فيديا ، ها هنا سيدة تسأل عنكَ .

فيديا ، خائفاً : مَنْ هي ؟

افريموف : لا أدري .

الخادم : هل ينبغي أن أدْخلها ؟

فيديا : لا ، سأذهب لأراها .

(يخرج)

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا فيديا » .

كوروتكوف : مَنْ هذه التي تلاحقُه ؟ لعلها ماشا الصغيرة ؟

ستاهوف : مَنْ ماشا الصغيرة هذه ؟

كوروتكوف : الغجرية ماشا ؛ جُنّتْ به ؛ إنها مغرمةٌ به كالهرّة !

ستاهوف : وهي فتاة جميلة تغني غناءً رائعاً . . .

افريموف : أعجوبة حقيقية ! . . . تاتيوشا وهي ! . . . غنّتا أمس مع « بيير » !

ستاهوف : يا له من محظوظ ! . . .

أفريموف : لأن النساء يحببنه ؟ باه ! . . .

كوروتكوف : أنا ، أكره الغجريات . . ليس فيهنّ أناقة !

بوتكيفيتش : آه ! لا تقلْ هذا !

كوروتكوف : أنا ، لكني أتنازل عنهنّ جميعا من أجل فرنسية واحدة . . .

افريموف : أوه ! لكنك أنت متذوّق للجمال مشهور ! . . . سأرى مَنْ هي . . .

ستاهوف ، لأفريموف الخارج : إن كانت ماشا فجيءْ بها لتغنّي .

المشهد – ٣ –

« الأشخاص أنفسهم ، ماعدا أفريموف » .

ستاهوف : اوه ! الغجريات في أيامنا غير اللواتي كنَّ في الماضي ! كانت هناك قديماً واحدةٌ . . . تانيا . . . اوه !

بوتكيفيتش : أنا أتصور أن الأشياء ما تزال كما هي .

ستاهوف : كلا ، ليست الأشياء نفسها . فبدلاً من الأغاني القديمة ، هنّ لا يغنّين سوى الأغاني العاطفية المبتذلة .

بوتكيفيتش : اوه ! ما تزال هناك أغان عاطفية جميلة جداً .

كوروتكوف : أتريد أن تراهن ؟ . . . سأدعوهن للغناء أمامك ولن يمكنك أن تقول إن كان ما يغنّينه أغنية عاطفية أم أغنية عادية !

ستاهوف : آه ! من كوروتكوف هذا ، لا بد له من أن يراهن دائماً !

افريموف ، عائداً : يا سادة ، ليست هذه ماشا ، وبما أنه لايمكن الاستقبال إلا في هذه الغرفة ، فسوف ننتقل إلى صالة « البليار » .

(يخرجون . يدخل فيديا وساشا) .

المشهد — ٤ —

« فيديا ، ساشا »

ساشا : فيديا ، اغفِرْ لي إن كانت خطوتي كريهة علياك . . . (خجلة) اصغ ِ إلي ، بجاه الله علياك . (يتهدّج صوتّها ، يسير فيديا ذهاباً وإياباً في الغرفة ، تجلس ساشا وتنظر إليه) . فيديا عُدْ إلى بيتك !

فيديا : اصغي ، يا ساشا ، إني أفهمك جيداً . لو كنتُ مكانَكِ ، يا ولدي العزيز ، لتصرّفتُ كما تتصرفين ، ولبذلت وسعي كي أُصْلح كل شيء . لكنْ لوكنتِ أنتِ مكاني ، بقلبك الحسّاس ، مهما يكن الافتراض غريباً ، لو كنتِ مكاني لتصرّفتِ كما تصرّفتُ ، ولذهبتِ حتى لا تكوني عقبة في وجه حياة الآخرين .

ساشا : عقبة ! لكن هل يستطيع ليزا أن تحيا دونك ؟

فيديا : نعم ، يا عزيزتي ساشا ، نعم ، يا صغيرتي ! هي تستطيع ذلك ... وستكون أسْعدَ ، أسعد بكثير ، ممّا لو كانت معي !

ساشا : لا ، أبداً !

فيديا : آه ! تتصوّرين ذلك ! . . . (يأخذ يدها) . على أن أشدّ الأمور خطورةً ، فيما عدا ذلك ، هو أنني لا أستطيع . تعامين أنه يمكننا أن نطوي قطعةً من الكرتون إلى هذه الجهة ثم إلى تلك ؛ تطوينها مائة مرة وهي تقاوم ؛ لكن في المرة الواحدة بعد المائة ستُذعن وستنقطع إلى اثنتين ؛ هذه بالضبط هي الحالة بيني وبين ليزا . فمن المؤلم لي أعظم الألم أن أنظر إليها في عينيها ، وكذلك هي أن تنظر في عيني ، صدّقيني . . .

ساشا : كلا ! كلا !

فيديا : تقولين لا وأنت تعلمين مع ذلك أني على حق !

ساشا : لا أستطيع أن أحكم إلا بحسب نفسي ! لو كنتُ مكانَها ، وأجَبْتني كما تجيب الآن . . . اوه ! سيكون ذلك فظيعاً ! . . . فظيعاً بالنسبة إليّ ! . . .

فيديا : نعم ، بالنسبة اليك ! . . .

(صمت ثقيل . كلاهما مضطرب) .

ساشا : إذن ستبقى الأمور كما هي الآن !

فيديا : لا بدّ من ذلك .

ساشا : فيديا ، عُدْ إلى بيتك !

فيديا : شكراً لك ، يا ساشا الطيبة . سأحتفظ أبداً بذكرى عزيزة عنك ، وداعاً ، يا عزيزتي الصغيرة ! دعيني أقبلكِ !

(يقبّلها في جبينها) .

ساشا ، متأثرة جداً : لا ، لن أقول وداعاً ! لا أصدّق . . . لا أستطيع أن أصدق . . .. يافيديا !

فيديا : حسناً ! اصغي إذن ، لكنْ أقسمي لي ألا تقولي لأحدٍ ما سأقوله لك . أتقسمين ؟

ساشا : اوه ! بالتأكيد !

فيديا : اصغي ، يا ساشا . الحقُّ أنني أنا ، زوجها ووالد ابنها ، لا مكان لي في بيتي . لا ، لا ، لا تقاطعيني . تظنين أنني أغار اوه ! لا إطلاقاً ! فلاحقَّ لي في ذلك أولاً . . . ثم إني لا أملك المبرّرات التي تجعلني أغار . . . فيكتور كارينين هو صديقُها القديم — وهو صديقي أيضاً . وهو يحبّها . . . وهي تبادله الحبَّ . . .

ساشا : لا ! . . .

فيديا : بلى ، هي تحبه ، لكن كما تحب الزوجةُ الشريفةُ والفاضلة التي تعتقد أنْ ليس من حقّها أن تحبّ أحداً غير زوجها . ومع ذلك فالواقع أنها تحبه وستحبّه كلّياً ، عندما تزول هذه العقبةُ (يشير إلى نفسه) . ... وسوف أُزيلُ هذه العقبة ، يا ساشا ، حينئذٍ يصبحان سعيدين !

(يتهدّج صوتُه) .

ساشا : فيديا ، لا تقلْ هذا !

فيديا : أنتِ تعلمين أن ما أقوله صحيح ! . . . وأنا سأكون سعيداً لسعادتهما . هذا أحسنُ ما يمكن أن أفعله . لن أعود

إلى بيتي ؛ وأنا أعيد إليهما حريتهما . . . قولي لهما ذلك ...
ولا تقولي لي شيئاً ، لا تقولي لي شيئاً ! ووداعاً !

(يقبّل ساشا في جبينها ويفتح لها الباب) .

ساشا : أنا مُعْجَبَةٌ بِكَ ، فيديا .

فيديا : وداعاً ، وداعاً ، يا صغيرتي . (وحده) نعم هذا حسن ، هذا جديرٌ بالإعجاب ! (يدق الجرس ؛ للخادم الذي دخل) . اذهب وادعُ السيد ، أرجوك ... (بينه وبين نفسه) . نعم ، لا بدّ من ذلك .

(يدخل افريموف) .

المشهد — ٥ —

« افريموف ، فيديا » .

فيديا : هيّا نلحق بالآخرين .

افريموف : كيف سُوّيت الأمور ؟

فيديا : كأحسن ماتُسوّى ! (يدندن) . « أقسمتْ لي ، قالت لي(١) . . . أين الآخرون ؟

افريموف : هم هنا ؛ في صالة « البلياردو » .

فيديا : حسن جداً ! . . . فلنكنْ ، نحن أيضاً ، سعداء .

ستار

---

(١) أقسمت لي ، قالت لي أغنية عاطفية روسية .

الفصل الثالث

اللوحة الأولى

مكتب آنا دميتويفنا ؛ ترفٌ فخم رفيع الذوق ؛ التذكارات في كل جانب .

المشهد — ١ —

« آنا دميتريفنا ، خادم ؛ ثم الأمير ابريسكوف . آنا دميتريفنا كارينين ، أم فيكتور ، سيدة كبيرة بلغت الخمسين ، لكنها تتصابى. توشّي حديثها بالعبارات الفرنسية . الأمير ابريسكوف ، ابن ستين أنيق ، عزب ، له شارب فقط ، نموذج الضابط القديم القوي الشخصية ، حزين الوجه على نحوٍ غير واضح . عند رفع الستار تكون آنا دميتريفنا وحدها ، تكتب رسالة . يدخل الخادم .

الخادم ، مُعلناً : الأمير سيرج دميتريفتش .

آنا دميتريفنا : أَدْخِلْه .

(تنظر إلى المرآة على عجل) .

الأمير ، داخلاً : أرجو ألا أكون قد خرقتُ الأوامر ؟ . . .

(يلثم يد آنا دميتريفنا) .

آنا دميتريفنا : أنت تعلم أنك تأتي دائماً على الرحب والسعة ! . . .

ولا سيّما اليوم ! هل تلقيتَ بطاقتي ؟

الأمير : نعم ، تلقيّتها ، وها أنا ذا .

آنا دميتريفنا : اوه ! يا صديقي . أخذ اليأسُ ينتابني . **هو مسحورٌ ، مسحورٌ حقاً !** . . . إنه يركب رأسه ويعاند كما لم يفعل من قبل ، ويقابلني بلا مبالاةٍ وقسوةٍ لا مثيل لهما . لا يكاد يُعْرَفُ بعد أن تركتْ تلك المرأةُ زوجها ! . .

الأمير : ما الذي يجري ؟ أين وصلت الأمورُ ؟

آنا دميتريفنا : إنه يُصرّ على الزواج بها مهما كلّف الثمن . .

الأمير : طيّب ، والزوج ؟ . . .

آنا دميتريفنا : وافقَ على الطلاق .

الأمير : عجباً !

آنا دميتريفنا : فيكتور أيقبل هذا ! كل هذا الوحل . هؤلاء المحامون، وكل تلك المحاضر . . . **كل ذلك مُقْرِفٌ** ، لكنه لا يأنف منه ! . . . لم أعد أفهمُه ، مع نعومته ... وخجله ...

الأمير : ما الحيلة ، إنه يحبها ! تعلمين أن الحب . . .

آنا دميتريفنا : لكن الحبّ في زماننا كان صافياً ، كان الحبُّ ــ الصداقةَ ، وكانت العاطفة تستمرّ طوال الحياة . . . هذا هو الحب الذي أفهمه ، والذي أُعجَبُ به . . .

الأمير : الجيلُ الجديد لا يَقْنع بمثل هذه العلاقات المثالية ! لا **يكفيه امتلاك الروح** . ولا سلطان لنا عليه ! . . . لكن

ماذ سيجري لفيكتور ؟

آنا دميتريفنا : اوه ! لا تكلّمني عنه ! أكرّر لكَ ، إنه سحرُ . . . تغيّرَ كليّاً . أتعلمُ أني ذهبتُ إلى بيتهم . . . لفَرْط ما رجاني . ذهبتُ إلى هناك فلم أجدْ أحداً . وتركتُ بطاقتي . ثم بعثتْ تسأل إن كنت أريد أن . أستقبلها . وفي هذا اليوم بالذات (تنظر إلى ساعتها) . في الساعة الثانية ، أي في مدى بضع ثوانٍ ، ستكون هنا . وعدتُ فيكتور بأن أستقبلها . . . أنتَ تقدّر حالتي النفسية . . . أنا مشوّشة جدا ... ولذلك رجوتك ، على عادتي ، أن تحضر . أنا بحاجة إلى مساعدتك .

الأمير : شكراً . . .

آنا دميتريفنا : أنت تعلم جيداً أن مصير فيكتور بأكمله يتوقّف على هذه المقابلة . ينبغي لي أن أرفض الموافقة . . . لكن هل استطيع ذلك ؟ . . .

الأمير : ألا تعرفينها على الإطلاق ؟ . . .

آنا دميتريفنا : لم أرها قط . . . لكنني أخشاها ! الزوجة الرقيقة القلب لا تترك زوجها على هذا النحو ، ولا سيّما زوجها البالغ الطيبة . إنه صديق فيكتور وكان يزورنا كثيراً . وكان لطيفاً جداً . لكن مهما تكن الأخطاء التي أخطأها نحوها فلا ينبغي للزوجة أن تهجر زوجها . يجب أن تحمل صليبها حتى النهاية ، ثم إن مالم أفهمه هو أن يقبل فيكتور ، مع عواطفه الدينية ، بالزواج من امرأة مطلّقة ، فكم من

مرةٍ ناقش « سبيتزين » مؤخّراً أمامي ، وذَهَبَ إلى أن الطلاق لا يمكن أن يتوافق مع مذهب المسيح الحقيقي ! وهو يقبل به اليوم لنفسه . **وإذا كانت قد استطاعتْ أن تَفْتنه إلى هذا الحد . . .** فأنا أخشاها . . . لكني دعوتُك أطابُ مشورتك ولم أكفَّ عن الكلام . **قلْ** لي : ما رأيك ؟ ... ماذا ينبغي أن أفعل ؟ ... **هل** كلّمتَ فيكتور ؟

الأمير : نعم ، تحدّثْنا . أنا واثقٌ من أنه يحبّها . وهو خاضعٌ لهذا الحب . هذا رجل يُسْلِمُ نفسَه ببطء ولكنْ بأكملها . وما دَخَلَ قلبَه لا يخرجُ منه ! لن يحبّ امرأةً أخرى ، ودونها لا يستطيع أن يكون سعيداً .

آنا دميتريفنا : تصوّرْ أن ماريا كازانتزيفا كانت ستتزوّجه بفرح ! ... يا لها من فتاة فاتنة ! وكم تحبّه !

الأمير : **هذا كمَنْ ينسى ضيفه.** لا فائدة من التفكير في ذلك . الأفضل ، برأيي ، أن تُسامحي ، بل أن تساعديه على الزواج منها .

آنا دميتريفنا : الزواج من مطلّقة ! ... لكي يلتقي زوج امرأته الأول ؟ إنك تتكلّم على ذلك بهدوء مدهش . هل يمكن لامرأةٍ ، لأمٍّ ، أن تقبل مثل هذا الزواج لابنها الوحيد ؟ وأي ابن؟

الأمير : ما حيلتنا، يا صديقتي المسكينة ! بالطبع ، كان أَجْلَبَ للسرور لو تزوج فتاةً تعرفينها وتحبّينها . . . لكن ، بما أن ذلك مستحيل ... لا ينبغي أن يعطي اسمه لغجرية ... أو لامرأة لا يُعْرَفُ أصلها . إن ليزا رحما نوفا لطيفة جداً،

وأنا أعرفها ، بفضل ابنة أخي « نياي » ؛ هي وديعة ، طيّبة ، ودود ، فاضلة .

آنا دميتريفنا : فاضلة ! . . . زوجة تترك زوجها ؟ . . .

الأمير : آه ! تغيّرت عليّ ! كيف تُصبحين قاسية فجأة وأنت الشديدة التسامح ! إن زوجها من هذه الكائنات التي يُقال عنها : هي عدوّة نفسها ؛ وهو عدو امرأته فوق ذلك . إنه رجل ضعيف ، منحطّ ، سكّير . ولقد بذّر ثروته وثروة امرأته ، مع أن لها ولداً ! كيف تدينين امرأة هجرت مثل هذا الزوج ! ثم إنه هو الذي هجرها لا هي ...

آنا دميتريفنا : اوه ! أيّ وحل ، أيّ وحل، ولا بد لي من أن أتخبّط فيه !

الأمير : وأين دينُك ؟ . . .

آنا دميتريفنا : نعم ، نعم ، المغفرة ! « كما نغفر لمن أساء إلينا » . **لكن هذا أقوى مني ! . . .**

الأمير : كيف يمكنها أن تعيش مع مثل هذا الرجل ؟ حتى لو لم تحبّ آخر ، عليها أن تهجره ؛ كان ينبغي أن تفعل ذلك من أجل ابنها . . . بل إن زوجها ذاته ، وهو رجل ذكيّ وخيّر عندما يكون عقله معه ، قد نصحها بذلك .

(يدخل فيكتور . يلثم يد أمه ويُحيّي الأمير) .

المشهد — ٢ —

« آنا دميتريفنا ، الأمير ، فيكتور »

فيكتور : ماما ، جئتُ على عجلٍ ، وليس عندي سوى كلمة واحدة أقولها لكِ . ستأتي اليزافيتا اندريفنا بعد هنيهة ، ولستِ أطلبُ منكِ إلا شيئاً واحداً ، أتوسّل إليكِ : إذا كنتِ مستمرةً في عدم الموافقة على زواجي . . .

آنا دميتريفنا : تقاطعه : من دون شك أنا مستمرةٌ في عدم الموافقة عليه ! . . .

فيكتور ، متجهّما : أرجوكِ إذن : لا تحدّثيها عن رفضكِ . . . لا تقولي شيئاً يتعذّر إصلاحُه .

آنا دميتريفنا : أعتقد أننا لن نتحدث عن ذلك ! . . . ومن المؤكد أنني لن أبدأ هذا الموضوع .

فيكتور : ولن تبدأ هي به ؟ أحببتُ فقط أن تتعرّفي عليها .

آنا دميتريفنا : هناك شيءٌ لم أفهمْه . . . كيف توفّق بين رغبتك في الزواج من السيدة بروتا سوفا ، وزوجُها حيٌّ ، وبين آرائك الدينية التي تحمِلك على التأكيد بأن الطلاق مناقضٌ للانجيل ؟

فيكتور : ماما ، ما أقسى هذا منكِ ! أنحن معصومون ؟ . . . ألا يقع لنا أن نحيدَ عن مبادئنا عندما ندخل في نزاعٍ مع صعوبات الحياة ؟ لمَ كل هذه القسوة ، يا أمي ؟

آنا دميتريفنا : لأنني أحبك ، لأنني أبْغي سعادتَك . . .

فيكتور ، يلتفت إلى الأمير : سيرج دميتريفيتش !

الأمير : لا شك أنك تبغين سعادته ! . . . لكنْ ، أنستطيع نحن ، بشعرنا الشائب ، أن نفهم الشباب ؟ . . . ولا سيما التي لها أفكارٌ محدّدةٌ عن سعادة ابنها ! كل النساء هكذا .

آنا دميتريفنا : نعم ، نعم ، هذا أمرٌ مفروغ منه . . . أنتما ضدي ...
افعلْ ما تشاء ، يا فيكتور ، فان لك الحقّ في ذلك . . .
أنت بالغ . . . لكن اعلمْ أنك ستقتلني .

فيكتور : تغيّرتِ تماماً ! . . . هذا أكثر من قسوة . . .

الأمير لفيكتور : كفى ، يا فيكتور . أمّك أقسى دائماً في أقوالها منها في أفعالها .

آنا دميتريفنا : سأقول لها ما أفكر فيه وما أحسّه . سأقول لها ذلك دون أن أجرحها .

الأمير : لا أرتابُ في ذلك .

(يدخل الخادم) .

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، الخادم »

الأمير : ها هي ذي .

فيكتور : سأنصرف .

الخادم : اليزافيتا اندريفنا بروتا سوفا .

فيكتور : سأنصرف ، ماما . . . أتوسل إليكِ مرةً أخرى .

(يخرج ، ينهض الأمير) .

آنادميتريفنا: أدخلْها . . . (للأمير) . لا ، ابقَ .

الأمير : كنتُ أظن أنكما سترتاحان أكثر لو كنتما على انفراد .

آنا دميتريفنا : لا ، قلت لكَ لا . أنا أخشاها . (تضطرب) . يُضايقني

أن أنفرد بها . فاذا شعرت بالحاجة إلى الانفراد بها أومأتُ إليك . . . هذا رهنٌ بالظروف . سأومىء إليك هكذا .

(تشير إشارة) .

الأمير : سأفهم . . . أنا واثق من أنها ستُعجبك ... لكنْ كوني عادلةً على الخصوص . . .

آنا دميتريفنا : كيف تتّحدون جميعاً ضدي !

(تدخل ليزا بلباس المدينة ، وبالقبّعة) .

المشهد — ٤ —

« آنا دميتريفنا ، الأمير ، ليزا » .

آنا دميتريفنا ، ناهضةً : أسفتُ كثيراً لأني لم أجدكِ في المنزل . لكنك لطيفةٌ جداً اذْ جئتِ . . .

ليزا : ما كنتُ أتوقّعُ ... أنا ممتّنة لك أنك رغبتِ في رؤيتي .

آنا دميتريفنا : أتعرفين الأمير ؟

الأمير : طبعاً ، تشرّفتُ من قبل بالتعرّف إليها .. (يتصافحان ثم يجلسان) . وقد حدثتْني ابنةُ أخي « نيلي » عنها كثيراً .

ليزا : نعم ، كنا مرتبطتين بالصداقة ... (تلقي بنظرة خجلة صوْبَ آنا دميتريفنا) . ومازلْنا كذلك . (لآنا دميتريفنا) ما كنتُ أتوقّع أن ترغبي في رؤيتي .

آنا دميتريفنا : كنت أعرف زوجَك جيداً . كان صديق فيكتور ، وكان يتردد كثيراً علينا ، قبل سفره إلى تامبور . ففيها تزوّجك ، على ما أعتقد .

ليزا : نعم ، تزوجْنا هناك .

آنا : وبعد عودته إلى موسكو ، لم يزرنا قط .

ليزا : اوه ! لم يكن يرى أحداً ، تقريباً . . .

آنا دميتريفنا : حتّى إنه لم يعرّفْني باكِ .

(صمت مربك) .

الأمير : آخر مرة لقيتُكِ فيها كانت عند آل دينيسوف ؛ كانوا يمثّلون ملهاة ، لطيفة جداً . . . وقمتِ أنت بدور من أدوارها .

ليزا : لا ... بلى ! تذكّرتُ ، في الواقع . . . (صمت جديد) . اغفري لي ، يا آنا دميتريفنا إن كان ما سأقوله لكِ غير مستحب ، لكني لا أريد أن أخفي عنكِ شيئاً ... إنما جئتُ لأن فيكتور ميخايلوفيتش قال لي . . . لأنه ... رغبتِ في رؤيتي . . . لكن يجب أن أقول لكِ كل شيء ... (تنتحب) . إن هذا شاقٌ علي ... وأنتِ ، يا سيدتي ، كريمةُ النفس . . .

الأمير : سأنسحب . . .

آنا دميتريفنا : نعم ، اتركْنا .

الأمير : إلى اللقاء ، سيداتي

(يُحيّي ويخرج) .

المشهد — ٥ —

« آنا دميتريفنا ، ليزا ؛ ثم فيكتور » .

آنا دميتريفنا : اصغي ، يا ليزا . . . لا أعرف اسماك لآخر . . .

ليزا : اندريفنا .

آنا دميتريفنا : سيان ! ليزا ، أنا أرثي لكِ بصدق ، وأنتِ قريبةٌ إلى نفسي . لكني أحبّ فيكتور ؛ ولستُ أحبّ غيره في العالم ! . . . وأعرف نفسَه مثلما أعرفُ نفسي ؛ فهو فخورٌ بنفسه ؛ كان فخوراً بنفسه منذ السابعة ؛ فخورٌ لا باسمه أو بثروته ، بل بنقائه وفضياته . إنه نقي كالفتاة .

ليزا : أعلم ذلك . . .

آنا دميتريفنا : أنتِ أول امرأة يحبّها ! ولا أكتُمكِ أني أغار من حب ابني . نعم ، أغار منكِ . لكني أمٌّ ، كما أنّك أم ، وإن كان ابنُك ما يزال صغيراً جداً ، ولم يحن الوقت بعد لكي تفكّري فيه . كنتُ مستسلمةً سلفاً ، كنتُ مستعدةً لأن أهبه لامرأة دون أن أغار منها . . . لكن لامرأةٍ نقيّةٍ نقاءه .

ليزا : وأنا ؟ ... أأنا ... ؟

آنا دميتريفنا : اسمحي لي . . . أنا أعلم . . . الغلطةُ ليست غلطتك ... أنت تعسةٌ . أنا أعرفُه . فهو مستعدٌ ، في الوقت الحاضر ، لأن يتحمّل كل شيء . . . وحتى فيما بعد لن يقول

شيئاً أبداً ، لكنه سيتألّم في نفسه . . . فكبرياؤه الجريحةُ ستعذّبه ولن يكون سعيداً أبداً .

ليزا : فكّرتُ في هذا من قبل .

آنا دميتريفنا : يا عزيزتي ليزا . . . أنت امرأةٌ ذكية وخيّرة . وإذا كنتِ تحبّينه ، فأنت تتمنيّن سعادته قبل كل شيء .

وإذن فإن تَرْضَيْ أن تقيّديه وأن تقوديه إلى الندم ، لأنه سيندم دون أن يقول شيئاً أبداً .

ليزا : أدري أنه لن يقول شيئاً . وقد فكرتُ في ذلك . وطالما تساءلتُ عن هذا الموضوع وحدّثتُه فيه . لكن ماذا بوسعي أن أفعلَ إنْ كان يقول لي : إنه لا يستطيع العيشَ دوني ؟ قلتُ له : « لِنَبْقَ صديقين ، لكنْ ابْنِ لنفسك حياةً مستقلّةً عن حياتي ؛ لا ترتبطْ بي وأنا لستُ نقيةً نقاءَك » . ولم يُرِدْ أن يُصغي إليّ .

آنا دميتريفنا : نعم ، إنه لا يريد . . . في الوقت الحاضر .

ليزا : أقْنعيه ، أنا أقبلُ أن يتركني ... أحبّه وأريد سعادته أكثر من سعادتي . . . لكنْ ساعديني ، ولا تكْرهيني ... لِنُحبّه كلتانا ولنسعَ إلى أن نجعله سعيداً .

آنا دميتريفنا : نعم ، يابنتي العزيزة ، أنا أحبّك ... (تقبّل ليزا التي تبكي) . اوه ! لماذا لم يحبك قبل زواجك !

ليزا : هو يؤكد لي أنه أحبّني في ذلك الزمن ، لكنه لم يشأْ أن يحول دون سعادة غيره .

آنا دميتريفنا : اوه ! لكم يحزنني ذلك كله ! لكن لنتحابّ ، وسيساعدنا الله على ايجاد الحلّ .

فيكتور : يا أمي العزيزة ، سمعتُ كلّ شيء ! . . . وكنت أتوقّع ذلك . . . لقد استطاعت أن تستميل قلباك . . . سيسير كل شيء نحو الأفضل .

ليزا : أنا آسفة لأنك سمعتَ . لو كنتُ أعلم لما قلتُ شيئاً . . .

آنا دميتريفنا : لكن لم يتقرّرْ شيءٌ بعد ! كلُّ ما أستطيع قوله ، هو أنني كنتُ سأكون مسرورة لولا هذه الأحداث المحزنة .

(تقبّل ليزا) .

فيكتور : على شرط ألا تغيرّي رأيكِ بعد الآن .

اللوحة الثانية

« مسكن متواضع : سرير ، طاولة عمل ، أريكة » .

المشهد — ١ —

« فيديا ، ثم ماشا »

« فيديا وحده . يُقرع الباب ويُسْمَع صوتُ ماشا قائلا : « لمَ حبَسْتَ نفسكَ ، يا فيدور فاسيلييفيتش ؟ فيديا ، افتحْ لي » .

فيديا ، وهو يفتح : شكراً لمجيئك . . . ضجرتُ ، ضجرتُ حتى الموت .

ماشا : لمَ لم تأتِ إلينا ؟ وشربتَ أيضاً ؟ أين وعدُك ؟

فيديا : تعلمين أنه لم يبقَ معي مالٌ .

ماشا : اوه ! ما أشقاني بحبّي لك !

فيديا : ماشا !

ماشا : ماذا ، ماشا ، ماشا ! لو كنتَ تحبّني لطلّقتَ امرأتك منذ زمن بعيد ... امرأتك تطالبُ ذلك منك أيضاً . . . ومع ذلك فأنتَ لا تتخلّى عنها . . . كأنك لا تريد الطلاق ؟ ..

فيديا : لكنك تعلمين جيداً لماذا لا أريدُه .

ماشا : تلك حماقات ! الحقّ مع مَنْ يقول : إنك لا تَصْلُح لشيء . . .

فيديا : ماذا أقول لكِ ؟ أأقول أن كلماتك تؤلمني ! لكنك تعلمين ذلك أنتِ نفسك .

ماشا : لا شيء يؤلمك .

فيديا : تعامين مع ذلك أنْ ليس في حياتي سوى هذه الفـَرْحة وهي حبُّك .

ماشا : آه ! نعم ، حبّي هو حبي ، لكنني لا أكاد أرى حبّك .

فيديا : لا تتصوّري أني سأقسم لك بالأَيْمان . فما الفائدة ؟ تعامين جيداً أنني أحبّك .

ماشا : فيديا ، لمَ تعذّبني هكذا ؟

فيديا : مَنْ منّا يعذّب الآخر ؟

ماشا ، باكية : أنت شرير .

فيديا ، يدنو منها ويقبّلها : مهلاً ، ما بكِ ؟ دَعينا من هذا ، ولْنعِشْ بدلاً من التباكي ... الدموعُ لا تناسبكِ ، يا حلوتي ماشا . . .

ماشا : أتحبنّي ؟

فيديا : ومَنْ أحبُّ غيرَك ؟

ماشا : أنا وحدي ؟ والآن اقرأ لي ما كتَبْتَه .

فيديا : سيُضْجرك هذا .

ماشا : بما أنك كتبتَ ذلك أنتَ ، فلا بدّ أن يكون جميلاً .

فيديا : حسناً ! اسمعي . (يقرأ) « في أواخر الخريف اتّفقْنا صديقي وأنا على أن نلتقي قرب هضبة بورغين » . كانت غابةٌ صغيرة ، قاسية التّربة ، مغطّاة بالأعشاب الفتية . كان النهار مظلماً ، دافئاً وهادئاً . والضباب . . . » .

(يدخل في هذه اللحظة غجري عجوز هو ايفان ماكاروفيتش ، وغجرية عجوز هي ناستازيا ايفانوفنا . وهما والدا ماشا) .

المشهد — ٢ —

ناستازيا ايفانوفنا ، مسارعة إلى ابنتها : آه ! أنتِ هنا ، أيتها النعجة الجرباء ! . . . احتراماتي ، يا سيدي . (لابنتها) . في أية ورطةٍ ورّطتِنا ، قولي ؟

ايفان ماكاروفيتش ، لفيديا : هذا سيّء ، يا سيدي . أضَعْتَ ابنتنا . نعم ، ما تَفْعَلُه سيء وممقوت .

ناستازيا ايفانوفنا : خذي شالك وانسحبي . سأعلّمك كيف تهربين من البيت . . . ماذا سأقول للفرقة ؟ تغامرين مع عاشق لا يملك فلساً ! ومن الذي يستطيع حَمْلَه على الدفع !

ماشا : لستُ مغامرةً . أحبُّ فيدور فاسيلييفيتش وكفى . لم أترك الفرقة ، وسأغني كما كنتُ أغني من قبل ، لكن ...

ايفان ماكاروفيتش : اخرسي وإلاّ اقتلعتُ شعركِ . مَنْ الذي علّمكِ هذه الأمثولة الرديئة ؟ لا أبوك ، ولا أمك ، ولا عمتك . (لفيديا) . ما تَفْعلُه سيّء ، يا سيدي . كنا نحبّك . وإرضاءً لخاطرك كمْ مرةٍ غنّينا بلا مقابل . شفقْنا عليك . وهذا ما تفعلُه ، أنتَ !

ناستازيا ايفانوفنا : أضَعْتَ ابنتنا الوحيدة ، ابنتنا الجوهرة ، فرحة عينينا ! ألقيت بها على الزبل ! أنت لا تَعْرف الله !

فيديا : لا ، يا ناستازيا ايفانوفنا ، أنت تتّهمينني ظلماً . لقد

عاماتُ ابنتك كما تُعامَلُ الأختُ واحترمتُ شرفها .
فلا تُسيئي الظنَّ . لكنني أحبّها ، ولا حيلةَ لي في ذلك .

ايفان ماكاروفيتش : لمَ لم تحبّها عندما كنتَ تملكُ المال ؟ . . .
كان يجب أن تعطي الفرقة عشرة آلاف روبل وتحصل على ماشا بكل شرف . لكنك تخطفها سراً ، اليومَ وأنت لم تعد تملكُ فلساً واحداً ، عيبٌ عليك ، يا فيدور فاسيلييفيتش ، عيبٌ عليك !

ماشا : هو لم يخطفْني ، وجئتُ وحدي ، وسوف أعود لو أخذتماني معكما . أحبُّه وكفى ! سيُحطّم حبي أقفالكم . لا أريد . . .

فاستازيا : هيا ، يا صغيرتي ماشا ، لا تركبي رأسَكِ . . . لقد أسأتِ التصرّف ، تعالي . . .

ايفان ماكاروفيتش : كفى كلاماً . امشي (يأخذ ابنته من يدها) .
وداعاً ، يا سيدي .
(يخرج الأب والأم وماشا)

المشهد — ٣ —

« فيديا ، الأمير ابريسكوف » .

الأمير ، داخلاً : اعذرْني ، كنتُ شاهداً غير متعمّدٍ لمشهد مؤلم ....

فيديا : مَنْ الذي يُشرّفني . . . (يعْرفه) آه ! الأمير سيرج دميتريفيتش .
(يحيّيه) .

الأمير : ... شاهداً غير متعمّد لمشهد مؤلم . كنتُ أود ألا أسمع ؛ لكنْ بما أنني سمعتُ ، رأيت من واجبي أن أقول لك ذلك . أدْخلتُ إلى هذا المكان ، وكان لا بد لي من انتظار خروج هؤلاء الأشخاص ؛ عبثاً ضربتُ على الباب ، فقد كانت الضرباتُ تضيع في ضوضاء الأصوات . . .

فيليا : أرجوك ، اجلسْ . . . أشكرك لأنك قلتَ لي ذلك ، وهذا يُتيح لي أن أشرح لك هذا المشهد . ولا أهمية لرأيك بي . لكنني أحب أن أقول لك أن اللوم الموجّه إلى الفتاة ، إلى المغنّية الغجرية لومٌ غير عادل . إنها نقيّة كالحمامة ، وعلاقاتنا ودّية لا غير ، وإذا كانت هذه العلاقات مطبوعةً بشيءٍ من الشاعرية ، فان شرف الفتاة لم يدنّس من جراء ذلك . هذا ما كنت أحرص على قوله لك . والآن ماذا تريد ؟ فيم أستطيع أن أكون نافعاً لك ؟

الأمير : أولاً .

فيليا : عفواً ، يا أمير ، فوضعي الاجتماعي بلغ الآن حداً لا تكفي فيه علاقاتنا القديمة والمتقطعة لأن تؤهّلني لزيارتك . ولا بد أن تكون هناك قضيّة . فما هي ؟

الأمير : حزرْتَ ، في الواقع . فهناك قضيّة . إلا أنني أرجوك أن تعتقد أن وضعك الحالي لا يغير عواطفي تجاهك في شيء .

فيليا : أنا واثق من ذلك .

الأمير : هذه هي القضية : لقد رجاني ابن صديقتي القديمة آنا دميتريفنا كارينين ، كما رجتْني هي نفسها أن أسألك مباشرةً عن علاقاتك ... اسمحْ لي أن أحدّثك بصراحة ... عن علاقاتك بزوجتك ، اليزافيتا اندريفنا بروتا سوفا ؟

فيديا : علاقاتي بزوجتي ، أو على الأصح بالتي كانت زوجتي ، قد قُطِعَتْ كلّياً .

الأمير : هذا ما كنتُ أظنّه ، ولذلك قبلتُ هذه المهمّة الدقيقة .

فيديا : قُطِعَتْ علاقاتنا ، وأنا أسارع لأقول : إنها قُطِعتْ بسبب غلطتي ، لا غلطتها ... أو بسبب أخطائي التي لا تُحصى نحوها . أما هي فقد ظلت تلك المرأة التي لا مأخذ عليها .

الأمير : إذن كلّفني فيكتور كارينين وأمه خاصة أن أسألك ما نيّتُك .

فيديا ، محتدّاً : نيتي؟ لانيّة لي . أعدتُ لإمرأتي حرّيتها الكاملة ، وأكثر من ذلك ، فلن أضايقها أبداً . يمكنها أن تطمئن . أعلم أنها تحب فيكتور كارينين ذلك أحسن لها . أنا أجده مُملاً جداً ، لكنه فتى طيب ، وشريف ، وأعتقد أنها ستكون سعيدة معه ، كما يُقال . **ليباركْهما الله !** هذا كل ما عندي .

الأمير : نعم ، ولكنّا . . .

فيديا ، مقاطعاً: لا تظنّ بي أدنى شعور بالغيرة . قلت عن فيكتور : إنه مملّ وأنا أسحب كلمتي . هو لطيف وشريف وفاضل ، على عكسي أنا تقريباً . لقد أحبّ ليزا منذ الطفولة ، ولعلها

ظلت تحبّه حين تزوجتني . الحب الذي لانتبيّنه هو أعمق الحب . اعتقد أنها احبّته ؛ لكنها لم تعترف لنفسها بهذا الحب، كما تفعل المرأةُ الشريفةُ . على أن ذلك كان يُلقي ظلّه على حياتنا . لكنْ ، لمَ أخصّكَ بهذا الحديث ؟

الأمير : أتْممْ كلامك ، أرجوك . صدّقْني أنني أنْ كنتُ جئتُ إليكَ فذلك رغبةٌ مني في أن أفهم فهماً عميقاً علاقاتك بزوجتك . إني أفهمك ؛ وأرى ، في الواقع ، أن ذلك الظل ، كما قلتَ بوضوح ، أمكن أن يوجد فعلاً .

فيديا : نعم ، لقد وُجد . ولعلي من أجل ذلك لم تكن الحياة الداخلية مع ليزا لتكفيني . ففتشتُ في مكان آخر ، وانسقْتُ وراء أهوائي . لكنْ يبدو أني أحاول تبرير ساوكي ... لا رغبةَ لي في ذلك ، ثم إني لا أستطيع . لقد كنت زوجاً سيئاً ... أقول : كنتُ ، لأنني ، لا أعتبر نفسي ، منذ زمن بعيد زوجاً لها . وأنا أعدّها حرةً تماماً . هذا ردّي على مهمّتك .

الأمير : لكنك تعرف عائلةَ فيكتور ، وتعرفه هو نفسه . لقد ظلت علاقاته باليزافيتا اندريفنا وما تزال علاقات الاحترام الشديد . وكان لا يسعى إلا أن يكون نافعاً لها في الأوقات العصيبة .

فيديا : نعم ، أنا بنفسي قُدْتُهما إلى التقارب . لكن ما العمل ! كان لا بد أن تكون الأمورُ هكذا .

الأمير : أنت تعرف الآراء الارثوذكسية الصارمة التي يجاهر بها هو وأسرته . لست أشاركُهم آراءهم ، إذ أني أكثر تسامحاً في أفكاري ، لكني أحترم تلك الآراء وأتفهّمها ، وأعلم أنه يرى هو وأمه أنْ لا حياة ممكنة مع امرأة خارج الزواج الديني .

فيديا : نعم ، أعلمُ كم هو غَ ... (يستَدْرك) كم هو متشدّد بهذا الصدد . ماذا يلزمُهم ؟ الطلاق ؟ أعلنتُ منذ زمن بعيد أني أوافق عليه . أما أن أتحمّل الخطأ قابلاً بكل أكاذيب الإجراءات(١) ، فذلك قاس جداً .

الأمير : أفهمُك وأشاركك رأيك . لكنْ ما العمل ؟ أظن أنه من الممكن تسوية القضية على هذا النحو ... بيد أن الحقّ معك ؛ أنا من رأيك . هذا فظيع .

فيديا ، يشدّ على يده : شكراً ، يا أميري العزيز . لقد اعتبرتك دائماً رجلاً شريفاً وخيّراً . قلْ لي كيف ينبغي أن أتصرّف ؟ ماذا ينبغي أن أفعل . ضع نفسك مكاني . لستُ أحاول أن أظهر خيراً مما أنا عليه . أنا بائس . لكن هناك أشياء لا يمكنني أن أفعلها من كل قلبي . لا أستطيع أن أكذب .

الأمير : أنا الذي لا يفهمُك . إن لك قدراتك وذكاءك ورقة

---

(١) أكاذيب الإجراءات : تقبل الكنيسة الارثوذكسية الطلاق في حالة الزنى . فلكي يتم الطلاق كان لا بد إذن من التظاهر بالجرم المشهود الذي تتحقق منه الشرطة .

عواطفك . فكيف يمكنك أن تستسلم هكذا للإغراءات ، وكيف يمكنك أن تنسى كل ما تتطلّبه من نفسك ؟ .... كيف وصلتَ إلى ما وصلت إليه ؟ كيف دمّرتَ حياتك .

فيديا ، متغلّباً على انفعاله : ها قد مضت عشر سنوات وأنا أحيا حياة الفجور ، وهذه هي المرة الأولى التي يَعْطِف فيها عليّ رجلٌ مثلك . فلم ألق حتّى الآن سوى رفاقي من الماجنين ومن النساء اللذين كانوا يرثون لي . . . لكن رجلاً عاقلاً وخيراً مثلك ... شكراً ! كيف وصلتُ إلى الضياع ؟ هناك الخمر ، في البداية . لا لأني أجد لذةً في الشرب . بل قد راودني دائماً الإحساسُ بأن كل ما يجري حولي غير ما يجب أن يكون فأخجل . وهكذا ، تراني أكلّمك الآن ! وأنا خَجِلٌ . أما أن يكون المرء مارشالاً للنبلاء أو مديراً لمصرف ، فذلك مخجلٌ جداً ، مخجلٌ جداً ... بعد أن نشرب يزول الخجل ... ثم هناك الموسيقا ، لا الأوبرا أو بيتهوفن ، بل موسيقا الغجر ، فهي تسكب في النفس الكثير من الحياة والطاقة . ثم هناك العيون السود الجميلة ، والابتسامة ... لكن كلما خَلَبَ ذلك لُبّنا ازددنا إحساساً بالخجل .

الأمير : والعمل ؟

فيديا : حاولتُ ؛ كان رديئاً دائماً ، وكنت مستاءً دائماً . لكنْ ما جدوى الكلام عليّ ؟ أشكرك .

الأمير : ماذا يجب أن أقول لهم إذنْ ؟

فيديا : قلْ لهم : إني سأفعلُ كل ما يريدانه . يريدان أن يتزوّجا ، وألا يحول شيءٌ دون زواجهما ؟

الأمير : بالتأكيد .

فيديا : سأفعل ما يريدانه ؛ قل لهما : إنني سأفعل ذلك بالتأكيد .

الأمير : متى ؟

فيديا : انتظرْ . لنقلْ في ظرف خمسة عشر يوماً . هذا كثيرٌ ؟

الأمير ، ناهضاً : إذن أستطيع أن أخبرهم بذلك ؟

فيديا : نعم ، تستطيع . وداعاً يا أمير . أشكرك مرةً أخرى .
(يخرج الأميرُ ، يجلس فيديا ، ويصمتُ طويلاً ، ثم يقول وهو يبتسم) : حسنٌ ، حسنٌ جداً . . . هذا ما يلزم ، هذا ما يلزم ، هذا ما يلزم .

ستار

الفصل الرابع

اللوحة الأولى

« حجرة صغيرة خاصة في مطعم » .

المشهد — ١ —

« خادم المطعم ، فيديا ، ايفان بيتروفيتش . يُدخل الخادم فيديا ، وخلْفه ايفان بيتروفيتش الكسندروف » .

الخادم : تفضّلْ بالدخول ؟ هنا لن يُزعجاك أحد . سأحمل إليك الورقَ .

ايفان بيتروفيتش : بروتا سوف ... أتسمح لي بالدخول ؟

فيديا ، بوقار : ادخلْ إذا شئتَ ، لكني مشغول ... بل ادخلْ .

ايفان بيتروفيتش : تريدُ أن تردّ على طابهما ؟ سأقول لك كيفَ : لن ألفّ وأدورَ ، فأنا أقول صراحةً ما أفكر فيه وأتصرّف دون تردّد .

فيديا ، للخادم: زجاجة شمبانيا ! ... (يخرج الخادم . يضع فيديا على الطاولة مسدّساً يُخرجه من جيبه) انتظرْ قليلاً .

إيفان بيتروفيتش : ماذا ! تريد أن تقتل نفسك ؟ حسنٌ ، هذا ما يَحقّ لك أن تفعله . إني أفهمك . يريدان أن يُذلاّك

وتريد أن تُريَهما مَنْ أنتَ . تَقْتلُ نفسك برصاصة ، وتقتلهما بعظمة نفسك . أنا أفهمك ... أفهمُ كل شيء ... أنا عبقري !

فيديا : طيِّب ، طيب ، لكن ... (يدخل الخادم مع زجاجة الشمبانيا والورق والحبر . يغطي فيديا المسدس بمنشفته) . افتحْ ! لنشربْ ! (يشربان ، فيديا يكتب) . اسكتْ لحظةً .

ايفان بيتروفيتش : أشْربُ نخب ... رحلتك العظمى ... أنا فوق ذلك كله . لن أوقفكَ . الحياةُ والموتُ سيّان عندي . أموتُ في الحياة وأحْيا في الموت . تريدُ أن تموت لكي يُبكّتَ الضميرُ هذين : امرأتك وصاحبها . وأنا سأَقتلُ نفسي لكي يُدرك العالم ماذا يفقد . لا أريد أن أتردّد أو أن أفكر . آخُذ المسدّس (يمسك بالمسدس) . واحد ، اثنان وينتهي كل شيء . لكنّ ساعتي لم تأتِ بعدُ ، (يضع المسدّس على الطاولة) . على كل حال ، ليس لي أن أعلّمهم . فلْيكلّفوا أنفسهم عناءَ الفهم ... آه ! أنتم الآخرون . . .

فيديا ، يكتب : اسكتْ لحظةً .

ايفان بيتروفيتش : أيها البائسون الذين تزدحمون وتكدّون ولا تفهمون شيئاً ، لا تفهمون شيئاً ، على الإطلاق ! لستُ أكلّمكَ ، وإنما أعبرّ عن أفكاري فقط . ماذا ينبغي للإنسانية أن تفعل ، على الإجمال . لا يُطالَبُ منها شيءٌ

كبير : كلُّ ما يُطابُ منها أن تكرّم عباقرتها . في حين أنها عذّبتهم واضطهدتهم وسحقتهم دائماً . اوه ! أنا لن أكون لعبة بين أيديكم ، أنتم الآخرون ، أستطيع أن أكشف قناعكم ... أيها المراؤون !

فيديا ، ينتهي من الكتابة ، ويشرب ويقرأ : انصرفْ ، أرجوك .

ايفان بيتروفيتش : أنْصَرِفُ ؟ ... طيب ، وداعاً ... لن أوقفكَ . سأفعل مثالك.لكنْ لم يَئِنِ الأوانُ بعد.أريد أن أقول فقط...

فيديا : كفى ، تقول لي فيما بعد ... أما الآن فاسمع ما يجب فعلُه يا صديقي . أتسمح باعطاء هذا للمعلم (يعطيه نقوداً) واطلب لي رسالة وسفطاً على اسمي .

ايفان بيتروفيتش : طيب ... لكن عِدْني بأن تنتظرني ... فما عليّ أن أقوله لك عظيم الخطورة ... لن يُخبرك به أحد لا في هذه الحياة ولا في العالم الآخر ، على الأقل قبل أن أذهبَ أنا إليه . هل أعطيه كل هذه النقود ؟

فيديا : أعطِه ماله . (يخرج ايفان بيتروفيتش ، يتنفّس فيديا الصعداء ، ويُغلق الباب خلفه ، ويتناول المسدس ، ويرفعه ، ويضعه على صدغه ، ويَجْفل ، ويرخيه برفق وهو يتأوه) . لا . لا أستطيع ، لا أستطيع ! (يُقْرع الباب) . مَنْ هذا ؟

المشهد — ٢ —

« فيديا ، ماشا »

ماشا ، خلف الباب : أنا .

فيديا : مَنْ أنتِ ؟ آه ! ماشا .

(يفتح الباب)

ماشا ، داخلةً : بحثتُ عنك في غرفتك ، وعند بوبوف ، وعند أفريموف ، وأخيراً حزرتُ أنك هنا . (ترى المسدّس) . هذا هو الجنون . ما أحمقكَ ... يا لغباءك ! أحقاً أنتَ ... ؟

فيديا : لم أقْوَ على ذلك .

ماشا : أنا إذن ، لا حسابَ لي ! أيها الجاحد ! ألم تشفقْ عليّ ؟ يا لها من خطيئة ، فيدور فاسيلييفيتش ، يا لها من خطيئة ! ... هذا جزاء حبّي ...

فيديا : أردت أن أهبهما الحرية ، وعدتّهما بذلك ، لكنني لا أستطيع أن أكذب .

ماشا : وأنا ؟

فيديا : مالَكِ ، أنتِ ؟ تُصبحين حرةً أيضاً . أأحسنُ لكِ أن تتألّمي معي ؟

ماشا : طبعاً ، أحسن . لا أستطيع الحياةَ بدونك .

فيديا : هل الحياةُ معي حياةٌ . ستبكين في أول الأمر ، ثم تَحْيَين حياتكِ .

ماشا : آه ! لا ، لن أبكيك ! لا ردّك الله إن لم تشفق علي .

(تبكي)

فيديا : ماشا ، يا صغيرتي ، أردتُ أن أفعل ما هو أفضل .

ماشا : الأفضل عندك .

فيديا ، مبتسماً: كيف ؟ الأفضل عندي ، بما أني أردت أن أقتل نفسي ؟

ماشا : بالتأكيد . لكن ماذا يلزمك ؟ قلْ لي .

فيديا : كثيرٌ من الأشياء .

ماشا : لكن ماذا ؟ ماذا ؟

فيديا : يلزمني أولاً أن أفيَ بوعدي ، وهذا وحده كثير . أأستطيع أن أكذب وأقبل بكل تلك القذارات اللازمة لإتمام الطلاق ؟

ماشا : لا شك أن ذلك مُقْرِفٌ ! أنا أيضاً ...

فيديا : وبعد ذلك يجب أن أهَبَ امرأتي وكارينين الحرية . هما طيبّان ، فلِمَ أعذّبُهما ؟

ماشا : لو كانت امرأتُك طيبّة حقاً لما هجرتَك .

فيديا : لم تهجرْني هي ، أنا هجرتُها .

ماشا : آه ! جيد ! كلُ العيوب فيك ، أما هي فهي ملاك ... وبعد ذلك ؟

فيديا : بعد ذلك أنتِ لطيفةٌ وأنتِ ولدٌ عزيزٌ ، وأنا أحبّكِ ، فاذا عشتُ كنتُ سبباً لشقائك .

ماشا : هذا لا يخصّك . سأسعى إلى شقائي إن كان ذلك يُعجبني .

فيديا ، متنهداً : وهناك ، على الخصوص حياتي . أليس واضحاً أنني ضائعٌ ، لا أصلح لشيء ، عبء على الآخرين وعلى نفسي ، كما قال أبوك . لا ، أنا لا أصلح لشيء !

ماشا : ما هذه الحماقات ! أنا لن أتركك أبداً . تعلّقْتُ بك وكفى ! أما تلك الحياة الرديئة التي تعيشها .. الشرب والتدخين ... أنت حي ! اتركهما – الأمر بسيط جداً .

فيديا : الكلام سهل . . .

ماشا : اتركْهما .

فيديا : عندما أنظر إليك يبدو لي أنني أستطيع أن أفعل ذلك .

ماشا : ستفعل ذلك ، ستفعل كل شيء . (تشاهد الرسالة) ما هذا؟ كتبتَ إليهما ؟ ماذا قلتَ لهما ؟

فيديا : الذي قلتُه لهما . (يأخذ الرسالة ويهم بتمزيقها) . لا فائدة منها الآن .

ماشا ، تنتزع الرسالة منه : كتبتَ أنك ستقتل نفسك ؟ نعم ؟ لم تتكلّمْ عن المسدّس ؟ قلتَ فقط إنك ستقتل نفسك ؟

فيديا : نعم ، قلت إنني سأختفي .

ماشا : هات ، هات ، هات ! هل قرأت روايه « ما العمل(١) » .

فيديا : نعم ، أظنّ !

---

(١) ما العمل : عنوان رواية كتبها الاشتراكي تشيرنيشيفسكي في سنة ١٨٦٤ ،وكانت مشهورة في زمانها .

ماشا : الرواية مُملّة ، لكن فيها شيئاً حسناً . فالبطل ، ما اسمُه ؟ راحميتوف ، يتظاهر بأنه غرق . أتعرف السباحة ؟

فيديا : لا .

ماشا : أعطني ملابساك ، ومحفظتاك .

فيديا : لكنْ لماذا ؟

ماشا : انتظرْ ، انتظر . لنذهب إلى الغرفة ، وهناك تُغيّر ثياباك .

فيديا : لكن هذه كذبة !

ماشا : لا قيمة لذلك ! لقد سبحتَ ، وظلّت ثياباك على الشاطىء ، وفي الجيب المحفظةُ والرسالةُ .

فيديا : وبعد ذلك ؟

ماشا : بعد ذلك ؟ سنترك المدينة وسنبدأ حياةً سعيدة .

(يدخل ايفان بيتروفيتش) .

المشهد — ٣ —

« فيديا ، ماشا ، ايفان بيتروفيتش » .

ايفان بيتروفيتش ، يشاهد المسدس على الطاولة : عجباً ! عجباً ! والمسدس ؟ ... سآخذه .

ماشا : خُذْهُ ، خُذْه ! سننصرف !

اللوحة الثانية

في منزل ليزا

المشهد – ١ –

« كارينين ، ليزا ، المرضع » .

كارينين : وعَدَ بذلك وعداً صريحاً ، وسيفي بوعده ، أنا واثق من ذلك .

ليزا : أنا خجلة من الاعتراف ، لكن يجب أن أعترف بأني منذ أن أُنْبِئْتُ بحبه للغجرية أحسُّ بأني حرةٌ تماماً . لا تتصوّرْ أن هذا من الغَيْرة ... لكن معرفة ذلك تعني ، بالنسبة إلي ، الحريةَ . كيف أقول لكم . . .

كارينين : « لكم » أيضاً .

ليزا : ، مبتسمة : لكَ ! لا تقاطعْني ، دعْني أقول لك ما أحسّ به . ما كان يعذّبني هو فكرةُ حبِّ رجلين معاً ، أي أن أكون امرأةً لا أخلاقيةً .

كارينين : أنتِ ، امرأة لا أخلاقية ! . . .

ليزا : لكن منذ أن علمتُ أنه يحيا مع امرأة أخرى – وأنه مِن ثَمَّ لن يحتاج إليّ – غدوتُ حرةً . وأستطيع أن أقول دون كذب : إنني أحبك . كل شيءٍ واضحٌ الآن في نفسي ، ولا يُقلقني سوى وضعي ، سوى ذلك الطلاق . فهذا الانتظار قاسٍ جداً !

كارينين : اوه ! لن يطول ذلك كثيراً الآن . . . فاضافةً إلى وعده ، رجوتُ أمين سر المجمع الديني أن يمرّ عليه ومعه طلب الطلاق ، وألا يعود قبل أن يحصل على توقيعه ... الحقيقة أنني لو لم أكن أعرف فيديا معرفة حسنة لظننْتُ أنه يتباطأ عن عمدٍ .

ليزا : هو ! اوه ! لا ، هذا هو ضعفه واستقامتُه في الوقت نفسه . إنه لا يريد أن يقول الأكاذيب ... لكنك أخطأت حين أرْسلتَ إليه النقود . . .

كارينين : لم أكن أستطيع أن أفعل غير ما فعلت ؛ فقد يكون ذلك سبباً للتأخير .

ليزا : ومع ذلك ، ففيما فعلتَ شيءٌ جارح .

كارينين : لاينبغي أن يكون دقيقاً إلى هذا الحد .

ليزا : كم أصبحنا أنانييّنْ !

كارينين : نعم ، أعترفُ بذلك ، لكن الغلطة غلطتك . . . فبعد هذا الانتظار ! هذا اليأس ! أحسّ الآن أنني سعيد إلى حد بعيد ! والسعادة تجلب الأنانية . الغلطةُ غلطتك !

ليزا : لا تظن أنك وحدك سعيد ، فأنا سعيدة أيضاً . السعادةُ تملأ نفسي ! إنني أعومُ في السعادة ... فميشا شفي ... وأمّك تُضمر الودّ لي . . . وأنا أملكُ حبّك ... وقبل كل شيء . . . أنا أحبك .

كارينين : نعم ، أنت تحبينني ؟ بلا ندم ، ولا رجعة ؟

ليزا : تغيرّ كلُّ شيء فيّ منذ أن أحببتُاكَ ، لأن ماضيّ انتهى بالنسبة إلياك ، كما انتهى تماماً بالنسبة إليّ .

المشهد — ٢ —

« تدخل المرضع ومعها الصبي الذي يذهب إلى أمه . تأخذه وتضعه على ركبتيْها » .

كارينين : يا إلهي ! ما أشقانا جميعاً !

ليزا : لماذا ؟ . . .

(تقبّل الصبي) .

كارينين : لماذا ؟ دونك السبب : عندما تزوجتِ وعامتُ ذلك بعد عودتي من الخارج ، وأدركتُ أنني فقدتاك ، شقيتُ بذلك كثيراً ، حتى لقد كان فرحي عظيماً عندما عامتُ أنك مازلتِ تتذكرينني على الأقل ، وكان هذا كافياً لي . وعندما أصبحنا صديقين فيما بعد ، وكنتِ رفيقةً بي ، وأحسستُ أن في صداقتنا شرارةً صغيرة أكثر من الصداقة ... كنتُ سعيداً تقريباً . الخوف وحده من أن أكون ليئماً تجاه فيديا كان يعذّبني . لكنني كنتُ أشعر ، في الوقت نفسه ، شعوراً أكيداً بأنني لا يمكن أن أُقيم مع زوجة صديقي علاقات غير علاقات الصداقة ؛ ولا سيّما أني كنتُ أعرفاكِ ، أنتِ ... على الإجمال لم يكن ذلك يُقْلقني ، وكنتُ مسروراً . وعندما بدأ فيديا يسبّب لك الألم ، وأحسستُ أني سندٌ لك وأناكِ بدأتِ تخشيْن

صداقتي ، شعرتُ بالسعادة التامة ووُلدَ فيَّ أملٌ مُبْهمٌ .
وعندما أصبح فيديا لا يُطاق ، بعد ذلك ، وعندما عزمتِ
على تـَرْكه ، وعندما كاشفْتاكِ لأول مرة بكل شيء
فتركتني ، والدموعُ في عينياك ، دون أن تقولي لا ،
غمرتني السعادة . ولو أني سُئاتُ في تاك اللحظة ، ما الذي
ترغبُ فيه ، لأجبتُ : لا شيء . ثم جاءَ إمكانُ ربط
حياتي بحياتاك . فقد أحبّتاك أمي ، وبدأت رغباتي تبشّر
بالتحقّق ، وقاتِ : إناكِ أحببتنِي دائماً وما تزالين ...
ثم قاتِ لي ، ما قاته قبل هنيهة ، أن فيديا لم يعد موجوداً
إلياك وأناك لا تحبّين غيري ... ما الذي أبتغيه أكثر من
ذلك ؟ كلا ، إني أتعذّب الآن من ماضياك ، أود لو
أنه لم يوجد وألا يذكّرني به شيء .

ليزا ، لائمةً : فيكتور !

كارينين : سامحيني ، يا ليزا ، إن قاتُ لكِ ذلك فاكي لا تظلّ أية
فكرة تخصّاك مخبّأةً في نفسي . إني أكاـّماكِ هكذا عن
عمدٍ لأُريـَاكِ كم أنا سيّءٌ ، وأعام أن لا مزيد على هذا
السوءِ ، وأنني ينبغي أن أجاهدَ ، أجاهد نفسي ، لأتغلّب
عايها . أنا الآن مغاوب .

ليزا : هذا ما ينبغي فعاه ؛ وأنا أيضاً بذلتُ وسعي ، وكل ما
كنتُ ترغبُ فيه قد تحقّق في قابي خارج إرادتي ؛ اختفى
منه كلُّ شيء ما عداك .

كارينين : كل شيء ؟

ليزا : كل شيء ، كل شيء ... وإلاّ لما قاتُ لكَ ذلك .

المشهد — ٣ —

« كارينين ، ليزا ، الخادم » .

الخادم : السيد فوسنيسنسكي .

كارينين : إنه يحمل جواب فيديا .

ليزا ، للخادم : أدْخلْه .

كارينين ، ناهضاً وذاهباً إلى الباب : وأخيراً ، ها هي ذي الرسالة !

ليزا : معطيةَ الطفل للمرضعة التي تنصرف : هل سيتقررّ حقاً كل شيء ؟

(تقبّل فيكتور . يدخل فوسنيسنسكي) .

المشهد — ٤ —

كارينين : ماوراءك ؟

فوسنيسنسكي : فيدور فاسيليفيتس لم يكنْ في غرفته .

كارينين : لم يكن في غرفته ؟ ولم يوقّع الطلب ؟

فوسنيسنسكي : لا ، لم يوقّعْه ، لكنه ترك رسالةً لك ولأليزافيتا اندريفنا (يُخرج الرسالة من جيبه) . ذهبتُ إلى غرفته فقيل لي : إنه في المطعم ، وذَهبْتُ إلى المطعم ، فرجاني فيدور فاسيليفيتش أن أعود بعد ساعة ليُعدّ الجواب . عُدْت وها هو الجواب .

كارينين : ما يزال يؤجّل ؟ أعذارٌ أخرى ! ليس هذا حسناً ، في الحقيقة ! كم سقَطَ !

ليزا : لكن اقرأ ! ماذا كتب ؟

(يفتح كارينين الرسالة) .

فوسنيسنسكي : لم تعودوا بحاجة إليّ ؟

كارينين : لا ، إلى اللقاء . أشكركَ .

المشهد — ٥ —

ليزا : ما الأمر ؟ ما الأمر ؟

كارينين : هذا فظيع !

ليزا ، تحاول أن تنتزع الرسالةَ منه : اقرأْ !

كارينين ، يقرأ : « ليزا وفيكتور . أخاطبكما كليكما . لا أريد أن أكذب بقولي لكما: عزيزيّ وحبيبيّ . فاستُ أستطيع التغلب على الشعور بالمرارة واللوم — اللوم لنفسي ، وهو لومٌ مؤلم مع ذلك عندما أفكرّ فيكما ، في حبكما ، وفي سعادتكما . إني أعرفُ كل شيء ، وأعلم جيداً ، وأنا الزوج ، أنني كنت أحول بينكما وبين السعادة ، بقوة الأشياء . أنا الذي كنتُ الدخيلَ المتطفّل . على أني لا أستطيع أن أمنع نفسي من الإحساس بالبرودة والمرارة إزاءكما . وأنا ، نظرياً ، أحبكما كليكما ، وخاصة ليزا ، صغيرتي ليزا ؛ لكني ، في الواقع ، شديدُ اللامبالاة. وأعلم أني مخطيءٌ . لكن لا حيلةَ لي في ذلك .

ليزا : ماذا يريد أن يقول ؟ إلى أين يُريد أن يَصل ؟

كارينين ، يتابع القراءة: « لكنْ ، لِنَأْتِ إلى لبّ الموضوع . إن

هذا الازدواج الداخلي أجْبرني على أن أحقَق رغبتكما بطريقة أخرى غير التي اقترحتْماها عليّ . إن الكذب والتمثيل الغبي ، برشوة مستخدمي المجمع الديني ، كل هذه النذالة تثير اشمئزازي . ومهما أكن تعساً ، فأنا تعسٌ على نحوٍ آخر ، أما هذه الفضيحة الشائنة فاني لا أستطيع أن أشارك فيها ، لا أستطيع حقاً . والحلّ الآخر الذي توصّلتُ إليه هو الأبسط . تريدان أن تتزوجا لتغدوا سعيدين ، وأنا أحول بينكما وبين الزواج ، إذن يجب أن أزول . . .

ليزا ، ممسكة بيد كارينين : فيكتور !

كارينين ، يقرأ : « يجب أن أزول ، وها أنا ذا أزول . فعندما تصلكما هذه الرسالة أكون قد قضيتُ . — حاشية : أسفتُ كثيراً لأنكما أرسلتما لي المال من أجل نفقات الطلاق ، كان ذلك جارحاً وغير متوقّع من قبلكما . لكني . . . ارتكبت كثيراً من الأخطاء ، فمن المسموح لكما أن ترتكبا هذا الخطأ . ستُعاد إليكما نقودكما . والحل الذي اخترتُه أسرعُ وأرخصُ ؛ وهو أيضاً أبسط وأوثق . لا أطلب منكما إلا شيئاً واحداً : لا تحقدا علي ولا تُسيئا الظنّ بي . وهذا الشيء أيضاً : أعرف ساعاتياً يُدعى « ايفغينييف » ، هل يمكنكما أن تمدّا إليه يدَ العون . هو ضعيف لكنه رجل مستقيم . الوداع . فيديا » .

ليزا : قتَل نفسه !

كارينين ، « قارعاً الجرس وراكضاً إلى غرفة الانتظار : أرْجعوا السيد فوسنيسنسكي !

ليزا : كنتُ أعلمُ ذلك ، كنتُ أعلم ذلك ! فيديا ، يا عزيزي فيديا !

كارينين : ليزا !

ليزا : غير صحيح ، غير صحيح ، أني لم أكن أحبّه وأنني لا أُحبّه ، كنتُ أحبه وما أزال أحبّه ! وأنا التي قتلته !

(يدخل فوسنيسنسكي) .

كارينين : وأين فيدور فاسيليفيتش ؟ ماذا قيلَ لكَ ؟

فوسنيسنسكي : قيل لي إنه خرج صباحاً ولم يَعدْ .

كارينين : يجب أن تستعلم على الفور . أتركاكِ ، يا ليزا .

ليزا : سامحني ! وأنا لا أعرف الكذبَ أيضاً ... اذهبْ بسرعة واسعَ لمعرفة ما حدث .

ستار

الفصل الخامس

اللوحة الأولى

« صالة مطعم مريب . طاولة وحولها زُبُنٌ يشربون الشاي وماء الحياة . في المقدمة ، طاولة يجلس إليها فيديا ، خائر القوى ، رث الثياب . وبقربه يجلس بيتيشكوف ، وهو رجل يقظ ووديع ، شعره طويل ، حالم الهيئة . كلاهما ثمل قليلاً .

المشهد — ١ —

« فيديا ، بيتوشكوف ، ثم آرتمييف » .

بيتوشكوف : فهمتُ ، فهمتُ ! ... ها هنا الحب الحقيقي . وهي ؟

فيديا : لو ظهرت هذه العواطف عند فتاة من عالمنا ، فتاة تضحّي بكل شيء من أجل الرجل الذي تحبّه ! . . . لكنها ظهرت عند غجرية تربّتْ على التفكير في الربح وحده . . . حب مجرّد من المنفعة ! إنها تعطي كل شيء ولا تطلب شيئاً . . . هذا التناقض هو المدهش ! . . .

بيتوشكوف: نعم ، هذا ما يُسمّى في التصوير نسبة الأضواء والظلال : فلكي نحصل على الأحمر القاني ، ينبغي أن نضع اللون الأخضر حوله . لكن ليس هذا هو الموضوع ... فهمتُ .

فيديا : يبدو لي أن هذا هو العمل الصالح الوحيد الذي عملتُه ... العمل الذي وضعتُ فيه روحي ؛ لم أستغل حبّها . أتعلم لماذا ؟

بيتوشكوف: لماذا ؟ بدافع الشفقة ؟

فيديا : اوه ! لا ، لم أكن أحسّ بالشفقة نحوها ، بل بالإعجاب دائماً . وعندما كانت تغنّي ، كما تغني الآن على الأرجح ، كنت مفتوناً بها . لم أشأ أن أجرّها إلى السقوط لأن حبّي لها كان حقيقياً وقويّاً ! وتلك ذكرى عذبة الآن ، ذكرى عذبةٌ جداً .

(يشرب)

بيتوشكوف: اوه ! فهمت ! ... كان حباً مثالياً ! . . .

فيديا : اصغِ إلى ما سأقولهُ لك ... وقعتْ لي في حياتي أهواء . عشقتُ امرأةً جميلة ، ذات مرة ، عشقاً شديداً ، وعشقاً حيوانياً ... ضربتْ لي موعداً فلم أذهب إليه لأني لم أشأْ أن أتصرّف بنذالة مع زوجها . والمدُهش الآن ، أني عندما أفكر في ذلك قاصداً السرور لأني تصرفتُ بأمانة ، أشْعرُ بالندم ، كما أندم على الخطيئة ... أما مع ماشا فالأمر على عكس ذلك . . . أنا سعيد ، وفَرِحٌ لأني لم أدنّس عاطفتي . قد أسقط سقوطاً أكبر إلى الحضيض ، وقد أبيع نفسي ، وقد يغطّيني القمل والجرب ، لكن هذه الجوهرة ستَلْتمع أبداً ، إن شعاع الشمس فيَّ .

بيتوشكوف: وماذا تفعل هي الآن ؟

فيديا : لا أدري ولا أريد حتى أن أعرفه ! كل ذلك ينتمي إلى حياة أخرى لا أريد أن أقرنها بحياتي الحالية .

(تُسْمَعُ ، في صدر المسرح ، على طاولة ، صرخات امرأة . يأتي صاحب المطعم مع شرطي يقتادها : يجاس فيديا وبيتوشكوف وينظران ويستمعان وهما ساكتان) .

بيتوشكوف ، بعد أن عاد الهدوء : اوه ! حياتك مدهشةٌ !

فيديا : لا ، إنها بسيطة ! ... فأمامنا جميعاً ، في وسطنا ، في الوسط الذي وُلدتُ فيه ، ثلاث طرقٍ فقط . الطريق الأولى أن يصبح المرءُ موظفاً ، وأن يربح المال وأن يزيد من دناءة الوسط الذي يحيا فيه ؛ وكنت أعاف ذلك ! ولعلي لم أكن قادراً على المضي في هذه الطريق ؛ لكنني كنتُ أعاف ذلك قبل كل شيء . الطريق الثانية هي الطريق التي تحارب فيها تلك الدناءة ؛ ولا بدّ من أجل ذلك أن يكون المرء بطلاً ، ولستُ ببطلٍ . بقيت الطريق الثالثة وهي : الشربُ والتهتّكُ والغناء ؛ وهذه هي الطريق التي اخترتُها وأنتَ ترى إلى أين قادتْني ! . . .

(يشرب) .

بيتوشكوف: والزواج ؟ لو كان لي امرأة صالحة لكنتُ سعيداً . . لقد دمّرتْ امرأتي حياتي .

فيديا : الزواج ! كانت زوجتي مثاليةً . وما تزال حيّةً . لكنْ ماذا أقول لك . أتعرف العنب الصغير الذي يوضع في شراب التفاح ليغدو فوّاراً ... كان غائباً ، لم يكن في حياتنا فوران...

كنتَ بحاجة إلى النسيان ، ثم بدأت بارتكاب النذالات .
أنت تعلم أننا نحب الآخرين بمقدار إحساننا إليهم ، وأننا
نكرههم بمقدار إساءتنا إليهم . وأنا قد أسأت إليها !
أما هي فيبدو لي أنها كانت تحبّني .

بيتوشكوف: لماذا يبدو لك ؟

فيديا : أقول هذا لأنه لم يكن فيها شيءٌ يهزّ روحي كما هو
الحال مع ماشا . وشيءٌ آخر : هو أنها كانت حاملاً
وكانت تغذّي ابنها ، وكنت أخرج من البيت وأعود
ثملاً . ويقيناً أن حبي كان يتناقص شيئاً فشيئاً من أجل
ذلك . (بنشوة) . نعم ، الأمرُ كذلك ، وأنا أراه بوضوح.
وإذا كنتُ أحبُّ ماشا فلأني أحسنت إليها ولم أُسيء ! ...
الأمرُ كذلك ، ولذلك أحبُّها . أما الأخرى ، فقد عذّبتُها ،
لا لأنني لا أُحبّها ... بلى ، لأني لا أحبّها . كنتُ أغار ،
صحيح ، لكن الغيرة سرعان ما زالت .

المشهد — ٢ —

« فيديا بيتوشكوف ؛ ارتيمييف يدنو ؛ شاربه مصبوغٌ ، عقدة تزينية ؛ ثيابه قديمة ومرقّعة » .

ارتيمييف : طابت شهيتكما ! (يحيّي فيديا) . هل تعرّفتَ إلى
الفنان ، الرسّام ؟

فيديا ، ببرودة : نعم ، تعرّفتُ إليه .

ارتيمييف ، لبيتوشكوف : وهل انتهيت من رسم الصورة ؟ ...

بيتوشكوف: لا ، ذلك لم يتمّ .

ارتيمييف : ألم أضايقكما ؟

(يظل فيديا وبيتوشكوف صامتين) .

بيتوشكوف: كان فيدور فاسيلييفيتش يقصّ عليّ حياتَه .

ارتيمييف : أسرار ؟ . . . ينبغي ألاّ أضايقكما . تابِعا ، فاستُ بحاجة إليكما . خنزيران !

(يذهب إلى طاولة مجاورة ويطالب جعة . وهو يصغي ، طوال الوقت ، إلى الحديث بين فيديا وبتيوشكوف ، مصيخاً بأذنه إليهما) .

فيديا : لستُ أحبُ هذا الرجل

بيتوشكوف: جَرَحْناه .

فيديا : سيان عندي ! ذلك أقوى مني ، لا أستطيع الكلام بحضور إنسان مثل هذا ؛ أما معاك فالأمر مختلفٌ . ماذا كنتُ أقول ؟

بيتوشكوف: كنتَ تقول لي : إناك كنتَ تغار . فكيف انفصلْتَ عن زوجتاك .

فيديا : آه ! (متفكراً) . قصةٌ غريبة . امرأتي تزّوجت .

بيتوشكوف: هل تمّ الطلاقُ بينكما ؟

فيديا : لا ! (يبتسم) . إنها أرملتي .

بيتوشكوف: آوه ! وكيف ذاك ؟

فيديا : صحيح ، أرملتي ؛ أنا غيرَ موجود .

بيتوشكوف: لكن هذا مستحيل .

فيديا : بلى ، أنا جثةٌ . (يميل ارتيميييف إليهما ويصغي بانتباه أكبر) . أستطيع أن أقصَّ عليك أنتَ قصتي . على كل حال ، مضى زمنٌ بعيد على ذلك ، وأنت لا تعرف كنيتي الحقيقية فاسمعْ ما جرى لي : عندما أحنقتُ امرأتي ، وعندما بدّدتُ كل ما كنتُ أملك وصرتْ شخصاً لا يُطاق ، جاء إلى زوجتي حامٍ يحميها . لا تتصوّرْ شيئاً من الدناءة في ذلك . لا ، كان صديقاً لي ، كان رجلاً ممتازاً، مناقضاً لي من كل الوجوه . وكما أن فيَّ من السوء أكثر مما فيّ من الجودة ، كان هو رجلاً مستقيماً ، حازماً، منظّماً ؛ كانت كل الفضائل فيه . كان يعرف زوجتي ويحبّها منذ الطفولة ، وعندما تزوجتْني رضيَ بنصيبه ... لكن عندما صرتُ شقياً فيما بعد ، وحمّلتُها ما لا يطاق من الألم ... صار يكثر من تردّده على البيت ؛ أنا نفسي كنتُ أجذبُه إليه . وأخذتْ زوجتي تحبُّ صديقَها القديم ؛ في هذه اللحظة ، سقطتُ في الحضيض ، وأنا الذي تركتُ زوجتي ... ثم جاءت ماشا ، وأنا نفسي الذي اقترح عليهما الزواج ؛ لم يَرْضيا ، وازددتُ سوءاً وصرتُ لا أُطاق ، وانتهى الأمرُ بـ ...

بيتوشكوف: كما ينتهي دائماً .

فيديا : لا ، أنا على يقين من ذلك . أعرف ذلك فعلا ، لقد بقيا نقيّين . فهو رجلٌ متديّن يعْتبرُ الزواج بدون مباركة

الكنيسة خطيئة . إذن رغبا في الزواج وطلبا موافقتي .
كان ينبغي لي أن أتحمل مسؤولية الخطأ وأن أمرّ بكل تلك
الأكاذيب ، فلم أستطع . أتصدّق أن قتل نفسي كان
أسهل عليّ من الكذب ! وكدت أقدمُ على ذلك لولا أن
صديقاً عطوفاً قال لي : وما جدوى ذلك ؟ حينذاك رتّبنا
الأمور . أرسلتُ رسالة وداع ، وفي اليوم التالي وُجِدتْ ،
قرب النهر ، ثيابي ومحفظتي ورسائلي ... وبما أنني لا
أحسنُ السباحة . . .

بيتوشكوف: والجثة ؟ فبما أنه لم يُعْثَرْ عليها ؟

فيديا : تصوّرْ أنهم عثروا عليها . لقد عثروا بعد أسبوع على جسم
ما . . . ورجوا زوجتي أن تأتي لتفحصه ... كان الجسم
مشوّهاً ... فألقت عليه نظرةً : « أهذا هو ؟ ... نعم
هذا هو » . وظلّ كل شيء هنا . وقد تزوّجا وهما
يعيشانِ الآن سعيدين جداً . أما أنا ، فكما تراني ، أحيا
وأشرب . البارحة بالذات ، مررتُ بالقرب من منزلهما .
كانت النوافذ مضيئةً ... ومرّ على الستائر ظلُّ امرأة ...
ذلك قاسٍ أحياناً ... وأحياناً أخرى تكون الأمور مقبولةً ...
لكن أقسى ما في الأمر أن أخلو من النقود .

(يشرب) .

ارتيميف ، يدنو : عفواً ... سمعتُ قصتك ... وهي قصةٌ مثيرةٌ
جداً ، في الواقع ، ونافعةٌ على الخصوص ... قلت قبل

قليل أن أقسى ما في الأمر أن يخلو المرءُ من النقود . لكنك أنت ، في وضعك الحالي ، لا ينبغي أن تخلو من المال . لأنك جثة ... ما رأيك ؟

فيديا : اسمعْ ! أنا لم أحدّثك أنت ! ... ولا حاجة بي إلى نصائحك .

ارتيمييف : لكنني حريصٌ على أن أقدّم لك هذه النصائح . أنتَ جثةٌ ، لكن بما أنك حيّ فما وضع السيدة زوجتك والسيد الآخر اللذين يعيشان سعيدين ؟ إنها متزوّجة بأكثر من زوج ، وأقلّ ما يصيبهما أن يُنْفيا إلى سيبيريا . لماذا إذن تخلو من المال ؟

فيديا : أرجوك أن تدعني وشأني .

آرتيمييف : اكتبْ إليهما رسالةً فقط ، أو بالأحرى دعْني أكتب إليهما ... أعْطِني العنوان ... ولن تنساني بعد ذلك .

فيديا : أقول لك مرةً أخرى ، انصرفْ ، فأنا لم أقلْ لكَ شيئاً .

ارتيمييف : لا ، لقد قلتَ ذلك بصوت مرتفع ، هذا شاهد . لقد سمعك الخادمُ تقول : إنك جثّة .

الخادم : لم أسمع شيئاً .

فيديا : يا نَذْل

ارتيمييف : أنا ، نذل ؟ . يا شرطي ! المحضر ! ...

(ينهض فيديا ويهم بالانصراف . يوقفه ارتيمييف . يصل الشرطي) .

اللوحة الثانية

« في الريف ؛ سطح مغطّى باللبلاب » .

المشهد — ١ —

آنا دميتريفنا ، ليزا (حامل) ، ميشا ، المرضع .

ليزا : وصلَ القطارُ . وسيصلُ بعد هينهة .

ميشا : مَنْ الذي سيأتي ؟

ليزا : بابا .

ميشا : بابا سيأتي .

ليزا : **غريب كم يحبه . . . تماماً كأبيه .**

آنا دميتريفنا : **أحسن . وهل يتذكّر أباه الحقيقي ؟**

ليزا ، متنهدةً : لم أقل له الحقيقة بعد . فتارة أرى أنني لا ينبغي أن أخبره بذلك ، وتارة أخرى أظنّ أنني ينبغي أن أقول له كل شيء . ما رأيكِ ، يا أمي ؟

آنا دميتريفنا : أعتقد ، يا ليزا ، أن المسألة مسألة عاطفة . اصغي إلى قلبك ، وسيقولُ لك كيف ومتى تتكلّمين . غريب كم يُهدّئ الموت ! جاء وقتٌ بدا لي فيه فيديا الذي كنت أعرفه منذ الصغر ، كريهاً . أما الآن ، فأنا أتذكّره كما أتذكر شاباً فاتناً ، صديقاً لفيكتور ، مشبوبَ العاطفة ، ضحى بحياته في سبيل من يُحب ، وإن عمل ضد القانون والدين . ومهما يُقَلْ ، فان عمله نبيل ! أرجو ألا ينسى فيكتور أن يأتيني بالصوف . لقد نفد ما عندي منه .

(تَحيك) .

ليزا ، ها هو ذا يصل (يُسْمع صوت العجلات والأجراس ، تنهض وتقترب من حافة السطح) . مَنْ معه ؟ ألمح قبّعة امرأة في العربة ! ... آه ! ماما ! مضى دهرٌ ولم أركِ .

(تتّجه إلى الباب . يدخل كارينين وآنا بافاوفنا) .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، ثم كارينين وآنا بافاوفنا » .

آنا بافلوفنا ، مقبّلةً ليزا وآنا دميتريفنا : لقينَي فيكتور وجاء بي معه .

آنا دميتريفنا : أحسنَ صنعاً .

آنا بافلوفنا : رأيتُ فيكتور في الشارع ، فقلتُ في نفسي : هذه مناسبة لزيارتهم ، هذه الزيارة التي طالما أجّلتها » . وها أنا قد جئتُ . وإذا لم تَصْرفوني فسأبقى حتى قطار المساء .

كارينين ، مقبّلاً زوجته وأمه وميشا : اوه ! ما أعظم سعادتي ! هنّئوني . لا حاجة بي إلى الذهاب إلى المدينة غداً .

ليزا : ما أحسن هذا ... يومان ! هذا لا يحدث كثيراً ! سنقوم برحلة صغيرة إلى الدير ، أتريد ؟

آنا بافلوفنا ، تنظر إلى الطفل : ما أشْبَهه بأبيه ! وما أقواه ! بشرط ألا يرث عن أبيه غير القلب ! . . .

آنا دميتريفنا : لا ضعْفَه ! ...

ليزا : كل شيء كل شيء ! فيكتور من رأيي أيضاً . لو أن أباه لقي فقط التوجيه الحسن منذ الطفولة .

آنا بافلوفنا : لا أفهم ما تقولينه . لكني قلما أستطيع التفكير فيه دون أن أبكي .

ليزا : ونحن كذلك . كم عَظُمَ في ذاكرتنا !

آنا بافلوفنا : لا شك في ذلك .

ليزا : كيف بدا ذلك كلُّه ، في لحظة من اللحظات ، مستعصياً على الحل ، وكيف حُلَّ ذلك كله فجأةً .

آنا دميتريفنا : هل حمَلْتَ صوفاً معك ، يا فيكتور ؟

كارينين : طبعا ، حملتُ كل شيء (يأخذ الكيس ويُفْرغه) . هو ذا الصوف ، وماء الكولونيا ، والرسائل . وهذه رسالةٌ من المحكمة لكِ (يمد إليها الرسالةَ) . حسناً ! سأقودك إلى غرفتك ، يا آنا بافاوفنا . ويجب أن أنظّف نفسي قبل العشاء . ليزا ، أليست الغرفة التي تحت ، في الزاوية ، هي التي ينبغي أن نعطيها آنا بافاوفنا ؟ (ليزا تتناول الورقة وتقرأ ، وهي ممتقعة ، مرتجفة اليدين) . ليزا ، ما بكِ ؟ ما هذه الورقة ؟

ليزا : آوه ! ياإلهي ! هو حيّ ! متى سأتخلّص منه ؟ ما معنى هذا ، فيكتور ؟

(تنتحب) .

فيكتور ، يأخذ الورقة ويتصفّحها : هذا فظيع !

آنا دميتريفنا : ماذا ؟ قلْ لي .

فيكتور : هذا فظيع . هو حي . وهي متزوجةٌ من اثنين . وأنا

مجرم . هذا أمر من قاضي التحقيق يُنذر ليزا بالمثول بين يديه .

آنا دميتريفنا : يا له من رجل رهيب ! لمَ فَعَلَ ذلك ؟

فيكتور : كل شيء كذبٌ ... كذب ...

ليزا : اوه ! كم أكرهه ! لم أعدْ أعلم ماذا أقول .

(تخرجُ باكية . يتبعها كارينين) .

آنا بافلوفنا : لكنْ كيف ظلّ حيّاً ؟

آنا دميتريفنا : كنت أعلم جيداً ، منذ أن اختلط فيكتور بهؤلاء الناس ، أنهم سيجرّونه إلى الوحل . وقد حدث ما توقّعْتُه . كل شيء كذب ، كذب .

ستار

الفصل السادس

اللوحة الأولى

مكتب قاضي التحقيق

المشهد ــ ١ ــ

« القاضي ، ميانيكوف ، أمين السر » :

« القاضي يجاس إلى طاولته ويتحدّث هو وميانيكوف . أمين السر يجاس إلى جانبه مستغرقاً في أوراقه » .

القاضي : لكني لم أقل لها قط شيئاً من هذا القبيل . هي التي اخترعتْ ذلك ، وهي التي تُنْحي عليّ باللائمة !

ميلينكوف : هي لا تاوماك على شيء . وإنما هي حزينة .

القاضي : هيّا ، سآتي للعشاء . والآن عندي قضية مثيرةٌ للاهتمام ، وعليّ أن أحقّق فيها . (لأمين السر) أدْخلْهما

أمين السر : الاثنين معاً ؟

القاضي ، يلقي بسيجارته : لا ، السيدة كارينين وحدها ، أو على الأصح ، السيدة بروتا سوف ، باسم زوجها الأول .

ميلنيكوف ، وهو منصرفٌ : عجباً ، أهي السيدة كارينين ؟

القاضي : آه ! هذه قضية قذرة ... ما تزال في بدايتها ، لكنها تبدو سيئة . والتحقيق فيها كريه . هيا .

المشهد – ٢ –

« القاضي ، تدخل ليزا في ثوب أسود ، وعلى وجهها نقاب » .

القاضي : تفضّلي بالجلوس . (يشير إلى كرسي) . صدّقي أنني آسف كثيراً لاضطراري إلى استجوابك ، لكنه واجبي . لا تضطربي واعلمي أن لك الحق المطلق ألا تُجيبي عن أسئلتي . ومع ذلك فانا مقتنعٌ بأن من الخير لكِ وللآخرين جميعاً أن تقولي الحقيقة ببساطة . هذا أفضل دائماً وأيسر .

ليزا : ليس عندي ما أُخبّئه .

القاضي : حسنٌ . (ينظر إلى أوراقه) . كتبتُ من قبل اسمك وصفتك ودينك . انظري إن كان ذلك صحيحاً ؟

ليزا : تقرأ الورقة ؛ نعم .

القاضي : أنتِ متهمة بأنك تزوّجتِ رجلا آخر ، مع أن زوجك حيٌّ ، وأنك تعلمين ذلك . . .

ليزا : ما كنتُ أعلم أن زوجي حيّ .

القاضي : أنتِ متّهمةٌ أنك حرّضْتِ بالمال زوجكِ على التظاهر بالانتحار من أجل التخلّص منه .

ليزا : كل هذا غيرُ صحيح .

القاضي : اسمحي لي إذن أن أطرح عليكِ بعض الأسئلة . هل أرسلت في شهر تموز من العام الماضي ألفاً ومائتي روبل لزوجك ؟

ليزا : هذا المال مالكُه لأنه جاء من بيع أغراضه . أرسلتُه إليه عندما افترقنا . وكنت أنتظر الطلاقَ إذ ذاك .

القاضي : لنقبلْ بذلك . أُرسِلَ هذا المال في ١٧ ، أي قبل اختفائه بيومين .

ليزا : من الممكن أن يكون ذلك في ١٧ ؛ لستُ أذكر .

القاضي : لماذا سحبتِ طلباك من المجمع الديني ورفضتِ خدمات محاميك ، في تلك اللحظة ، وفي آنٍ واحد ؟

ليزا : لا أدري . . .

القاضي : طيّب ، عندما دعتْك الشرطةُ إلى رؤية الجثة ، كيف جرى أن عرَفْتِ أنها جثة زوجك .

ليزا : كنتُ مضطربة اضطرابا شديداً حتى إني لم أكد أرى ... ثم إني كنت مقتنعة بأنه هو ، وعندما سُئلتُ أجبت أنه يبدو لي ذلك .

القاضي : نعم . . . لم تنظري إليه جيداً بسبب انفعالك ، وهو أمرٌ يسهلُ فهمُه ، على كل حال . جيّد . لكنْ أتريدين أن تقولي لي لماذا ظللتِ ترسلين في كل شهر مبلغاً من المال إلى ساراتوف ، وهي بالضبط المدينة التي كان يعيش فيها زوجُك ؟

ليزا : زوجي هو الذي كان يرُسل هذا المال ، ولا أستطيع أن أُعيّن لك الجهة التي يذهبُ إليها ؛ ليس هذا سراً من أسراري . لكن هذا المال لم يكن مُرسَلاً إلى فيدور ،

فاسيلييفيتش . لأننا كنا واثقين من أنه ميت . أستطيع أن أؤكد لك ذلك .

القاضي : جيد . اعلمي ، يا سيدتي ، أننا وإن كنّا خدّام القانون ، فنحن بشرٌ مع ذلك ، وصدّقي أنني أفهم جيداً وضعاك وأشاركاك مصاباك . كنتِ مرتبطة برجلٍ يُبدّد ثروته ، ويخدعاك ، ويجرّ الشقاء على . . .

ليزا : كنتُ أحبّه .

القاضي : نعم ، لكن من الطبيعي مع ذلك أن تكوني قد أردتِ التخلّص منه مختارةً هذه الوسيلة البسيطة جداً ، دون أن يخطر لكِ أنها تقودك إلى ما يُعتَبَرُ جريمةً : إلى الزواج باثنين . . أنا أفهم ذلك ، وأنا مقتنعٌ بأن هيئة التحكيم تفهم أيضاً . . . ولذلك أنصحاكِ أن تعترفي بكل شيء .

ليزا : ليس لديّ ما أعترفُ به . . . ولم أكذبْ قط . (تشرع في البكاء) . ألم تعدْ بحاجة إليّ ؟

القاضي : أطلبُ إلياك أن تبقَيْ لحظة أخرى . آوه ! لن أضايقاك بأسئلتي . تفضّلي واقرئي شهاداتاك ووقّعي عليها . وانظري هل حُرّرت أجوبتُاك تحريراً صحيحاً . . . اجلسي هنا ... (لأمين السر) . أدخلْ السيد كارينين .

(يدخل كارينين وقوراً ، رسمياً) .

المشهد – ٣ –

« الأشخاص أنفسهم ، كارينين » .

القاضي : تفضّلْ بالجلوس ، أرجوك .

كارينين ، واقفاً : ماذا تريد مني ؟

القاضي : أنا مُضطرٌ إلى استجوابك .

كارينين : بأية صفة ؟

القاضي ، مبتسماً : أنا بصفتي قاضي التحقيق ؛ أما أنتَ فيجب أن آخذ شهادتك بصفتك متّهماً .

كارينين : متّهماً بماذا ؟

القاضي : بعقد الزواج مع امرأة متزوّجة . . . على كل حال ، اسمحْ لي أن أطرح عليك الأسئلة بترتيبها ، اجلسْ .

كارينين : شكراً .

القاضي : اسمك ؟

كارينين : فيكتور كارينين .

القاضي : صفتك ؟

كارينين : حاجب في البلاط الامبراطوري . مستشار دولة حالي . ثمانية وثلاثون عاماً .

القاضي : دينك ؟

كارينين : اورثوذوكسي . لم أكن متّهماً أو ظنيناً قط . وبعد ذلك ؟

القاضي : أكنتَ تعلم أن فيدور فاسيلييفيتش كان حياً عندما عقدت الزواج مع امرأتك ؟

كارينين : لا ، لم أكن أعلم . كنا مقتنعيْن نحن الاثنين بأنه غرق .

القاضي : لمِنْ كنت ترسل المال كل شهر إلى « ساراتوف » ، بعد موت بروتاسوف المزعوم ؟

كارينين : لا أرغبُ في الجواب عن هذا السؤال .

القاضي : جيّد . ما الغاية من إرسال الف ومائتي روبل إلى السيد بروتاسوف في ١٧ تموز ، قبل تمثيلية موته بالضبط ؟

كارينين : هذا المال سلّمتْني إياه زوجتي .

القاضي : السيّدة بروتاسوف ؟

كارينين : سلّمتْني إياه زوجتي ليرُسَلَ إلى زوجها . كانت تعتبر هذا المال ملكاً له وترى من غير العدل أن تحتفظ به بعد أن قطعتْ كل علاقاتها بزوجها .

القاضي : سؤالُ أيضاً . لماذا أوقفْتَ مساعيك للحصول على الطلاق ؟

كارينين : لأن فيدور فاسيلييفيتش تكفّل بذلك كما كتب لي .

القاضي : هل احتفظْتَ بهذه الرسالة ؟

كارينين : لا ، أضعتُها .

القاضي : من الغريب أن كل ما يمكن أن يُقنع القضاءَ بصحة شهاداتكما ضائعٌ أو غير موجود .

كارينين : ماذا يلزمك أيضاً ؟

القاضي : يلزمني أن أقوم بواجبي ، وأنت يجب أن تُبرّيءَ نفسك . لقد نصحتُ السيدة بروتاسوف قبل قليل بما أنصحكَ به الآن ، أي ألاّ تخفي ما هو واضحٌ بالنسبة إلى الجميع ، وأن تروي كيف جرتْ الأمور ؛ أحثّك على ذلك ، ولا سيما أن السيد بروتاسوف هو في وضع اعترف فيه

بكل شيء وأنه سيكرّر الحقيقة أمام القضاة . أنصحك إذن . . .

كارينين : وأنا أنصحك أن تظلّ ضمنَ حدود وظيفتك . أما نصائحك فأنا في غنى عنها . أنستطيع الذهاب ؟

(يقترب من ليزا ويمسك بذراعها) .

القاضي : أنا آسف لاضطراري إلى احتجازكما (كارينين يلتفت بدهشة) . اوه ! لا في حالة توقيف ، لا ... ومع أن هذا التدبير يُسهِّل البحث عن الحقيقة إلا أنني لا أريدُ أن ألجأ إليه . أرغب فقط أن أستجوب ، بحضوركما ، السيد بروتاسوف وأقاباكما به ، لكي يسْهل عليكما إقناعه بكذبه . اجلسا ، أرجوكما . (لأمين السر) . ادعُ السيد بروتاسوف .

(يدخل فيدور ، وسخاً ، خائر القوى تماماً) .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، وفيديا »

فيديا ، ملتفتاً إلى ليزا وكارينين : اليزافيتا اندريفنا ... فيكتور .... ليست الغلطة غلطتي ... أردتُ أن أحسن صنعاً ... وإذا كنتُ أسيء إليكما ... فسامحاني ... سامحاني ...

(ينحني كثيراً أمامهما) .

القاضي : أرجوك أن تجيب عن أسئلتي .

فيديا : اسألْ .

القاضي : اسماك ؟

فيديا : لكنك تعرف اسمي .

القاضي : أرجوك أن تجيب .

فيديا : فيدور بروتاسوف .

القاضي : صفتاك ، ديناك ، سناك ؟

فيديا ، بعد صمت : ألا تستحي من سؤالي عن هذه الحماقات ؟ اسألني عن شيء نافع لا عن هذه البلاهات .

القاضي : أرجوك أن تكون أكثر تحفّظاً في عباراتك وأن تجيب عن أسئلتي .

فيديا : إذا كنت لا تخْجل من ذلك ، فهذا هو الجواب : الصفة ، مُجاز ؛ العمر ، أربعون عاماً ؛ الدين ، ارثوذكسي . . . ثم ماذا ؟ . . .

القاضي : هل كان السيد كارينين وزوجتك يعلمان أنك حي عندما اختفيتَ ، بعد أن تركتَ ثيابك على حافة النهر ؟

فيديا : لا ، بالتأكيد ... كنت أنوي ، في الواقع ، أن أقتل نفسي ، لكن بعد ذلك . . . على كل حال ، ما الفائدة من حكاية ذلك كله ... المهم أنهما لم يكونا يعلمان أنني حيّ .

القاضي : لم قلتَ عكس ذلك لضابط الشرطة ؟

فيديا : أي ضابط شرطة ؟ ... آه ! عندما جاء إلى الملجأ الليلي ؟ ... كنت سكران وكنت أكذب ... لا أذكر ما قلتُ ...

كل ذلك ... كان هزْلاً ... وأنا الآن لستُ سكران ، وأنا أقول الحقيقة . لا ... أُقسم لك أنهما لم يكونا يعلمان شيئاً .... كانا يظنّانني ميتاً وكنتُ مسروراً بذلك . كان الأمر سيظل مجهولاً لولا هذا النذل آرتيميييف الذي وَشى بي ... وإذا كان ثمّةَ من مجرم فهو أنا ، أنا وحدي .

القاضي : أفهمُ أناك تريد أن تظهر بمظهر الكريم ، لكن القانون يتطلّب الحقيقة ... لمَ أرسلوا إلياك المال ؟ (يسكت فيديا) . أكنتَ تتاقّى المال بواسطة ايغفينييف في ، ساراتوف ؟ (يسكت فيديا) . لمَ لا تجيب ؟ سنضع في المحضر أن الظنين لم يجب عن هذه الأسئلة . وهذا قد يضرُّ باك وبها . ماذا قررتَ إذنْ .

فيديا ، بعد صمت : كيف لا تستحي ، يا سيدي القاضي ... لماذا تتدخّل في حياة الآخرين ... أنتَ مسرورٌ لأناك في السلطة ، وتستغل ذلك لتعذّب ، جسدياً ونفسياً ، أناساً هم أفضل مناك ألف مرة وأجدر بالاحترام .

القاضي : أرجوك . . . .

فيديا : لا فائدة من الرجاء ، سأقول لكَ ما أُفكّر فيه . (للأمين السر) . وأنتَ ، اكتبْ . فلأول مرة سيحوي محضرٌ كلاماً معقولاً . (يرفع صوته) . كان في العالم ثلاثة أشخاص أنا ، هو ، هي . كانت علاقاتهما معقّدةً ، كانت صراعاً بين الخير والشر ، صراعاً أخلاقياً لا يمكناك أن تكوّن لنفساك فكرة عنه . وقد انتهى هذا الصراع

بوضع حلّ كلّ شيء ، وكان برداً وسلاماً علينا جميعاً .
فقد أصبحا سعيدين ، يحب كل منهما الآخر ، وقد
نسياني . وأصبحتُ أنا ، في سقوطي ، سعيداً لأنني أحسنتُ
صنعاً ، ولأنني ، أنا ، ذالك الشقي ، قد اختفيت لكي لا
أضايق اللذيْن يفيضان حياةً ويعيشان حياةً شريفة ؛
وبالاختصار ، كنا جميعاً نحيا . وإذا بشقيّ يصل ، نصّاب
يطلب مني أن أشارك في السمسرة ؛ فأطردُه ... حينذاك
توجّه إلياك ، أنتَ المدافعَ عن العدل ، وحامي الأخلاق .
وأنت الذي يقبض بعض الفلوس عن كلٍّ من أعمالك
القذرة ، ترتدي بزّتاك وتتحدّانا ، وأنت خليّ القلب ،
تتحدانا نحن الذين لا تستحق أن تفكّ سيور أحذيتهم ،
نحن الذين لا نقبلك في مداخل بيوتنا ! . . . لكنك في
الوضع الذي يُتيحُ لك إيذاءنا ، وأنت مسرور ....

القاضي : سآمر بطردك .

فيديا : لستُ أخشى أحداً ، لأني لستُ سوى جثة . وليس بوسعك
أن تفعل شيئاً بي . فلا وضعَ أسوأ من وضعي . مُرْ
بطردي إذا شئتَ .

كارينين : أنستطيع أن نذهب ؟

القاضي : في الحال ، بعد توقيع المحضر .

فيديا : كم كنتَ ستكون مضحكاً لو لم تكنْ بغيضاً !

القاضي : إني أوقفُكَ ... ليُقْتَدْ .

فيديا ، لكارينين وليزا : سامحاني .

كارينين، يتقدّم ويشدّ على يده : لا شكّ أن الأمور كما ذكرتَ .

(تخرج ليزا . ينحني فيديا أمامها بخشوع) .

اللوحة الثانية

« رواق في قصر العدل . في الصدر ، بابٌ مزجّجٌ ، يقف الحاجب بقربه . إلى اليمين ، بابٌ آخر يمر به الأظنّاء . يدنو إيفان بيتروفيتش ، بثياب رثة ، من الباب الذي إلى اليمين . يريد أن يمرّ » .

« الحاجب ، ايفان بيتروفيتش ، ثم المحامي ، الأمير ابريسكوف ، بيتوشكوف ، فيديا ، بيتروشين ، ليزا ، ماشا ، الجمهور » .

الحاجب : إلى أين تذهب ؟ الدخول ممنوع .

ايفان بيتروفيتش : ولمَ ذاك ؟ الجلساتُ عامةٌ بحسب القانون .

(يُسْمَعُ التصفيق) .

الحاجب : ممنوع والسلام ... لا يُسْمَح بالدخول .

ايفان بيتروفيتش : قليل الأدب ! ألا تعرف مع من تتكلّم ؟

(يدخل محام شاب ، بثوب الجلسة) .

المحامي ، لايفان بيتروفيتش : أأنتَ معنيٌّ بالقضية ؟

ايفان بيتروفيتش : لا ! أنا من الجمهور . لكن هذا الحارس الفظ لا يدعني أدخل .

المحامي : ليس هذا مدخل الجمهور ... انتظرْ لحظةً ، فسوف تُرْفَعُ الجلسة .

(يبتعد فيصادف الأمير ابريسكوف) .

ايفان بيتروفيتش : أعلمُ ذلك . لكن يمكن أن يدعني أدخل .

الأمير : أتستطيع أن تقول لي : إلى أية نقطة وصلت القضية ؟

المحامي : إلى مرافعات المحامين . هذا بيتروشين الذي يرافع .

(يُسْمَع التصفيق مرة أخرى) .

الأمير : وكيف يتصرف الأظنّاء ؟

المحامي ، بكثير من الوقار . ولا سيما كارينين واليزافيتا اندريفنا . يحسُّ المرءُ أنهما ليسا متهمين ، وإنما هما اللذان يحكمان على المجتمع . الجميع أحسّوا بذلك . وهذا هو موضوع مرافعة بيتروشين .

الأمير : وبروتاسوف ؟

المحامي : هو في أقصى التهيّج . إنه يرتجف طوال الوقت . لكن هذا مفهوم مع الحياة التي عاشها . وقد قاطع النائبَ العام والمحامين عدة مرات . وهو في حالة من العصبية الغريبة .

الأمير : وما النتيجة ، في رأيك ؟

المحامي : من الصعب التنبؤ . فهيئة التحكيم خايطٌ متنوّع . على كل حال سيُستَبْعَد سبقُ التصميم ؛ ومع ذلك ... (يخرج سيد ، يتقدّم ابريسكوف نحو الباب) . أتريد أن تدخل ؟

الأمير : نعم ، أود ذلك .

المحامي : أنتَ الأمير ابريسكوف ، اليس كذلك ؟

الأمير : نعم .

المحامي ، للحاجب : دعهُ يمرّ (للأمير) في الجانب الأيسر ستجد كرسياً خالياً .

(يُفتَح الباب ، وبينما يدخل الأمير ، يُسمَعُ المحامي وهو يرافع)

ايفان بيتروفيتش : هؤلاء ارستقراطيون ! لكنّي أنا أرستقراطي بالفكر ، وهذا أعلى .

المحامي : عفواً . . .

(يخرج مسرعاً) .

بيتوشكوف ، داخلاً ! آه ! صباح الخير ! أهذا أنتَ ، ايفان ، بيترو فيتش ؟ أين وصاتْ القضية ؟

الحاجب : قلّلا من الضوضاء ــ لستما هنا عند بائع الخمور .

(يُسْمَعُ التصفيقُ أيضاً . وتُفْتح الأبوابُ فيخرج المحامون وجمهور السيدات والسادة) .

سيدة : ما أجمل ما قال . أثّر فينا حتى أبكانا .

ضابط : هذا أحسن من رواية . لكنّ مالا أفهمه هو كيف استطاعت أن تُحبّه . . . هذا الحقير !

(يُفْتح باب آخر ، ويخرج منه الأظنّاء . ليزا وكارينين أولاً اللذان يجتازان الرواق . ثم فيديا وحده) .

السيدة : اسكتْ ، ها هو ذا ! انظرْ إليه كم هو مضطربٌ !

(تخرج السيدة مع الضابط) .

فيديا ، يقترب من ايفان بيترو فيتش ، هل جئتَ به ؟

ايفان بيتروفيتش : ها هو ذا !

(يعطيه شيئاً) .

فيديا ، يضع الشيء في جيبه ويهمّ بالخروج . يشاهد المحامي : هذا الغبي ، التافه ، المضجر ، الأبله !

بيتروشين ، محام ، ضخم ، بثياب صارخة الألوان ، حَرِك ، يتقدّم نحو فيديا : يا صديقي ، امورُنا تسير على ما يُرام . على شرط ألا تُفسد كل شيء بكلماتك الأخيرة .

فيديا : لن أتكلم على الإطلاق . ماذا تريدأن أقول ؟ لا أريدأن أتكلّم .

بيتروشين : بلى . لا بدّ من ذلك . مهلاً ، لا تَقْلَقْ . قضيتنا رابحة تقريباً الآن . قُلْ لهم فقط ما قُلْتَه لي ، أنا ؛ وإذا حكموا عليك فلأنك لم ترتكب الانتحار ، وهو عمل تصفه القوانين المدنية والكنسية بأنه جرم .

فيديا : لن أقول شيئاً .

بيتروشين : لماذا ؟

فيديا : لأني لا أريد . لن أتكلّم . قلْ لي فقط ما أسوأ ما يمكن أن يقع .

بيتروشين : قلتَ لك ذلك من قبل : الحدّ الأقصى هو النفي إلى سيبيريا .

فيديا : مَنْ الذي سيُنْفى ؟

بيتروشين : أنتَ وزوجتُك .

فيديا : والحدّ الأدنى ؟

بيتروشين : التوبة التي تَفْرضها الكنيسة ، وبالطبع ، حلّ الزواج الثاني .

فيديا : إذن سيقيّدونني بها مرة أخرى ، أو على الأصح ، سيقيّدونها بي ؟

بيتروشين : ما الحيلة ؟ لا يمكن أن يكون الأمرُ غير ذلك . لكنْ ، اهدأ ، وقلْ ، على الخصوص ، ما اتفقنا عليه ، لا أكثر . هيّا ، تعال . (في هذه اللحظة يلاحظ أن الناس يحيطون بهما ، ويستمعون إليهما) . أنا متعب ، سأستريح لحظة . استرحْ أنت أيضاً أثناء رَفْع الجلسة . المهم ألاّ تخاف .

فيديا : لا يمكن أن يكون هناك حل إذن غير هذين ؟

بيتروشين ، مبتعداً : لا حلّ آخر .

الحاجب : امضوا ، امضوا ، يا سادة ! لا تَزْحموا الرواق !

فيديا : على الفور ... (يُخرج مسدّساً ويطلق رصاصة على قلبه . يُهرَع الجميع) . لا أهمية لذلك . . كل شيء يسير إلى الأفضل ... لتُدْعَ ليزا ! . . .

(يُهرَع الجمهور من الأبواب جميعاً ، كما يُهْرَع القضاةُ ، والأظناء ، والشهود ، ليزا في المقدمة ، وخلفها تُرى ماشا ، ويُرى كارينين وايفان بيتروفيتش والأمير ابريسوف) .

ليزا : مادا فعلتَ ، يا فيديا ! لماذا ؟

فيديا : سامحيني . . . لأني لم أستطع . . . أن أحرّرك . . . ليس

هذا من أجلكِ . . . هذا أفضلُ لي أيضاً ... بما أني كنت جاهزاً . . .

ليزا : ستَحْيا ! ...

(ينحني طبيب ويتنصت لقاب فيديا) .

فيديا : لا حاجة بي إلى الطبيب لأعرف حالتي ... وداعاً ، فيكتور . . . وصلتْ ماشا بعد فوات الأوان ! (يبكي) . ما أعظم راحتي ! ... ما أعظمَ راحتي ...

(يموت)

النور يسطع في الظلام

درامـا في خمسة فصـول

١٩٠٠ ــ ١٩٠٢



الشخصيات

نيكولا ايفانوفتش سارنتزيف .
ماري ايفانوفنا سارنتزيف ، زوجته .
لوبا
ميمي
كاتيا بناته .
ستيوبا
فانيا ولداه .
بطرس سيمينوفتش كوخوفتزيف .
آلين ايفانوفنا كوخو فتزيف ، زوجته ، أخت ماري ايفانوفنا .
ليز : ابنته .
الأميرة تشيريمشانوف .
بوريس : ابنها .
تانيا : ابنتها
الكسندر ميخايلوفتش ستاركوفسكي .
فاسيلي نيكانوروفتش ، كاهن شاب .
الاب جيراسيم .
ميتروفان ايرميليتش ، مربٍّ .
الكسندر بيتروفتش ، متشرد .
ايفان زيا بريف ، فلاح .
ضبّاط ، أطباء .
طُلاّب ، سيدات
خدم ، فلاحون ، الخ .

الفصل الأول

« يمثّل المسرحُ مصطبةً مغطّاة في منزل ريفيّ جميل . أمام المصطبة حديقة ، وملعبٌ لكرة المضرب ، ومجموعة من الكرات الخشبية » .

المشهد — ١ —

« الأولاد يلعبون بالكرات الخشبية مع معلّمتهم . على المصطبة : ماري ايفانوفنا سارنتزيف ، وهي جميلة ، أنيقة ، في نحو الأربعين ؛ وأختها ، آلين ايفانوفنا كوخوفتزيف ، عمرُها خمسةٌ وأربعون عاماً ، وهي قوية ، حازمةُ المظهر ، حمقاء ؛ وزوجها بطرس سيمينوفتش كوخوفتزيف في ثياب صيفية ، وهو ضخم ، منتفخ الوجه ، يضع على عينيه نظّارة بلا ساعدين . وهم جالسون من حول طاولة يُقدّم عليها شايُ السماور والقهوة ، يتناولون القهوة . بطرس سيمينوفتش يدخّن » .

آلين ايفانوفنا : لو كنت غريبةً عني بدلاً من أن تكوني أختي ، ولو كان نيكولا أحدَ أصدقائنا بدلاً من أن يكون زوجكِ ، لوجدتُ ذلك كلّه طريفاً جداً ، وساحراً جداً . ولعلي كنتُ سأقول مثلما قال . كنتُ سأستلطف ذلك كثيراً . لكنني عندما أرى زوجكِ يرتكب حماقات ، حماقات

حتمية ، فلا أستطيع أن أمتنع عن أقول لك رأيي . وسأقول ذلك أيضاً لزوجك . سأصارح العزيز نيكولا ايفانوفتش برأي الناس فيه . لستُ أخشى أحداً .

ماري ايفانوفنا: هذا لا يغيظني إطلاقاً . وأنا أرى ذلك بنفسي . لكني لا أعتقد أن ذلك خطيرٌ جداً .

آلين ايفانوفنا : نعم ، أنت لا تعتقدين ذلك ، لكنني أقول لك : إن لم تقاومي ، فسوف تُضْطرّين إلى التسوّل . وعلى هذا المنوال ...

بطرس سيميتوفتش : لا تبالغي ! مع ثروتهم !

آلين ايفانوفنا : أجل ، إلى التسوّل . لا تقاطعْني . لا ريبَ أن كل ما يصنعهُ الرجال مُحكمُ الصنعة دائماً ، في نظرك .

بطرس سيمينوفتش : لا أدري ، قاتُ . . .

آلين ايفانوفنا : أنتَ لا تدري أبداً ما تقول ، لأنكم إذا ابتدأتم ، أنتم الرجال ، بحماقاتكم ، فلن تجدوا ما يدعو إلى الانتهاء منها . كل ما أقوله هو أنني لو كنت مكانكِ لما سمحتُ بذلك ، لأخْضعتُ هذه النزواتِ للنظام . ما معنى هذا ؟ رجلٌ متزوج ، وربّ أسرة لا يعمل شيئاً ، ويتخلّى عن كل شيء ، ويوزّع كل شيء ، ويتكارَمُ ذات اليمين وذات الشمال . أنا أعرف كيف سينتهي ذلك . نحن نعرف بعضاً من هذه الأشياء .

بطرس سيمينوفتش ، لماري ايفانوفنا : اشرحي لي ، يا ماري ، ما هذا الاتجاه الجديد ؟ أنا أفهم جيداً التحرريّين ، والمجالس

الإقليمية ، والدستور ، والمدارس ، وصالات المطالعة ، وكل ما يتبع ذلك . والاشتراكيون ، والإضرابات ، وأيام الساعات الثمان ، أفهم كل ذلك أيضاً . لكن ما معنى هذا ؟ اشرحيه لي .

ماري ايفانوفنا : لقد حدثك عن ذلك هو نفسه أمس .

بطرس سيمينوفتس : أعترف لك بأنني لم أفهم شيئاً مما قال . الإنجيل ، والموعظة على الجبل ، بدون كنائس . كيف يفعل الناس إذن ليصلوا ولغير ذلك ؟

ماري ايفانوفنا : هذا بالضبط أهمُّ شيء : إنه يَهدم كلَّ شيء ولا يُحلّ شيئاً محله .

بطرس سيمينوفتش : وكيف بدأ ذلك ؟

ماري ايفانوفنا : بدأ ذلك في السنة الماضية ، منذ موت أخته . لقد اغتمّ اغتماماً شديداً ، وأخذ يتحدث بلا انقطاع عن الموت ، ثم مَرِض ، كما تعلم . وحينئذ تغيرّ كلياً . بعد الحمّى التيفية .

آلين ايفانوفنا : إلا أنه زارنا في موسكو ، في الربيع الماضي . كان لطيفاً جداً ، وكان يلعب معنا بالورق . كان لطيفاً جداً ككلّ الناس .

ماري ايفانوفنا: نعم ، لكنه كان مختلفاً كل الاختلاف .

بطرس سيميتوفتش: كيف ذلك ؟

ماري ايفانوفنا: لم يعد يكترث بأهله أبداً ، واستولتْ عليه فكرةٌ

ثابتة : الإنجيل . كان يقضي أياماً كاملة يقرأ ، ولم يكن ينام الليل ، وكان ينهض ليقرأ وليسجّل الملاحظات ، وليكتب الاستشهادات ؛ ثم أخذ يزور الأساقفة والنسّاك ويستشيرهم في قضايا الدين .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! أكان يَعْتَرف ويتناول ؟

ماري ايفانوفنا : قبل ذلك ، منذ فترة زواجه ، أي منذ خمس وعشرين سنة ، لم يكن يقوم بالشعائر الدينية . أما في الوقت الحاضر ، فقد أخذ مرةً يتناول ويعترف في الدير ، ثم ما لبث أن قرّر أنه لا فائدةَ من ذلك ، ولا فائدة من التردد على الكنائس .

آلين ايفانوفنا : لقد قلتُ ذلك ، قلتُ إنه ليس منطقياً مع ذاته . منذ شهر كان يثابر على الصلوات والصوم ، وفجأة انقطع عن ذلك كله .

ماري ايفانوفنا : نعم ، لكن حاولي أن تكلّميه .

آلين ايفانوفنا : حاولتُ ذلك وسأحاوله مرة أخرى .

بطرس سيمينوفتش : نعم ، لكن ذلك كله ليس كبير الأهمية .

آلين ايفانوفنا : لا ريب أن ذلك لا أهمية له عندك ، لأن الرجالَ لا دين لهم .

بطرس سيمينوفتش : دعيني اتكلّم . قصدتُ أن الموضوع ليس هذا . إذا أنكر الكنيسةَ فما علاقة الإنجيل بذلك ؟

ماري ايفانوفنا: لكنه يزعم أننا يجب أن نعيش بحسب الإنجيل ، بحسب الموعظة على الجبل ، وأننا يجب أن نُعطي كلَّ ما نملك .

بطرس سيمينوفتش: كيف نعيش حينئذ ، إذا أعطينا كلَّ شيء .

آلين ايفانوفنا : حسنا ! وأين رأى في الموعظة على الجبل أن من الضروري مصافحة الخدم ؟ جاءَ في الإنجيل : « طوبى للحُلماء » ولم يردْ ذكرُ المصافحةُ .

ماري ايفانوفنا: لا شك أنه يندفع وراء ذلك ، كما كان يندفع دائما ؛ اندفع زمناً وراء الموسيقا ، ثم وراء المدارس ؛ لكن هذه الفكرة لا تُريحني .

بطرس سيمينوفتش: وماذا ذهب يفعل في المدينة ؟

ماري ايفانوفنا: لم يقلْ لي ، لكنني أعلم أنه ذهب بصدد سرقة الخشب . سرق لنا الفلاحون خشباً .

بطرس سيمينوفتش: أكان ذلك في حرجة الصنوبر ؟

ماري ايفانوفنا: نعم حُكِموا بالسجن وبالتعويضات عن الأضرار . لكنه قال لي إن القضية صارتْ في الاستئناف ، وأنا واثقةٌ أنه ذهب بسبب ذلك .

آلين ايفانوفنا : يريد أن يُعْفيهم من التعويضات ، وسيأتون غداً لقطع أشجار البستان .

ماري ايفانوفنا: بدؤوا يفعلون ذلك . كسّروا لنا كلَّ أشجار التفاح وداسوا القمح ، في الحقول . وهو يَغْتفر لهم كل شيء .

بطرس سيمينوفتش: هذا مدهش .

آلين ايفانوفنا : بسبب هذا بالذات قلتُ إن من المستحيل تركه على هواه فاذا لم يُنَظّم ذلك ضاعت الثروةُ كلها . واعتقد أن واجبك كأم يقضي بأن تتخذي تدابيرك .

ماري ايفانوفنا: وماذا أستطيع أن أفعل ؟

آلين ايفانوفنا : كيف ؟ تستطيعين أن توقفيه ، أن تُفهميه أن من المستحيل أن يتصرّف هكذا . لكِ أولاد . وهذه قدوةٌ سيئة لهم .

ماري ايفانوفنا : لا شك أن ذلك مؤلم لي ، لكنني أصبر وآمل أن يمرّ ذلك كما كانت الحال في المرات السابقة .

آلين ايفانوفنا : طبعاً ، لكنْ « كنْ مع نفسك ليكون الله معك » . يجب أن يُحسّ أنه ليس وحده ، وأنّ من المستحيل أن يعيش هكذا .

ماري ايفانوفنا: وأسوأ شيء أنه لم يعدْ يهتم بالأولاد . أنا وحدي معنيّةٌ بتنظيم كل شيء . إلا أن لي رضيعاً من جهة، والكبار من جهة ثانية ، ثم الصبيّ والصبيّة اللذين يجب مراقبتهما . أنا وحدي ، لكل شيء . كان ، فيما مضى ، أبا حنوناً ، حريصاً على مصالح أولاده . أما الآن فقد استوى عنده كلُ شيء . أمس بالذات قلتُ له : إن فانيا لا يَعْمل وأنه سيَرسبُ حتماً في امتحانه ؛ فأجابني إنه سيكون من الأفضل أن يتْرك فانيا المعهد كلّياً .

بطرس سيمينوفتش: لكن أين يذهبُ حينئذ .

ماري ايفانوفنا: لا يذهب إلى مكان . هذا هو أرهب شيء ، ذلك أن

كل شيء يسير سيراً سيئاً ، لكنه لا يقول ما الذي يجب فعله .

بطرس سيمينوفتش: هذا غريب .

آلين ايفانوفنا : ما الغريب في ذلك . هذه تماماً طريقتك المعتادة في أن تنتقد كلّ شيء وألاّ تعمل شيئاً بنفسك .

ماري ايفانوفنا: انهى ستيوبا دراسته منذ قليل ، وعليه أن يختار مهنته ، لكن الأب لا ينصحه بشيء . كان يريد أن يدخل في مكاتب الوزير ، لكن نيكولا ايفانوفتش قال له : إنه لا يجب أن يفعل ذلك ؛ كان يريد أن يدخل في فرسان الحرس ، فلم يوافقْ نيكولا ايفانوفتش على ذلك أيضاً . فسأله حينئذ : وماذا ينبغي أن أفعل ؟ فقال له نيكولا ايفانوفتش : لماذا لا تذهب لتحرث ؛ هذا أفضلُ من العمل في المكاتب . ماذا ينبغي أن يَفْعل ؟ جاء إليّ وسألني رأيي ، وأنا مكرهَةٌ أن اتّخذ قراري . لكنه هو السيّد .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! يجب أن تقولي له ذلك كله بصراحة .

ماري ايفانوفنا: آه نعم . لا بدّ من ذلك ، وسأكلّمه .

آلين ايفانوفنا : قولي له بكل بساطة : إنك لا تستطيعين أن تعيشي هكذا ، وأنك تقومين بواجباتك ، وأن عليه أن يقوم بواجباته ؛ وإلا فلينقلْ إليك كلّ شيء .

ماري ايفانوفنا: آه ! ما أشقّ ذلك كله !

آلين ايفانوفنا : سأقول له أنا ذلك ، إذا شئت . سأصارحه برأي الناس فيه .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم وكاهن شاب يدخل متخوّفاً ومضطرباً ، ممسكاً بيده كتاباً ؛ يصافح كلاً من الحاضرين .

الكاهن : جئتُ أزور نيكولا ايفانوفتش ، تقريباً . أعَدْتُ إليه كتاباً .

ماري ايفانوفنا: ذهب إلى المدينة . وسيعود بعد قليل .

آلين ايفانوفنا : وما هذا الكتاب الذي أخذْتَهُ ؟

الكاهن : هو ، تقريباً ، كتاب « رينان » : حياة يسوع (١) .

بطرس سيمينوفتش: عجباً ! أهذا ما تقْرؤه ؟

آلين ايفانوفنا ، بادية الاحتقار : نيكولا ايفانوفتش هو الذي أعارَكَ هذا الكتاب ! حسناً ! أأنتَ متّفقٌ مع نيكولا ايفانوفتش ومع السيد رينان ؟

الكاهن ، يشعل سيجارة ، منفعلاً : نيكولا ايفانوفتش نَصَحني بقراءته . ولا شك أني غير متّفق معه . ولو كنتُ متّفقاً معه تقريباً ، لما أصبحتُ ، كما يُقال ، خادماً للكنيسة .

آلين إيفانوفنا : لكنك إن كنتَ خادماً أميناً للكنيسة ، كما يقال ، فلماذا لم تُقنعْ نيكولا ايفانوفتش ؟

الكاهن : لكلٍ رأيهُ الذي كوّنه حول هذه الموضوعات ، تقريباً ،

---

(١) كتاب رينان : كان لأعمال رينان (١٨٢٣ — ١٨٩٢) تأثير كبير في تولستوي وفي مفهومه عن المسيح .

ونيكولا ايفانوفتش مُحقٌّ في كثير من الأشياء ، لكنْ يمكن القول : إنه على خطأ فيما يخصّ الكنيسةَ .

آلين ايفانوفنا ، باحتقار : في أيّ الأشياء هو محقٌّ ؟ أمِنَ العدل أن يوزّع أمواله على الغرباء ، بحسب الموعظة على الجبل ، ويُلجىء أسرتَه إلى التسوّل ؟ .

الكاهن : الكنيسة تقدّس الأسرةَ ، إن أمكن القول ، وآباء الكنيسة باركوا الأسرةَ ،إن أمكن القولُ ؛ لكن الكمال الأسمى يقتضي ، تقريباً ، التخلّي عن الخيرات الأرضية .

آلين ايفانوفنا : نعم ، هذا صالحٌ بالنسبة إلى القدّيسين ، لكنني أعتقد أن البشر البسطاء يجب أن يتصرّفوا ببساطة ، كما يليق بكل مسيحي صالح .

الكاهن : لا يعرف أحدٌ ما الذي قُدِّر له .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! لا شك أنك متزوج ؟

الكاهن : أجل .

آلين ايفانوفنا : ألك أولاد ؟

الكاهن : لي اثنان .

آلين ايفانوفنا : لماذا إذن لا تتخلّى عن الخيرات الأرضيّة ؟ وها أنت تدخّن السيجارات .

الكاهن : ذلك بسبب ضعفي ، يمكن القول ، بسبب حقارتي .

آلين ايفانوفنا : نعم ، أرى ذلك ؛ فبدلاً من أن تَردّ نيكولا ايفانوفتش

إلى الصواب أراك تَسْنُدُه ... هذا ليس حسناً ، أقول لك ذلك بصراحة .

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، المرضع » .

المرضع ، داخلةً : ألم تسمعي بعدُ بكاءَ نيكولا الصغير ! هو عطشان .

ماري ايفانوفنا: أنا ذاهبة إليه ، أنا ذاهبة إليه .

(تنهض وتخرج) .

آلين ايفانوفنا : كم أرثي لأختي ! أراها تتألم . ليس شيئاً سهلاً أن تُدير بيتاً . سبعة أولاد أحدهم مازال يرضع ، ثم هناك فوق ذلك كل هذه الابتكارات . يبدو لي حقاً أن الأمور تسير سيراً سيئاً هنا . (مشيرةً إلى رأسها ...) صَرْعة . أحب أن أسألكَ : ما هذا الدين الجديد الذي وجدتموه ؟

الكاهن : لا أفهمُ ، تقريباً . . .

آلين ايفانوفنا : كُفَّ عن مخادعتي . أنت تفهم جيداً ما أسألُكَ عنه . . .

الكاهن : لكن اسمحي لي . . .

آلين ايفانوفنا : سألتاكَ ماذا يمكن أن يكون هذا الدين الذي بموجبه ينبغي أن نشدّ على أيدي الفلاحين ، وأن نسمح لهم بقطع الأخشاب ، وأن نوزّع عليهم المال لشراء ماء الحياة ، بينما نهجر أسرتنا ؟

الكاهن : لا أعلم شيئاً من ذلك . . .

آلين ايفانوفنا : هو يقول : إن هذه هي المسيحية ؛ أنت كاهن ، ارثوذكسي ، يجب أن تعلم وأن تقول ما تعلم : إن كانت المسيحيةُ تأمر بتسهيل السرقة .

الكاهن : لكنني أنا . . .

آلين ايفانوفنا : إذنْ ما الفائدة من كونك كاهناً ، ومن كونك تُربّي شعراً طويلاً وتلبس جبّةً ؟

الكاهن : لكنْ لا أحد يسألنا عن ذلك .

آلين ايفانوفنا : كيف لا يسألكَ أحدٌ عن ذلك ؟ أنا أسألكَ عن ذلك . أمس كرَّرَ عليّ أنه قد جاء في الإنجيل : « أعطِ مَنْ يسأل » . بأيّ معنى يجب أن نفهم ذلك ؟

الكاهن : أعتقدُ ، بالمعنى الأبسط .

آلين ايفانوفنا : وأنا أعتقد أنه ليس بالمعنى الأبسط ، لكنْ كما علّمونا : أي إن كلّ واحد يَحْصل على ما قدّره اللهُ له .

الكاهن : لا شك ، إلا أن ...

آلين ايفانوفنا : من الواضح أنك أنتَ أيضاً من رأيه ، كما قيلَ لي . هذا سيّء ، أقول لك ذلك بصراحة . لو كان الذي اتّفق معه بالرأي معلمةَ مدرسة أو فتىً من الفتيان لقبلنا ، أما أنت ، في وضعك ، فيجب أن تفكّر في المسؤولية التي تضطلع بها .

الكاهن : إني أبذل وسعي في ذلك .

آلين ايفانوفنا : وما هذا الدينُ الذي يَمنعه من الذهاب إلى الكنيسة ومن الاعتراف بالأسرار المقدّسة ؟ أما أنتَ فبدلا من أن تردّه إلى الصواب نراك تقرأ « رينان » وتفسّر الإنجيل على طريقتك .

الكاهن ، مضطرباً : لا يمكنني الإجابة . أنا منذهل ، تقريباً ... وسأسكت .

آلين ايفانوفنا : آه ! لو كنتُ رئيسَ الأساقفة ، لعلّمتكَ كيف تقرأ رينان وتدخّن السيجارات !

بطرس سيمينوفتش: كفّي عن ذلك ، بجاه السماء ! بأيّ حقّ ؟

آلين ايفانوفنا : أرجوكَ ، لا تُبْدِ ملاحظاتكَ عليّ . أنا واثقة من أن الأبَ لا يحقد علي . ها أنا قد قلتُ كلّ شيء . ولو سكتَ على ضغينةٍ لكان ذلك أسوأ . أليس كذلك ؟

الكاهن : سامحيني إذا لم أحسن التعبير . سامحيني .

(صمت شاق ، لوبا وليز تدخلان) .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، ثم لوبا وليز . لوبا ، عشرون عاماً ، فتاةٌ قوية وجميلة ، ابنة ماري ايفانوفنا . ليز أكبر سنا منها ، ابنة آلين ايفانوفنا . كلتاهما تضع على رأسها منديلاً ، وتحمل سلّةً لجمع الفطور . وقد جاءتا لتسلّما ، لوبا على خالتها وزوج خالتها ، ليز على أبيها وأمها والكاهن .

لوبا : وأين أمي ؟

آلين ايفانوفنا : ذهبتْ لتُرضع الصغير .

بطرس سيمينوفتش: اذهبا واحملا أكبر كمية ممكنة . بنتٌ صغيرةٌ جاءت اليوم بفطور رائعة . ولولا أن الطقس حار لذهبتُ معكما .

ليز : تعال معنا ، بابا .

آلين ايفانوفنا : اذهبْ معهما ، فأنت تسمن كثيراً .

بطرس سيمينوفتش: قبلتُ ، انتظراني حتى آتي بالسيجارات .

(يخرج) .

آلين ايفانوفنا : وأين بقيّةُ الجماعة ؟

لوبا : ستيوبا ذهب إلى المحطّة ، على الدرّاجة . دميتري ، الكسيفتش ذهب إلى المدينة مع بابا ، الصغار يلعبون بالكرات الخشبية ، وفانيا هنا على درج المدخل يلهو مع الكلاب .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! هل اتّخذ ستيوباً قراراً ما ؟

لوبا : نعم ، حمل بنفسه طلبه ليتطوّع(١) . كان أمس وقحاً مع بابا ، بشكل مثير .

آلين ايفانوفنا : لكنه يتألم أيضاً . **للصبر حدود .** على الشباب أن يعملوا ، ،

(١) ليتطوع : بحسب قانون ١٨٧٤ كان الشباب الذين حصلوا على البكالوريا لا يقضون سوى سنة واحدة في الخدمة العسكرية كمتطوعين ، في فوج يختارونه ؛وبعد ذلك يستطيعون أن يتقدموا إلى امتحان الضابط .

لوبا : بابا لم يقل له هكذا ، قال له . . .

آلين ايفانوفنا : مهما يكن ! إنما ستيوبا ما يزال في بداية حياته ، ومِنْ كلِّ ما شرع به لاشيء يناسب . لكن ها هوذا .

المشهد — ٥ —

« الأشخاص أنفسهم ، ثم ستيوبا الذي يصل على الدراجة ، ثم فانيا ، ثم نيكولا ايفانوفتش » .

آلين ايفانوفنا : عندما نذكر الشمس نرى أشعتَّها . ذكرناك قبل قليل . قالت لوبا إناك أسأتَ الردَّ على أبيك .

ستيوبا : لا ، إطلاقاً . لم يكن بيننا شيءٌ خاص . قال لي رأيه ؛ وأنا ، قلتُ له رأيي . وليست غلطتي إنْ لم يتّفقْ رأيانا . لكن لوبا لا تَفْهم شيئاً وتُقْحم نفسها في الحكم على كل شيء .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! وماذا قررّتَ ؟

ستيوبا : لا أعلم ماذا قرّر بابا ؛ أخشى ألا يعرف ما يقرّره . أما أنا فقد عزمتُ على أن أتطوّع في فرسان الحرس . كل ذلك بسيط جداً . أنهيتُ دراستي ويجب أن أؤدي فترةَ خدمتي العسكرية . ولكنني استثقل أداءَها في الجيش النظامي مع الضباط السكارى والأفظاظ ؛ لهذا تطوعت في الحرس الذي لي فيه أصدقاء .

آلين ايفانوفنا : نعم ! ولكن لماذا لم يُردْ أبوك ذلك ؟

ستيوبا : بابا ! ماذا بوسعي أن أقول عنه ! إنه الآن تحت تأثير فكرته

الثابتة ؛ وهو لا يرى إلا ما يريد أن يراه . قال إن الخدمة العسكرية هي أحقرُ خدمة ومن ثمّ لا يجب أن تُؤدّى . لذلك لا يعطيني مالاً .

ليز : لا ، ستيوبا ، لم يقلْ كذلك . كنتُ حاضرةً . قال : إذا كنا لا نستطيع أن نتجنّب الخدمة فلْنؤدّها ككلّ الناس ، وأننا إذا تطوّعْنا فمعنى ذلك أننا وجهْنا أنفسنا للخدمة .

ستيوبا : لكنّي أنا الذي سيؤدي الخدمة العسكرية ، لا هو . ولقد خَدَمَ هو مع ذلك .

ليز : نعم ، لكنه قال : ليست المسألة أنه لا يريد أن يعطي مالاً ، بل إنه لا يريد أن يُشارك في شيء مناقض لقناعاته .

ستيوبا : القضية ليستْ قضية قناعات هنا ؛ يجب تأدية الخدمة ، وهذا كل شيء .

ليز : لا أقول إلا ما سمعتُه .

ستيوبا : أعلمُ أنك توافقين بابا في كل شيء . أتعلمين ، يا خالتي ، أن ليز على اتفاق دائماً مع بابا .

ليز : مع ما هو صحيح . . .

آلين ايفانوفنا : أعلم جيداً أن ليز توافق على جميع الحماقات . تُحسّ أين توجد الحماقات . تشمّها من بعيد .

« يدخل فانيا في قميص أحمر ، يسارع ومعه كلابه ، وهو يحمل برقيّةً في يده » .

فانيا ، للوبا : احْزري مَنْ الذي جاءَ ؟

لوبا : ليس هناك ما نحزره . هات البرقيةَ .

(تحاول أن تأخذها ، فيقاوم) .

فانيا : لن أعطيكِ إياها ولن أقول لكِ مِمّنْ هي . هي من شخص يجعلك تحمرّين خجلاً .

لوبا : هذا حمقٌ . ممّنْ البرقيةُ ؟

فانيا : ها هي تحمرّ . احمرّت . خالة آلين ، ألمْ تحمرّ ؟

لوبا : كُفّ عن حماقاتك ! ممّنْ هي ؟ خالة آلين ، ممّنْ هي ؟

آلين ايفانوفنا : من آل تشيريمشانوف .

لوبا : آه ! آه !

فانيا : انظروا ، آه ! لماذا تحمرّين ؟

لوبا : أرني البرقية ، يا خالتي . (تقرأ) سنصل في قطار البريد ، نحن الثلاثة تشيريمشانوف » . ستأتي إذن الأميرة مع بوريس وتانيا . حسناً ! أنا مسرورة جداً .

فانيا : لا شك أنك مسرورة . انظر ، ستيوبا ، كم احمرّتْ .

ستيوبا : كُفّ ، لا تضايقها بعدُ ، أنت تفعل الشيءَ نفسه دائماً .

فانيا : آه ! نعم ، ذلك لأنك تريد أن تُغازل تانيا . وسيتحتّم عليكما أن تقترعا ، لأنه لا يمكن تزويج الأخت بزوجٍ وتزويج أخيها بأخت الزوج .

ستيوبا : كفى كلاماً . دعنا وشأننا . كم مرة قلت لك ذلك .

ليز : إن وصلوا بقطار البريد فيجب أن يكونوا هنا في هذه اللحظة .

لوبا : صحيح . لِنَتَبْقَ إذن .

(يدخل بطرس سيمينوفتش حاملاً سيجاراته) .

لوبا : عمّ بطرس ، لن نذهب إلى جَنْي الفطور .

بطرس سيمينوفتش: ولمَ ذاك ؟

لوبا : سيصل آل تشيريمشانوف في هذه اللحظة . الأفضل أن نلعب بكرة المضرب لعبةَ الثأر . ستيوبا ، أتقبل ؟

ستيوبا : قبلتُ .

لوبا : أنا وفانيا ضدكما أنت وليز . موافق ؟ سآتي بالكرات وسأدعو الأولاد .

(تخرج) .

بطرس سيمينوفتش: وها أنا أبقى .

الكاهن الذي يهمّ بالخروج : تهانيّ .

آلين ايفانوفنا : لا ، انتظرْ ، يا أبي . أحبّ أن أتحدّث معك . ثمّ إن نيكولا ايفانوفتش سيكون هنا بعد قليل .

الكاهن ، يعود إلى الجلوس ويُشعل سيجارة : ربما تأخّر .

آلين ايفانوفنا : ها قد وصلتْ عربةٌ . لا بدّ أنه هو .

بطرس سيمينوفتش: ومن هذه التشيريمشانوف ؟ أهي التي من آل غوليتزين ؟

آلين ايفانوفنا : أجل ، إنها تشيريمشانوف الفاتنة التي عاشت في روما مع عمتها .

بطرس سيمينوفتش: كم سأكون سعيداً برؤيتها . لم أرها منذ روما حيثُ كانت تغني غناءً ثنائياً معي . كانت تغني غناء لطيفاً جداً . لها ولدان ، أليس كذلك ؟

آلين ايفانوفنا : نعم ، وهما يرافقانها كلاهما .

بطرس سيمينوفتش: لم أكن أعلم أنها على صلة حميمة مع آل سارنتزيف.

آلين ايفانوفنا : ليسوا على صلة حميمة ، لكنهم قضوا السنةَ الماضية معاً في الخارج ، ويبدو لي أن الأميرة تفكّر في تزويج لوبا بابنها . هي داهية .

بطرس سيمينوفتش: لكن آل تشيريمشانوف كانوا أغنياء هم أنفسهم .

آلين ايفانوفنا : كانوا أغنياء . الأمير مازال حياً . لكنه أضاع كلَّ شيء وعكف على الشراب . فقدّمتْ التماساً للامبراطور ، وأنقذتْ بعض الفضلات من ثروتها وهجرتْ زوجَها . لكنها ربّتْ ولديها تربيةً رائعة . يجب أن نُنصفها من هذا الجانب . والبنت موسيقيةٌ ممتازة ، والولد الذي أنهى دروسه في الجامعة فتى رائع . على أني أظن أن ماشا غير مسرورة . فليس هذا الوقت مناسباً لاستقبال الناس آه ! ها هو نيكولا !

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً : طاب يومُكم ، آلين ، بطرس سيمينوفتش. آه ! (للكاهن) فاسيلي نيكانوروفتش .

(يشدّ على يده) .

آلين ايفانوفنا : ما يزال هناك قهوة . أتريد شيئاً منها . بردتْ قليلاً لكننا نستطيع تسخينها .

(تدق الجرس) .

نيكولا ايفانوفتش : لا ، شكراً . تغدّيت . أين ماشا ؟

آلين ايفانوفنا : تُرضع الصغير .

نيكولا ايفانوفتش : وهل هي بحال جيدة ؟

آلين ايفانوفتش : أجل ! حسناً ! هل انتهيتَ من أعمالك ؟

نيكولا ايفانوفتش : أنتهيتُ منها ، نعم . إن بقي عندك شايٌ أو قهوة ، فأعطيني شيئاً منهما . (للكاهن) . هل جئتَ بالكتاب ، هل قرأتَه ؟ فكّرتُ فيك طوالَ الطريق .

(يدخل خادم . يُحيّي . يشدّ نيكولا ايفانوفتش على يده . تهزّ آلين ايفانوفنا كتفيها وتبادلُ زوجها النظرات) .

آلين ايفانوفنا : أضفْ شيئاً من النار إلى السماور ، من فضلك .

نيكولا ايفانوفتش : لا لزوم لذلك ، آلين . ولا أشتهي ذلك . وإذا ما أردتُ شيئاً من الشاي أو القهوة تناولتُه كما هو .

ميسي ، تشاهد أباها ، تترك الكرات الخشبيّة راكضةً وتتعلق بعنق أبيها : بابا ، تعال معي .

نيكولا ايفانوفتش ، يداعبُها : بعد قليل ، دعيني أنهي طعامي . ادهبي والعبي . سآتي .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! وهل حكمتْ المحكمة على الفلاحين ؟

(نيكولا ايفانوفتش يجاس إلى الطاولة ، يشرب شايه ويأكل بشراهة ، دون أن يجيب) .

آلين ايفانوفنا : هل حُكِمَ عليهم ؟

نيكولا ايفانوفتش : نعمْ ، حُكم عليهم . ثم إنهم اعترفوا . (للكاهن) ظننتُ أنك لن تقتنع بريننان إلا بصعوبة .

آلين ايفانوفنا : لكنك لم تكن مسروراً من الحكم ؟

نيكولا ايفانوفتش ، متكدّراً : طبعاً ، لم أكنْ مسروراً . (للكاهن) . المسألة عندك ليست في ألوهية المسيح ولا في تاريخ المسيحية ، بل في الكنيسة .

آلين ايفانوفنا : كيف يكون ذلك ؟ هم اعترفوا **وأنت تكذبهم** . لمْ يسرقوا وإنما أخذوا .

نيكولا ايفانوفتش ، وقد بدأ يتكلّم مع الكاهن ، يستدير وهو بادي الحزم نحو آلين ايفانوفنا : آلين ، يا عزيزتي ، لا تعذبّيني بوخز دبابيسك وبتلميحاتك .

آلين ايفانوفنا : لا ، على الإطلاق . . .

نيكولا ايفانوفتش : إذا كنتِ ترغبين حقاً أن تعامي لماذا لا أريد أن ألاحق الفلاحين الذين قطعوا الأخشاب التي كانوا يحتاجون إليها . . .

آلين ايفافوفنا : أظن أنهم قد يحتاجون إلى هذا السماور أيضاً .

نيكولا ايفانوفتش : حسناً ! إذا أردتِ أن أقول لك لماذا لا أقبل بأن

يُسْجَنَ هؤلاء الناسُ الذين قطعوا عشر سنديانات في غابة تُعْتَبَرُ ماكاً لي . . .

آلين ايفانوفنا : كل الناس يَعْتبرونها كذلك .

بطرس سيمينوفتش: ها قد عادت المخاصمات من جديد . أفضّل أن أذهب إلى الحديقة ، مع الكلاب .

(ينزل عن المصطبة) .

نيكولا ايفانوفتش : حتى لو اعتبرنا هذا الغاب ماكاً لي ، وذلك مالا أقبل به ، فان عندنا تسع مئة هكتار من الغابات ؛ وفي كل هكتار نحو خمس مئة شجرة ، فيكون المجموع إذن اربع مئة وخمسين ألف شجرة (على ما يبدو لي) . وقد قطعوا عشراً ، أي بنسبة واحد إلى خمسة وأربعين ألفاً ؛ فهل يستحق هذا ، هل يجوز أن نَنْتزع رجلاً من عائلته لهذا السبب ونرمي به في السجن ؟

ستيوبا : بلا ريب ، لكن إذا لم يُعاقَبوا بقسوة من أجل هذا الجزء الضشيل فان بقية الأجزاء ستُقطع أيضاً .

نيكولا ايفانوفتش : كل ما قلتُه فانما أقوله للخالة وحدها ، لكنْ ليس لي ، في الواقع ، أي حقّ على هذه الغابة . الأرض ملكٌ للناس جميعاً ، أي انها لا تجوز أن تكون ملكاً لأحد . ونحن لم نقمْ بأي عمل في هذه الأرض .

ستيوبا : لا ، لكنك وفّرتَ ، اشتغلتَ .

نيكولا ايفانوفتش : بأية طريقة حصلتُ على هذه التوفيرات ؟ ولستَ

أنا الذي يحرس الغابة . . . على كل حال ، إذا لم يشعر الإنسان بالخجل لأنه قَتَلَ إنساناً آخر ، فمن المتعذر أن نُثْبِت له أنه أساءَ التصرّف .

ستيوبا : لا أحد يقتل .

نيكولا ايفانوفتش : سيان إن لم يشعر بالخجل من استغلال عمل الآخرين دون أن يَعْمل هو نفسه ؛ إن الاقتصاد السياسي الذي تدرسُه في الجامعة لا يصلح إلا لتبرير الوضع الذي نحنُ فيه .

ستيوبا : على العكس ، العلم يهدم كل الآراء المُسْبقة .

نيكولا ايفانوفتش : على كل حال ، هذا قليلُ الأهمية ، بالنسبة إليّ . ما يهمّني هو أن أعلم أنني لو كنتُ مكانَ « ايفيم » لفعلتُ مثله تماماً ، وأنني لو فعلتُ ذلك لاغتممتُ حين أدخل السجن . — **كما أريد أن أعاملُ الآخرين ، بالطريقة نفسها التي أرغب أن يعاملوني بها** — . لا أستطيع أن أدينهم ، وأنا أبذل وسعي لكي أجنّبهم الإدانة .

بطرس سيمينوفتش: إذا كان الأمر كذلك ، فمن المستحيل أن يمالك الناسُ شيئاً .

آلين ايفانوفنا : ستكون السرقةُ حينئذ أربحَ من العمل .

ستيوبا ، في الوقت نفسه : أنت لا تجيب أبداً عن الحجج التي تُواجَه بها . قلتُ إن مَنْ وفّر شيئاً فله الحق في أن يستفيد ممّا وفّر .

نيكولا ايفانوفتش ، مبتسماً : لا أعلمُ على مَنْ أردّ . (لبطرس سيمينوفتش) . لا يجب أن نمالك شيئاً أيضاً .

آلين ايفانوفنا : لكن إذا لم يجز أن نملك شيئاً ، وإذا تعيّن ألاّ نملك ثوباً ولا قطعة خبز ، وإذا كان يجب أن نعطي كلّ شيء ، فمن المستحيل أن نعيش .

نيكولا ايفانوفتش : ولا ينبغي أن نَحيْا كما نحيا .

ستيوبا : أيْ يجبُ أن نموت . من البديهي إذن أن هذا التعليم لا يصلح للحياة .

نيكولا ايفانوفتش : لا ، لا يصلح لا للحياة . نعم، يجب أن نعطي كل شيء ، لا الغابات وحدها التي لا نستفيد منها ولم نرها ، بل يجب أن نُعطي ثيابنا وخبزنا .

آلين ايفانوفنا : وخبز أولادنا ؟

نيكولا ايفانوفتش : نعم وخبز أولادنا ؛ لا الخبز وحده ، وإنما يجب أن نعطي أنفسنا . ها هنا تكمن تعاليم المسيح . يجب أن نبذل جهدنا كله لنعطي أنفسنا .

ستيوبا : معنى ذلك : الموت .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، إن متّ من أجل قريبك ، فهذا حسنٌ جداً لك وللآخرين . لكن المسألة أن الإنسان ليس روحاً فحسب وإنما هو روح وجسد . الجسدُ يجبرُكَ على أن تعيش لنفسك ، وروح النور تدفعك إلى أن تحيا لله ، للآخرين ؛ وكلما اقتربنا من الحياة لله ، كان ذلك أفضل . وهكذا إذن ، كلما سعيْنا إلى أن نحيا لله ، كان ذلك أحسن ، في حين أن الحياة الحيوانية تتدبّر أمرها دائماً .

ستيوبا : إذنْ ، إن كان حسناً أن نعيش هكذا ، فيجب أن نعطي كل شيء ونموت .

نيكولا ايفانوفتش: سيكون ذلك رائعاً. اجهدْ في أن تفعل ذلك ، انت والآخرون ، وسيُلفي الناس أنفسهم في أحسن الحالات من جرّاء ذلك .

آلين ايفانوفنا : لا ، هذا كله غيرُ واضح . هذا معقّد جداً . هذا واه .

نيكولا ايفانوفتش : وما العمل ؟ من المستحيل شرحُ ذلك بالألفاظ . على كل حال ، كفانا نقاشاً .

ستيوبا : بالفعل ، كفانا نقاشاً ، فلم أزددْ فهماً .

(يخرج) .

نيكولا ايفانوفتش ، للكاهن : وبعدُ ، فما الانطباع الذي أحدثه الكتابُ فيك .

الكاهن ، مضطرباً : كيف أصفُ لك ذلك ؟ الجانب التاريخي قد عولج معالجةً واسعة ، لكنْ تنقصُه الدقّة ، والقناعةُ التامةُ ، لأن المصادر غير كافية ، أليس كذلك ؟ فلسنا نستطيع أن نبرهن تاريخيا أن المسيح من جوهر الهي أم لا ؛ ليس هناك سوى برهان لا جدال فيه . . .

(أثناء هذا الحوار تبتعد النساءُ أولا ، ثم يبتعد ستيوبا ، ثم بطرس ايفانوفتش ، ويبقى الكاهن وحده مع نيكولا ايفانوفتش) .

نيكولا ايفانوفتش : أيْ الكنيسة ؟

الكاهن : طبعاً ، الكنيسة ، شهادة القديسين المُعْتَرَف بهم ، أليس كذلك .

نيكولا ايفانوفتش : طبعاً ، سيكون رائعاً لو وُجدت شهادةٌ لا يمتدّ إليها الخطأُ ، شهادة تستطيع أن نؤمن بها ، وسيكون من المرغوب فيه أن توجد هذه الشهادة . لكن رغبتنا لا تَستْتبع أن هذه الشهادة موجودة .

الكاهن : أنا ، أظن أن هذا هو ، بالتحديد ، الذي يبرهن على تلك الشهادة . فالرب لا يمكن أن يُعرّض شريعته للتشويه ، ولسوء التفسير ، وكان لا بد أن يجعل الكنيسة حارسةً لحقائقه ، حتى لا تُشوَّه حقائقُه .

نيكولا ايفانوفتش : هذا حسن . لكنْ كان عليك في البدء أن تبرهن على حقائقها ، أما الآن فعليك أن تبرهن على صحة حارسة الحقائق . . .

الكاهن : هنا، لا بدّ من الإيمان ، أليس كذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : الإيمان ! لا بدّ من الإيمان ، من المستحيل الاستغناء عن الإيمان ، لكن لا ينبغي أن نؤمن بما يقولُه لنا الآخرون لكن بما تتوصل أنتَ إلى الإيمان به عن طريق سير فكرك وعقلك . . . الإيمان بالله ، في الحياة الحقيقية الأبدية .

الكاهن : العقلُ قد يَنخدع ؛ ولكلّ عقلُه .

نيكولا ايفانوفتش ، بحماسة : هذا تجديفٌ فظيع . إن الله أعطانا هذا السلاح المقدّس الوحيد لاكتشاف الحقيقة ، وهو وحده القادر على أن يجمع بيننا . فاذا لم نؤمن به ! . . .

الكاهن : كيف نؤمن بهما وبينهما خلاف أليس كذلك .

نيكولا ايفانوفتش : ما الخلاف ؟ أن اثنين في اثنين تساوي أربعة ، أننا لا ينبغي أن نفعل بالآخرين مالا نرغبُ فيه لأنفسنا ، أن لكل شيء سبباً ، الخ ؟ كل ذلك حقائق نعترف بها لأنها متفقة كلها مع عقلنا . أمّا أن يكون الله قد ظهر لموسى على جبل سيناء ، أو أن يكون بوذا قد طار على شعاع الشمس ، وأن يكون المسيح قد صعد إلى السماء ، في هذه الأشياء وفي مثيلاتها لسنا متفقين .

الكاهن : لا لسنا على خلاف ، فنحن جميعاً الذين هم في الحقيقة ؛ نحن جميعاً متحدون في إيمان واحد بالله ، المسيح .

نيكولا ايفانوفتش : حتى في هذه النقطة لسنا مجتمعين ، بل نحن مفترقون ؛ ثم لماذا أؤمن باك أكثر مما أؤمن بالكاهن البوذي ؟ ما لم يكن السبب الوحيد أنني ولدت في ديانتك ؟

(تقوم مشادة مرة أخرى بين لاعبي كرة المضرب :)

– الكرة خارج الملعب .

– لا ، ليست خارج الملعب .

فانيا : أنا رأيتها !

(أثناء الحديث ، يُحضّر خادم الطاولة والشاي ، والقهوة ، مرة أخرى) .

نيكولا ايفانوفتش : أنتَ تقول إن الكنيسة ستَمْنح الوحدة . على العكس إن أفظع شقاقٍ يأتي دائماً من الكنيسة . « كم من مرة » أردت أن أجمعكم كما تجمع الدجاجةُ فراخها » .

الكاهن : كان ذلك قبل المسيح ، لكن المسيح جَمَعَ .

نيكولا ايفانوفتش : المسيح جَمعَ ، في الواقع ، لكننا فرّقْنا ، لأننا فهمناه بالمقاوب . لقد هدمَ عدة كنائس .

الكاهن : لكن كيف تفهم : « قلْ للكنيسة » ؟

نيكولا ايفانوفتش : ليست المسألة مسألة كلام . فالكلام ليس شيئاً ولا يقول شيئاً عن الكنيسة ، وإنما المسألة مسألةُ روح العقيدة . إن عقيدة المسيح شاملة وتحتوي على جميع المعتقدات ؛ وهي لا تقبل بشيء استثنائي ، لا قيامة المسيح ولا ألوهيته ، ولا الأسرار المقدّسة ، ولا ما يفرّق .

الكاهن : أليس ذلك هو طريقتك في تفسير التعليم الديني ، لكن التعايم الديني قائمٌ كلّياً على ألوهيته وقيامته .

نيكولا ايفانوفتش : بهذا عينه كانت الكنائس مرعبةً . إنها تفرّق لأنها تؤكّد أنها تملك الحقيقة الكاملة ، التي لا جدال فيها ، والتي لا يمتدّ إليها الخطأُ . وقد بدأ ذلك مع مجمع الرسل الأول . ومنذ هذه الفترة بدأ التأكيد على امتلاك الحقيقة الكاملة التي لا حقيقة غيرها . لأنني إذا قاتُ : الله موجود ، وهو بداية الكون ، فسوف يتفّق الناس جميعاً معي ، وهذا الاعتراف بالله سيجمعُنا ؛ لكني إذا قاتُ : الله — براهْما موجود ، أو الإله اليهودي ، أو الثالوث ، فمثلُ هذه الألوهية ستفرّقنا . إن الناس يريدون أن يتّحدوا ، وهم من أجل ذلك تصوّروا سُبُلَ الاتحاد ؛ لكنهم يأنفون من السبيل الأكيدة للوصول إلى تلك الوحدة ؛ وهي

الطموح إلى الحقيقة . وذلك تماماً كما لو كنا في بناء كبير جداً يسقط فيه النورُ من الأعلى إلى الوسط ، والناسُ متكوّمون في الزوايا بدلاً من أن يذهبوا إلى النور . بينما لو ذهبوا إلى النور ، دون أن يفكّروا في ذلك ، لا تّحدوُا جميعاً .

الكاهن : ما العمل إذن لقيادة الشعب ، دون أن نملك حقيقة محدّدة ؟

نيكولا ايفانوفتش : هذا بالضبط ما هو فظيع . كلٌّ منا يجب أن يخلّص روحه ، وأن يُحقّقَ بذاته عمل الرب ، ونحن منهمكون في تخليص الناس وتعليمهم . وماذا نعلّمهم ؟ من الفظاعة أن نفكّر في أننا نعلّم الآن في أواخر القرن التاسع عشر أن الله خلقَ العالمَ في ستة أيام ، وأنه عمل الطوفان بعد ذلك ، وأنه وضع في السفينة كل الحيوانات ، وكل الحماقات الأخرى ، وكل سخافات العهد القديم ؛ وبعد ذلك أن المسيح أمرَ أن يُرَشَّ الجميعُ بالماء وأن يؤمن الجميع بترّهات الشفاعة ، التي لاخلاص دونها ؛ وأنه ، بعد ذلك ، طار إلى السماء وجلس في السماء غير الموجودة ، على يمين الأب . لقد تعوّدنا ذلك ، لكن ذلك فظيع . إن الطفل النقيّ القلب ، الميّال إلى الخير يسأل ما الكونُ وما قوانينُه.وبدلاً من أن نكشف له تعاليم المحبة والحقيقة التي انتقلتْ إلينا ، نأخذ في حَشْو رأسه بعناية ، بالبلاهات والفظاعات المرعبة ، ونَنْسبها إلى الله . لكن هذا فظيع ! إنها لجريمة نكراء ، أنكر الجرائم ! وتصوّرْ أننا نحن ، أنكم أنتم الذين يرتكبون ذلك مع كنيستكم . سامحْني .

الكاهن : لا ريب أننا إذا نظرنا إلى تعاليم المسيح بهذه الطريقة ، عقلانياً ، أليس كذلك ، فالأمرُ كما ذكرتَ .

نيكولا ايفانوفتش : انظرْ إليها كما تشاء ، فالأمرُ واحدٌ .

(صمتٌ . الكاهن يستأذن . تدخل آلين ايفا نوفنا) .

المشهد — ٦ —

« نيكولا ايفا نوفتش ، ثم آلين ايفانوفنا ، ثم ماري ايفانوفنا » .

آلين ايفانوفنا ، للكاهن : إلى اللقاء ، يا أبي ، سيَقْلبُ لك رأسَك ، فلا تُصْغِ إليه .

الكاهن : لا ، يجب أن نفحص الكتابَ المقدّس . الأمر أعظم من أن نُهمل ذلك .

(يخرج)

آلين ايفانوفنا : الحقيقة ، يا نيكولا ، أنك لا تَرْحمُه . فبالرغم من أنه كاهن ، إلا أنه لا يمكن أن تكون قناعاته راسخةً ، إنه لم يثبتْ بعد . .

نيكولا ايفانوفتش : يجب إذن أن ندَعَه يثبت ، يتبلّدُ في الكذب . كلا ، وما الغاية من ذلك ؟ نعم ، إنه رجل طيب ، رجلٌ صادق .

آلين ايفانوفنا : لكن ماذا سيَفْعل إن آمن بك ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا حاجة به إلى الإيمان بي ، لكنه إن رأى الحقيقة ، فسيكون ذلك حسناً له وللجميع .

آلين ايفانوفنا : نعم سيكون ذلك حسناً لو أن الجميع آمنوا باك ، لكن العكس تماماً هو ما يقع . فلا أحد يؤمن باك ، وامرأتُك قبل غيرها . ولا يمكنها أن تؤمن باك .

نيكولا ايفانوفتش : ومَنْ قال لك ذلك ؟ . .

آلين ايفانوفنا : اشرح ذلك لماشا . فهي لم تفهمْ قط ، ولن تفهم أبداً ، ولن يفهم أحدٌ في العالم أنه يجب على المرء أن يُعْنى بالآخرين ويُهْمل أولاده . اشرحْ ذلك لماشا .

نكيولا ايفانوفتش : ستفهم ماشا بالتأكيد . اغفري لي ، يا آلين ، لكنْ لو لم تكن هناك مؤثّرات خارجية ، ولو لم تكن ماشا مهيّأةً للخضوع لها ، لفهمتْني ولمشت معي .

آلين ايفانوفنا : لكي تَنْهب أولادَها لمصلحة اينيم السكير **وشركائه .** أنتَ غاضبٌ عليّ ، لكنْ اغفرْ لي ، فلا أستطيع الامتناعَ عن القول . . .

نيكولا ايفانوفتش : لستُ غاضباً . على العكس ، أنا مسرورٌ جداً لأنك كلّمتني بصراحة ، وأتَحْتِ لي بذلك الفرصة للتعبير عن طريقتي في التفكير . وعندما عدتُ اليوم إلى هنا فكرّتُ فيها ، وسأقول لها ذلك ، في الحال ، وستريْن أنها ستتفق معي ، لأنها خيرّة وذكية .

آلين ايفانوفنا : اسمحْ لي أن أشكّ في ذلك .

نيكولا ايفانوفتش : لا ، لستُ أشك ، لأن ذلك ليس ابتكاراً من عند نفسي ، هذا ما نعرفه جميعاً ، ما أعْلنه المسيحُ لنا .

آلين ايفانوفنا : نعم ، برأيكَ ، أن المسيح أعلن لنا هذا الشيءَ ؛ وبرأيي أنه أعلن شيئاً آخر .

نيكولا ايفانوفتش : لا يمكن أن يكون ما أعلنه شيئاً آخر . انتظري ولا تناقشي ، اصغي إليّ .

آلين ايفانوفنا : هيّا ، أنا أصغي .

نيكولا ايفانوفتش : أليس صحيحاً أننا قد نموت بين لحظة وأخرى ونختفي في العدم ، أو نمتزج بالله الذي يطالب أن نحيا بحسب مشيئته ؟

آلين ايفانوفنا : وبعدُ ؟

نيكولا ايفانوفتش : وبعدْ فما الذي أستطيع أن أفعله في حياتي غير ما يطالبُه القاضي الأعلى في نفسي ، ضميري والله ، إن ضميري والله يطلبان أن اعتبر الناس متساوين ، وأن أحبّهم جميعاً وأن أخدمهم جميعاً .

آلين ايفانوفنا : وأولادك أيضاً .

نيكولا ايفانوفتش : طبعاً ، وأولادي أيضاً ، لكنْ على أن أفعل كل ما يأمرني به ضميري . المهم هو أنْ أفهمَ أن حياتي ليستْ ملكاً لي ، كما أن حياتك ليست ملكاً لك ، وإنما هي ملكٌ لله الذي أرسلَنا والذي يطالب منا أن نصنع مشيئته . ومشيئتُه . . .

آلين ايفانوفنا : هل ستُقنع ماشا بذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : بكل تأكيد .

آلين ايفانوفنا : وهل ستكفّ عن تربية الأولاد كما يجب أن نفعل ، وهل ستتركهم ؟ أبداً ، لا .

نيكولا ايفانوفتش : لن تفهم هي فقط ، بل أنتِ أيضاً ستفهمين أنْ ليس هناك شيء آخر نفعلُه .

آلين ايفانوفنا : أبداً ، لا .

(تدخل ماري ايفانوفنا) .

نيكولا ايفانوفتش : وبعدُ ، يا ماشا ، ألم أوقظك هذا الصباح ؟

ماري ايفانوفنا: لا ، لم أكن أنام . وهل أنت مسرور من سَفْرتك ؟

نيكولا ايفانوفتش : أجلْ ، جدّ مسرور .

ماري ايفانوفنا: لماذا تتناوله بارداً ؟ بالمناسبة ، يجب إعداد الشاي لزوّارنا . هل عامتَ ؟ ستصل السيدةُ تشير بمشانوف مع ابنها وابنتها .

نيكولا ايفانوفتش : حسناً ! إن كان ذلك يسرّكِ فأنا سعيد .

ماري ايفانوفنا: نعم ، وأنا أحبّها كثيراً هي وولداها . لكن اختيار الوقت لم يكن مناسباً جداً .

آلين ايفانوفنا ، ناهضة : تستطيع أن تتحدّث معها وأنا سأتفرّج على اللعب .

(تذهب . صمتٌ ، يبدأ بعده نيكولا ايفانوفتش وماري ايفانوفنا الحديثَ) .

ماري ايفانوفنا: الوقتُ غير مناسب ، لأننا بحاجة إلى الحديث .

نيكولا ايفانوفتش : قلتُ لآلين قبل قليل . . .

ماري ايفانوفنا : ماذا قلتَ ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، تكلّمي ، أنتِ .

ماري ايفانوفنا: لكني أحببتُ أن أكلّمك بشأن ستيوبا . يجب أن نقرّر شيئاً . فالمسكين طال انتظاره ليعلم ماذا سيفعل . جاء ليطلب مشورتي ، لكني لا أستطيع أن اتّخذ قراراً .

نيكولا ايفانوفتش : ليس هناك ما نقرره . يستطيع أن يقرّر هو نفسه .

ماري ايفانوفنا: لكنك تعلم أنه يريد التطوع في الحرس الامبراطوري ، ولا بد لذلك من شهادة منك ، ثم إن عليه أن يُنفق على نفسه وأنت لا تريد أن تعطيه شيئاً .

(تضطرب) .

نيكولا ايفانوفتش : ماشا ، بجاه الله ، لا تضطربي ، لكن اصغي إليّ . ليست المسألة أنني أعطي شيئاً أو لا أعطي . أنا أعتبر أن التطوّع للخدمة العسكرية برضاه التام عملٌ أبله ، وأحمق ، لا يمكن أن يكون سوى فعل رجل متوحشٍ ، إن لم يفهم فظاعة هذا الفعل ؛ أو سوى نذالةٍ إن فعلَ ذلك لغاية محسوبة .

ماري ايفانوفنا : كل شيء الآن حمقٌ وتوحّشٌ عندك . لكنه بحاجةٍ إلى أن يعيش . ولقد عشْتَ أنتَ .

نيكولا ايفانوفتش ، متحمّساً : عشتُ عندما لم أكن أفهم ، عندما لم يكن أحدٌ قد قال لي شيئاً ؛ لكن المسألة مسألته لا مسألتي .

ماري ايفانوفنا: كيف ؟ بل مسألتك لأنك لا تعطيه مالاً .

نيكولا ايفانوفتش : ليس بوسعي أن أعطي ما لا يخصّني .

ماري ايفانوفنا : كيف ، مالا يخصّك ؟

نيكولا ايفانوفتش : كدُّ الآخرين لا يخصّني . والمال الذي سأعطيه إياه ، لا بدّ أن آخذه من الآخرين . ليس لي الحق في ذلك ، وليس بوسعي أن أفعله . وما دمتُ أنا أديرُ أملاكي ، فاست أستطيع أن أديرها إلا كما يأمرني ضميري . لا أستطيع أن أُعطي كدّ الفلاحين الذي يشتغلون بكل قواهم للإنفاق على تهتّك خيّالة الحرس . خُذي أملاكي فلا أعود مسؤولا بعد ذلك .

ماري ايفانوفنا: أنت تعلم جيداً أنني لا أريد ذلك ، وأنني لا أستطيع ذلك . فعليّ أن أربّي أولادي وأطعمهم وأن أضعهم . وذلك قاسٍ .

نيكولا ايفانوفتش : ماشا ، يا عزيزتي، ليس هذا هو الموضوع . فعندما بدأت الكلام أردتُ أنا نفسي أن أتحدّث معك بقلب مفتوح . فالأمورُ لا يمكن أن تستمرّ على هذا المنوال ، نحن نعيش معاً من غير أن نتفاهم . وكأننا نتعمد تعمدّاً عدم التفاهم ، في بعض الأحيان .

ماري ايفانوفنا: أودّ لو أفهم ، لكنني لا أفهمك . لا أفهم ما الذي جرى لك .

نيكولا ايفانوفتش : حسناً ! حاولي أن تفهمي . الوقتُ غيرُ مناسب ، لكن الله أعلم متى يحين الوقتُ . حاولي ، لا أن تفهميني فحسب ، بل أن تفهمي نفسك أيضاً ، أن تفهمي الحياة . لاننا لا ينبغي أن نعيش هكذا دون أن نعرف لماذا .

ماري ايفانوفنا: لقد عشنا هكذا ، وعشنا عيشةً حسنةً . (تلاحظ حركة تنم على الاغتياظ) . طيّب ، طيب ، أنا أصغي .

نيكولا ايفانوفتش : أنا عشتُ هكذا ، هكذا ، أي دون أن أفكّر في التساؤل : لماذا كنتُ أعيش ، ثم آن الأوان ، وشعرتُ بالفظاعة . فاعلمي أننا نعيش من نتاج عمل الآخرين ، نشغّل الآخرين لمصلحتنا ، ونَضَعُ أولاداً في العالم ونربّيهم ليفعلوا كما نفعل . وعندما تأتي الشيخوخةُ ويأتي الموت سأتساءل لماذا عشتُ ؟ لأكثّر الطفيليّين مثلي ؟ ثم إن هذه الحياة ليست بهيجةً . وهي محتملة مادامت طاقةُ الحياة تتدفّق منّا ، كما هي الحال عند فانيا .

ماري ايفانوفنا: لكنّ جميع الناس يعيشون هكذا .

نيكولا ايفانوفتش : وجميع الناس بائسون .

ماري ايفانوفنا: لا ، أبداً .

نيكولا ايفانوفتش : أنا من جهتي رأيتُ أنني كنتُ في غاية البؤس . وأنني سبب بؤسك وبؤس الأولاد ، وتساءلتُ : أمن الممكن أن يكون الله قد خلقنا من أجل ذلك ؟ وما ان فكرت في ذلك حتى شعرتُ أنْ لا ؛ وتساءلتُ حينئذٍ مرة أخرى : لمَ خلقنا الله إذن ؟

(يدخل خادم . تنصرف ماري ايفانوفنا عن زوجها وتخاطب الخادم) .

ماري ايفانوفنا: هات قشدةً مغليّة .

نيكولا ايفانوفتش : رأيتُ الجوابَ في الإنجيل ؛ وهو أننا لا ينبغي

أن نعيش لأنفسنا . غدا ذلك بديهياً تماماً عندما فكرتُ في مثل الكرّامين . أتعرفين هذا المثل ؟

ماري ايفانوفنا: نعم ، أعرفه . الفَعَلة . . .

نيكولا ايفانوفتش : أظهر لي هذا المثلُ ، بشكل أوضح من أي شيء آخر ، فيم كان يكمنْ خطئي . كنتُ أظنّ مثل هؤلاء الكرّامين أن البستان ملكي ، وأن حياتي لي ، وكان ذلك شنيعاً ؛ لكنْ ما ان فهمت أن حياتي ليست ملكاً لي ، وأنني أُرساتُ إلى العالم لأتمّم عمل الله . . .

ماري ايفانوفنا: لكننا نعلم ذلك كله .

نيكولا ايفانوفتش : إذا كنّا نعرفه فلا يجوز أن نظلّ نحيا كما نحيا ، إذْ أن حياتنا بأكملها لا تقوم على عدم إتمام مشيئته ، بل على عكس ذلك ، على مخالفتها باستمرار .

ماري ايفانوفنا: في أي شيء نخالف مشيئته إذا كنا نعيش دون أن نُسيء إلى أحد ؟

نيكولا ايفانوفتش ، كيف « دون أن نُسيء إلى أحد ؟ بهذه الطريقة عينها كان الكرّامون يفهمون الحياة . لأننا . . .

ماري ايفانوفنا: نعم ، أعرف هذا المثل . حسناً ! لقد أعطى لكل واحد حصةً مساوية لغيره .

نيكولا ايفانوفتش ، بعد صمت : لا ، ليس الأمرُ كذلك لكن اسمعي هذا الشيء ، ماشا . فكّري أننا لا نعيش إلا مرة واحدة ، وأننا نستطيع أن نعيش حياتنا بقداسة أو نفقدها .

ماري ايفانوفنا: ليس بوسعي أن أفكر . فأنا أقضي الليالي مسّهدةً ، أرضع الصبي ، وادير شؤون المنزل ، وبدلاً من أن تساعدني ، تقول لي أشياء لا أفهمها .

نيكولا ايفانوفتش : ماشا !

ماري ايفانوفنا: وفوق ذلك هذه الزيارات .

نيكولا ايفانوفتش : سننتهي بالاتفاق . (يقبّلها) . أليس كذلك ؟

ماري ايفانوفنا: أجلْ . لكنْ ، كنْ كما كنتَ قديماً .

نيكولا ايفانوفتش : لا أستطيع ، لكن اصغي .

(تسمع أصوات الجلاجل ومركبة تدنو) .

ماري ايفانوفنا: لا وقتَ لديّ ، الآن . سأذهبُ لملاقاتهم .

(تغيب خلف ركن المنزل . يتبعُها ستيوبا ولوبا . تبدو آلين ايفانوفنا وزوجُها وليز على المصطبة ، نيكولا ايفانوفتش يمشي ذهاباً وإياباً ، غارقاً في أفكاره) .

فانيا ، قافزا من فوق المقعد : لم أترك اللعب ، سنُنهيه . لوبا ! ماذا !

لوبا ، جادّة المظهر : أرجوك أن تكفّ عن مَزْحاك .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! هل أقنعْتَها ؟

نيكولا ايفانوفتش : آلين ، كل ما يجري بيننا بالغ الأهمية ، والمزحُ في الوقت الحاضر ليس في مكانه . لست أنا الذي يحاول أن يُقْنع ، بل الحياة ، بل الحقيقة ، بل الله . هذا الذي يُمكنه أن يُقنع ، وإذن فمن المستحيل ألا تَقْنع ، غداً إن لم يكن اليوم ، وأنْ لم يكن غداً ، فسيكون ... شيءٌ

رهيب أن الناسَ لا يملكون إلا القليل من الوقت . ومَنْ جاء ؟

بطرس سيمينوفتش: آل تشيريمشانوف . كاتيش تشيريمشانوف التي لم أرها منذ ثمانية عشر عاماً . آخر مرة التقينا فيها غنّينا معاً لحناً ثنائياً : « سيشدّ كلُّ منا على يد الآخر »(١) .

(يغنّي)

آلين ايفانوفنا ، لزوجها : أرجوك ألا تقاطعْني ولا يذهب بك التصوّرُ أنني سأختلف مع نيكولا . أقول لكَ الحقيقة . (لنيكولا ايفا نوفتش) . لستُ أمزح على الإطلاق ؛ لكن يبدو لي غريباً أنْ تنوي إقناعَ ماشا في اللحظة نفسها التي عزَمتْ فيها على الحديث معك .

نيكولا ايفانوفتش : طيّب ، طيّب . هاهم أولاء . قولي لماشا ، أرجوك ، إنني سأكون في غرفتي .

(يخرج) .

ستار

---

(١) على يد الآخر : لحن ثنائي مشهور في اوبرا دون جوان لموزار .

الفصل الثاني

« في الريف ، بعد ثمانية أيام . تمثل خشبةُ المسرح صالة كبيرة ، المائدة مُعَدّة . سماور ، شاي وقهوة . على مقربة من الجدار بيانو وأدراج للموسيقا .

المشهد — ١ —

« ماري ايفانوفنا ، الأميرة وبطرس سيمينوفتش على الطاولة » .

بطرس سيمينوفتش: آه نعم ! يا أميرة . يبدو أنك منذ زمن قريب كنت تغنّين روزين (١) ، بينما أنا ... أنا عاجز الآن عن أن أغني حتى لحن دون بازيلو(١) .

الأميرة : ابناي يستطيعان أن يغنّيا الآن ، لكننا في زمن آخر .

بطرس سيمينوفتش: نعم ، في زمن وضعي . لكن الأميرة ، بنتاك ، تعزف بجد ، عزفاً حسناً جداً . أما يزالون جميعاً نائمين ؟

ماري ايفانوفنا: أجلْ ، ذهبوا أمس مساء في نزهة على الجياد ، في ضوء القمر . وعادوا في وقت متأخر جداً . كنتُ أُرضعُ الصغير ، وسمعتهم يدخلون .

بطرس سيمينوفتش: ومتى ستعودُ زوجتي الكريمة ؟ هل أرسلت المركبةَ لتأتي بها ؟

---

(١) روزين ودون بازيلو : شخصيتان في حلاق اشبيلية ، اوبرا روسيني .

ماري ايفانوفنا: اوه ! نعم ، ذهبتْ مبكّرة . ولن تلبثَ طويلاً حتى تعود .

الأميرة : أمن الممكن أن آلين ايفانوفنا ذهبتْ فقط لتعود بالأب جيراسيم ؟

ماري ايفانوفنا: نعم ، هذه الفكرة خطرتْ لها أمس وذهبت إليه على الفور .

الأميرة : أية طاقة ! أنا معجبة بها .

بطرس سيمينوفتش: اوه ! أما الطاقة فليست هي التي تنقصنا . (يأخذ سيجاراً) . على كل حال ، سأذهب لأدخن ولأتنزّه مع الكلاب ريثما ينهض الشباب من نومهم .

(يخرج) .

الأميرة : لعلي مخطئة ، يا عزيزتي ماري ايفانوفنا ، لكن يبدو لي أنك مهمومة بذلك كله أكثر من اللازم . وأنا أفهم ذلك . إنه سمو روحي عظيم . لكنْ ماذا يضيرك . لو أعطى الفقراء ؟ إننا نفكرّ أكثر مما ينبغي بأنفسنا .

ماري ايفانوفنا: نعم ، لو أن الأمرَ بقي هنا ؛ لكنك لا تعرفينه ، ولا تعلمين كل شيء . ليست المسألة مسألة إعانة الفقراء ، بل إنها انقلابٌ تام ، هدمُ كل شيء . . .

الأميرة : لا أريد أن أتدخل في حياتك العائلية ، لكنْ لو سمحتِ ...

ماري ايفانوفنا: كلاّ ، إنني اعتبركِ من العائلة ، ولا سيّما الآن .

الأميرة : كنتُ سأنصحكِ أن تقولي بإخلاص وبصدق ما ترغبين فيه وأن تتفاهمي معه . . . إلى بعض الحدود . . .

ماري ايفانوفنا ، بصوت منفعل : لا حدودَ هنا . إنه يريد أن يعطي كل شيء . يريدني الآن ، في سني ، أن أغدو طاهية وغاسلة .

الأميرة : هذا لا يُصدق ! هذا مدهش !

ماري ايفانوفنا ، مخرجة رسالةً : نحن وحدنا ، وأنا سعيدة أن أكشف لكِ عن نفسي . لقد كتبَ إلي رسالةً . سأقرؤها عليكِ .

الأميرة : كيف ، تعيشان تحت سقف واحد ويكتبُ إليكِ رسائل ؟ غريب .

ماري ايفانوفنا: لا ، أنا أفهم هذا . إنه ينفعل ما دام يتكلّم . وأنا قلقة ، في هذه الآونة الأخيرة ، على صحته .

الأميرة : وماذا كتبَ إليكِ ؟

ماري ايفانوفنا: اسمعي ! (تقرأ) . « تلومينني لأنني أفسدت نظام حياتنا القديمة ، وأنني لا أُعطي شيئاً مقابل ذلك ، وأنني لا أقول ما الذي أستطيع أن أفعله لتنظيم حياة عائلتي .

عندما نتكلم نفقد رباطةَ جأشنا ، ولذلك أكتب إليكِ . لقد ذكرتُ لكِ مرات السببَ الذي من أجله لا أستطيع أن أعيش كما عشتُ . أما إقناعكِ بأننا يجب ألاّ نعيش على هذا المنوال بل يجب أن نحيا حياةً مسيحيةً ، فذلك

يستحيل عليّ في رسالة . أنتِ بين اثنتين : إما أن تؤمني بالحقيقة وبالحرية وتمشي معي ؛ وإما أن تؤمني بي وتتّكلي علي من غير تبصّر لتتْبعيني » . (تقف عن القراءة) لا أستطيع أن أفعل هذا ولا ذاك . هذا ما عدا إنني سأعيش تماماً وفق إرادته . إنني أشفق على الأولاد ولا أستطيع أن اتّكل عليه . (تقرأ) « وهذه هي خطّتي(١) : سنُعطي جميع أراضينا للفلاحين ، وسنحتفظ بخمسين هكتاراً وببستان الفاكهة كله ، وأيضاً بالمرج . وسنبذل وسعنا لكي نزرعه بأنفسنا ، لكننا لن نجبر أنفسنا ولن نجبر أولادنا . وما سنحتفظ به سيغلّ علينا نحو خمس مئة روبل .

الأميرة : العيش بخمس مئة روبل ، مع سبعة أولاد ، أمرٌ مستحيل كلّياً .

ماري ايفانوفنا: وانظري ، إنه يعرض فوق ذلك خطةً كاملة : أن نهجر بيتنا لنقيم فيه مدرسةً ، وأن نعيش نحن في كوخ البستاني ، في غرفتين . . .

الأميرة : بدأت أظن أيضاً أن هذا شيءٌ مَرضيّ . وبماذا أجبْتِ ؟

ماري ايفانوفنا: قلتُ إن هذا متعذّر علي ؛ وأنني لو كنتُ وحدي

---

(١) وهذه هي خطتي : من المفيد أن نذكر أن أحد أتباع تولستوي ، الأمير الشاب دميتري خيلكوف ، قد وزع في سنة ١٨٨٦ كل أملاكه على الفلاحين المجاورين ، ولم يحتفظ لنفسه إلا بحصة كحصة أحد الفلاحين ، وهي سبعة هكتارات ، لكي يفلحها بنفسه .

لتبعتُه حيثما ذهب ، لكنْ لا مع الأولاد . تصوّري : إنني أرضع نيكولا الصغير . قلتُ له : لا يمكن أن تحطم هكذا كل شيءٌ. أمن أجل هذا تزوجت ؟وقد صرتُ ضعيفة ، وتقدّمتُ في السن . وليس بالسهل أن تضعَ المرأة تسعة أولاد وترضعهم .

الأميرة : لكني لم أكن أتصوّر إطلاقاً أن الأمور بلغتْ هذا الحدّ .

ماري ايفانوفنا: بقيت الأمور بيننا هنا ، ولستُ أتصوّر ما الذي سينتجُ عن ذلك . لقد امتنع أمس أن يتسلّم المزارعة من فلاحي دميتروفكا وأراد أن يعطيهم الأرض .

الأميرة : يبدو لي أنكِ لا ينبغي أن تقبلي بذلك . نحن جميعاً مضطرّاتٌ أن ندافع عن أبنائنا . إذا كان لا يستطيع أن يملك الأرضَ فلْينقلها إليكِ .

ماري ايفانوفنا: لكني لا أريد ذلك !

الأميرة : أنت مضطرةٌ أن تفعلي ذلك من أجل أولادك . فلْيسجّلْ الأملاكَ باسمك .

ماري ايفانوفنا: قالت له أختي ذلك ، فأجاب أنه لا يملك الحقّ في ذلك ؛ وأن الأرضَ لمن يفلحها ، وأنه مُكْرَهٌ على نقلها إلى الفلاحين .

الأميرة : أرى الآن أن الأمور أعظم خطراً مما كنتُ أظنُّ .

ماري ايفانوفنا: والكاهن يشاطره آراءه .

الأميرة : نعم ، لاحظتُ ذلك أمس .

ماري ايفانوفنا: من أجل ذلك ذهبتْ أختي إلى موسكو . أرادت أن

تستشير كاتباً عدلاً ، وأن تأتي ، على الخصوص ، بالأب جيراسيم ، لكي ينصحه .

الأميرة : أعتقد مع ذلك أن المسيحية ليست في أن يدمّر المرء عائلته .

ماري ايفانوفنا: اوه ! لن يقبل الاستماع إلى الأب جيراسيم . فهو قوي الإرادة ، كما تعلمين ، وإذا تكلّم فأنا لا أحسنُ الردّ عليه . القطيع في الأمر هو أنه يبدو لي مُحقّاً .

الأميرة : ذلك لأنك تحبّينه .

ماري ايفانوفنا: لا أعلم لماذا ، لكن ذلك رهيب ، رهيب . كل شيء باق بلا حلّ . هذه هي المسيحية !

مربيّة الولد ، داخلة: من فضلك ، يا سيدتي ، الطفل يطلبك ، لقد استيقظ .

ماري ايفانوفنا: أنا آتية في الحال . أنا قلقة وهذا يُمرْضُه . أنا آتية ، أنا آتية .

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً من باب آخر ، ممسكاً بورقة . لا ، هذا مستحيل !

ماري ايفانوفنا: وما ذاك ؟

نيكولا ايفانوفتش : انظري . من أجل صنوبرة حقيرة تخصّنا ، سيذهب بطرس إلى السجن .

ماري ايفانوفنا : وكيف ذاك ؟

نيكولا ايفانوفتش : أجل ! قَطَعها ، واشتُكيَ عليه إلى قاضي الصلح الذي حكم عليه بالسجن لمدة شهر . وامرأته تتوسّل .

ماري ايفانوفنا: ألا يمكن أن تفعل شيئاً

نيكولا ايفانوفتش : لا يمكن الآن ؛ وليس هناك سوى شيء واحد ، ألا يبقى لدينا أخشاب ، ولن يبقى المدى . لكن ما العمل ؟ سأذهب إليه وسأرى إن أمكنت مساعدته ... لنصلح ما فعلناه نحن أنفسنا .

(تدخل لوبا ومعها بوريس) .

لوبا : طاب يومك ، بابا . (تقبله) . أين تذهب ؟

نيكولا ايفانوفتش : جئتُ من القرية وسأعودُ إليها . ففيها يُساق بائسٌ جائع إلى السجن ، لأنه . . . .

لوبا : بطرس ، بدون شك ؟

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، هو بطرس .

(يخرج)

لوبا ، جالسة قرب السماور : شاي أم قهوة .

بوريس : سيّان .

لوبا : نجد الشيءَ نفسه دائماً . لا أتوقع نهاية لذلك كله .

بوريس : لست أفهم هذا . أعلمُ أن الشعب فقيرٌ وجاهل ، وأن من الواجب مساعدته ، لكننا لا نساعده بتشجيع اللصوص .

لوبا : كيف نساعده إذن ؟

بوريس : بنشاطنا كاملاً . نستطيع أن نكرس معارفنا كلها لخدمته ، لكن لا يجب أن نعطي حياتنا .

لوبا : لكن بابا يزعم أن هذا بالضبط هو ما يلزمه .

بوريس : لستُ أفهم المساعدة هكذا ؛ يمكن أن نخدم الشعب دون أن نَفْتَقِد حياتنا . وهكذا أريد أن أنظّم حياتي . لو أنك فقط . . .

لوبا : أريد ما تريده ، ولستُ أخشى شيئاً .

بوريس : لكن هذه الأقراط وهذه الزينة ؟

لوبا : الأقراط نستطيع أن نبيعها ، أما الزينة فيمكن أن تكون مختلفة ، دون أن تكون مع ذلك بَشِعةً .

بوريس : أنا أتمنّى أن اتحدّث معه مرةً أخرى . أتظنين أني لن أكون فضولياً لو ذهبتُ إلى القرية لألقاه .

لوبا : أبداً لا . أظنّ أنه قد أخذ يحبّكَ وأنه كان يخاطبك على الأغلب ، أمس .

بوريس : حسناً ! سأذهب إليه .

لوبا : إذهبْ ، وأنا سأوقظُ ايز وتانيا .

(يفترقان)

المشهد — ٢ —

« شارع . ايفان زيابريف ، ممدد على الأرض قرب كوخه ، وهو مغطى بمعطف من جلد الخروف » .

ايفان : ميلاني !

(تخرج بنتٌ صغيرةٌ من الكوخ ، حاملة رضيعاً على ذراعيها . والرضيع يبكي) .

هاتي ماءً ، للشرب !

(تدخل ميلاني الكوخ ، يُسمَعُ صراخ الرضيع . تحمْل الماءَ) .

لماذا تضربين الصغير حتى يصرخ ؟ سأقول ذلك لأمك .

ميلاني : قلْ ذلك لأمي ، إنه يبكي لأنه جائع .

ايفان ، يشرب : كان يمكنك أن تطلبي حليباً من آل ديومكين .

ميلاني : ذهبتُ إليهم فلم أجدْ حليباً . على كل حال ، لا يوجد أحدٌ في البيت .

ايفان : آه ! ليتَ الموتَ يَستْعجل ! هل دقَّ جرسُ العشاء ؟

ميلاني ، صارخةً : لقد دقَّ . ها هو السيدُ يعود .

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً : لمَ أنتَ هنا ؟

ايفان : الذباب كثيرٌ والطقسُ حار .

نيكولا ايفانوفتش : وهل دَفِئْتَ أخيراً ؟

ايفان : إنني أشتعل الآن كأنني في نار .

نيكولا ايفانوفتش : وأين بطرس ؟ أهو هنا ؟

ايفان : وكيف يكون هنا ، في مثل هذا الوقت . ذهب إلى الحقول مع طنبره ، ليُحمّل حزم الشوفان .

نيكولا ايفانوفتش : وما هذا الذي قالوه لي من أنهم سيسوقونه إلى السجن ؟

ايفان : لا شك ، ذهب الدركي ليحضره من الحقول .

(في هذه اللحظة تبرز فلاحة حبلى ، وهي تحمل حزمة من الشوفان ومشطاً ، ولا تلبث أن تبدأ بضرب ميلاني على قفاها) .

الفلاحة : لماذا تركتِ الصغير يبكي ؟ أتسمعينه يبكي ؟ لا تفكرين إلا في التسكع في الشارع .

ميلاني ، تزعق : خرجتُ التوّ . طلب أبي ماءً للشرب .

الفلاحة : سأُريكِ ! . . . (تشاهد المعلّم) . طاب يومُك ، يا معلّمنا ، نيكولا ايفانوفتش . ما هذا الشقاء معهم ! إني أتعذّب ، وأنا وحدي في كل شيء . وها إنهم يسوقون إلى السجن العاملَ الوحيد ، في حين يظل هذا الخامل نائماً .

نيكولا ايفانوفتش : ماذا تقولين ؟ هو مريض !

الفلاحة : هو مريضٌ ، وأنا لستُ مريضةً ! إذا لزم العملُ مرضَ ، لكنه يشفى من مرضه إذا فسقَ أو إذا جرّني من شعري . فليمتْ كالكلاب ، ماذا يهمّني من ذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : ألا تخجلين ؟

الفلاحة : أعلم أن ذلك خطيئة ، لكنني لا أستطيع أن أُسكِتَ قلبي . أنا حبلى ، وأنا اشتغل عن اثنين ! الآخرون أنهوا الحصادَ ، وما يزال عندنا الكثير للحصاد . لا بدّ من الانتهاء ، لكنّ هذا مستحيل . ويجب أن أعود إلى المنزل لأرى ما الذي حلّ بالصغار .

نيكولا ايفانوفتش : سيُحْصَدُ الشوفانُ عنك ، وسأدفع أجرة الحصاد ، وسأطلب حزمه .

الفلاحة : الحَزْم ليس شيئاً ، سأحزم أنا نفسي ، على شرط أن يُحْصَدَ الشوفان . ما رأيكَ ، نيكولا ايفانوفتش ، هل سيموت ؟ يبدو لي مشرفاً على الموت .

نيكولا ايفانوفتش : لا أدري . آه ! حقاً ؛ إنه يبدو مشرفاً على الموت ! أرى أن الأفضل نقله إلى المستشفى .

الفلاحة : اوه ! ياربي (تأخذ بالزعيق) . لا تنقلْه ؛ ليمتْ هنا (لزوجها) . ماذا تريد ؟

ايفان : اودّ أن أذهب إلى المستشفى . أنا هنا أسوأ من الكلب .

الفلاحة : لم أعدْ أعرف ما أفعل . فقدتُ صوابي . ميلاني ، حضّري العشاء .

نيكولا ايفانوفتش : وما عندكم للعشاء ؟

الفلاحة : ماذا تريدُ أن يكون عندنا ؟ بطاطا وخبز . لكننا لا نجد ما نأكله .

(تدخل الكوخ ، تُسمع همهمةُ الخنزير وصراخ الأولاد) .

ايفان ، متأوهاً : اوه ! يا ربي ، على شرط أن يختطفني الموتُ بأسرع وقت !

بوريس ، داخلاً : ألا أستطيع أن أنفعكم بشيء ؟

نيكولا ايفانوفتش : هنا ، لا سبيلَ إلى نفع الآخرين . فالشر شديدُ التأصل . ولا يمكن أن ننفع إلا أنفسنا ، عندما نرى على

ماذا بنينا سعادتنا . هذه أسرة فيها خمسةُ أطفال ، والأم حبلى والأب مريضٌ . ولا طعام عندهم سوى البطاطا ؛ وفي هذه اللحظة تتقرّرُ مسألةُ إن كانوا سيجدون ما يأكلونه في السنة القادمة أم لا ؟ . من المستحيل مساعدتُهم . سأستأجر لهم عاملاً . لكنْ مَنْ سيكون ذلك العامل ؟ بائساً شبيهاً بهذا ، يترك فِلاحتَه بسبب إدمان الخمر أو بسبب الشقاء .

بوريس : عفوك ، لكنْ ماذا تفعل حين تأتي إلى هنا ؟

نيكولا ايفانوفتش : آتي لأتعرف وضعي الخاص : لأعرف مَنْ يُعْنَى لي بالحدائق ، مَنْ يبني بيتي ، من يَصْنَع ثيابنا ، مَنْ يُطعمنا ، من يُلْبِسنا .

(يدخل فلاحون بمناجلهم ، وفلاحات معهن أمشاط . الجميع يحيّون) .

نيكولا ايفانوفتش ، مخاطباً أحد الفلاحين : ما رأيكَ افريم ، ألا ترضى أن تعمل بالأجرة لتحصد لهم ؟

الفلاح ، هازاً رأسه : أودّ ذلك من كل قلبي ، لكنني لا أستطيع ؛ ولم يُنْقَل حصادي . ونحن نُسْرِع في نقله . لكن هل سيموت إيفان ؟

فلاح آخر : ربما قَبِلَ العجوز سيباستيان بهذا العمل ؟ ايه ! يا جَدّي ! يريدون أن يستأجروا عاملاً للحصاد ؟

سيباستيان : اشتغلْ أنت ، إذا شئتَ . النهار اليوم يُطعم طوالَ السنة .

نيكولا ايفانوفتش : جميعهم لا يَشْبعون ، يأكلون الخبز مع الماء ؛ وهم مَرْضى ، وطاعنون في السن ، على الأغلب . انظرْ إلى ذاك العجوز هناك ، إن به فَتْقاً يؤلمه ؛ وهو يعمل من الرابعة صباحاً إلى العاشرة مساءً ، ويتنفّس بمشقة . ونحن ! أيمكننا ، وقد فَهِمْنا ذلك ، أن نعيش مطمئنين ، وأن نعتبر أنفسنا مسيحيين ؟ لا ، لا مسيحيين ، بل أيمكننا فقط أن نعتبر أنفسنا مختلفين عن الحيوان ؟

بوريس : لكنْ ما العمل ؟

نيكولا ايفانوفتش : ألاّ نشارك في هذا الشر ، ألا نملك الأرض . ألاّ نعيش من عملهم . أمّا كيف ننظّم ذلك ، فلستُ أدري . هذه هي المسألة قبل كل شيء ... هكذا جرت الأمورُ معي على الأقل : كنتُ أعيش ولا أفهم كيف كنتُ أعيش . لم أكن أعلم أنني ابن الله ، وأننا جميعاً أبناء الله وإخوة . لكنني عندما فهمتُ ذلك ، عندما فهمتُ أن للجميع حقوقاً متساويةً في الحياة ، انقلبتْ حياتي كلها . على كل حال ، لا أستطيع أن أشرح لك ذلك الآن . أحب أن أقول لك فقط : إنني كنتُ أعمى من قبل كما أن أسرتي عمياء ، والآن انفتحتْ عيناي . ويستحيل عليّ ألا أرى . لكنني إذ رأيتُ ، فلا أستطيع أن أستمرّ في حياتي هكذا . على كل حال ، يجب أن نفعل الآن ما يمكننا فعلُه .

(يظهر الدركي وبطرس وزوجته وصبي) .

بطرس ، جاثياً أمام نيكولا ايفانوفتش : سامحْني بجاه المسيح ، لقد هلكتُ . كيف تستطيع امرأتي أن تتخلّص من هذا المأزق؟ لو أمكن أن يكفلني أحد ؟

نيكولا ايفانوفتش : سأذهب إلى المدينة . وسأكتب طلباً (للدركي) . ألا يمكن تركه الآن ؟

الدركي : معي أمرٌ بسوقه إلى المركز .

نيكولا ايفانوفتش : اذهبْ ، سأستأجر أحداً ، سأفعل ما يمكن فعلُه . هنا ، أنا المجرم حقاً . كيف نعيش هكذا !

المشهد — ٣ —

« في الملكية نفسها . المطر يهطل . غرفة الاستقبال. تانيا جالسة إلى البيانو . عزفتْ لتوّها سوناتة لشومان . قرب البيانو يقف ستيوبا . بوريس جالس . لوبا ، ليز ، ميتروفان ايرميايتش ، الكاهن ، انفعلوا .

لوبا : اللحن المتباطىء رائع !

ستيوبا : لا ، بل اللحن السريع . على كل حال كل ما فيها ساحر .

ليز : هذا حسن جداً .

ستيوبا : ماكنتُ أتصور أنك فنّانةٌ إلى هذا الحد . هذا عزف معلّم حقيقي . من الواضح أن الصعوبات غير موجودة بالنسبة إليكِ . أنتِ معنية بالتعبير فقط ،وأنتِ تعبّرين بطريقة رقيقة ، على نحو رائع .

لوبا : ونبيلة .

تانيا : لكني أحس أن ليس هذا ما كنتُ أتمنّاه وأن كثيراً من الأشيا ناقصة .

ليز : ماذا تطلبين أكثر من ذلك ؟ هذا عجيب !

لوبا : شومان جميل . لكن شوبان يهزّ أكثر .

ستيوبا : هو أكثر غنائيةً .

تانيا : لا يمكن المقارنة بينهما .

لوبا : أنتذكرين مقدّمته الموسيقية .

تانيا : تلك التي تحمل اسم جورج ساند .

(تعزف بدايتها) .

لوبا : ليست هذه ، هذه رائعة لكنها كثيرة التكرار ؛ اعزفي الأخرى .

(تانيا تعزف ما أمكنها أن تعزفه ثم تتوقف) لا ، هذه « بالري » الصغرى .

تانيا : آه ! تلك شيء رائع ، كأنها العناصرُ قبل خَلْق العالم .

ستيوبا ، ضاحكاً : نعم ، نعم . اعزفي أيضاً ، أرجوك ، لكن ، لا . لا بدّ أنك تعبتِ . نعّمنا بصبيحة ممتازة ، بفضلك .

تانيا ، ناهضة وناظرة من النافذة : ها هم الفلاحون مرةً أخرى .

---

(١) اسم جورج ساند : ألفها شوبان في دير قديم في جزيرة مينوركا ، حيث قضى عدة أشهر مع جورج ساند .

لوبا : هذا الذي به تغدو الموسيقا ثمينة . إني أفهم شاول . والشيطان لا يعذّبني . لكني أفهم . ليس من فن في الدنيا يُنْسيك كلّ شيء كالموسيقا .

تانيا : وتتزوجين برجل لا يفهم شيئاً في الموسيقا .

لوبا : بلى ، بوريس يفهمها .

بوريس ، باديَ الشرود : الموسيقا ! بلى ، أحبُّ الموسيقا . لا أهميّة لذلك ، وأنا أغتاظ قليلاً من الأهمية التي قد تتّخذها في حياة الآخرين .

(يُقدَّم على الطاولة مابسٌ فيتناول منه الجميع) .

لوبا : ما أحسن هذا . الخطيبُ هنا والملبّسُ يَظْهر على الفور .

بوريس : آه ! أنا لا يدَ لي في هذا ، أمي هي التي بعثتْ به .

تانيا : أحسنتْ فعلاً . (تدنو من النافذة) . مَنْ تريدون ؟ هؤلاء هم الفلاحون . جاؤوا يقابلون نيكولا ايفانوفتش .

لوبا : لقد خرج . انتظروه .

تانيا : والشِعْر ؟

لوبا : لا ، الموسيقا ثمينة بكونها تستولي علينا ، وتلفّنا وتَحْملنا إلى خارج الواقع . انظري ، كان كل شيء مظاماً ، فلما عزفت استنار كلُّ شيء . لقد استضاءَ كلُ شيء حقاً . فالسات شوبان مهما كُرِّرتْ ، إلا أنها . . .

تانيا : خذي ، هذه . . .

(تعْزف) .

المشهد — ٤ —

« يدخل نيكولا ايفانوفتش . يتبادل التحيات مع تانيا وَستيوبا وليز ولوبا » .

نيكولا ايفانوفتش : أين الماما ؟

لوبا : أظنّ أنها في غرفة الأطفال . بابا ، لو تعلم ما أروع عزفَ تانيا . وأنتَ ، أينَ كنتَ ؟

نيكولا ايفانوفتش : في القرية .

ستيوبا ، ينادي الخادم الذي يدخل : هات سماوراً آخر .

نيكولا ايفانوفتش مصافحاً الخادم : طابَ يومُكَ .

(يخرج الخادم مرتبكاً . يخرج نيكولا ايفانوفتش أيضاً) .

ستيوبا : مسكين آثناس . لقد اضطربَ اضطراباً عميقاً . لم يفهم شيئاً من ذلك . بدا له أننا قد أذنبْنا بشيء ما .

نيكولا ايفانوفتش ، عائداً إلى الصالة : كنتُ ذاهباً إلى غرفتي ونسيتُ أن أقول لكم ما أفكّر فيه . أظنّ أنني أخطأتُ . (لتانيا) . سامحيني إن كان ما أقوله يجرحُكِ ، لأنكِ ضيفُنا ، لكني لا أستطيع أن امتنع عن التصريح به . كنتِ تقولين ، يا لوبا ، إن الأميرة تعزف عزفاً رائعاً ؛ ها أنتم هنا سبعة رجال ونساء أو ثمانيةٌ أصحاء ؛ نِمتْمْ حتى الساعة العاشرة ، وشربتم وأكلتم ، وما زلتم تأكلون ، وتعزفون وتتحدّثون عن الموسيقا ؛ في حين أن الناس هناك ، من حيث عدتُ في هذه اللحظة مع بوريس الكسيفتش ،

نهضوا منذ الساعة الثالثة صباحاً ، بل إن بعضهم لم ينم الليل ؛ المسنّون ، والمرضى ، والضعفاء والأولاد ، والنساء اللواتي يُرْضعن ، والنساء الحوامل ، يعملون بأقصى قواهم لكي نعيش نحن هنا من ثمار كدّهم . وأكثر من ذلك : إن أحدهم ، وهو آخر عامل في الأسرة ، العامل الوحيد فيها ، سيُسْجَنُ بعد قليل ، لأنه قَطعَ في هذا الربيع ، من الغابة التي يُزْعَم أنها لي ، صنوبرةً من مئات آلاف الأشجار التي تنبت فيها . نحن هنا قد اغتسلنا جيداً ، ولبسنا جيداً ، وتركنا في غرفنا أوساخنا وكلّفنا بها عبيدنا ، وها نحن نأكل ونشرب ونتناقش حول شومان وشوبان ، لكي نقرّر من الذي يؤثّر فينا أكثر ، ويطرد متاعبنا قبل غيره . فكرتُ في ذلك وأنا أمرّ قربكم ، ولذلك قلته لكم . فكّروا إذنْ : أيجوز أن نعيش هكذا ؟

(ينهض مضطرباً) .

ليز : هذا حق ، هذا . حقّ .

لوبا : إذا فكّرنا هكذا ، فلا يمكن أن نعيش بعدُ .

ستيوبا : ولم ذاك ؟ لا أعلم لماذا لا نتكلّم عن شومان إذا كان الشعبُ فقيراً . هذا لا يَمْنع ذاك . إذا كان الناسُ ...

نيكولا ايفانوفتش ، بغضب : إذا كان الإنسان بلا قلب ، إذا كان من خشب . .

ستيوبا : دَعْنا ، سأسكت .

تانيا : المسألة رهيبة ، إنها مسألةُ عصرنا ؛ يجب ألا نخشاها ، بل يجب أن نُواجهها مواجهةً ، لنجدَ لها حلاً .

نيكولا ايفانوفتش : لا يجب أن نتوقّع حلها بتدابير عامة . كل واحد منا قد يموت اليوم أو غداً ؛ فكيف نحيا دون أن نتألم من هذا الشِقاق الداخلي الحميم ؟

بوريس : طبعاً ، ليس هناك سوى سبيل واحدة ، هو ألا نشارك في ذلك أبداً .

نيكولا ايفانوفتش : سامحوني إذا جرحتُكم . لم يكن بوسعي ألاّ أقول ما أشعر به .

(يخرج) .

ستيوبا : وكيف لا نشارك في ذلك أبداً ؟ كل وجودنا مرتبط به .

بوريس : هذا بالضبط ما قاله ؛ يجب قبل كل شيء ألا نمالك شيئاً ، وأن نغيّر كل حياتنا ، وأن نَحْيا لا بحيث يَخْدمُكَ الآخرون ، بل بحيث تَخْدمُ الآخرين .

تانيا : هيّا ، أرى أنك تبنّيت تماماً أفكار نيكولا ايفانوفتش .

بوريس : نعم ، فهمتُها قبل قليل لأول مرة . ثم إن ما رأيتُه في القرية ... ما علينا إلا أن نرفع هذه النظّارات التي ننظر بها إلى حياة الشعب وندرك صلة آلامهم بأفراحنا ، هذا كل ما في الأمر .

ميتروفان ايرميليتش : نعم ، لكن الوسيلة ليست في إلغاء وجودنا .

ستيوبا : هذا مدهش: نحن وميتروفان ايرمولتش في قطبين متعارضين ،

وقد اتفقنا . فكلماته نفسُ كلماتي : لا يجب أن نُلغي حياتنا .

بوريس : بالتأكيد . فكلاكما ترغبان في أن تعيشا عيشةً رغيدة ، ولذلك تريدان أن تنظّما حياتكما بشكل يضمن هذا الرغد . (لستيوبا) أنتَ تريد أن تحافظ على النظام الحالي ، وميتروفان ايرمليتش يريد أن يُغيّره .

(لوبا تحدّث تانيا بصوت خفيض . فتذهب تانيا رأساً إلى البيانو وتعزف ليليّةً من ليليّات شوبان . يصمتُ الجميع) .

ستيوبا : هذه جميلةٌ حقاً . هذه تحلّ كل شيء .

بوريس : بل إنها ستنشر الظلام في كل شيء وتُعيد كلَّ شيء إلى ما كان عليه .

(أثناء العزف تدخل ماري ايفانوفنا والأميرة بهدوء وتجاسان لتستمعا . قبل انتهاء الليليّة يُسْمع صوت الجلاجل) .

لوبا : هذه خالتي .

(تمضي إلى لقائها . تستمرّ الموسيقا . تدخل آلين ايفانوفنا والأب جيراسيم حاملاً صليباً على صدره ، ومعهما الكاتب العدل . ينهض الجميع .

الأب جيراسيم : تابعي ، أرجوك ؛ فهذه الموسيقا لطيفة .

(تقترب الأميرةُ منه لتطاب مباركته ، وكذلك الكاهن الشاب) .

آلين ايفانوفنا : فعلتُ ما كنتُ أنوي فعله من قبل . ذهبت إلى الأب جيراسيم وأقنعتُه بالمجيء . سيُسافر إلى كورسك ،

نجحتُ في مشروعي . الكاتبُ العدل هنا والأوراق جاهزة ، ولم يبقَ سوى التوقيع .

ماري ايفانوفنا: ألا تريدين أن تتغدّي . (يضع الكاتبُ العدل الأوراق على الطاولة ويبتعد) . أنا ممتنّةٌ جداً للأب جيراسيم .

الأب جيراسيم : ماذا تريدين مني ؟ ليس هذا هو طريقي تماماً ، لكنني ، بشعوري المسيحي ، اعتبرتُ من واجبي أن آتي .

(تقول آلين أيفانوفنا بضع كلمات بصوتٍ خافت للشباب . يتشاورُ جميع الشباب ويذهبون إلى المصطبة ، ما عدا بوريس ؛ يهمّ الكاهن أيضاً بالانصراف) .

الأب جيراسيم : ابقَ ؛ يمكنك أن تكون نافعاً ، كراعٍ وكأبٍ روحي ، ويمكن أن يُريحك هذا أيضاً . ابقَ إذا كانت ماري ايفانوفنا لا تعارض في ذلك .

ماري ايفانوفنا: اوه ! لا ، أحبّ الأب فاسيلي كأحد أفراد عائلتي . وقد استشرتُه أيضاً ، لكن سلطته ما تزال محدودةً جداً ، بسبب سنّه .

الأب جيراسيم : بالتأكيد ، بالتأكيد .

آلين ايفانوفنا ، تقترب : يا أب جيراسيم ، أنت وحدك القادر على مساعدتنا وعلى إقناعه . إنه رجل ذكي ، عالم ، لكنك تَعْلم أن العالم أقرب إلى الضرر ، في هذه الحالة . المسألة عنده نوعٌ من الضلال . فهو يزعم أن الإنسان لا ينبغي أن يملك شيئاً ، بحسب العقيدة المسيحية . هل هذا ممكن ؟

الأب جيراسيم : الإغواء ، وكبرياء الفكر ، والعصيان ، كل ذلك شَرَحَهُ آباءُ الكنيسة شرحاً وافياً . لكنْ كيف وقَعَ ذلك كله ؟

ماري ايفانوفنا: إن كان لا بدّ من رواية كل شيء ... عندما تزوْجنا كان غيرَ مبال بالدين ، وعشْنا هكذا ، عشْنا عيشةً حسنةً ، أفضل سني حياتنا ، العشرين سنةً الأولى . ثم أخذ يفكّر . ولعل ذلك كان بتأثير أخته أو قراءاته ، لكنه أخذ يفكّر ويقرأ الإنجيل ، وحينئذ أصبح متديّناً جداً ، وأخذ يتردّد على الكنائس والأديرة . ثم هجر كل شيء فجأةً ، وغيرّ نَمطَ حياته كلّياً ؛ وأخذ يعمل بنفسه ؛ وهو لا يسمح للخدم بخدمته ، وعلى الخصوص وزّع ثروته . وهَبَ أمس غابةً وأرضاً . أنا خائفةٌ . فعندي ستةُ أولاد . كلّمْهُ . سأسأله إن كان يرغبُ في مقابلتك .

(تخرج) .

الأب جيراسيم : كثيرون في أيامنا يبتعدون عن الكنيسة . هل الثروةُ له أو لزوجته ؟

آلين ايفانوفنا : له ، وهذه هي المصيبة .

الأب جيراسيم : ما رتبتُه ؟

الأميرة : رتبتُه ليست ذات شأن . أظنّه كان نقيباً .

الأب جيراسيم : كثيرون يبتعدون هكذا . كان ، في اوديسا ، سيدة شُغفت باستحضار الأرواح ، وبدأت تُسيء كثيراً . لكن الله ردّها إلى أحضان الكنيسة .

الأميرة : وافهمْ ، على الخصوص ، هذا الشيء ، سيتزوّج ابني بابنته . وقد وافقتُ على ذلك . لكن البنت تعوّدت الترف ، ويجب أن تكون حياتُها مضمونة ، لا أن تكون عبئاً ثقيلاً على ابني ، بالرغم من أنه شابٌ شغّيل ومرموق من كل الوجوه .

(تدخل ماري ايفانوفنا ، يتبعها نيكولا ايفانوفتش) .

نيكولا ايفانوفتش : طاب يومُكِ ، يا أميرة . (للكاهن) . اعذرني ، ما اسمك ؟

الأب جيراسيم : ألا ترغب في أن أباركك ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، لا أرغبُ في ذلك .

الأب جيراسيم : اسمي جيراسيم فيودوروفتش . أنا سعيدٌ جداً .
(يقدّم خادمٌ وجبةَ طعام خفيفة وخمراً) . الطقس لطيف ومساعدٌ على الحصاد .

نيكولا ايفانوفتش : أظن أنك جئتَ بناءً على دعوة آلين ايفانوفنا لكي أنصرف عن أخطائي وأعود إلى الطريق المستقيمة . وإذا كان الأمرُ كذلك ، فمن غير المجدي سلوك سبل ملتوية ، والأفضل الاتجاهُ رأساً إلى الهدف . لستُ أنكر أني على خلافٍ مع تعاليم الكنيسة ، كنتُ فيما مضى مؤمناً بهذه التعاليم ، ثم أقلعتُ عن هذا الإيمان ؛ لكنني أطابُ من كل قلبي اتّباع الحقيقة ، وسوف أقبلُ بها على الفور ، إن أريتَني إياها .

الأب جيراسيم : كيف يمكنك أن تقول : إنك لا تؤمن بتعاليم الكنيسة ؟ وبماذا يمكن أن نؤمن ، إن لم يكنْ بالكنيسة ؟

نيكولا ايفانوفتش : بالله وشريعته التي أعْطِينا إياها في الإنجيل .

الأب جيراسيم : الكنيسة تعلّم هذه الشريعة .

نيكولا ايفانوفتش : لو كانت تعلّمها لآمنت بها ، لكنها تعلّم الضدّ .

الأب جيراسيم : لا يمكن للكنيسة أن تُعلّم الضد . لأن الربّ ذاته قد أقامها ؛ وقد جاءَ : « أعطيكم سلطاناً ، وشياطين الجحيم لا يقدرون أن يغلبوكم » .

نيكولا ايفانوفتش : قيل هذا بمناسبة شيء آخر تماماً . وإذا اعترفنا حتى بأن المسيح أقام كنيسة ، فكيف أستطيع أن أعلم أنها كنيستكم بالذات ؟ . .

الأب جيراسيم : لأنه قد جاء : « حيث يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي ...»

نيكولا ايفانوفتش : وهذا أيضاً قيل بمناسبة شيء آخر ولا يدلّل على شيء .

الأب جيراسيم : كيف يمكن أن نتنكّر للكنيسة ؟ فهي وحدها تملك النعمة .

نيكولا ايفانوفتش : لم اتنكّرْ لها حتى اقتنعتُ بأنها تَسْند ما هو ضدّ المسيحية .

الأب جيراسيم : لا يمكن أن نُخطىء لأن الحقيقة فيها وحدها . الذين ابتعدوا عنها هم في الخطأ ، أما الكنيسة فمقدّسة .

نيكولا ايفانوفتش : قلتُ لك إنني لا أعترف بذلك ، لأنه قد جاءَ

في الإنجيل « من أعمالهم تعرفونهم ، من ثمارهم تَعْرفونهم»
وقد علمتُ أن الكنيسة تبارك اليمين ، والقتل ، والإعدام .

الأب جيراسيم : الكنيسة تعترف بالسلطات التي أقامها الله ، وتباركُها ..

(أثناء هذا الحديث يدخل بالتتالي : ستيوبا ، لوبا ، ليز ، تانيا ، يتخذون أماكن لهم ويجلسون ليستمعوا) .

نيكولا ايفانوفتش : أعلم أنه لم يجيءْ في الإنجيل فقط « لا تقتل » ، بل قد جاء : « لا تغضبْ » . والكنيسة تبارك الجيوش .
جاء في الإنجيل : « لا تَحلفْ » ، والكنيسة تطلب اليمين .
وجاء في الإنجيل . . .

الأب جيراسيم : عَفْوكَ . عندما يقول بيلاطس : « أحلّفكَ بالاله الحي » يعترف المسيح باليمين مجيباً : « أنتَ قلتَ ذلك ، أنا هو » .

نيكولا ايفانوفتش : دَعْك من هذا ، ماذا تقول ؟ هذا مُضحكٌ حقاً !

الأب جيراسيم : ولذلك فالكنيسةُ لا تسمحُ لكل واحد أن يفسّر الإنجيل ، لكي لا يَضلّ ؛ إنها حريصةٌ على أبنائها كالأم ، وتقدّم لهم التفسيرات الملائمة لوسائلهم . لا ، دَعْني أنهِ كلامي . الكنيسة لا تُرهق أبناءها بأحمالٍ فوق طاقاتهم ، لكنها تطلب إتمام الوصايا ؛ أَحِبَّ ، لا تقتلْ ، لا تسرقْ ، لا تزنِ .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، لا تقتلْني ، لا تسرقْ مني ما سرقْتُه .
نحن جميعاً سرقْنا الشعب ، سرقْنا منه الأرض ، ثم

أسسْنا القانونَ ، القانون الذي يمنع السرقة . والكنيسةُ تبارك ذلك كله .

الأب جيراسيم : الإغواء والكبرياء والروح تتكلّم فيك . أنتَ بحاجةٍ إلى أن تتباهى بروح الكبرياء .

نيكولا ايفانوفتش : كلا ؛ أنا أسألكَ كيف ينبغي لي أن أتصرّف بموجب الشريعة المسيحية ، عندما أعترف بأنني أثمْتُ حين نهبتُ الشعب واستوليتُ على الأرض . ماذا ينبغي أن أفعل ؟ أأستمر في امتلاك الأرض ، فأستفيد من عمل الجياع ، وأعدّهم لهذا الشيء (يشير الخادم الذي يقدّم الوجبةَ والخمر) . أو أُعيدُ الأرض إلى الذين انتزعَها منهم أجدادي .

الأب جيراسيم : يجب أن تتصرّف بحسب ما يليق بابن الكنيسة . لك أسرةٌ وأولاد ، فعليك أن تنفق عليهم وتربّيهم بحسب طبقتهم .

نيكولا ايفانوفتش : لماذا ؟

الأب جيراسيم : لأن الله قد وضعك في هذا الوضع . وإذا شئتَ أن تفعل الخيرَ فافعلْه ، أعْطِ جزءاً من ثروتك ، زُرْ الفقراءَ . . .

نيكولا ايفانوفتش : وما الذي قيل ، مع ذلك ، للشاب الغني : إن الغني لا يستطيع أن يدخل ملكوت السموات(١) ؟

---

(١) ملكوت السموات : الا ستشهاد غير دقيق متى ١٩ – ٢٣ .

الأب جيراسيم : لقد جاء : « إذا شئت أن تكون كاملاً » .

نيكولا ايفانوفتش : لا ريب أنني أريد أن أكون كاملاً . فقد جاء في الإنجيل : « فكونوا أنتم كاملين ، مثل أبيكم السماوي » .

الأب جيراسيم : يجب أن نفهم أيضاً بأية مناسبة قيل هذا .

نيكولا ايفانوفتش : أنا أسعى أيضاً إلى أن أفهم . وكل ما قيل في الموعظة على الجبل ، بسيطٌ ومفهوم .

الأب جيراسيم : هذه كبرياء الروح .

نيكولا ايفانوفتش : لكن أين الكبرياء إذا كان قد قيل : إن ما أُخفي عن الحكماء قد أُظْهر للصغار ؟

الأب جيراسيم : أظهر للمتواضعين لا للمتكبرين .

نيكولا ايفانوفتش : لكن مَنْ المتكبّرُ ؟ أهو أنا ، وأنا أعتبر نفسي إنساناً كسائر الناس ، إنساناً ينبغي أن يعيش بسبب ذلك كما يعيش الجميع ، من عمله ، في نفس الشقاء كاخوته ؛ أم الذين يعتبرون أنفسهم كائنات متميّزة ، كهنةً يعرفون الحقيقة كلها ، ولا يمكن أن يُخطئوا ، ويفسّرون كلام المسيح على طريقتهم ؟

الأب جيراسيم ، وقد جُرحَ : عفوك : لم أجىءْ لأناقش معك مسألةَ : مَنْ المحقّ ؟ ولم أجىءْ أيضاً لأستمع إلى ارشادات . لقد جئتُ إلى هنا ، بناءً على رجاء آلين ايفانوفنا ، لأحدّثك. وأنتَ تعرفُ كل شيء خيراً مني ؛ ومن الأفضل أن نقفل باب حديثنا . وأنا أطلبُ منك للمرة الأخيرة . بجاه الله ،

تُبْ إلى رشدك ، أنتَ مخطىء خطأً فادحاً ، وأنت تُضيع نفسك .

ماري ايفانوفنا: ألا تريد أن تتناول شيئاً ؟

الأب جيراسيم : أشكركِ .

(يخرج مع آلين ايفانوفنا) .

ماري ايفانوفنا ، للكاهن الشاب : ما الذي سيحدثُ الآن ؟

الكاهن : برأيي أن نيكولا ايفا نوفتش قد تكلّم كلاماً صحيحاً ، ولم يستطع الأب جيراسيم أن يعثر على حجّة مقنعة .

الأميرة : لم يدعهُ يتكلم ، ثم إنه استاء ، على وجه الخصوص ، حين رأى أنْ قد نُظِّمَ نوعٌ من المباراة . كان الجميعُ يصغون . واضطرّه تواضُعه إلى الانسحاب .

بوريس : لم ينسحب بسبب التواضع ، بل إن كل ما قاله خطأ . فمن البهديهي أنه لم يجد ما يقوله .

الأميرة : ألاحظ أن تقلّبك المعتاد أخذ يدفعك إلى موافقة نيكولا ايفانوفتش . إذا كنتَ تشاطره أفكاره فلا حاجةَ بك إلى الزواج .

بوريس : أنا لا أقول إلا شيئاً واحداً ، أن ما هو حقٌّ حقٌّ ، ولا يمكنني أن امتنع عن قوله .

الأميرة : أنت آخر من يحق له أن يقول هذا . .

بوريس : ولِمَ ذاك ؟

الأميرة : لأنك فقير ولا شيء عندك ترده – على كل حال : كل هذا لا يخصّنا نحن .

(تخرج ، يتبعها الجميع ما عدا نيكولا ايفانوفتش وماري ايفانوفنا) .

نيكولا ايفانوفتش ، يظل متفكّراً ثم يبتسم لأفكاره : ماري ، لم ذلك ؟ ما الفائدة من دعوة هذا الرجل الضال والجدير بالرثاء . هذه المرأة الصخّابة وهذا الكاهن لمَ يشاركان في حياتنا الداخلية الحميمة ؟ ألا نستطيع أن نتدبّر أمورنا وحدنا ؟

ماري ايفانوفنا : ماذا تريد مني أن أفعل وأنت تريد أن تسلب أولادَك كلّ ما عندهم ؟ لا يمكنني أن أحتمل ذلك بهدوء . لأنك تعلم أنْ لا مصلحة لي ، ولا أحتاج إلى شيء لنفسي .

نيكولا ايفانوفتش : أعلم ذلك ، أعلم ذلك وأصدّقك . لكن المصيبة أنكِ لا تؤمنين بالحقيقة . أعلم أنك ترينها لكنك لم تصمّمي على الإيمان بها . لا تؤمنين بالحقيقة ولا بي . لكنك تؤمنين بكل الناس ، بالأميرة وغيرها .

ماري ايفانوفنا: أنا أومن بك ، وقد وثقتُ بك دائماً ، لكنك تريد أن تلجىء أولادَك إلى التسوّل .

نيكولا ايفانوفتش : هذا الدليلُ على أنك لا تؤمنين . أتظنّين أنني لم أخضْ صراعاً ولم ألقَ خوفاً ؟ وأنا ، الآن ، مقتنع أن ذلك ليس ممكناً فحسب ، بل هو ضروريّ ، هو الشيءُ الضروري الوحيد والصالح للأولاد . أنتِ تقولين :

لو لم يكن لنا أولاد لتبعتِني ، أما أنا فأقول : لو لم يكنْ لنا أولاد لكان من الممكن أن نعيش كما تعيشين . إذ ذاك لن نُهلك سوى نفسينا ، أما الآن فنحن نُهلكهم .

ماري ايفانوفنا : ما حيلتي إذا لم أفهم ؟

نيكولا ايفانوفنا : وأنا أيضاً ، ماذا علي أن أفعل ؟ لأنني أعلم لماذا جئتِ بهذا الرجل المسكين الذي يرتدي جبّةً ، هذا الرجل الذي يحمل الصليب ؛ وأعلم أيضاً لماذا جاءت آلين بالكاتب العدل. تريدون أن أنقل إليكِ أملاكي. ليس بوسعي أن أفعل ذلك ! تعلمين أنني أحبك منذ خمسة وعشرين عاماً من حياتنا المشتّركة ، أحبّك وأريدُ لك الخير ، ولذلك لا أستطيع أن أوقّع هذه الهِبَةَ . وإذا ما فعلت ذلك فلمصلحة الذين نُهِبوا ، لمصلحة الفلاحين . لا يمكنني أن أتصرّف كما ترغبين ؛ يجب أن أعيد إليهم الأرض . جاء الكاتبُ العدل في الوقت المناسب وسأفعل ذلك .

ماري ايفانوفنا : آه ! هذا فظيع ! لمَ أنتَ قاس إلى هذا الحد ؟ تعتبر ذلك خطيّةً . حسناً ! أعطني أنا !

(تبكي)

نيكولا ايفانوفتش : أنتِ لا تعلمين ما تقولين . إذا كنتُ سأهبكِ أنتِ فلن يمكنني أن أعيشَ معك . وعليّ أن أسافر . لا يمكنني الاستمرار في العيش ، ضمن هذه الشروط .

لا يمكنني أن أرى الناس يُظلَمون ويوضعون في السجن ، باسمكِ ، لأن اسمك سيحل محلّ اسمي . اختاري .

ماري ايفانوفنا : ما أقساكَ ! لا يمكنني أن أعيشَ كما تريد . لا يمكنني أن أنتزع من أولادي لأعطي أيّا كان . لمَ تريد أن تهجرني ؟ حسناً ! اذهبْ . أرى أنك لم تعدْ تحبّني ، وأنا أعلمُ لماذا .

نيكولا ايفانوفتش : هيّا ، أنا موافق ، سأوقّع . يا ماري ، أنتِ تطلبين مني المستحيل . (يدنو من الطاولة ويوقّع) . أنتِ أردتِ ذلك . أنا لا أستطيع أن أعيش هكذا .

(يقف ، ويهمّ بالرحيل ، وأخيراً يهرب ممسكاً برأسه بين يديه) .

ماري ايفانوفنا ، منادية : لوبا ! آلين (تهرعان) . لقد وقّع ورحل ! ماذا يجب أن أفعل . قال إنه سيذهب وسيذهب . الحقا به .

لوبا : لقد رحلَ .

ستار

الفصل الثالث

المشهد – ١ –

« تجري الأحداث في موسكو . غرفة كبيرة . منضدة للعمل طاولة مغطاة بالأوراق ، مكتبة . المرآة واللوحات محجوبة بالألواح الخشبية نيكولا ايفا نوفتش يشتغل على المنضدة . النجارُ المعلمُ ينجر » .

نيكولا ايفانوفتش ، عارضاً لوحاً : أهذا حسن ؟

النجار ، مصلحاً منجره : ألم يؤلمك هذا ؟ شدّ عليه أكثر هكذا .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، الأفضل أن نشدّ عليه أكثر . لكن ذلك لم يتأتَّ لي بعد .

النجار : وماذا تُفيد سيادتك نجارةُ الأثاث ؟ نحن ، نجاري الأثاث ، من الكثرة بحيث نجد مشقّة في العيش .

نيكولا ايفانوفتش ، مستأنفاً العمل : أستحي أن أحيا في البطالة .

النجار : هل يناسبُ هذا العمل مكانتك . ولقد أعطاك الله الثروةَ .

نيكولا ايفانوفتش : أنني اعتبرُ أن الله لم يُعطِ شيئاً ، وأن الناس استولوا بأنفسهم على كل شيء ، ونهبوا اخوتَهم .

النجار ، متردداً : نعم ، هذا صحيح ، لكن هذا العمل مع ذلك لا جدوى منه لك .

نيكولا ايفانوفتش : أفهمُ أن يبدو لكَ غريباً أن تراني أكسب رزقي ، في هذا البيت الذي يفيض بالكماليات .

النجار ضاحكاً : كلاّ ، أعرف مقاصد السادة من أمثالك . إنهم يريدون أن يعرفوا كل شيء . مَرِّر المنجرَ الآن .

نيكولا ايفانوفتش : أنت لا تصدق ، وستضحك ؛ لكنني أقول لك : لم أكن أخجل قديماً من أن أعيش هكذا ، أما الآن بعد أن آمنت بشريعة المسيح الذي يقول إننا إخوة فأنا أخجل أن أعيش هكذا .

النجار : إن كنتَ تخجل فوزّعْ أملاكاك .

نيكولا ايفانوفتش : أردتُ أن أفعل ذلك فلم أستطع ؛ وكان لا بدّ من أن أهبها امرأتي .

لوبا ، وراء الباب : بابا ، أيمكن أن أدخل ؟

نيكولا ايفانوفتش : ادخلي ، ادخلي ، الدخول مسموح دائماً .

لوبا ، تدخل : طاب يومُك ، جاك .

النجار : طاب يومكِ ، يا آنسة .

لوبا : عاد بوريس إلى الفوج . أخشى أن يقول أو يفعل ما لا تُحمَدُ عقباه . ما رأيكَ .

نيكولا ايفانوفتش : ماذا يمكن أن يكون رأيي ؟ سيَفعل ما يمليه عليه ضميرُه .

لوبا : هذا هو الشيء الرهيب . بقي له وقتٌ قليل لينتهي وسيُهلك نفسه .

نيكولا ايفانوفتش : أحسنَ صنعاً أنه لم يأتِ إليّ في طريقه ؛ فهو يعلم أنني لن أجد ما أقوله له إلا ما يعرفه بنفسه . قال لي هو نفسه : إن هذا هو ما أجْبره على تقديم استقالته ، وأنه يدرك جيداً أنه لا يوجد نمط حياة أكثر بعداً عن الشرعية ، وأشد قسوة ووحشيةً ، بل ليس هناك شيءٌ أكثر إذلالاً من الخضوع المطاق لشخص تافه هو رئيساك في الرتبة ... إنه يعلم ذلك كله .

لوبا : هذا هو بالضبط ما أخشاه ، أنْ يعلم ذلك . إنه ينوي التصرف بطريقة ما .

نيكولا ايفانوفتش : ضميرُه ، الرب الذي هو فيه ، هو الذي يقرّر ذلك . لو جاء واستشارني لأشرتُ عليه ألا يفعل شيئاً بطريق المحاكمة المنطقية ، بل عندما يتطلّب كيانُه كلّه ذلك . فلا شيء أسوأ من ذاك . أنا مثلاً ، كنتُ أنوي أن أفعلَ ما يأمرني به المسيح : أن أترك أبي وزوجتي وأولادي(١) وأتْبعه ،وكنتُ مستعدّاً للذهاب . فكيف انتهى ذلك ؟ انتهى ذلك بأن عدتُ وبقيتُ معكم في المدينة ، محاطاً بالترف . ذلك لأنني أردت أن أفعل ما يتجاوز طاقتي ، وأنا أجدُ نفسي في وضع مُذلٍّ ، في وضع مُخزْ . أحب أن أعيش ببساطة ، وأن أشتغل ، لكن ذلك يبدو كالمهزلة ، في هذا الجوّ من الخدم والحجّاب . خذي

(١) أترك أبي وزوجتي وأولادي : استشهاد غير دقيق بكلام المسيح .

مثلاً جاك نيكانوروفتش ، لقد رأيتُه يهزأ مني قبل قليل .

النجار : ولمَ تريدُ أن أهزأ منكَ ؟ أنت تدفع لي أجرتي وتسقيني الشاي . وأنا شديدُ الامتنان لك .

لوبا : فكّرتُ إن لم يكن من الأصحّ أن أذهب إليه .

نيكولا ايفانوفتش : يا عزيزتي ، يا حاوتي ، أعلم أن ذلك يشقّ عليك ،وأنك خائفة . وإن كان ينبغي ألا تخافي . أنا رجل فهم الحياة . لن يقع شيءٌ من السوء . كل ما يبدو سوءاً لا يمكن إلا أن يُبهج القلبَ . حاولي أن تفهمي .
أن الإنسان الذي سلَكَ هذه الطريق مجبرٌ على الاختيار . نحن أمام حالات تتعادل فيها كِفّتا المصالح الإلهية والمصالح الشيطانية ، وتتذبذبان . وسيتمّ هنا عمل من أعظم الأعمال الإلهية . كلُّ تدخّل فهو خَطِرٌ وشاق . إن المرء يبذل جهداً عظيماً ليجر حِمْلاً ، وأقل ملامسة قد تَحْطم ظهره .

لوبا : لكن لمَ نتألم ؟

نيكولا ايفانوفتش : هذا كقول الأم : لمَ الألم . الولادة لا تتمّ بلا ألم . وكذلك الأمر في الحياة المعنوية . أحب أن أقول لكِ شيئاً : بوريس مسيحيٌ حقيقي ، ولذلك فهو حر . وإذا لم تستطيعي أن تكوني مثله ، وإذا لم تستطيعي أن تؤمني بالله مثله ، فيجب أن تؤمني من خلاله : أن تؤمني به وبالله .

ماري ايفانوفنا ، من خلف الباب ؛ أيمكنني أن أدخل ؟

نيكولا ايفانوفتش : الدخول مسموح دائماً . أرى عندي اجتماعاً حقيقياً اليوم .

ماري ايفانوفنا: وصَل الساعةَ كاهنُنا ، صديقُنا فاسيلي نيكانوروفتش وهو ذاهب إلى رئيس الأساقفة ليقدم إليه استقالتَه .

نيكولا ايفانوفتس : أممكنٌ هذا ؟ أهو هنا ؟ اذهبي ، لوبا ، وأحضريه .

(تخرج لوبا) .

ماري ايفانوفنا: جئتُ ، في الوقت نفسه ، لأكلّمك عن فانيا . إن سلوكه سيء جداً وعمله رديء جداً بحيث انه لن يستطيع أبداً النجاحَ من صف إلى صف . كلّمتهُ عن ذلك فرد علي رداً غير لاق .

نيكولا ايفانوفتش : تعلمين ، يا ماري ، أني لا أتعاطف مع نمط الحياة الذي تعيشينه ولا مع الطريقة التي يُربّى بها الأولادُ . المسألةُ رهيبة ، بالنسبة إليّ : ألي الحقُّ في أن أظل أنظر بعيني إلى هلاك . . .

ماري ايفانوفنا : لا بد في هذه الحالة من شيء آخر ، شيء محدّد . ما البديلُ الذي باستطاعتك أن تقدّمه .

نيكولا ايفانوفتش : ليس بوسعي أن أقوله لكِ . ولا أقول إلا شيئاً واحداً . أولا : يجب التخلّصُ من هذا الترف المفسد للأخلاق .

ماري ايفانوفنا: لكي يصبحوا فلاّحين . لا أستطيع أن أوافق على ذلك .

نيكولا ايفانوفتش : إذن لا تسأليني عن شيء . إن ما يحزنكِ كثيراً لا بد أن يكون . . .

(يدخل الكاهن ؛ يقبل نيكولا ايفانوفتش)

نيكولا ايفانوفتش : انتهيتَ من ذلك إذن ؟

الكاهن : ما عدتُ أطيق .

نيكولا ايفانوفتش : لم أكن أتوقع الأمر بهذه السرعة .

الكاهن : لم يكن ممكناً غيرُ ذلك . ففي وضعنا لا يجوز أن نظلّ غير مُبالين . لا بد من سَماع الاعتراف ومن المناولة ؛ لكن عندما أدركت أن هذه الطريق ليست الطريق الحقيقية . . .

نيكولا ايفانوفتش : وماذا ستفعل الآن ، إذن ؟

الكاهن : سأذهب إلى رئيس الأساقفة الذي سيمتحنني . وأنا خائف جداً من أن ينفيني إلى دير سولوفكي(١) . فكرتُ حيناً بالهرب إلى الخارج ، وطاب مساعدتك . ثم غيّرتُ رأيي . الجُبن ! وأخيراً ، فان امرأتي . . .

نيكولا ايفانوفتش : وأين هي ؟

الكاهن : هي عند أبيها . كانت أمها عندنا وقد أخذت الصغار . هذا مؤلم جداً . وددتُ لو . . .

(يتوقف ويحبس دموعه) .

نيكولا ايفانوفتش : ليكن الله في عونك ! هل نزلتَ إلى بيتنا ؟

---

(١) دير سولوفكي : دير في جزر البحر الأبيض . وكان الكهنة العصاة ينفون إليه .

آلين ايفانوفنا ، تحمل رسالةً : هذه لكَ ، **نيكولا ايفانوفتش** ، حملها الساعةَ شخصٌ خصيصاً لك . — آه ! أبانا !

الكاهن : لم أعدْ كاهناً ، آلين ايفانوفنا .

آلين ايفانوفنا : أممكن هذا ؟ أية غلطة فادحة ارتكبتَ ؟

الكاهن : لكني وجدت ديننا تنقصُه بعض الأشياء .

آلين ايفانوفنا : آه ! يا إلهي ، أية خطيئة ! هذا مع انك رجلٌ طيّب السريرة ! وها أنت تقع في الخطأ . نيكولا ايفانوفتش إنما هو السبب دائماً .

نيكولا ايفانوفتش : ليس نيكولا ايفانوفتش ، بل المسيح .

آلين ايفانوفنا : نعم ، هذا حسن ، لكن لماذا الإنحراف عن الديانة الارثوذكسية ؟ كل هذا حسن ، وأنا أعلم أنك تفعله بنية حسنة . لكنك تهلك روحك .

نيكولا ايفانوفتش ، بينه وبين نفسه : كنتُ أتوقّع ذلك . لكن ما العمل ؟

آلين ايفانوفنا : ماذا تقول ؟

نيكولا ايفانوفتش ، يقرأ : هذه رسالة من الأميرة . وهذا ما كتبَتْه : « رَفَضَ بوريس أن يستأنف خدمته ، وقد وُضع تحت الحجز . لقد أضعتَه ، فينبغي أن تُنْقذه . وهو في ثُكْنة كروتيزي(١) » .

---

(١) ثكنة كروتيزي : في كروتيزي ، حي من موسكو .

نعم يجب أن أذهب لأراه ، إن أرادوا أن يسمحوا لي بذلك .

(يرفع مئزره ، ويرتدي سترته ويخرج) .

المشهد — ٢ —

« مكاتب . كاتب الدائرة ، حارس يتمشى جيئةً وذهاباً ، عند الباب المواجه . يدخل جنرال يتبعُه مساعدُه . ينهض الكاتب بعجلة ، يقدّم الجنديُ السلاحَ » .

الجنرال : أين العقيد ؟

الكاتب : دُعي من أجل أحد المجنّدين الأغرار ، يا صاحب السيادة .

الجنرال : طيب ، ارْجُهُ أن يأتي .

الكاتب : بأمرك ، يا صاحب السيادة .

الجنرال : ماذا تنسخ هنا ؟ أهي شهادة ذلك المجنّد ؟

الكاتب : بالضبط ، يا صاحب السيادة .

(يسلّمه الكاتبُ الأوراق ويخرج) .

الجنرال ، يسلّم الأوراق إلى مساعده: اقرأْ ، من فضلك .

المساعد ، يقرأ: « جواباً عن الأسئلة التي طُرحتْ علي بصدد :

(١) لماذا لا أريد أداءَ القسم .

(٢) لماذا أرفض أوامرَ الحكومة .

(٣) ما حَملني على التفوّه بألفاظ جارحة لا للساطة

العسكرية بل لكل السلطات ؟أقول جواباً عن السؤال الأول : « لا أؤدي القسم لأنني أومن بعقيدة المسيح . لأن ذلك ممنوعٌ صراحةً في عقيدة المسيح ، في انجيل متى ٥ ، — ٢٣ — ٣٧ ، وفي رسالة القديس يعقوب ٥ ، ٥ ، ١٢ » .

الجنرال : يريدون أن يجادلوا ، هم يناقشون على طريقتهم .

المساعد ، يتابع قراءته : « جاء في انجيل متى ٥ ، ٣٧ بل ليكنْ كلامكم : نعم ، نعم ، لا ، لا ، وما زاد على ذلك فهو من الشرير » . وفي رسالة يعقوب : « ولكنْ قبل كل شيء ، يا إخوتي ، لا تَحْلفوا لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر ؛ ولكن لتكنْ نعـُمكم نعم ، ولا كم لا لئلا تقعوا تحت دينونة » . وأكثر من ذلك ؛ في الإنجيل إشارةٌ إلى أننا يجب ألا نحلف يميناً ؛ لكنْ حتى لو لم يكن ذلك موجوداً لما أقسمتُ اليمين بتنفيذ مشيئة البشر ، لأنني يجب أن أنفـّذ ، بحسب الشريعة المسيحية ، مشيئة الله التي قد لا تتفق مع مشيئة البشر » .

الجنرال : وهم يجادلون أيضاً . لو أصغوا إليّ لما وقَعَ ذلك .

المساعد ، يقرأ: « أرفضُ أن أنفـّذ مطالبَ البشر الذين يُسمّون الحكومة ، لأن . . .

الجنرال : يا للوقاحة !

المساعد : « لأن هذه المطالب مجرمةٌ ووحشيّة . يُرادُ مني أن أدخل الجيش وأن أتعلـّم القتل وأستعدّ له ، بينما يمنعني من

ذلك العهد القديم والجديد ، وضميري على الخصوص .
وعن السؤال الثالث . . .

(يدخل العقيد ووراءه الكاتب . يشد الجنرال على يده) .

العقيد : أكنت تقرأ الشهادة ؟

الجنرال : نعم ، كلام مُهين بشكل لا يُغتفر . هيّا ، تابع .

المساعد : « وعن السؤال الثالث : ما الذي حمَلني أثناء الجلسة على التلفّظ بكلمات مهينة ؟ أجيبُ : إن الذي حملني على ذلك هو رغبتي في خدمة الله ، والتنديد بالكذب الذي يتمّ باسمه . وآملُ أن أحتفظ بهذه الرغبة حتى موتي . لأجل هذا . . .

الجنرال : دَعْني ، هذا كاف ، فلا حاجةَ بنا إلى سماع هذه الثرثرة . المهم خصوصاً أن نقتلع الشر وأن نعمل بحيث لا يُفسد البشر (للعقيد) هل كلّمتَه ؟

العقيد : كلّمتُه طوال الوقت . حاولتُ نُصحَه ، وإقناعه بأن الأمور ستزداد سوءاً بالنسبة إليه ، وانه لن يستطيع أن يفعل شيئاً من هذه الناحية . حدّثْتُه عن أسرته . انفعل انفعالاً شديداً ، لكنه كان يكرّر الشيءَ نفسه .

الجنرال : اخطأتَ لأنك تكلّمت كثيراً . نحن عسكريون لا نناقش بل نعمل . استدعوه .

(يخرج المساعد العسكري مع الكاتب) .

الجنرال ، يجلس في مقعد : لا ، عقيد ، ليس كذلك يجبُ أن تُعامَلَ

هذه الكائنات . يجب اتخاذ تدابير حاسمة ، لكي نَبْتر العضو المريض . النعجة الجرباء قد تُعدي قطيعاً . لا داعي للتصرف برفق ؛ أن يكون أميراً ، أن تكون له أم ، أن تكون له خطيبة ، كل ذلك لا يَعْنينا . أمامنا جندي ويجب تنفيذ المشيئة العايا .

العقيد : كنتُ أظنّ فقط أن من الأسهل نصحه .

الجنرال : أبداً لا . لا شيء إلا القرار ، القرار وحده . مرّ بي واحدٌ من النوع نفسه . يجب أن يحسّ أنه تافه ، وأنه ليس سوى ذرّة من الغبار تحت عربة ، وأنه لا يستطيع أن يوقفها .

العقيد : يمكننا أن نحاول دائماً .

الجنرال ، وقد بدأ يحتدّ : ليس ضرورياً على الإطلاق أن نحاول . لا حاجة بي إلى المحاولة . إني أخدم مليكي منذ أربعة وأربعين عاماً ، بذلتُ حياتي وسأبذلها في هذه الخدمة ، وها إن صبياً يريد أن يملي علي سلوكي ! إنه يلقي علي نصوصاً دينية ! عليه أن يناقش ذلك مع الكهنة ؛ أما معي ، فليس سوى شيء واحد : أن يكون جندياً أو سجيناً . هذا كل ما في الأمر .

(يدخل بوريس بين حارسين ؛ يتبعه المساعد العسكري) .

الجنرال ، مشيراً بأصبعه : أَجْلسْهُ هنا .

بوريس : لستُ بحاجة إلى أن يجلسني . سأقف أو سأجلس حيثُ أشاء ، لأنني لا أعترف بسلطتك . . .

الجنرال : اسكتْ ! لا تريد أن تعترف بسلطتي ؟ سأُكرهك على أن تعترف بها !

بوريس ، جالساً على كرسي : كم تخطىء حين تصرخ .

الجنرال : أنْهضْه ، وأجلسه هنا .

(يجبره الجنديان على الوقوف) .

بوريس : تستطيعون أن تفعلوا ذلك . تستطيعون حتى أن تقتلوني ، أما أن تجبروني على طاعتكم . . .

الجنرال : اسكتْ ! واسمعْ ما سأقوله لك .

بوريس : لا أريد أن أسمع ما ستقوله أنتَ لي .

الجنرال : لكنه مجنون ! يجب إرساله إلى المستشفى ليُفْحَصَ . لم يَبْقَ ما نفعله غير ذلك .

العقيد : أعْطيَ الأمرُ لاستجوابه عند الدرك .

الجنرال : حسناً ! أرسلوه ، لكن يجب إلباسُه .

العقيد : هو يأبى ذلك .

الجنرال : ليوثَقْ . (لبوريس) . اسمعْ ما أريد أن أقوله لك . أنا لا أبالي بما سيصيبُك . لكني أنصحُك ، لمصلحتك ، أن تفكّر . ستتعفّن في المعتقل . وستغدو بلا نفع لأحد . دعْك من هذا . لقد ثرتَ أنتَ وثرتُ أنا (يربت كتفه) . هيّا ، أقْسم اليمين ودعْ ذلك كله . (للمساعد) . هل الكاهنُ هنا ؟ حسناً ! ماذا ؟

(بوريس يلزم الصمت) .

الجنرال : لماذا لا تُجيب ؟ هذا أفضلُ الآن . لن يحطم السوطُ المراوة . احتفظْ بأفكارك لنفسك . ستنتهي مدةُ خدمتك . ولن نُسيء معاملتك . ما رأيكَ إذن ؟

بوريس : لم يَبْقَ لديّ ما أقولُه . قلتُ كلّ ما عندي .

الجنرال : تقول إن الإنجيل يحوي هذه الآيةَ أو تلك . الكهنةُ هم الذي يعرفون ذلك . فحدّثْ الكاهنَ في ذلك ، ثم فكّرْ قليلاً . هذا أفضل . الوداع ، أمل أن ألقاك ، عندما اهنئك على كونك في خدمة القيصر . أَرسلْ الكاهن !

(يخرج . يتبعه العقيد والمساعد العسكري)

بوريس ، للكاتب والجنديين : أتسمعون كيف يتكلّمون ؟ هم يعلمون جيداً أنهم يخدعونكم . لا تَستْسلموا لهم . اتركوا بنادقكم وامضوا . تعرّضوا للجَلْد بالسياط في كتائب التأديب ، ولا تكونوا خدماً لهؤلاء الكذّابين .

الكاتب : لا ينبغي لهذا أن يكون . لا نستطيع الاستغناء عن العسكريين . هذا مستحيل .

بوريس : وكيف لاينبغي أن نجادل ؟ لا بد من ذلك لكي نعلم ما يريده الله منا . لكن الله يريد أن . . .

أحد الجنديين : وكيف يُعلنون إذن : « المحاربون المحبون للمسيح(١) .» .

---

(١) المحاربون المحبون للمسيح : منذ العصور الوسطى كانت تستخدم في الصلوات هذه العبارة المترجمة عن اليونانية : « فيلوكريستون ستراتوما » .

بوريس : لم يَرِدْ هذا الكلام قط. الكذّابون هم الذين اخترعوا هذا .

أحد الجنديين : يجب أن يكون رؤساء الأساقفة عالمين بذلك .

(يدخل ضابط درك يتبعه كاتب) .

ضابط الدرك ، للكاتب : هل المجنّد الأمير تشيريمشانوف هنا ؟

الكاتب : ها هو ذا ،

الضابط : تعال إلى هنا . أأنت الأمير بوريس سيمينوفتش تشيريمشانوف الذي رفض أن يؤدي اليمين ؟

بوريس : أنا نفسي .

الضابط ، يجلس ، ويدلّه على كرسي في مواجهته : أرجوك أن تجلس.

بوريس : أعتقد أن حديثنا لا طائل منه .

الضابط : لا أعتقد . على الأقل لك . اسمع . لقد نُقِلَ إليّ أنك ترفض الخدمة العسكرية وأداء اليمين ؛ ولذلك يُشَكّ بأنك تنتمي إلى الحزب الثوري . وهذا ما أريد أن أفحصه . إن كان ذلك صحيحاً فسنكون مجبرين على إبعادك عن الخدمة العسكرية ، وعلى نَفْيِكَ ، أو طردك ، بحسب درجة انضوائك إلى الثورة . . وإلاّ ، تركْناك للإدارة العسكرية . أترى ، أنا صريح معك ؛ وأنا أتكلّم على المكشوف ، وآمل أن تبدي لنا الثقة نفسها .

بوريس : اولاً ، ليس بوسعي أن أثق بالذين يَرْتدون هذا اللباس (يشير إلى البزّة العسكرية) . ثانياً ، إنك تقوم بمهمة لا

أقدّرها ، بل أنا اشمئز منها أعظم اشمئزاز . لكني لن أرفض الجواب عن أسئلتك . ما الذي تريد أن تعرفه ؟

الضابط : اسمحْ لي أولا : اسماك ووضعاك ودينك ؟

بوريس : تعرفون ذلك كله ، ولن أجيب . ليس هناك سوى سؤال واحد شديد الأهمية عندي : لستُ بالذي يُسمّى ، ارثوذكسياً .

الضابط : فما دينُك ؟

بوريس : لا أستطيع تحديده .

الضابط : والحاصل ؟ . . .

بوريس : لنقل إنه الدين المسيحي بحسب الموعظة على الجبل .

الضابط : اكتبْ (الكاتبُ يكتب) . (لبوريس) . أتعترف بأنك تنتمي إلي دولة ما ، إلى وضع ما ؟

بوريس : لا ، لا أعترف بذلك . أعترفُ بأني إنسان ، خادمٌ لله .

الضابط : ولمَ لا تَعْترف بأنك عضو في الدولة الروسية ؟

بوريس : لأني لا أعترف بأية دولة .

الضابط : ما معنى كونك لا تعترف ؟ أترغب في هَدْم كل شيء ؟

بوريس : بلا شك ، أرغبُ في ذلك وأعمل من أجل ذلك .

الضابط ، للكاتب : اكتبْ . وبأية طريقة تعمل لذلك ؟

بوريس : طريقة التشهير بالرياء والكذب ؛ بنَشْر الحقيقة . قبل قليل ، عندما دخلتَ ، كنتُ أقول لهذين الجنديَّيْن ؛ إن عليهما ألا يُؤْمنا بالكذب الذي يجرّونهما إليه .

الضابط : لكن هل تعترفُ بوسائل أخرى غير التشهير والإقناع ؟

بوريس : لا ، لستُ أنكر فقط أية وسيلة أخرى ، بل أنا أعتبر كلّ عنفٍ أكبر الآثام . لا العنف وحده ، بل الخداع والاحتيال أيضاً .

الضابط : طيّب ، يا سيدي . والآن اسمحْ لي أن أعرف أسماء أصدقائك . أتعرف ايفاشنكوف ؟

بوريس : لا .

الضابط : أتعرف لكين ؟

بوريس : سمعتُ عنه ، لكني لم أره قط .

(يدخل كاهن) .

الضابط : أظنني انتهيت . وأعترف بأنك لست خطراً وأنك خارجٌ عن اهتمام دائرتنا . أتمنّى أن يُخلى سبيلُك على الفور . تحيتي لك .

(يصافحه) .

بوريس : أودّ أن أقول لكَ شيئاً . عفوكَ ، لكني لا أستطيع أن امتنعَ عن قوله : لمَ اخترت مثلَ هذه المهنة السيئة والمُسيئة ؟ لو سألتني لنصحتُكَ بالتخلي عنها . . .

الضابط ، مبتسماً : أشكرك للنصيحة . كانت لي بواعثي . تحيتي أعطيك مكاني ، أيها الأب .

(الكاهن المسنّ ، يحمل الصليب والإنجيل . يطلب الكاتب مباركته) .

الكاهن : كيف تسبّب المتاعب لرؤسائك برفضك القيام بواجبك كمسيحي ، وبرفضك خدمة القيصر والوطن ؟

بوريس ، مبتسماً : واجبي كمسيحي هو بالضبط ما أريد أن أفعله . ولذلك أرفضُ أن أكون جندياً .

الكاهن : ولمَ ترفضُ ذلك . فقد جاءَ : « من يُعطي حياته للآخرين » ، هذا هو المسيحي الحقيقي .

بوريس : نعم ، يُعطي حياته ، ولا يأخذ حياة الآخرين . هذا بالضبط ما أريده ، أن أعطي حياتي .

الكاهن : أنت ، أيها الشاب ، لا تُحاكم محاكمةً سليمةً . قال يسوع للمحاربين . . .

بوريس : مبتسماً : هذا يدل فقط على أن الجنود ، حتى في ذلك الزمان ، كانوا ينهبون ، وقد منَعَهم من ذلك .

الكاهن : لمَ إذن امتنعتَ عن أداء القسم ؟

بوريس : أنت تعلم أن ذلك ممنوعٌ في الإنجيل .

الكاهن : كلا . فعندما يقول بيلاطس : « أحلّفك بالله الحي ، أأنت يسوع ؟ » أجابَ الربُ يسوع : « أنت قلتَ ذلك » . وإذن فاليمين ليست ممنوعةً .

بوريس : ألا تخجل ، وأنت الشيخ !

الكاهن : لا تركَبْ رأسَك، أنصحكَ بذلك . لن نغيّر العالم . أدِّ القسمَ وستكون مطمئناً . أما ما هو خطيئةٌ وما ليس خطيئةً فدع الكنيسة تبتّ في ذلك .

بوريس : تبتّ لك ! ألا تخاف من حمل هذه الخطايا على ظهرك ؟

الكاهن : أية خطايا ؟ ؟! أني تربّيتُ في الإيمان الراسخ . وبما أنني عشتُ ثلاثين سنةً في الكهنوت، فلا يمكن أن تكون لي خطايا .

بوريس : من الذي يرتكب الخطيئة ، عندما تخدعون كل هؤلاء الناس . ما الذي في دماغهم ؟

(يشير إلى الحارس) .

الكاهن : ليس لنا أن نَحْكم على هذا ، أيها الشاب ؛ ما يلزمنا هو طاعةُ رؤسائنا .

بوريس : دَعْني . أنا أرثي لك ، ولا أَستمعُ إليك إلا باشمئزاز . ليتك كنت كالجنرال الذي كان هنا قبل قليل ، لكنك تضع صليبا ، وتحمل بيدك الجيلاً ، وأنت تعظني باسم المسيح لكي أتخلّى عن المسيح . امضِ . امضِ . امضِ (مضطرباً) . امضِ ودعْني . هيّا . خلوني حتى لا أرى أحداً . أنا متعبٌ . أنا مُتعب للغاية .

الكاهن : وداعاً ، إذنْ .

(يدخل المساعد العسكري ، يجلس بوريس في الصدر) .

المساعد العسكري : وماذا جرى ؟

الكاهن : عناد شديد . خروج على الطاعة .

المساعد العسكري : إذن . هو لا يريد أن يؤدي القسم ولا أن يقوم بالخدمة العسكرية ؟

الكاهن : إطلاقاً .

المساعد العسكري : يجب إذن نقله الى المستشفى العسكري .

الكاهن : آه ! نعم . يجب أن يُعتبر مريضاً . هذا أكثر ملاءمةً . لأن هذه القدوة مُعْدِيةٌ أحياناً .

المساعد العسكري : سنضعه في قسم الأمراض العقلية ، لكي يُراقَبَ . وقد صدرَ الأمرُ بذلك .

الكاهن : بدون شك . تحيتي لك .

(يخرج) .

المساعد العسكري ، يدنو من بوريس : تعال ، من فضلك . فمعي أمر باقتيادك .

بوريس : إلى أين ؟

المساعد العسكري : إلى المستشفى العسكري ، لبعض الوقت ، حيث ترتاح وحيث يتسنى لك الوقتُ للتفكير .

بوريس : فكّرتُ منذ زمن طويل . هيّا . لِنذهبْ .

(يخرجان) .

المشهد — ٣ —

« صالة مستشفى . طبيب عجوز وطبيب شاب . مرضى بمباذلهم ، خدم الصالة بقمصانهم » .

ضابط مريض : قلتُ لك : إنك تزيدني مرضاً . لقد شعرتُ عدة مرات بالتحسّن .

الطبيب : لا تضطربْ . أنا أقبل بالتوقيع على بطاقة خروجك .
لكنك تعلم جيداً أن الحرية خطرٌ عليك . ولو علمتُ أنك
ستجدُ من يَعْتني بك . . .

الضابط المريض : أتظنّ أنني سأعود إلى الشرب ؟ لا ، لقد تلقّنْتُ
درساً . لكنّ كلّ يوم أقضيه هنا يُسهم في هلاكي . أنتَ
تَفْعل عكس ما يجب عليك أن تفعله (محتدّاً) . أنت
قاس . أنت تحسّ بالراحة هنا .

الطبيب : اهدأْ !

(يشير إلى الممرضين الذين يقتربون من الخلف) .

الضابط المريض : النقاش حسنٌ ونحن أحرار ، أما بالنسبة إلينا ،
بين المجانين . . . (للممرضين) . لا تقتربوا ! ارجعوا !

الطبيب : أرجو أن تهدأ .

الضابط المريض : أنا ، أرجوك أن تدَعني أخرج .

(يطلق صرخة وينقض عليه . يمسك به الممرضون ويقتادونه) .

الطبيب الثاني: ها إن ذلك يعود إليه . كاد يُصيبك .

الطبيب : مدمنٌ و . . . لا حيلةَ لنا . مع أن هناك تحسّناً طفيفاً .

المساعد العسكري ، داخلاً : طاب يومكما .

الطبيب : طاب يومُك .

المساعد العسكري : جئتكم بشخصٍ مثير للاهتمام . إنه أميرٌ يُدعى
تشيريمشانوف ، عليه أن يؤدي الخدمة العسكرية ، لكنه

رفض ذلك محتجاً بالإنجيل . أرسلتُه إلى الدرك ، فأعلن هؤلاء أن حالته لا تدخل في اختصاصهم وقالوا إنه لا ينطوي على أية صفة خطرة . ووعظه الكاهن ، لكن بدون جدوى .

رئيس الأطباء ، ضاحكاً : كالعادة دائماً ، تأتون به إلينا كمرجع أخير . حسناً ! هاته .

(يخرج الطبيب الثاني) .

المساعد العسكري : يُقال إنه شاب متعلم جداً ، وخطيبته ثرية . هذا مدهش . أجدحقاً أن مكانه هو عندكم .

الطبيب : نعم ، مس الجنون . . .

(يُدخَل بوريس)

الطبيب : أهلاً وسهلاً . اجلس ، أرجوك . سنتحدث قليلا . دعنا .

بوريس : أرجوكم ، أن تحبسوني إنْ أمكنَ ، بأسرع وقت ، إن كانت نيتكم حبسي في مكان ما ، وأن تدعوني أستريح .

الطبيب : عفوك ، لكن من الضروري مراعاة الأنظمة . بعض الأسئلة فقط . بمَ تحس ؟ وأين تتألم ؟

بوريس : لا أتألم ، وصحتي جيدة .

الطبيب : نعم ، لكنك لا تتصرف كسائر الناس .

بوريس : أتصرفُ كما يأمرُني ضميري .

الطبيب : أنت ترفض أن تؤدّي خدمتك العسكرية . ما الدافع ؟

بوريس : أنا مسيحي ولا يجوز لي أن أقتل .

الطبيب : لكن يجب الدفاع عن الوطن في وجه الأعداء ، ويجب أن نُصْلح الذين يخلّون بالنظام العام .

بوريس : لا أحد يُهاجم الوطن ، والمُخلّون بالنظام بين رجال الحكومة أكثر عدداً من المخلين بالنظام بين الذين يعذّبونهم .

الطبيب : ماذا تقصدُ بذلك ؟

بوريس : انظرْ مثلا إلى الخمر ، وهو مصدرٌ كبير من مصادر الشر ؛ الحكومةُ هي التي تبيعه ؛ والحكومة تنشر ديناً خاطئاً ، كاذباً ؛ ثم هناك الخدمة العسكرية المطلوبةُ مني وهي الوسيلة الأولى للفساد ، والحكومة هي التي تطلبها .

الطبيب : لا لزوم إذن ، بحسب رأيك ، لا للحكومة ولا للدولة ؟

بوريس : لا أدري ، لكنني أعلمُ علمَ اليقين أنني بغنى عن المشاركة في الشر .

الطبيب : وماذا سيُصيب العالم حينئذ . لأنّنا أُعْطينا العقل لنتنبّأ بالمستقبل .

بوريس : وأعْطينا العقلَ أيضاً لنرى أن النظام الاجتماعي يجب أن يقوم على الخير لا على العنف ، وأن رفض أي شخص المشاركةَ في الشر لا يَنْطوي على أيّ خطر .

الطبيب : اسمحْ لي أن أفحصك قليلاً الآن . (يجسّه) . ألا تحسّ بأي وَجَعٍ هنا ؟

بوريس : لا .

الطبيب : ولا هنا ؟

بوريس : لا .

الطبيب : تنفّس ! لا تتنفّسْ ! أشكرك . اسمحْ لي الآن . (يقيس الأنف والجبهة) أغاق عينيك ، من فضلك . امشِ .

بوريس : ألا تخجل من ذلك ؟

الطبيب : ممّ ؟

بوريس : من كل هذا الرياء . لأنك تعلم أنني سليمُ الجسم ، وأنهم أرسلوني إلى هنا لأنني رفضتُ المشاركةَ في الشرّ الذي يَقترفونه ، وأنهم لا يملكون ما يردّون به على الحقيقة ، ولذلك تراهم يتظاهرون بأن يعتبروني غير طبيعي ؛ وأنت تؤازرهم في هذه الحالة . هذا عملٌ حقيرٌ ومُخزٍ . دَعْكَ من هذا !

الطبيب : ألا تريد أن تمشي ؟

بوريس : لا ، لا أريد أن أمشي . تستطيع أن تعذّبني كما تشاء ، لكنْ تصرّفْ بنفسك ، أما أنا فلن أساعدك . (بحرارة) . دعْني !

الطبيب ، يضغط على زر . يدخل ممرّضان : اهدأْ . أفهمُ أن تكون أعصابُك مهتاجةً . ألا تريد أن تذهب إلى غرفتك .

(يدخل الطبيب الثاني) .

الطبيب الثاني: جاءَ زوارٌ يطالبون مقابلة تشير يمشانوف .

بوريس : مَنْ هم ؟

الطبيب : السيد سارنتزيف وابنتُه .

بوريس : أودّ لو أراهما .

رئيس الأطباء : حسناً ! استقبلْهما . تستطيع أن تستقبلهما هنا .

(يدخل نيكولا ايفانوفتش ولوبا) .

الأميرة على الباب تقول : اذهبا ، سأذهب بعدكما .

لوبا ، تسير إليه رأساً وتقبّله على جبينه : يا بوريس المسكين !

بوريس : لا ، لا تَرْثي لي . أنا مرتاحٌ جداً ، سعيدٌ جد . وقلبي مبتهجٌ . طاب يومُكَ .

(يقبّل نيكولا ايفانوفتش) .

نيكولا ايفانوفتش : جئت لأقول لك شيئاً مهماً جداً . أولاً ، في كل شيء ، تجاوزُ الحدّ أسوأ من التقصير ؛ ثانياً ، في هذه الحالات يجب أن نتصرّف كما جاءَ في الإنجيل : ألا نفكّر مسبقاً :سأفعل هذا وسأقول هذا ، « فمتى أسلموكم إلى الحكّام فلا تهتمّوا بما تتكلّمون لأن الروح القدس يعلّمكم ماينبغي أن تقولوه » . أي انك لا يجب أن تتصرف بعد أن تقول في نفسك : يجب أن أتصرّف هكذا ، لكن عندما ينفذ إلى كيانِكَ الشعورُ بأنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً آخر ...

بوريس : وهذا ما فعلتُه . لم أكن أفكّرُ برفض الخدمة العسكرية . لكنني عندما رأيتُ كلّ ذلك الكذب ، والمرآةَ الرامزةَ

إلى العدالة ، وتلك الأوراق ، وهذه الشرطة ، لم أستطعْ أن أمتنعَ عن قول ما قلتُه . كنتُ خائفاً فقط حتّى اللحظة التي بدأتُ بها ، ثم بدا لي ذلك بسيطاً جداً ، وملأَني بالفرح .

(تظل لوبا جالسةً وتبكي) .

نيكولا ايفانوفتش : وعلى الخصوص ، لا تصنعْ شيئاً لتكسب المجدَ في عيون الناس ، لتنال استحسانَ الذين تُكْبِرُ رأيهم . أما أنا فأقول لكَ بصراحة ، إذا أديتَ القسمَ على الفور ، وإذا أتممْتَ خدمتك ، فلن يَنْقص حبّي وتقديري لك . بل ربما زادا عما كانا عليه من قبل ، لأن المهم ما يجري في القلب لا ما يجري أمام الناس .

بوريس : هذا مفهوم ، لأنه إن جرى شيءٌ في القلب فسوف يتغيرّ موقفنا بين الناس .

نيكولا ايفانوفتش : هذا ما عندي لأقوله لك . أمُّكَ هنا . وهي مغتّمةٌ جداً . إذا كان بوسعك أن تفعل ما تطلبه منك فافعلْه . هذا ما أردتُ أن أقوله لك .

(تُسمع صرخاتٌ رهيبة في الرواق . يقتحم القاعةَ مريضٌ فيتبعه الممرّضون ويقودونه بالقوة) .

لوبا : هذا فظيع . وستكون أنتَ هنا ؟

(تبكي) .

بوريس : هذا لا يخيفُني . لا شيءَ يخيفني في الوقت الحاضر . أنا

في حالة حسنة ! شيءٌ واحدٌ يُقلقني : وهو بأية طريقة ستُقابلين ذلك . ساعديني . أنا واثقٌ من أنك ستَسْندينني .

لوبا : أيجوز لي أن أفرح ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، ليس ضروريا أن تَفْرحي . وأنا أيضاً ، لن أفرح ، أنا أتألّم من أجله . كم كنتُ سأفرحُ لو كنتُ مكانه ! لكني أتألم وأعلم أن هذا حسنٌ .

لوبا : طيّب . ومتى سيُخلون سبيله ؟

بوريس : لايعلم ذلك أحدٌ . لستُ أفكرّ في المستقبل . الحاضرُ جميلٌ جداً ! وتستطيعين أن تجعليه أجمل .

الأميرة ، تدخل : لا أستطيع أن أنتظر أكثر من ذلك . (لنيكولا ايفانوفتش) هل أقْنعتَه أخيراً ؟ هل قبل ؟ بوريس ! يا عزيزي افهمْ كم تألمتُ . ثلاثون عاماً لم أعشْها إلا لكَ . أربّياك وأجد الرجاءَ فيك . فلما تمّتْ التربيةُ وتحقّق الرجاءُ ، تخلّيتَ عن كل شيء . السجن والعار ! لا ، يا حبيبي بوريس . . .

بوريس : ماما ، أصغي إلي .

الأميرة : لماذا لا تكلّمينه ؟ لقد فَقدْتِه ، أنتِ التي يجب أن تُقْنعيه . أأنتِ مرتاحةٌ ، أنتِ . لوبا ، هلاّ كلّمتهِ .

لوبا : وماذا أستطيع أن أفعل ؟

بوريس : ماما ! حاولي أن تفهمي أنّ هناك أشياء مستحيلة . من المستحيل عليّ أن أطير في الهواء . وكذلك من المستحيل علي أن أؤدي الخدمة العسكرية .

الأميرة : ذلك لأنك تتصوّر أنك لا تستطيع ذلك . هذه مزحةٌ . كلُ الناس أدّوا الخدمة وكل الناس يؤدّونها . أنت ونيكولا ايفانوفتش ابتكرتما مسيحيّةً جديدةً . ليست هذه مسيحية ، وإنما هي تعاليم الشيطان التي ستجعلنا نتألم جميعاً .

بوريس : ومع ذلك فهذا ما يقول به الإنجيل .

الأميرة : لم يقلْ هكذا ، وحتى لو جاءَ هذا في الإنجيل فهو حمقٌ . بوريس ، يا حبيبي ، ارحمْني . (ترتمي على عنقه وهي تبكي) . كل حياتي لم تكن سوى عذاب . لم أكد ألمح بارقةَ سعادة حتى جعلتَ لي منها عذاباً . بوريس . ارحمْني !

بوريس : ماما ، هذا مؤلمٌ لي للغاية . لكني لا أستطيع أن أقول لك شيئاً .

الأميرة : هيّا ، لا ترفضْ ، قلْ إنك ستبذل جهدك .

نيكولا ايفانوفتش : قلْ إنك ستفكّر ، وفكّرْ .

بوريس : طيّب ، طيّب . وأنت أيضاً ، ماما ، ارحميني . فهذا يؤلمني جداً أيضاً .

(تُسمع مرةً أخرى صرخات في الرواق) .

بوريس : أنا في مستشفى للمجانين ؛ وقد يفقد المرءُ حقاً عقله فيه ...

رئيس الأطباء : سيدتي ، قد يكون لهذا نتائج سيئة جداً . ابنك هائج

الأعصاب جداً . أظن أن من الضروري إنهاء المقابلة . يوم الزيارة هو يوم الخميس ، والزيارة حتى الظهر .

الأميرة : طيب ، طيب . سأذهب . إلى اللقاء ، بوريس ! فكِّرْ ، ارحمني ، واستعدّ لزيارتي نهار الخميس لتبشّرني بنبأ سعيد .

نيكولا ايفانوفتش ، يمدّ إليه يده : أعانك الله في تفكيرك ؛ فكّرْ وكأنك ستموت غداً . هكذا فقط يكون قرارُك صحيحاً . إلى اللقاء .

بوريس ، يدنو من لوبا : أنتِ لا تقولين شيئاً لي ؟

لوبا : لا أستطيع أن أكذب . لا أفهم ما جدوى أن تتعذّب وتعذّب الآخرين . لا أفهم ولا أستطيع أن أقول شيئاً .

(تبكي ويخرجون) .

بوريس ، وحده : آه ! ما أقسى هذا ، ما أقسى هذا ! أعنّي ، ياربي !

(يصلي ، يحمل الممرّضون لباس المستشفى) .

الممرّض : يجب أن تغيّر ملابسك .

بوريس ، وقد بدأ يخلع ملابسه : نعم . . . لا ، لا أريد .

(يُلبسونه ملابسه بالقوة) .

ستار

الفصل الرابع

المشهد — ١ —

« في موسكو . بعد سنة من الفصل الثالث . صالة في منزل آل سارنتزيف الذي استعد لأمسية راقصة . يضع الخادم نباتات قرب البيانو .

شجرة عيد الميلاد . تدخل ماري ايفانوفنا مرتدية فستاناً من الحرير الأنيق تتبعها آلين ايفانوفنا .

ماري ايفانوفنا: حفلة راقصة ؟ ليست هذه حفلة راقصة ، هذه أمسية صغيرة ، حفلة راقصة صغيرة ، كما كان يقال في الماضي **حفلة راقصة صغيرة للفتيان** . لأني لا أستطيع أن أرسل دائماً أولادي يرقصون ويشاهدون التمثيليات المنزليةفي منزل آل ماكوفسكي ، ويرقصون في كل مكان . يجب أن نرد المثل بالمثل .

آلين ايفانوفنا : أخاف كثيراً أن يستنتج نيكولا ذلك .

ماري ايفانوفنا: ما العمل ؟ (الخادم) . ضعها هنا . الله أعلم كم أنا زاهدة في تسبيب المتاعب له . لكني أرى أنه أصبح أقل تشدداً الآن .

آلين ايفانوفنا : اوه ! لا ، لكنه لا يظهر ذلك . لقد ذهب إلى المنزل بعد العشاء ، وقلب كل شيء .

ماري ايفانوفنا: وما حيلتُنا في ذلك ؟ ما حيلتُنا في ذلك ؟ لا بد للجميع من أن يحيوا . هم ثمانية . فاذا لم نوفّرْ لهم شيئاً من التسلية ، أقدموا على مالا يعلمه إلا الله . أنا الآن ، على الأمل ، سعيدة من أجل لوبا .

آلين ايفانوفنا : وهل تقدَّم بالطلب ؟

ماري ايفانوفنا: تصرّفَ وكأنه طلبها . فاتّحها ، فقالت : نعم .

آلين ايفانوفنا : ستكون صدمةً رهيبة له أيضاً .

ماري ايفانوفنا: لكنه يعلم ذلك . لا يمكن إلا أن يعلم ذلك .

آلين ايفانوفنا : وهو لا يحبّه .

ماري ايفانوفنا ، للخدم : ضعوا الفواكه على الصوان . مَنْ ؟ الكسندر ميخايلوفتش ؟ طبعاً لا يحبّه ، لأنه نفيُ نظرياته كلها : اجتماعي ، ساحر ، ظريف وطيب . آه ! هذا الكابوس المرعب — بوريس تشيريشانوف — ماذا أصابه ؟

آلين إيفانوفنا : ذهبت ليزّ لتراه . وهو لا يزال في الموضع ذاته . يُقال إنه غدا هزيلاً ، وأن الأطباء يخافون على حياته أو على عقله .

ماري ايفانوفنا: نعم ، إنه ضحيةٌ رهيبة لأفكاره . لقد هلك بسبب ذلك . لم أكن أود أبداً . . . (يدخل عازف البيانو للعازف). جئتَ من أجل الرقصات .

العازف : نعم ، يا سيدتي ، أنا العازف .

ماري ايفانوفنا: اجلسْ ، أرجوك . انتظرْ كي تتناول الشاي ؟

العازف : لا ، يا سيدتي ، أشكرك ..

(يسير نحو البيانو) .

ماري ايفانوفنا: لم أرغب في ذلك قط . . . أحبّ بوريس ، لكنه لم يكن الزوج الذي يصلح للوبا ، ولا سيّما بعد أن يكون قد تولّع بأفكار نيكولا ايفانوفتش .

آلين ايفانوفنا : مدهشةٌ قوةُ القناعة . كم هي عظيمة . لأنه يتألّم ، هم يقولون له إن لم يَمْتثل للأمر فاما أن يظلّ هناك وإما أن يوُضعَ في المعتقل ، وهو يجيبُ دائماً الجواب نفسه .. قالت لي ليزا إنه كان سعيداً بل ومرحاً .

ماري ايفانوفنا: هؤلاء متعصّبون . آه ! ها هو الكسندر ميخايلوفتش !

(الكسندر ميخايلوفش ستاركوفسكي المتألّق ، يقدّم نفسه باللباس الرسمي) .

ستاركوفسكي : جئتُ قبل الوقت بكثير .

(يلثم يد كل من السيدتين) .

ماري ايفانوفنا: هذا أحسن !

ستاركوفسكي : أين ليوبوف نيكولايفنا ؟ كان بنيتها أن ترقص كثيراً لتعوّض الزمن الضائع . تعهّدتُ بمساعدتها .

ماري ايفانوفنا: هي مشغولةٌ بمتمّمات التنّورة .

ستاركوفسكي : سأذهب لمساعدتها . أتسمحين ؟

ماري ايفانوفنا: موافقة .

(ستاركوفسكي يتّجه إلى المخرج . لوبا تظهر في مواجهته . وهي تحمل مخدةً ونجوماً وأشرطة) .

لوبا ، في ثياب السهرة غير المكشوفة : آه ! هذا أنت ! حسنٌ جداً . ساعدْني . هناك في الصالون ، مخدّتان، احملْهما إلي . طاب يومك ، طاب يومك !

ستاركوفسكي : سأطير إليهما .

(يخرج) .

ماري ايفانوفنا، للوبا : اصغي إليّ ، لوبا ، سيأتي أصدقاؤنا ، في هذا المساء ، وسيلمحّ بعضُهم وسيسألون . يُمكننا أن نُعلِنَ . . .

لوبا : كلاّ ، ماما ، كلاّ . ولمَ ذاك . ليسْأَلوا . هذا يشقّ على بابا .

ماري ايفانوفنا: لكنه يعلم ذلك أو يَحزْره ، وسنقوله له عاجلا أم آجلاً . وأظنّ من الأفضل إعلان ذلك اليوم . **لأن هذا هو سر التمثيلية .**

لوبا : لا ، لا ، ماما . أرجوك . سيُفسد ذلك أمسيتي . يجب ألاّ تقولي شيئاً .

ماري ايفانوفنا: كما تشائين .

لوبا : إذن انظري ، في آخر الأمسية ، قبل العشاء . . . هلاّ حملها .

ماري ايفانوفنا: يجب أن أذهب لألقي نظرة خاطفة على ناتالي .

(تخرج مع آلين ايفانوفنا) .

ستاركوفسكي ، يحمل ثلاث مخدّات يثبّتها بذقنه ويدعُها تسقط على الطريق : ليوبوف نيكولايفنا ، لا تامسيها ، سألمُّها . هل صنعتِ الكثيرَ منها . يجب أن تعْرفي كيف ينُظّم ذلك كله . فانيا ، تعال .

فانيا ، يحمل مخدّات أخرى : هذه هي كلها . لوبا تراهنّا ، الكسندر ميخايلوفتش وأنا ، على أيّنا سيفوز بأوسمةٍ أكثر .

ستاركوفسكي : سيكون الأمرُ سهلاً عليك ، فأنت تعرف الجميعَ ، وقد فُزْت عليهم مسبقاً من قبل ، أما أنا فيجب أن أعجب السيدات أولاً وأن أتلقّى المكافآت بعد ذلك . وأنا أُعطيك أربعين نقطة زيادة عليّ منذ الآن .

لوبا : فانيا ، اذهب إلى غرفتي ، من فضلكَ ، واحملْ إليّ الصمغ والكبة اللذين على الرفّ . (يخرج فانيا .) بجاه الله ، لا تكسرْ ساعتي .

فانيا : سأكسرُ كلَّ شيء .

(يخرج راكضاً) .

ستاركوفسكي ، ممسكاً لوباً بيدها : لوبا ، أتسمحين ؟ أنا سعيد جداً . (يلثم يدها) . المازوركا لي ، لكنّ هذا لا يكفيني . ليس لدينا وقتٌ للكلام أثناءَ المازوركا . وأنا بحاجة إلى أن أكلّمك . أتأذنين لي بارسال برقية لعائلتي أعلن فيها أنني مقبولٌ ، وأنني سعيدٌ ؟

لوبا : أجل ، هذا المساء بالذات .

ستاركوفسكي : كلمة واحدة أيضاً : كيف سينظر نيكولا ايفانوفتش إلى هذا الشيء ؟ هل كلّمتِه ؟ هل قلتِ له ؟ نعم ؟

لوبا : لم أحدّثه في ذلك . لكنني سأحدّثه . سيقبل بذلك كما يقبل الآن بكل شيء يخصّ العائلة . سيقول : افعلي كما تشائين ؟ لكنه سيغتمّ في أعماقه .

ستاركوفسكي : لأنني لستُ تشير يمشانوف ؟ لأنني نبيل من نبلاء المجلس ، مارشال النبلاء ؟

لوبا : نعم . وقد صارعتُ نفسي ، وكذبتُ على نفسي بسببه . لا لأن حبي له أقل ، لأنني لا أفعل ما يريد ، بل لأني لا أعرف الكذب . إنه يقول ذلك بنفسه . أنا شديدة الشوق إلى الحياة .

ستاركوفسكي : وهذه هي الحقيقة الوحيدة ، الحياة ! حسناً ! والآخر ، تشير يمشانوف ؟

لوبا ، مضطربة : لا تُكلّمْني عنه . أود لو أستطيع اتهامه ، اتهامه في حين أنه يتألم وذلك لأنني مذنبة بحقّه . لم أعد أعرفُ إلا هذا الشيء ، أن الحب موجود ، الحب الحقيقي ، على ما أعتقد ، الحب الذي لم أضمرْهُ قطّ له .

ستاركوفسكي : أصحيح هذا ، لوبا ؟

لوبا : أتريد أن أقول : إنك أنتَ الذي أُحبه بهذا الحب الحقيقي ، لكني لن أقول ذلك . أُحبكَ ، نعم ، أحبك . . .

ستاركوفسكي : أنتِ ؟

لوبا : أحبكَ ، أنتَ ، حباً مختلفاً ، لكنْ ليس هذا ما أريده . لا حبي الآن ولا حبّي آنذاك هو ما أريده .

ستاركوفسكي : لا ، أنا مسرورٌ من حبي . (يلثم يدها) . لوبا !

لوبا ، تَدْفعه عنها : لا ، لنهتم بالمتمّمات . على كل حال ، وصل الزوّار .

(تدخل الكونتيسة ومعها تانيا وبنت صغيرةٌ) .

لوبا : ماما ستأتي في الحال .

الكونتيسة : نحن أول القادمين .

ستاركوفسكي : لا بد أن يكون للقادمين أول . وقد اقترحت أن تُصْنع سيدةٌ من الكاوتشوك تكون أول القادمين .

(يدخل ستيوبا وفانيا الذي حمل لأخته الصمغَ والكبّة) .

ستيوبا : كنت آمل أن ألقاك أمس في فندق الإيطاليين .

تانيا : ذهبنا إلى منزل خالتي . كانت تخيط للفقراء .

(يدخل طلابٌ ، وسيدات ، وماري ايفانوفنا) .

الكونتيسة : ألن نرى نيكولا ايفانوفتش ؟

ماري ايفانوفنا: لا ، إنه لا يظهر أبداً .

ستيوبا : وكيف انتهت قضية الشاب تشيريشانوف ؟

ماري ايفانوفنا: مايزال المسكين في مستشفى المجانين ؟

الكونتيسة : انظروا إلى هذا العناد الشديد !

مدني : يا للضلال الغريب ! من تراه يُفيدُ ؟

طالب : من فضلك ، رقصة مربّعة !

(يصفّق بيده ، يصطفون ويرقصون) .

آلين ايفانوفنا ، تقترب من ماري ايفانوفنا : هو في اضطراب بالغ . كان عند بوريس ، ولما عاد رأى الحفلة الراقصة ، فنوى أن يذهب . دنوتُ من الباب وسمعتُ حديثَه مع الكسندر بيتروفتش .

ماري ايفانوفنا: وماذا سمعتِ ؟

راقص : **حلقة السيدات ! المراقصون في المقدّمة .**

آلين ايفانوفنا : قرَّرَ أنّ من المستحيل العيش هكذا ، وهو ينوي الرحيل .

ماري ايفانوفنا: كم يحبّ هذا الرجلُ أن يعذّبكم .

(تخرج) .

المشهد — ٢ —

« غرفة نيكولا ايفانوفتش . تُسمَعُ الموسيقا من بعيد . هو بالسترة ، يضع رسالةً على الطاولة . الكسندر بيتروفتش ، في ثياب رثة ، معه »

الكسندر بيتروفتش : اطمئن ، نستطيع أن نذهب إلى القوقاز بدون أي فلس . هناك ستتدبّر أمرك .

نيكولا ايفانوفتش : سنركب القطار حتى تولا ، ومن هناك سنذهب مشياً على الأقدام . هيّا . كل شيء جاهز .

(يضع الرسالة على الطاولة ويخرج . يصادف ماري ايفانوفنا) .

نيكولا ايفانوفتش : لمَ جئتِ ؟

ماري ايفانوفنا: لأرى ما تفعله .

نيكولا ايفانوفتش : عذابي فظيع .

ماري ايفانوفنا: كيف ؟ لماذا ؟ جئت، لأمنعك من ارتكاب عمل وحشي . لمَ تفعل هذا ؟ لمَ ؟

نيكولا ايفانوفتش : لمَ ؟ لأني لا أستطيع أن أستمرّ في العيش على هذا النحو . لا أستطيع أن أحتمل هذه الحياة البشعة الفاسدة .

ماري ايفانوفنا: هذا فظيع ! حياتي التي كرّستُها كليّاً لكَ ولأولادك ، حياتي أصبحت حياةً فاسدةً . (تشاهد الكسندر بيتروفتش).
اصرفْ هذا الرجل على الأقل ، لا أحب أن يكون شاهداً على هذا الحديث .

الكسندر بيتروفتش : فهمتُ . سأذهب .

نيكولا ايفانوفتش : انتظرني هناك ، الكسندر بيتروفتش . سآتي على الفور .

(يخرج الكسندر بيزوفتش) .

ماري ايفانوفنا: ما الشيء المشترك الذي يمكن أن يكون بينك وبين مثل هذا الرجل ؟ ولا يمكن أن نفهم لماذا كان أغلى عليكَ من امرأتك . وإلى أين تذهب ؟

نيكولا ايفانوفتش : تركتُ لكِ رسالةً . لم أكن أُريدُ أن أكلّمكِ . فذلك شاقٌ جداً علي . لكنكِ إن رغبتِ فسأبذل جهدي لأقول لكِ رأيي بهدوء .

ماري ايفانوفنا: لا ، لا أستطيع أن أفهم ماستقول . لمَ تكْرَه وتعاقبُ المرأةَ التي ضحّتْ بكل شيء من أجلك ؟ قلْ لي لمَ ؟ ألأني تردّدتُ على الحفلات الراقصة ، وكنتُ أحبّ الزينةَ ، وكنتُ مغْناجاً . حياتي كلها كانت مكرّسةً للأسرة . وقد أرضعْتهُم بنفسي ، وربّيْتهُم . وفي السنة الأخيرة كلها ، وقع عليّ كل عبء تربيتهم وعبء أعمالنا .

نيكولا ايفانوفتش، يقاطعها: هذا العبء وقعَ عليكِ لأنكِ لم ترْضَيْ أن تعيشي كما اقترحتُ عليك .

ماري ايفانوفنا: لكنّ ذلك كان مستحيلا . اسأل مَنْ شئْتَ . من المستحيل أن نترك الأولاد أميين ، كما كنتَ تريد ، وأن أقوم أنا بالغسل والطبخ .

نيكولا ايفانوفتش : لم أُردْ ذلك قط .

ماري ايفانوفنا: لا يهمّ ، كان شيئاً من هذا النوع . لا ، أنتَ ، مسيحي ، تريد أن تفعل الخيرَ ، وتقول : إنك تحبّ الناسَ . فلماذا تعاقبُ المرأةَ التي كرّستْ لك حياتَها ؟ .

نيكولا ايفانوفتش : كيف أعاقبكِ ؟ إني أحبّكِ كثيراً ، لكن ...

ماري ايفانوفنا: كيف لا تعاقبني وأنت تهجرني ؟ وأنتَ ترحل ؟

وماذا سيقول الناسُ ؟ إحدى اثنتين : إمّا أنني امرأة سيئةٌ ، وإمّا أنك أنت مجنون .

نيكولا ايفانوفتش : لِنفرضْ أنني مجنون ، لكن ليس بوسعي أن أحيا هذه الحياة .

ماري ايفانوفنا: ما الفظيع في دعوتي لأمسية مرةً في الشتاء كله ، وكنتُ أخشى بالضبط ألا يزعجك هذا . ثم اسأل مانيا وفارفار فاسيليييفنا كيف أن الجميع قالوا لي : إنه لا يمكن الاستغناء عن تلك الأمسية ، وأنها ضرورية . أهي جريمة إذن ، جريمة من أجلها أُسَرْبَلُ بالعار ! ولا أُسَرْبَلُ بالعار فقط ! الأهمُ هو أنك لم تعد تحبّني ، وأنك تحبّ الإنسانية على العموم ، وهذا السكيّر الكسندر بيتروفتش ، وأنا ما أزال أحبك ، ولا يمكنني أن أعيش بدونك . لماذا ؟ لماذا ؟

(تبكي) .

نيكولا ايفانوفتش : لكنك لا تريدين أن تفهمي حياتي ، حياتي الروحية .

ماري ايفانوفنا: أود أن أفهم لكنني لا أفهم . أرى أن مسيحيتك حماتْكَ على كره أسرتك وكرهي . أما من أجل أيّ هدف ، فذلك مالا أفهمه .

نيكولا ايفانوفتش : الآخرون يفهمون ذلك جيداً .

ماري ايفانوفنا: مَنْ ؟ الكسندر بيتروفتش الذي يبتزّ مالك .

نيكولا ايفانوفتش : هو وآخرون أيضاً، وتانيا ووفاسيلي نيكانوروفتش(١) الكنْ ما أهميّةُ ذلك . لو لم يفهم ذلك أحدٌ ، لما تغيّر شيءٌ .

ماري ايفانوفنا: فاسيلي نيكانوروفتش عاد إلى الطاعة ، واستأنف خدمته الكنسية ، أما تانيا فهي ترقص الآن وتغازل ستيوبا .

نيكولا ايفانوفتش : هذا مؤسف ! لكن هذا لا يمكن أن يجعل الأبيض أسود ؛ لا يمكنه أن يغيّر حياتي . ماري ! لم يبق فيّ فائدةٌ لكِ . دعيني أرحل . حاولتُ أن أشاركَ في حياتكِ ، أن أُدْخِلَ فيها قوامَ الحياة كلها عندي . لكن ذلك كان مستحيلاً . وينتج عن ذلك أنني أعذّبكِ وأتعذّب . وأنا لا أتعذّب فقط لكني أهْدم عملي . لكل واحدٍ ، حتى الكسندر بيتروفتش نفسه ، الحقُّ في أن يقول ، وهو يقول ، إنني لستُ سوى كذّاب ، وأنني أقول ولا أفعل ؛ وإنني أنادي بالفقر الإنجيلي ، لكني أعيشُ أنا نفسي في الترف بحجة أنني سلّمتُ كل شيء لامرأتي .

ماري ايفانوفنا: وهذا يضايقك بسبب الناس . ألا تستطيع أن ترتفع فوق ذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : هذا لا يضايقني ، لكنني أشعر بالخجل إذْ أهْدمُ العمل الإلهي .

ماري ايفانوفنا: أنتَ نفسك تقول : إن هذا العمل يتمّ بالرغم من

---

(١) فاسيلي نيكانوروفتش : هو الكاهن الشاب في الفصل الأول .

مقاومتنا . لكنْ ليس هذا هو الموضوع . قلْ لي ما الذي يجب أن أفعله ؟

نيكولا ايفانوفتش : قلتُ لكِ ذلك من قبل .

ماري ايفانوفنا: لكنك تعلم ، يا نيكولا ، أن ذلك مستحيل . فكّرْ إذن . ها هي لوبا مقبلةٌ على الزواج . وفانيا أصبح طالباً . وميشاوكاتيا يدرسان . كيف أحطّم ذلك كله .

نيكولا ايفانوفتش : وأنا ماذا ينبغي أن أفعل ؟

ماري ايفانوفنا: افعلْ ما تُنادي به : أن تتحمّل وتحب . ما الصعبُ في هذا ؟ ما عليكَ إلا أن تتحمّلنا ولا تحرمنا من وجودك . مهلاً ، ما الذي يعذّبك ؟

فانيا ، يدخل راكضاً : ماما ، الجميعُ يطالبونك .

ماري ايفانوفنا: قلْ لهمْ إني لا أستطيع المجيء . امضِ ، امضِ !

فانيا : لكنْ تعالي !

نيكولا ايفانوفتش : لا تستطيعين أن تَرَيْ ، ولا تريدين أن تفهميني .

ماري ايفانوفنا: ليست المسألة أنني لا أريد ، بل إنني لا أقدر .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، لا تريدين أن تَفْهمي ، ونحن نتباعدُ أكثر فأكثر . حاولي أن تركّزي فكرك فيَّ للحظة من الزمن ، أن تنتقلي بالفكر وستفهمين . وقبل كل شيء ، إن الحياة التي نحياها هنا حياةٌ فاسدة . أنت تغضبين عندما ألفظ هذه الكلمة ، ولكني لا أستطيع أن أدعو باسم آخر هذه الحياة التي تقومُ كلّها على النهب ، لأن المال الذي

تعيشين به هو ثمنُ الأرض التي تنتزعينها من الشعب .
ثم إني أرى أن هذه الحياة تُفسد الأولاد : « ويلٌ لمن يُغْوي أحد هؤلاء الصغار » ، وأنا أراهم ، بعيني ، يَضيعون ويَفْسدون . لا أستطيع أن أرى سوى رجالٍ يَرْتدون ثيابهم الرسمية ليَخْدموننا كالعبيد . كل عشاء فهو مصدرٌ لآلامي .

ماري ايفانوفنا: لكن ذلك كله موجودٌ دائماً . هذه هي الحالُ عند الناس جميعاً ، وفي الخارج ، وفي كل مكان .

نيكولا ايفانوفتش : لا أستطيع ، منذ أن أدركتُ أننا جميعاً إخوةٌ ، لا أستطيع أن أرى ذلك دون أن أتألّم .

ماري ايفانوفنا: على خاطرك . يمكننا أن نخترع ماشئنا من الأشياء .

نيكولا ايفانوفتش ، بحرارة: هذا بالذات ، هذا النقصُ في الفهم هو المرُعب ! في هذا اليوم ، مثلاً ، قضيتُ الصبيحةَ في دار رجانوف(1) بين البائسين . رأيتُ في تلك الدار ولداً يموت من الجوع حقيقةً ؛ رأيت ولداً صغيراً أصبح مدمناً ؛ رأيتُ غسالةً مسلولةً تغسل البياضَ في النهر ؛ وأعود إلى منزلي فيفتح لي البابَ خادمٌ بربطته البيضاء ؛ ويأمرُ ابني ، وهو فتى ، هذا الخادمَ بأن يحمل إليه كأس ماء ، وأرى هذا الجيش من الخدم الذين يخدموننا . وأذهب بعد ذلك

---

(1) دار رجانوف : دار كبيرة في حي فقير في موسكو يسكنه جمهور الكادحين ، وقد زاره تولستوي في سنة ١٨٨٢ أثناء إحصاء السكان ووصفه وصفاً أخاذاً في مقالته : ماذا ينبغي لنا أن نفعل .

إلى بوريس الذي يبذل حياته في سبيل الدفاع عن الحقيقة ، فأرى ، أنهم يسوقونه عن عامٍ إلى الجنون والموت ، لكي يتخلّصوا منه ، وهو الشديد النقاء والقوة والثبات . أعلمُ علمَ اليقين أنهم يعاملون بمرض قلبه فيهيجونه ويجرونه إلى قسم المجانين الثائرين . آه ! لا ، هذا هو الفظيع ، الفظيع ! وعندما أعود إلى البيت هنا ، أعلم أن إحدى بناتنا التي كانت تفهم الحقيقة ، ولا تفهمني أنا فقط ، قد تنكّرت لخطيبها الذي عاهدتْه على الحب وتنكّرت للحقيقة في آن واحد ، وأنها تنوي أن تتزوج حقيراً ، كذّاباً . . .

ماري ايفانوفنا: أهذا تصرّفك المسيحي !

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، هذا شرٌّ ، وأنا مذنبٌ ؛ لكني أريد فقط أن تضعي نفسك مكاني . قلتُ فقط : إنها تخلّتْ عن الحقيقة . . .

ماري ايفانوفنا: أنتَ ، تقول : عن الحقيقة . الآخرون ، الأكثرية ، يقولون : عن الخطأ . هذا الكاهن فاسيلي نيكاروفتش الذي كان يظن نفسه مخطئاً ، ها هو يعود مع ذلك إلى أحضان الكنيسة .

نيكولا ايفانوفتش : أممكنٌ هذا ؟

ماري ايفانوفنا: كتبَ لليز . تستطيع أن تُريكَ الرسالة . كل ذلك هشٌ . نستطيع أن نقول الشيءَ نفسه عن تانيا . ولم أذكر الكسندر بيتروفتش لأن هذا لم يفعل ما فعله إلا من أجل المنفعة المادية .

نيكولا ايفانوفتش ، مغتاظاً : لِيكنْ . لكني أرجوك أن تفهمي .
إنني اعتبرُ الحقيقةَ حقيقةً ، مع ذلك . يؤلمني جداً أن أذهب . لقد عدتُ إلى البيت ، فرأيتُ شجرةَ عيد الميلاد ، وحفلة راقصة ، ومئات الروبلات مُنْفَقَةً ، في حين يموت الناسُ من الجوع . لا أستطيع أن أحيا هكذا . ارحميني ! لم أعدْ أقدرُ على الألم . دعيني أرحلْ . وداعاً .

ماري ايفانوفنا: إن ذهبتَ ذهبتُ معك . وإذا لم أستطعْ أن أذهبَ معك رميتُ بنفسي تحت القطار الذي يُقِلّك . وَلْيهلكْ الأولادُ ، وميشا ، وكاتيا . إلهي ! إلهي ! ما هذا العذاب ! ماذا فعلتُ ؟ ماذا فعلتُ ؟

(تبكي) .

نيكولا ايفانوفتش ، عَبْرَ الباب : الكسندر بيتروفتش ، عُدْ إلى بيتك . لن أذهب . سأبقى ، كفى !

(يخلع سترته) .

ماري ايفانوفنا ، تقبِّله: لم يَبْقَ في العمر مهلةٌ . يجب ألا نفسد حياتنا بعد ستة وعشرين عاماً من الحياة المشتركة . لن أقيمَ بعد الآن سهرات . لكنْ لا تُعاقِبْني .

فانيا وكاتيا ، يصلان وهما يركضان : ماما ، استعجلي وتعالي .

ماري ايفانوفنا: أنا آتية ، أنا آتية . لقد غفر إذن كلانا للآخر .

(تخرج) .

نيكولا ايفانوفتش : هي طفلة ، طفلةٌ حتماً ، أو هي امرأةٌ ماكرةٌ .
نعم ، طفلةٌ ماكرة . آه ! أرى أنكَ لا تريدُ أن أكون عاملاً في عمالكَ . تريد أن اتّضعَ لكي يستطيع الجميع أن يشيروا إليّ بأصابعهم : إنه يقول مالا يفعل . ليكنْ . هو أدْرى بما يلزمُه . الضعة والاتضاع . نعم ، لكن لا بد من أن أتمكنّ من الارتفاع إليه . . .

ليز ، تدخل : عفواً ، إني أحمل إليكَ رسالةً من الكاهن فاسيلي نيكانوروفتش . كتبَ إليّ ورجاني أن أوصل هذه الرسالة إليك .

نيكولا ايفانوفتش : أمن الممكن أن يكون ذلك صحيحاً ؟

ليز : نعم ، اقرأْ .

نيكولا ايفانوفتش : اقرئي انتِ ، أرجوكِ .

ليز ، تقرأ : « أكتبُ إليكِ راجياً أن توصلي ذلك إلى نيكولا ايفانوفتش . إني نادم على الخطأ الذي دفعني إلى ترك الكنيسة الارثوذكسية وأنا أفرح بالعودة إليها . أتمنّى لكِ ولنيكولا ايفانوفتش الشيء نفسه . أرجوكما أن تغفرا لي » .

نيكولا ايفانوفتش : شدّ ما عذّبوا هذا الفتى المسكين . لكن هذا فظيعٌ مع ذلك .

ليز : جئتُ أيضاً لأقول لك : إن الأميرة وصلت الساعةَ . هي فوق ، في غرفتي ، وهي في أشد حالات الهياج ، وهي تأبى إلاّ أن تراك . لقد رأت ابنها قبل حين . وأظن من

الأفضل ألا تَسْتقبلها . ما الشيء الحسن الذي يمكن أن ينتج من لقائكما ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، ادعيها ؛ ربما كان هذا اليوم يوم امتحان رهيب .

ليز ، خارجة : سأستدعيها .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، يجب أن ينصبّ تفكيرنا على أن الحياة ليست سوى خدمتك . يجب أن أعتقد أنك لا ترسل إليّ هذا الامتحان ! لا لأنك تظنّني قادراً على احتماله ، وأنك تُرسله على قَدْر قواي . وإلاّ لما كان امتحاناً . يا أبي ! أعنّي على تنفيذ مشيئتك لا مشيئتي .

الأميرة ، داخلةً : لقد قبلتَ باستقبالي . وأنتَ تشرّفني حين تستقبلني . تحيّتي لك . ولا أمدّ يدي إليك لأنني أكرهكَ واحتقرك .

نيكولا ايفانوفتش : ما الذي حدث ؟

الأميرة : حدث مايلي وهو أنه أُرسِلَ إلى الفوج التأديبي . وأنت الذي فعل هذا !

نيكولا ايفانوفتش : يا أميرة ، إن كنتِ بحاجة إلى شيء فقولي لي ؛ لكنك إن كنتِ قد جئتِ لتُهينيني فقط ، فأنت تُتعبين نفسك لا غير . أما أنا فليس من إهانة تجرحني ، لأنني معك بقلبي ، وأنا أرثي لكِ .

الأميرة : يا لهذه الرحمة ! وذلك السموّ المسيحي ! لا ، يا سيد سارنتزيف ، لن تخدعني . عرفْتُكَ الآن . أضعتَ

ابني ، ولستَ تُبالي بذلك ؛ فأنتَ تُقيم الحفلات الراقصة ، وخطيبة ابني ، ابنتك ، تتزوّج ، تعقد زواجاً بهجاً يُعجباكَ . وتتظاهر بأنك تحيا حياة البساطة ، وتمارس النِجارةَ ! كم تبدو لي مُقْرِفاً بنفاقاك !

نيكولا ايفانوفتش : اهدئي ، يا أميرة ، قولي ما عندك . لانك لم تأتي فقط لتُهينيني .

الأميرة : ولهذا أيضاً . فأنا بحاجة إلى صبّ جام غضبي بعد أن تألمتُ كثيراً . لكنْ هذا ما يازمني : إنه يُنْقل إلى فوج تأديبي ولستُ أحتمل ذلك . أنت فعلتَ ذلك ، أنتَ ، أنتَ ، أنتَ !

نيكولا ايفانوفتش : الله فعل ذلك ، لا أنا . الله يرى كم أرثي لك . لا تُقاومي مشيئةَ الله . هو يريد أن يمتحنكِ . تحمّلي ذلك بالتسليم .

الأميرة : لا أستطيع أن أتحمّل ذلك بالتسليم . كانت حياتي كلها مركّزةً في ابني ، ولقد اختطفْتَه مني وأضعتَهَ . ليس بوسعي أن أظل هادئة . وقد جئتُ إليك ، وهي آخر محاولةٍ لي ، لأقول لك إنْ أضعتَه فعليك أيضاً أن تُنْقذه . اذهب وابذل وسعك لكي يطلقوا سراحه . اذهبْ وقابل السلطات . اذهبْ إلى القيصر ، اذهب إلى مَنْ شئتَ . فاذا لم تفعَلْ علمتُ ماذا سأفعلُ ، أنا . تعهّدْ لي بذلك .

نيكولا ايفانوفتش : علّميني ما الذي يجب أن أفعله . أنا مستعدٌ لكل شيء .

الأميرة : أكرّر ما قلتُه مرةً أخرى . يجب أن تنتقده . وإذا لم تَنْتقده فتذكّرْ ذلك . ودائماً .

(يتمدّد نيكولا ايفانوفتش على الأريكة . ينفتح البابُ يسمع صوتُ الموسيقا على نحوٍ أعظم) .

ستيوبا : بابا ليس هنا ، تعالوا !

(يدخل الأزواجُ صغاراً وكباراً) .

لوبا ، تشاهد أباها : آه ! أنتَ هنا . سامحْنا .

نيكولا ايفانوفتش ، ناهضاً : لا أهمية لذلك . (يمرّ الأزواج ويظلّ وحده) . رَجعَ فاسيلي نيكانوروفتش . فقدتُ بوريس . لوبا تتزوج . أأنا في الخطأ ؟ في الخطأ لأنني أومنُ بكَ . لا . يا أبي . أعنّي .

ستار

الفصل الخامس(1)

المشهد — ١ —

« فوج تأديبي . المهجع . السجناء قعود أو نيام . بوريس يقرأ الإنجيل ويفسّره . يُساق سجينٌ مُعاقَب » .

الضابط للمعاقَب : آه ! لم يبقَ لك إذن من بوغاتشيف !

(تدخل الأميرة . تُطرَدُ . مشادّة مع ضابط . يُساق بوريس إلى الزنزانة ، ليُجْلَد) .

المشهد — ٢ —

« مكتب المايك . سيجارات ، مزح ، ملاطفات . يُعْلَن عن الأميرة . يُطْلَبُ أن تنتظر . يدخل أصحابُ الطلبات . يتحلّقون . تدخل الأميرة . رفضٌ . يخرجون » .

المشهد — ٣ —

ماري ايفانوفنا ، تكلّم الطبيب عن مرض زوجها : لقد تغيّر ، هو وديع ، لكنه واهن العزم .

---

(1) الفصل الخامس : لم تكد ترسم خطوطه الأولى ؛ وهو مجموعة من الملاحظات، هو مخطط الفصل .

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً : عدم جدوى العلاج . الروحُ أثمن . لكني أقبلُ من أجل زوجتي .

(تدخل تانيا وستيوبا ، لوبا وستاركوفسكي . يجري الحديث عن الأرض . يحاول ألا يجرح أحداً . يخرج الجميع . يبقى وحده مع ليز) .

نيكولا ايفانوفتش : إني متردّدٌ أبداً . أأحسنتُ صنعا . ألا يجب أن أفعل شيئاً . فقدتُ بوريس . رَجَعَ فاسيلي نيكانوروفتش. أنا قدوةٌ للضعف . أرى أن الله يأبى أن أكون خادمه . إن له الكثير من الخدم غيري . وهو بغنىً تام عني . إذا ما فهمنا ذلك بوضوح أكبر هدأتَ نفوسُنا .

(تخرج . يصلي . تدخل الأميرةُ بغتةً عليه ، وتجرحه جرحاً مميتاً . يُهرع الجميع . يقول : إنه جرح نفسه غالطاً . يكتب التماساً للقيصر . يأتي فاسيلي نيكانوروفتش مع الدوبوكريين . يموت . يفرح لأن كذب الكنيسة قد شُهِّرَ به ، ولأن الحياة كان لها معنى في نظره) .

ستار

كل الفضائل تأتي منها[1]

مسرحية في فصلين

١٩١٠

(١) كل الفضائل تأتي منها : مثل روسي ساخر عن الخمرة : « ماء الحياة » .



الشخصيات

العجوز آكولينا : ٧٠ سنة ، ما تزال متينة البنية ، رصينة ، على نمط الزمن القديم .

ميشيل : ابنها ، ٣٥ سنة ، مشبوب العاطفة ، ممتلىء بالأنانية والغرور ، قوي جداً ، متين البنية .

مرثا : كنّتها ، ٣٢ سنة ، متذمّرة ، تتكلم كثيراً وبسرعة .

باراشا : ١٠ سنوات ، بنت مرثا وميشيل .

الجابي تاراس : ٥٠ سنة ، رصين ، يتكلّم بهدوء ، ويعطي نفسه أهمية .

عابر سبيل : ٤٠ سنة ، نحيل ، يتكلم كثيراً ، وهو ثرثار ، وبخاصة عندما يشرب .

اينياس : ٤٠ سنة ، حكّاء ، مرح ، غبيّ .

جار : ٤٠ سنة .

تجري الأحداث في الخريف ، داخل كوخ خشبي .

الفصل الأول

المشهد — ١ —

« الأم آكولينا تغزل ؛ الزوجة مرثا تعجن ؛ الطفلة باراشا تهزّ الرضيع » .

مرثا : اوه ! قلبي لا يتوجّس خيراً . ما الذي منَعه من العودة ؟ هذا ، كالمرة الماضية عندما سافر مع الأخشاب وشرب بنصف المال تقريبا ، ثم إن كل شيء بعد ذلك سيرتدّ علي .

آكولينا : ما جدوى هذه الأفكار السوداء . لم يَفُتْ الوقتُ بعد . فالمكان بعيدٌ جداً . من شيء إلى شيء آخر . . .

مرثا : آكيم عاد منذ زمن . مع أنه سافر بعد رجالنا ؛ ورجالُنا لم يعدْ بعد . ما عندنا غيرُ الهمّ ، هذه سعادتي كلها . . .

آكولينا : آكيم ذهب بطاب ، أما رجالنا فذهب إلى السوق .

مرثا : ما كنتُ سأَقلقُ لو كان وحده ، لكنه سافر مع اينياس . وعندما يكون مع هذا الخنزير فلا بدّ له من أن يَسْكر . عبثاً أكدح طوال النهار ، كل العبء يقع عليّ . لا بدّ لي على الأقل من بعض السرور . لكن سروري كله هو في الحركة من الصباح إلى المساء .

المشهد – ٢ –

« ينفتح الباب ويدخل تاراس ، يصحبه عابر سبيل رث الثياب »

تاراس : طابَ يومكم جميعاً . جئتكم بعابر سبيل .

عابر السبيل ، مسلّماً: تحياتي لأصحاب البيت .

مرثا : أنتَ تُكثِر علينا من هؤلاء العابرين . آوينا واحداً نهار الاربعاء . الدورُ دورُنا دائماً . كان يجب أن تأخذه إلى بيت ستيبايند . فليس عنده أولاد . أما أنا فعندي من العمل ما يكفيني مع أهل بيتي . وأنت تأتي بهم دائماً إلينا .

تاراس : كل واحد بدوره .

مرثا : مهما تقلْ فان عندي أولاداً . ثم إن صاحب البيت ليس هنا .

تاراس : لا يحتاج إلا إلى النوم ، ولن يَحتْمل مكانه معه .

آكولينا ، للعابر : ادخلْ ، تعال واجلسْ ، أهلاً بك .

عابر السبيل : أشكركِ كثيراً . هل تتفضّلون باطعامي ، إن أمكنَ ؟

مرثا : لم تكدْ ترانا ، وتطالب على الفور طعاماً . ألم تجلْ في القرية ؟

عابر السبيل ، متنهّداً : ليس هذا من عادتي ،في مثل وضعي . وليس معي زادٌ .

(تنهض آكولينا ، وتتناول رغيفاً ، وتقطع منه قطعة وتقدّمها له) .

عابر السبيل ، يأخذ الخبز : شكراً .

(يمضي ويجلس على متكأ النافذة ويأكل بشراهية) .

تاراس : وأين ميشيل ؟

مرثا : حَملَ العلَفَ إلى المدينة . حان وقتُ عودته لكنه لم يصلْ بعد . يَخْطر ببالنا دائماً أنْ قد حَدثَ له حادث .

تاراس : ماذا يمكن أن يحدث له ؟

مرثا : لن يحدث له خيرٌ يُذكَر ، أما الشر فيمكن أن نتوقّعه دائماً .

آكولينا ، تعود إلى الغزل وتخاطب تاراس مشيرة إلى مرثا : إنها لا تتوقف عن الكلام أبداً . وما فائدة الكلام ؟ أعلمُ ، بالطبع ، أننا ، نحن النساء ، مهمومات دائماً ، في حين أنه لا يكاد يخرج من البيت حتى يرمي همومه عن ظهره . وفي هذه الحالة ، نتوقّع في كل لحظة أن نراه يعود إلى البيت سكران .

مرثا : كنا سنكون أقل قلقاً عليه لو كان وحده ؛ لكنه اصطحب اينياس .

تاراس ، مبتسماً : واينياس ايفانوفتش هو حقاً هاو كبير للشراب .

آكولينا : كفى كلاماً ، إنه لم ير اينياس كثيراً . وسيذهب في طريقه كما أن اينياس سيذهب في طريق أخرى .

مرثا : قولي ما شئتِ ، يا أمي . أما أنا فقد وصلتْ الأمورُ إلى هنا . (تشير إلى حنجرتها) . مادام بلا شراب فأنا لا أذمّه ،

لكنه إن شرب فأنتِ تعلمين كيف يصبح . لا يجوز لي أن أفتح فمي . مهما أفعلْ فكل شيء يضايقه .

تاراس : آه ! من النساء المسنّات ! لنفرضْ أنه شرب . طيّب ! دَعيه يشرب قليلاً ، ذلك النفّاج . فاذا ما غفا غَفْوة عاد كل شيء إلى طبيعته . لكنكن ، أنتن ، تُحببْن المشاكسة .

مرثا : افعلْ ما تشاء فعندما يسكر لا يرضيه شيء .

تاراس : لكن حاولي أن تفهمي . في بعض الأحيان ، لا يَسعنُا إلا أن نشرب . أنتن النساء المسنّات تبقين في البيت ، أما نحن فلا نستطيع ذلك ؛ إن لنا أعمالا ، أو قد نكون بين الناس . وحينئذٍ نشرب جرعة ، وليس ذلك شراً عظيماً .

مرثا : مهما تقل فنحن جديرات بالرثاء . اوه ! ما أشقّ حياتنا ! لو أُجبرتَ على أن تعمل عملنا لمدة ثمانية أيام فقط لقلتَ الكثير ! يجب أن نَعْجن ونخبز ونطبخ ونغزل وننسج ، ونهتم بالماشية وبالبيت ، ثم يجب أن نغسل الصغار وأن نُلبسهم ونُطعمهم . كلُّ شيء على ظهرنا ، وأقلُّ الأشياء يُضايقه ، هو نفسه يُقرّ بذلك ، ولا سيما عندما يشرب . اوه ! ما أشقى النساء !

عابر السبيل ، وهو يمضغ : هذه هي الحقيقة جميع كوارث الحياة تأتي من الكحول : إنها مَصْدر كل شر .

تاراس : عجباً ، وأنتَ أيضاً تشكو من الكحول .

عابر السبيل : ليس الأمر كذلك تماماً ، لكنني كابدت آلاماً منها ، وكان يمكن أن يكون مجرى حياتي مختلفاً أشدّ اختلاف .

تاراس : برأيي ، أننا إذا شرْبنا شرباً معقولاً ، فلن يضرّنا ذلك .

عابر السبيل : وأنا أقول : إن في الكحول قوةً عطالة كبيرة قادرة على أن تفسد الإنسان كاليّاً .

مرثا : هذا بالذات ما قلتُه : كدّي ، واجتهدي ، فلن تنالي إلا مكافأة واحدة : أن تُشْتمي وتُضْرَبي كالكلاب .

عابر السبيل : وأكثر من ذلك ، أن مِنْ بين هؤلاء الأشخاص مَنْ يَفْقد عقله تماماً ومن يَفْعل أشياء لا يجوز أن تُفْعَل . فهو ما لم يشربْ لا يمسّ شيئاً ، مهما أعطيتَه ؛ لكنه ما ان يشرب حتى يحمل كل ما يقعُ تحت يده . كم ضُربتُ ، بل إنني سُجنت . ما دمنا لم نشرب نفعل كل شيء بشرف وبشكل ملائم — وما إن يشرب ذلك الشخص الذي أحدثك عنه حتى يلتقط كل ما يقع تحت يده .

آكولينا : أعتقدُ أن ذلك يتوقّف على الشخص .

عابر السبيل : يتوقّف على الشخص ما دام في صحة جيدة ، أما هذا فهو مَرَضٌ .

تاراس : عجباً ، مرضٌ ! ما يلزمه إنما هو ركالةٌ قوية ، فمثل هذه الركالة تزيل المرض بسرعة . في هذه الأثناء أتمنّى لكم مساءً سعيداً .

(يخرج . تُنشّف مرثا يديها وتستعد للخروج) .

آكولينا ، تنظر إلى عابر السبيل وترى أنه أكل خبزتَه : مرثا ، يا مرثا ، أعطيه خبزاً أيضاً .

مرثا : ما أكله كافٍ . سأذهبُ لأرى السماور قليلا .

(تخرج ، تنهض آكولينا ، وتدنو من الطاولة ، وتأخذ الرغيف وتقطع منه قطعةً تقدّمها لعابر السبيل) .

عابر السبيل : شكراً ، كان بي جوعٌ شديد .

آكولينا : أنت عامل ؟

عابر السبيل : أنا ؟ كنت ميكانيكياً .

آكولينا : أكان مُربحاً عملُكَ ؟

عابر السبيل : كنتُ أحصل على خمسين روبلاً ، وحتّى ستين روبلا . . .

آكولينا : يا لها من مشكلة ! وكيف تصرّفتَ حتّى وصلتَ إلى هذه الحالة ؟

عابر السبيل : لست وحدي الذي وصل إلى هذه الحالة . وإنما وصلتُ إلى هذه الحالة لأن الأزمنة تغيّرت بحيث أن الرجل الشريف لا يستطيع أن يعيش اليوم .

مرثا ، حاملةً السماور : يا ربي ! لم يأتِ بعد . لن أفلتَ ، سيأتيني سكران . قلبي يُحسّ بذلك .

آكولينا : حقاً ، لعله كان منهمكا في المجون ؟

مرثا : بلا شك ! العبء كله علي . يجب أن أعجن ، يجب أن

أخبز ، يجب أن أطبخ ، وأغزل وأنسج ، وأهتم بالماشية ، كل العبء يقع علي . وهؤلاء الصغار (يبكي الرضيعُ في مهده) . باراشا ، هزّي الصبي ! اوه ! يا لهذه الحياة الشقية ! عندما يشرب لا شيءَ يرضيه ! . . . والويل لمن يقول كلمةً منحرفةً . . .

آكولينا ، تنقع الشاي : عجباً ، هذا آخر ما بقي من الشاي ! هل فاتَكِ له أن يَحمْل معه شاياً ؟

مرثا : بلا شاك . كان ينوي أن يأتي بالشاي . فهل يأتي به ؟ هل يخطر البيتُ ببالهِ ؟

(تضع السماور على الطاولة ، يبتعد عنها عابر السبيل) .

آكولينا : لم ابتعدتَ عن الطاولة ؟ ستتناول الشاي .

عابر السبيل : أشكرك على حُسْنِ ضيافتك .

(يرمي بسيجارته ويدنو من الطاولة) .

مرثا : وما وضعُكَ ؟ أنتَ فلاحٌ أم شيء آخر ؟

عابر السبيل : الواقع أنني لستُ فلاحاً ولست نبيلاً ، أنا بينهما .

مرثا : وكيف ذلك ؟

(تقدّم له فنجاناً) .

عابر السبيل : شكراً . ذلك أن أبي كان « كونتاً » بولونياً ، ثم كان لي آباء كثيرون ، ثم كان لي أمّان .

آكولينا : ياربي ! كيف ذاك ؟

عابر السبيل : هكذا : كانت أمي تعيش في الدعارة ، أي في تعدّد الزوجات . وكان لي آباء كثيرون . وكان لي أمّان ، لأن الأم التي ولدتني تركتني وأنا في طفولتي الأولى . لكن البوابة عطفتْ علي وآوتني . سيرةُ حياتي ، على الإجمال ، مربكة جداً .

مرثا : اشربْ شاياك . طيّب ! ثم درّبوك على الصنعة ؟

عابر السبيل : لم يكن تدرّبي باهراً . لم تكن أمي الحقيقية ، بل أمي المتبنّية هي التي وضعتْني عند حداد . أي ان الحداد كان أوّل من ربّاني . وكانت تربيتُه تقوم على أنه كان يَضْرب على رأسي أكثر مما كان يَضْرب على سندانه وعبثاً كان يضرب ، فانه لم يستطعْ أن يُزيل مني مواهبي ، مع ذلك . ثم اشتغلتُ عند صانع أقفال ، وهناك كُرِّمتُ وبلغتُ هدفي . وصرتُ عاملاً أول ، وتعرّفتُ بأشخاص متعلّمين ، وأصبحتُ عضواً في الحزب . واستطعتُ أن أتآلف مع الموهبة الخطابية . وكان يمكن أن تكون حياتي راقيةً لأنني كنت أملك موهبةً عظيمةً .

آكولينا : لا شك .

عابر السبيل : وهنا جرَفني الإعصار ، أي النير المستبد بحياة الشعب ، وسُجنتُ ، وبالتالي حُرمتُ من حريتي .

مرثا : ولِمَ ذاك ؟

عابر السبيل : من أجل الحقوق ؟

مرثا : أية حقوق ؟

عابر السبيل : أية حقوق ؟ الحقوق التي تقضي ألاّ يظل البرجوازي بلا عمل ، وأن ينال الكادحُ الذي يعمل أجْرَ عمله .

آكولينا : وأيضاً بصدد الأرض ؟

عابر السبيل : بدون شك ! بصدد المسألة الزراعية أيضاً .

آكولينا : عسى أن يُنعِمَ الربُّ علينا بهذه النعمة ، والعذراء ! فنحنُ في ضيقٍ شديد .

عابر السبيل : وحينئذٍ جرفَتْ قاربي ، من جرّاء ذلك ، أمواجُ بحر الوجود .

آكولينا : والآن .

عابر السبيل : والآن ؟ الآن سأذهب إلى موسكو . سأعرض نفسي على أحد المستغلّين . ماذا تريدين مني ، سأرضخ ، سأقول له : أعطني أيّ عمل شئتَ ، وخُذْني » .

آكولينا : هيّا ، اشربْ بعدُ .

عابر السبيل : ألف منّةٍ لكِ ، أي شكراً .

(تُسْمعَ ضجة وكلامٌ عند المدخل) .

آكولينا : آه ! هذا ميشيل يأتي في موعد الشاي بالضبط .

مرثا ، تنهض : آه ! يا ويلي ! ها هو مع اينياس . معنى ذلك أنه سكران .

(ميشيل واينياس يَدْلفان من الباب . كلاهما سكران) .

اينياس : مساء الخير يا جماعة . (يصلي صلاةً قصيرة وهو يرسم

علامة الصليب أمام الأيقونات) . ها نحن قد وصلنا أخيراً . . . في موعد الشاي بالضبط . ذهبْنا إلى الصلاة ، فكانت مُرتّلةً ؛ ذهبنا إلى الغداء ، فكان مأكولاً ؛ ذهبنا إلى الحانة فكان الموعدُ مضبوطاً . ها ! ها ! ها ! أعطونا شاياً نقدّمْ لكم خمراً . هل هذا مُرْضٍ ؟

(ينفجر ضاحكاً) .

ميشيل : من أين جاءَ هذا الرجلُ ؟ (يُخرج من قفطانه زجاجةً ويضعها على الطاولة) . هاتِ الكؤوس .

آكولينا : ماذا ، هل وُفِّقتَ ؟

اينياس : وكيف لا ، شربنا ، ولَهَوْنا ، وجئنا بشيء من الغلّة إلى البيت .

ميشيل ، يصبّ في الكؤوس ، ويقدّم كأساً لأمه ، وكأساً لعابر السبيل : خذْ ، اشربْ أنتَ أيضاً .

عابر السبيل ، يتناول الكأس : أشكرك بصدق ، على صحّتك .

(يشرب) .

اينياس : انظر ، يا رجل ، كيف يعبّ الخمرَ . على الريق، تسري هذه الخمر في عروقك .

(يملأ له كأسه مرة أخرى) .

عابر السبيل ، يشرب : عسى أن تُوفّقوا في كل مشاريعكم .

آكولينا : حسناً ! وهل وفّقتم في بيعكم ؟

اينياس : وُفّقنا أم لم نوفّق ، لقد شربْنا بكل شيء . أليس كذلك ، يا ميشيل ؟

ميشيل : أجل ! لا داعي للانزعاج . يحق لنا أن نلهو مرّةً .

مرثا : لا داعي لأن تتباهى . لا خيرَ في ذلك . نحن نموت من الجوع في البيت ، وأنت ترتكب الحماقات .

ميشيل ، مهدّداً: مرثا !

مرثا : ماذا ، مرثا ! أنا أعلم جيداً أنني مرثا . آه ! كنتُ أودّ فقط ألا أراك ، أيها السكير الوقح .

ميشيل : انتبهي ، مرثا !

مرثا : لا أريد أن انتبهَ ولا أريد أن أراك .

ميشيل : قدّمي الخمر ، قدّميه للمدعوين .

مرثا : أُفٍ منك ، أيها الكلبُ الوقحُ ! لا أريد أن أكلّمكَ .

ميشيل : لا تريدين ! يا جيفة ! ماذا قلتِ ؟

مرثا ، تهزّ الرضيع ، فيدنو منها الولد ، مرعوباً : ماذا قلتُ ؟ قلتُ : إني لا أريد أن أكلّمكَ ، هذا كل ما في الأمر .

ميشيل : أنسيتِ ؟ (ينهض عن الطاولة ، ويضربها على رأسها ، وينتزع منديلها) . هذه واحدة !

مرثا : اوه ! اوه ! اوه !

(تجري باكيةً إلى الباب) .

ميشيل : لن تذهبي ، يا حقيرة !

(يَنْقض عليها) .

عابر السبيل ، ينهض على عجل عن الطاولة ويمسك بميشيل من يده : لا حقّ لك في ذلك .

ميشيل ، يقف وينظر إلى عابر السبيل بذهول : أتشتهي أن ينالكَ الضربُ ؟

عابر السبيل : لا حقّ لك في أن تُعرِّضَ النساءَ للإهانة .

ميشيل : آه ! يا بن الكلبة ! أترى هذه ؟

(يُريه قبضته) .

عابر السبيل : لن أسمح بالشروع في استغلال النساء .

ميشيل : سأركلك ركلةً عجيبة .

عابر السبيل : اضربْني ! هيّا ! اضربْني !

(يدير له خدّه)

ميشيل ، يهزّ كتفيه ويباعد بين يديه : طيبّ ! وإذا بدأتُ . . .

عابر السبيل : لن يزيد ذلك في الأمر شيئاً ! اضربْ !

ميشيل : أرى أنك رجل غريب الأطوار .

(يخفض ذراعيه وهو يهز رأسه) .

اينياس لعابر السبيل : يتّضحُ على الفور أنك مشغوفٌ بالنساء .

عابر السبيل : أنا مشغوف بالحق .

ميشيل لمرثا ، يدنو من الطاولة وهو يتنفّس بصعوبة : طيّب ! مرثا ، أضيئي شمعةً لهذا . فاولاه لهشّمتك .

مرثا : ماذا يمكن أن أتوقّع منك ، يجب أن أتعذّب طوال العمر ، فأعجنُ وأخبز ، ثم . . .

ميشيل : دعي ذلك ، كفى ، حسبُكِ . (يملأ كأس عابر السبيل مرة أخرى) . اشربْ . (لزوجته) . لمَ تتباكين ؟ ألا يمكن أن نمزح قليلا ؟ هذا هو المال ، صرّيه : ورقتان من ذوات الروبلات الثلاثة ، وقطعتان من ذوات العشرين كوبيكاً .

آكولينا : والشاي ، والسكر ، الذي طلبتُ أن تأتي بهما ؟

ميشيل ، يُخرج من جيبه سفطاً ويعطيه زوجتَه . تأخذ مرثا النقود والمشتريات وتذهب إلى غرفة المهملات ، وهي تُصلح منديلها بصمت : ما أسخف النساء ! (يصب لعابر السبيل مرة أخرى) . خذْ ، اشربْ .

عابر السبيل ، لا يشرب : اشربْ ، أنتَ نفسك .

ميشيل : هيا ، لا تتدلّلْ .

عابر السبيل : على صحتّكَ .

اينياس ، لعابر السبيل : لا شك أنك رأيتَ الكثير في حياتك . او ! ما أجمل سترتَك ، نظاميّة حقاً ! أين استطعْتَ أن تجدَ مثل هذه السترةَ ؟ (يشير إلى سترته الرثّة) . أنت في غنىً عن إصلاحها ، فهي تلائمك جيداً ، بدون ذلك . آه ! لو كان لي مثلُها ، لأحبّتني النساءُ ! (لمرثا) . أليس صحيحاً !

آكولينا : لا داعي ، يا اينياس ، للهُزْءِ برجلٍ لم يَصْنعْ بك شيئاً .

عابر السبيل : إنما قال ذلك بدافع الجهل .

اينياس : قالتُه بدافع الصداقة . اشربْ .

(يملأ كأسه ، عابر السبيل يشرب) .

آكولينا ، بيد أنك قلت : إن ماءَ الحياة مصدرُ جميع الشرور وأنك سُجنتَ بسبب ذلك .

ميشيل : بسبب ماذا سُجِنْتَ ؟

عابر السبيل ، وقد سكر بشدّة : تألمتُ بسبب عمليات السَّطْو(١) .

ميشيل : وكيف ذاك ؟

عابر السبيل : حسناً ! أتينا بيته ، بيت ذي الكرَشْ الضخم . قلنا له : « هات المال أو دونَك المسدس » . تمانَعَ ؛ وكان لا بدّ له من أن يَدْفع ألفين وثلاث مئة روبل .

آكولينا : يا ربي !

عابر السبيل : أردْنا أن نأخذ المبلغ . كان زمبريكوف يقودنا . وفجأةً وصلَ هؤلاء الغربان . فأوْقفونا ووضعونا في السجن .

---

(١) السطو : السطو ذو الأهداف الثورية كان كثير الوقوع في سنة ١٩٠٥ وفيما بعد . وأشهر عملياته عملية جوزيف ستالين الذي استولى بالسلاح على البريد في « تفليس » ، وعملية جوزيف بيلسودسكي الذي أوقف قطاراً للبريد قرب فيلنا . وكان بعض قطاع الطرق يفعلون ذلك لمصلحتهم الخاصة .

آكولينا : واستردّوا المال منكم ؟

عابر السبيل : بلا شك . لكنْ كان من المستحيل عليهم أن يتّهموني . في الجلسة ، قال لي النائبُ العام : « أنتَ سرقتَ المال ؟ » لكنني أجبتُه : « اللصوصُ هم الذين يسرقون . أما نحن فنقوم بالسطو من أجل الحزب » . فلم يجدْ مايَرُدُّ بهِ على ذلك . عبثاً حاول أن يجيب ، لم يجد ما يردّ به . فقال : « خذوه إلى السجن » ، أي ضَعوا حدّاً لحياته الحرّة .

اينياس ، لميشيل : ما أمهره ، ابن الكلبة هذا . هو شجاع . (يصبّ له) . اشربْ ، أيها الحيوانُ الوسخُ . . .

آكولينا : أفٍّ ! ما أبذأَ كلامَك !

اينياس : يا جدّة ، ليس هذا كلاماً بذيئاً ، هذه طريقتي في التعبير ، . . . على صحتك ، يا جدّة .

(تدنو مرثا من الطاولة وتقدّم الشاي) .

ميشيل : هذا شيء حسنٌ . لا داعي للغضب . ها أنا أقول لمرثا : شكراً . أنا أقدّرها كثيراً ، (لعابر السبيل) ما رأيُكَ ؟ (يقبّل زوجته) . إني اقدّرها كثيراً ، امرأتي ، أقدّرها تقديراً عظيماً . بكلمة واحدة ، امرأتي من الصنف الأول . لا أقْبلُ أن أبدّلها أيَّ شيء في الدنيا .

اينياس : هذا حسن . جدّه آكولينا ، اشربي . أنا صاحبُ الوليمة .

عابر السبيل : هذه هي قوّة العطالة . قبل قليل كان كلٌّ واحد يُخلد إلى الكآبة ، أما الآن فلا يوجد سوى البهجة ، سوى الاستعدادات الودّية . يا جدّة ، أنا أحبّك ، وأحبّ جميع البشر ، إخوتي الأعزاء .

(يُنشد نشيداً ثورياً) .

ميشيل : كم فعلتْ هذه برأسه ، بعد صيامه .

ستار

الفصل الثاني

« الكوخ نفسه . في الصباح » .

« مرثا وآكولينا . الزوج ينام » .

مرثا ، تتناول فأساً : سأقطّع حطباً .

آكولينا ، تمسك بسطل : كان سيَضْربُك البارحة لولا ذلك الرجل . لكننا لم نره بعدها . أيكونُ قد سافر ؟ لا بدّ أنه سافر .

(تخرجان الواحدة بعد الأخرى) .

ميشيل ، ينزل عن الموقد : عجباً ، ارتفع النهارُ . (يرتدي ملابسه ويحتذي حذاءه) . لا شك أنها ذهبتْ مع العجوز لتأتي بالماء . رأسي يؤلمني ، يؤلمني كثيراً . لا أريدُ بعد الآن ... إلى الشيطان (يصلي ويغسل وجهه) . حان وقتُ رَبْط الجواد .

(تدخل مرثا حاملة حطباً .

مرثا : هل سافر متسوّل البارحة ؟

ميشيل : لا بد أنه ذهب ، لقد اختفى .

مرثا : ليكنْ . لا شك أنه رجلٌ ذكي . قال إنه كان يكسب خمسين روبلاً في الشهر . لا شك أنه رجل طيّب .

ميشيل : يبدو لك طيباً ، لأنه دافعَ عنكِ .

مرثا : وما أهميةُ ذلك عندي ؟

(ميشيل يرتدي ثيابه) .

مرثا : هل خبّأتَ السكر والشاي ؟

ميشيل : ظننتُ أنّاك أخذتِهما .

(تدخل آكولينا ، حاملةً سطلاً) .

مرثا ، للعجوز : هل أخذتِ الأسفاط ، يا أمي ؟

آكولينا : لا علمَ لي بها .

مرثا : وضعتُها البارحة على متّكأ النافذة .

آكولينا : رأيتُ ذلك .

مرثا : وأين هي ؟

(يفتّشون) .

آكولينا : إنها لمصيبة !

(يدخل جارٌ) .

الجار : قل لي ، يا ميشيل ، هل ستذهب لإحضار الخشب ؟

ميشيل : بدون شك . سأَرْبط الجواد في الحال . لكن انظرْ ، لقد أضعْنا شيئاً .

الجار : عجباً ! وما هو ؟

مرثا : اشترى ميشيل أمس شايا وسكراً من المدينة ، ووضَعها على متّكأ النافذة . لم يخطر ببالي أن أخبّئها . ولم نجد ذلك اليوم .

ميشيل : نحن نشكّ في عابر سبيل نامَ هنا .

الجار : ما هيئة عابر السبيل هذا ؟

مرثا : شخصٌ نحيلٌ وبلا لحية .

ميشيل : وهو يرتدي سترةً رثّةً .

الجار : وهو جعدُ الشعر ، محدّب الأنف ؟

ميشيل : أجلْ .

الجار : صادفتُه الساعةَ . ودهشتُ حين رأيتُه يمشي بسرعة .

مرثا : لا بدّ أنه هو . أكان ذلك بعيداً ؟

الجار : أظنّ أنه لم يَعْبر الجسر بعد .

ميشيل ، يأخذ قبّعته ويخرج مسرعاً مع الجار : يجب أن نلحق به . هذا لصٌ . هو الذي . . .

مرثا : آه ! أيّة خطيئة ، أية خطيئة ! هو بعينه ، من غير شك . . .

آكولينا : وإنْ لم يكنْ هو ؟ منذ نحو عشرين عاماً ، شاع أن رجلاً أخذ حصاناً . وتجمّع الناس . قال أحدهم : « أنا رأيتُه عندما فكّ رسنه » . وقال الآخر : « رأيتُه وهو يقوده . لأن الحصان ، يا عمّ ، كان خصيّاً وتُمكن ملاحظتُه بسهولة » . تجمّع الناس ، وبحثوا ، ووجدوا ذلك الرجل في الغابة . قالوا له : « هذا أنتَ » ، فأقسم بالأَيْمان المغلّظة أنه ليس هو . « لا داعي للانتباه إلى ما يقول ... النساء مُحتمّاتٌ في أنه هو » . وقال شيئاً فظّاً . فالتفت إليه ايغور لابوشكين الذي مات ، والذي كان هائجاً ،

ولطمه لطمةً في وجهه دون أن يسأله لماذا وكيف ، وقال له : « هذا أنتَ » . ضربه ضربةً ، وحينذاك أخذ الجميعُ يضربونه بأيديهم ، ويركلونه بأرجلهم ، ضربوه حتى مات . وفي اليوم التالي ، وجدوا اللصّ الحقيقي ، ولم يكن ذاك الذي ضُربَ لصاً . كان قد ذهبَ إلى الغابة ليَقْطعَ شجرة . . . .

مرثا : بدون شك ، يجب ألا نتّهمه زوراً . ومع أنه في وضع بائس إلا أنه رجلٌ طيب .

آكولينا : سَقطَ إلى الحضيض . لا يُرجى خيرٌ من هذا الرجل .

مرثا : أسْمعُ ضوضاءَ هم ، لا بدّ أنهم يقتادونه .

(يدخل ميشيل والجار ، وشيخ وشاب . وهم يدفعون أمامهم عابر السبيلَ) .

ميشيل ، ممسكا بالسفط الذي يحتوي على السكر والشاي : وجدناه في جيب بنطاله ! أيّ سارق ، ابن الكابة هذا !

آكولينا ، لمرثا : إنه هو ، الحقير ! إنه يَخْفض رأسه . .

مرثا : إنما تكالّم عن نفسه البارحة عندما قال : ما إن يشرب الإنسانُ حتى يسرق كل ما يقع تحت يده .

عابر السبيل : لستُ سارقاً . أنا ساخط على الملكية . يجب أن أعمل وأن أعيش . ليس بوسعكم فهمي . افعلوا ما تشاؤون ....

الجار لعُمدْة القرية : يجب أن نقوده إلى كبير القرية ، أو إلى مفوّض الشرطة رأساً .

عابر السبيل : قلتُ لكم : افعلوا ما تشاؤون . لستُ أخشى شيئاً ، ويُمْكنني أن أتألم من أجل آرائي . لو كنتم متعلّمين لفهمتوني .

مرثا ، لزوجها : ليكنْ . لقد عثرْنا على السفط . يمكننا أن نتركه ، ولا ضيرَ من ذلك .

ميشيل ، مردداً كلمات زوجته : « ولا ضَيْرَ من ذلك » . أنا بغنىً عن وَعْظِكِ . لولاك لحِرْنا كيف نفعل !

مرثا : قلتُ فقط : يستطيع أن ينصرف .

ميشيل : يستطيع أن ينصرف ! بدونك نحار كيف نفعل ، أليس كذلك ؟ صحيح ، يا غبيّة ، يستطيع أن ينصرف . فَلْينصرفْ ، لكن يجب أن أقول له شيئاً ، لكي يحسّ بما فعل . (لعابر السبيل) . اصغِ ، يا سيدي ، إلى ما سأقوله . مع أنك في وضع بائس إلا أنك تصرّفتَ تصرّفاً سيّئاً ، سيّئاً جداً . غيري كان سيحطّم أضلاعك من أجل هذا ، وكان سيقودك فوق ذلك إلى مفوّض الشرطة ؛ أما أنا فأقول لك الشيء التالي : لقد أسأت التصرّف وما بعد ذلك سوء ، لكنك في وضع بائس جداً ، ولا أحبّ أن أضرّك . انصرف بجاه الله ، ولا تعدْ إلى ذلك في المستقبل . (يلتفت إلى زوجته) . وأنتِ أردتِ أن تعظيني !

الجار : لا داعيَ لذلك ، يا ميشيل . أوه ! أنت مخطىء إذ تشجّعهم .

ميشيل : هذا شأني إن كان هناك داع أم لا . (لزوجته) . أنتِ تريدين أن تعظيني . (يتوقّف ، ينظر إلى السفط ، ويعطيه

عابرَ السبيل بحركة حاسمة ، وهو يلتفت ليَنْظر إلى زوجته) .
هيّا ، خذْ هذا ، تستطيعُ أن تشرب شاياً في طريقك .
(لزوجته) . تريدين أن تعظيني ؟ هيّا ، هيّا ، لا داعيَ للكلام .

عابر السبيل ، يأخذ السفط بصمت : أتظنّ أنني لا أفهم ؟ (يتهدّج صوتُه) . أنا أفهم تماماً . لو ضربْتَني كما يُضْربُ الكلبُ ، لكان ذلك أقلّ إيلاماً لي . ألا أُدرك مَنْ أنا ؟ أنا شقيٌّ أي منحطّ .
سامحْني بجاه الله .

(ينتحب ، يرمي بحدّة سفطَ الشاي والسكر على الطاولة ويهرب) .

مرثا : الحمدُ لله أنه لم يأخذ الشاي ، و لا لما استطعت أن أعمل شاياً .

ميشيل : أنتِ ، أردتِ أن تعلّميني كيف أعيش .

الجار : آه ! البائس ، ما أشدّ بكاءَه !

آكولينا : ذلك لأنه كان إنساناً ، فيما مضى من الزمن .

ستار

الفهرس

٣٠٠٠ ط١ /٢/١٩٨٩



ليون تولستوي
الأعمال الأدبية الكاملة
هذا هو المجلد الرابع عشر من
مؤلفات تولستوي الادبية الكاملة ،
والجزء الثاني من الأعمال المسرحية
الكاملة ، نقلها عن طبعةRencontres
في لوزان (سويسرا) الاستاذ صياح
الجهيم بأسلوب مشرق يجمع بين
الدقة العلمية ومتانة العبارة العربية .
سعر النسخة داخل القطر
١٢٠ ل.س
في الاقطار العربية مايعادل
٢٢٠ ل.س
الطبع وفرز الألوان في مطابع وزارة الثقافة
دمشق ١٩٨٩